الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية



قسم التاريخ

العلاقات الجزائرية المغربية ما بين (1659–1727م)؛

مقاربة سياسية ثقافية

أطروحة مُقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

إعداد الطالبة : إشراف الأستاذ الدكتور :

زينب جعني صالـح بوسَليم

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
د.جلول بن قومار	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة غرداية
أ.د صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة غرداية
أ.د رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الوادي
أ.د محمد الزين	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د. عمر بن قايد	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة غرداية
د. عبد القادر الميلق	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	المركز الجامعي بأفلو

السنة الجامعية: 1443–1444هـ/2021– 2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الّذي منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة،وأعانني على إنجازها،فله الحمد كلّه كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

اعترافا بالفضل لأهل الفضل، ومن مُنطلق من لايشكر النّاس لايشكر الله،أتقدّم بخالص شُكري وتقديري إلى كلّ أساتذتي الكرام الذين تتلمذت على أيديهم.

وأتوجه بالشكر لكل من ساعدني في انجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد أخصّ في هذا المقام أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبّدوا عناء قراءة هذه الرسالة وتوجيهها.

كما أوجه خالص شكري وامتناني إلى المشرف الأستاذ الدكتور صالح بوسَليم الذي لم يبخل عليّ بعلمه الغزير ورأيه السديد، وتحمله مشقة تصحيح هذه الرسالة، وتتبع خطواتها لإخراجها في شكلها الأخير، رغم انشغالاته الكثيرة فكان نعم المشرف ونعم الموجه.

الإهداء

إلى روح والدي العزيز رحمه الله .

إلى أمي الحبيبة حفظها الله.

إلى روح أخي وعمتي.

إلى أخي وأخواتي، وأخص بالذكر أختي خديجة.

إلى جميع الأهل والأقارب والأصدقاء.

- قائمة الرموز والمختصرات المستعملة في البحث باللغة العربية والأجنبية:

- باللغة العربية:

الرمز المختصر	المعنى
تح	تحقيق
تع	تعليق
مج	المجلد
تق	تقديم
د ط	دون طبعة
مر	مراجعة
ط	طبعة
ط.خ	طبعة خاصة
ج	جزء
ع	العدد
د.ت	دون تاريخ نشر
د.د.ن	دون دار نشر
د. م. ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ش. و. ن. ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

- باللغة الأجنبية:

R	**Revue**
R.A	**Revue Africaine**
R.O.M.M	**Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée**
Nº	**Numéro**
P	**Page**
PP	**Page continues**
T	**Tome**

المقدّمة

يُعدُّ موضوع البحث في تاريخ العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العصر الحديث من المواضيع الهامة في تاريخ بلاد المغارب، لما حملته من تناقضات في شقي العلاقات السياسية والثقافية؛ حيث شهد منتصف القرن11هـ/ 17م، والربع الأول من القرن 12هـ/18م أحداثا هامة، في كلا البلدين، وهي الفترة التي كانت فيها الجزائر تحت حكم الآغوات، ثم تلى ذلك عهد الدايات. أما في المغرب الأقصى فقد عرف قيام الدولة العلوية ثم تولي المولى إسماعيل العلوي.

ولما كان البحث بعمق في طبيعة العلاقات بين الجزائر والمغرب أمراً غير متيسر في رسالة واحدة، فقد آثرت دراسة جانبين فقط منها ، هي العلاقات السياسية والثقافية. ومن هذا المنطلق كان اختياري لموضوع:"**العلاقات الجزائرية المغربية ما بين (1659-1727م)؛ مقاربة سياسية ثقافية**".

وسنحاول من خلال هذه الدّراسة تتبّع مظاهر العلاقات السياسية والثقافية بين البلدين خلال الفترة المذكورة، من حيث البحث في العوامل المؤثرة في تلك العلاقات، والوقوف على مظاهرها وانعكاساتها.

- **أسباب ذاتية وموضوعية:**

من جملة الأسباب الّتي دفعتني لاختيار موضوع الدّراسة، نذكر منها:

- أهمية موضوع العلاقات الدولية الذي يُعدّ من أهم المواضيع التي يجب أن يهتم بها الدارس للتاريخ؛ لما تؤديه تلك العلاقات من تأثير حضاري بين الدول والمجتمعات المتجاورة، كالجزائر والمغرب في العصر الحديث، خاصة في الجانب السياسي والثقافي.
- محاولة توضيح العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية والثقافية بين الجزائر والمغرب والتمييز بينهما.
- شغفي بدراسة التاريخ الحديث على العموم، وتاريخ العلاقات الجزائرية المغربية على الخصوص.
- توفر المادة العلمية من مصادر ومراجع حفزني للبحث في الموضوع، وذلك بدراسة أوضاع الجزائر في فترة الأغوات، وبداية عصر الدايات، والتعرف على فترة قيام الدولة العلوية، وخاصة عهد المولى إسماعيل، ومعرفة مظاهر العلاقات السياسية والثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى التي تأرجحت بين السلم تارة والحرب تارة أخرى.
- محاولة معرفة الأحداث المتشابكة التي ميّزت القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي بين الجزائر والمغرب، خاصة في مجال النشاط البحري ضد الدول الأجنبية.

– أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ نذكر منها:

– المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية والمغاربية بالدراسات الخاصة بالعلاقات البينية بين بلدان المغارب في العصر الحديث، من خلال مقاربة سياسية ثقافية.

– محاولة إلقاء الضوء على الأحداث التي عرفتها كل من الجزائر والمغرب في منتصف القرن 11هـ/17م وبداية القرن 12هـ/18م.

– إبراز مظاهر العلاقات بين البلدين، سواء ما تعلق بالعلاقات العدائية بين البلدين من حملات عسكرية وإشكالية الحدود ، أو العلاقات الدبلوماسية بينهما ، وكذا مسألة التعاون الثنائي، خاصة في قضية الجهاد البحري ومسألة الأسرى.

– توضيح مظاهر العلاقات الثقافية بين البلدين، ومساهمة العلماء في ذلك ودورهم في الحياة الثقافية، ومدى تأثير الجانب السياسي على الثقافي.

– حدود الدراسة:

يبدأ الإطار الزماني لهذه الدراسة بالفترة الممتدة من1069-1139هـ/1659-1727م، وحدّدت هذين المعلمين التاريخيين المهمين بحكم أنّ سنة 1659م؛ تمثل بداية عهد الأغوات في الجزائر وسقوط الدولة السعدية وقيام الدولة العلوية بالمغرب الأقصى. أما سنة 1727م؛ فتمثل فترة حكم الداي عبدي باشا (1724-1732م) في الجزائر، ووفاة المولى إسماعيل ونهاية عهد حكمه في المغرب الأقصى.

أما الإطار المكاني (مجال الدراسة)؛ فهو يشمل الجزائر والمغرب، باعتبارهما ضمن الدول الفاعلة في بلاد المغرب الإسلامي والحوض الغربي للبحر المتوسط.

– إشكالية الدراسة:

يجد الباحث نفسه أمام إشكالية محورية بارزة في عنوان الأطروحة، مما يستدعي من الباحث وجوب الانتباه إلى البُعدين السياسي والثقافي في محاولة مقارباتية لدراسة العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال الفترة ما بين (1659-1727م). فمن جهة، نجد المقاربة السياسية؛ بما يحمله هذا التعبير من مفاهيم الحكم، الدولة، السيادة، الوحدة، الشرعية. ومن جهة أخرى، نجد المقاربة الثقافية، والتي

توظّف مجموعة من المفاهيم من قبيل التأثير والتأثر، كالعلماء، والتدريس، والإجازة، وتبادل التآليف، والفقهاء، وحركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية ، وغيرها.

وتتمحور هذه الدّراسة حول إشكالية رئيسة؛ وهي:

ماهو واقع العلاقات الجزائرية المغربية ما بين (1659-1727م)،من خلال مقاربة سياسية ثقافية ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التّساؤلات الفرعية مرتّبة على النّحو الآتي:

- ماالأوضاع العامة السائدة في كل من الجزائر والمغرب خلال هذه الفترة؟ وماهي طبيعة العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة المذكورة؟.
- وما أبرز العوامل المؤثرة في هذه العلاقات ؟ وماهي أبرز مظاهرها وتجلّياتها؟.
- ما القواسم المشتركة بين البلدين، وماهي مظاهر العلاقات الثقافية بينهما؟ وإلى أي مدى نجح العلماء وطلبة العلم في تجاوز الخلافات السياسية بين بلديهما؟.
- فيمَ تمثّلت ملامح التفاعل الثقافي التي جسّدتها حركة انتقال العلماء وطلاب العلم بين البلدين؟.
- إلى أي مدى ساهم علماء البلدين في توطيد العلاقات الثقافية؟.
- ما الدور الذي أدّته الطرق الصوفية في تمتين أواصر التواصل الروحي والحضاري بين البلدين؟.

- الدراسات السابقة لموضوع الدراسة :

من الطبيعي أنّ كل موضوع يقدّم للدراسة إلا وسبقته دراسات أخرى تناولته إما بشكل جزئي، أو تناولت بعضاً من عناصره، وتجدر الإشارة أن هناك دراسات علمية دقيقة وهامة لا يمكن للباحث في مجال العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني تجاوزها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-أطروحة دكتوراه للباحثة زهراء إخوان الموسومة بـ: **"العلاقات المغربية الخارجية في القرن 11هـ/17م"**، التي تناولت علاقات المغرب الخارجية مع دول غرب البحر الأبيض المتوسط ومع الدولة العثمانية وإيالاتها في بلاد المغارب، وقد استفدت منها في معرفة بعض الجوانب من العلاقات البينية بين بلاد المغارب.

- دراسة الأستاذ مصطفى الغاشي في كتابه المعنون بـ: " **الرحلة المغربية والشرق العثماني في محاولة بناء الصورة**"[1]، والتي أفادتني في موضوع الرحلات الحجازية وذكر مسالك ركب الحج المغربي.
- دراسة الباحث إبراهيم شحاتة حسن، والموسومة ب: " **أطوار العلاقات المغربية العثمانية قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون 1510-1947م**"[2]، والتي أفادتني كثيرا في معرفة أهم الحملات المغربية على الجزائر.
-رسالة ماجستير للباحث جلول المكي، والموسومة بـ" **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631هـ-1263هـ/1234-1847م**" ، وقد أفدت منها في معرفة الحملات المغربية على الجزائر، وكذا في مسألة الحدود المؤثرة في العلاقات بين البلدين.
- دراسة عبد الرحيم بنحادة المعنونة بـ:" **المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر**" ، وقد ركز فيه الباحث على الجانب العلائق السياسي بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية ، استفدت منها في عرض مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى.
-كتاب:"**الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**م"، وهو في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر للأستاذ عبد القادر صحراوي، تناول في هذا الكتاب ظاهرة التصوف ونماذج من متصوفة الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين، من خلال الوقوف على الدور السياسي والاجتماعي للصوفية وردود السلطة العثمانية، وكذا السياسة الدينية للسلطة العثمانية في التعامل مع الحركة الصوفية؛ باعتبارها إحدى القوى الدينية المتنامية آنذاك.
- مذكرة ماجستير للباحثة ليلى غويني، والموسومة ب:" **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**". وتناولت صورا عديدة من تلك المشاهدات التي

[1]- مصطفى الغاشي: **الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة**، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2015.

[2]- إبراهيم شحاتة:**أطوار العلاقات المغربية العثمانية : قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)**،ط1، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر،1981.

ارتسمها الرحالون الجزائريون عن الأحوال الثقافية في مختلف الحواضر العلمية الجزائرية أثناء العهد العثماني.

-أطروحة دكتوراه للباحث جلول بن قومار والموسومة بـ:"**علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي**"، استفدت منها في الحديث عن التنظيم الإداري للمغرب.

-أطروحة دكتوراه للباحث بن قايد عمر، والموسومة بـ:"**التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة العثمانية 1519-1830م؛ مقاربة اجتماعية ثقافية**"، والتي أفادتني كثيرا في موضوع العلاقات الثقافية.

- أطروحة دكتوراه للباحث عبد القادر الميلق، والموسومة بـ "**العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر الميلادي – مقاربة سياسية–**" ، والتي أفادتني في جانب العلاقات السياسية الجزائرية المغربية.

– المنهج المتّبع في الدراسة :

فيما يتعلق بالمنهج المتبع في الدراسة فقد اقتضت طبيعة البحث استعمال مناهج متعددة منها المنهج التاريخي وذلك من خلال تتبع الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر والمغرب ، و رصد كل من الحملات العسكرية ، وذكر الرحلات بين البلدين، مع التعريف بالعلماء،والطرق الصوفية ،واستنباط المعلومات ،خاصة ما تعلق بالتواصل الثقافي بين علماء البلدين، واعتمدت على المنهج الوصفي من خلال وصف الصورة التي كانت عليها العلاقات السياسية خاصة في قضيتي التعاون المشترك في الجهاد البحري و تحرير الأسرى.

أما من حيث المقاربة المعتمدة في معالجة الموضوع، فنقصد بها ذلك الأساس النظري والفكري، فقد اعتمدت مقاربة سياسية وأخرى ثقافية.

– الخطة المعتمدة في الدراسة:

قسّمت البحث إلى مقدمة، ومدخل، وبابين، وخاتمة، وفيما يلي عرض للخطة كالآتي:

أما **الفصل التمهيدي** فخصّصته لإعطاء لمحة عن العلاقات بين الجزائر والمغرب قبل سنة 1659م ، سواء مع السلطة السعدية الحاكمة أو القوى السياسية المحلية المغربية.

أما **الباب الأول** فقد خصّصته لـ: " العلاقات السياسية الجزائرية المغربية"، وتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول يتضمن ثلاثة مباحث ؛ فالمبحث الأول يشير إلى الوضع السياسي والإداري للجزائر خلال الفترة الممتدة من 1659-1727م، وما شهدته من بداية عهد الآغوات ثم وصول الدايات للحكم سنة1671م، أما المبحث الثاني فتضمن الوضع السياسي والإداري للمغرب الأقصى من بداية حكم الدولة العلوية إلى غاية سنة1727م نهاية حكم المولى إسماعيل من خلال ذكر أوضاع المغرب الأقصى خلال هذه الفترة ، أما المبحث الثالث فتطرقت فيه إلى العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب.

وتناولت في **الفصل الثاني** من الباب الأول: "مظاهر العلاقات السياسية الجزائرية المغربية"، حيث تطرقت فيه إلى مظاهر العلاقات بين الجزائر والمغرب ، فالمبحث الأول تضمن علاقات التوتر والنزاع ؛ إذ تطرقت فيه إلى العلاقات العدائية بين البلدين منها الحملات المغربية ضد الجزائر، وصد هذه الأخيرة للحملات المغربية ودحرها. ثم تحدثت عن مساندة الأتراك العثمانيين للقوى المناوئة للسلطة الحاكمة في المغرب.

أما المبحث الثاني فاشتمل على العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال تبادل السفارات والرسائل بينها ، ثم المراسلات المغربية العثمانية بشأن إيالة الجزائر.

أما **الفصل الثالث**، فقد عنونته بـ:" الجزائر والمغرب محورا التنافس الأوربي"، أشرت فيه إلى وضع الجزائر والمغرب بالنسبة لأحداث البحر المتوسط كانت محورا للتنافس الأوربي، وتناولت فيه تحرير واستعادة المراكز الجزائرية والمغربية من الاحتلال الأجنبي خاصة الاسباني ، ثم ركّزت على مسألة الجهاد البحري، والتعاون المشترك بين البلدين ،كما تناولت مسألة الأسرى، سواء الأسرى المسيحيين الأوروبيين في الجزائر والمغرب الأقصى، أو الأسرى المسلمين في أوربا مع التطرق إلى جهود الجزائر والمغرب لتحرير الأسرى.

وخصّصت **الباب الثاني** للعلاقات الثقافية الجزائرية المغربية، وتضمن ثلاثة فصول:

تناولت في **الفصل الأول**"مقومات الوحدة الثقافية الجزائرية المغربية "، والذي انطوى على ثلاثة مباحث، تطرقت في المبحث الأول إلى العوامل المؤثرة في العلاقات الثقافية بين البلدين، أما المبحث الثاني فتناولت فيه أهم مراكز التبادل الثقافي بين البلدين وأهم علمائهما. أما المبحث الثالث

فإشتمل على المؤسّسات الثقافية ودور الأوقاف، ثم دور حكام البلدين في تشييد المؤسسات الثقافية، وعلاقتهم بالعلماء.

وأما **الفصل الثاني** من الباب الثاني، فقد خصّصته "للروابط الدينية والثقافية بين علماء الجزائر والمغرب"، تناولت فيه حركية وتواجد العلماء المغاربة في الجزائر،والعلماء الجزائريين في المغرب، ثم تطرقت إلى أهم الرحلات لعلماء الجزائر والمغرب ثم التواصل الصوفي بين البلدين.

وأخيراً **الفصل الثالث** الذي تناولت فيه: " انعكاسات العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب على التراث الحضاري المشترك " وتناولت فيه الإجازات العلمية بين علماء البلدين، ثم تطرقت إلى انتقال وتبادل المصنفات، وإقامة المناظرات، ومراسلات العلماء، وتبادل الفتاوى بين البلدين.

وأما خاتمة البحث، فقد تضمّنت مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات التي توصّلت إليها، كما ذيلت البحث بعدد من الملاحق والفهارس، وثبت للمصادر والمراجع المعتمدة.

– عرض نقدي لبعض المصادر والمراجع:

تنوعت مظان البحث بين المصادر والمراجع وتنوعت أشكاله، فاعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر، منها الوثائق الأرشيفية المنشورة، والمصادر والمراجع المطبوعة العربية والمعرّبة والأجنبية، والرسائل الجامعية والدوريات المتخصّصة التي تناولت بعض جوانب الموضوع ، ومن أهمّها:

– المصادر العربية:

– "النفحة المسكية في السفارة التركية":

لمؤلفه علي بن محمد التمقروتي (ت. 1003هـ/1594م) الذي كلّف بالقيام بسفارة نحو الأستانة من قبل السلطان أحمد المنصور السعدي ، وقد نزل بمدينة الجزائر وقبلها مرّ بعدد من مدن الغرب الجزائري ، كتلمسان و وهران ، وعند خروجه من الجزائر نزل ببجاية ومنها دخل نحو تونس، فطرابلس الغرب، وصولا نحو القسطنطينية.

وعلى الرغم من وصفه الموجز للمدن التي توقف عندها ، إلا أنّه يفيد الباحث في الجانب المتعلق بالاحتلال الاسباني للمدن الساحلية الجزائرية وأثره على الأحوال الثقافية فيها.

– " الرحلة إلى المغرب والمشرق":

لأبي العبَّاس شهابُ الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى المقَّري التِّلِمْساني (ت.1041هـ/1631م) ، واحد من أعلام القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، والواضح من عنوان

الكتاب أنّه يؤرخ للرحلة التي قام بها المقري؛ انطلاقا من المغرب الأقصى، حيث كان يقيم سنة 1027هـ/1618م . وعلى الرغم من امتهانه لفن الخطابة والفتوى والإمامة في جامع القرويين ، إلّا أنّه فضّل المغادرة نظرا لتردّي الأوضاع العامة في المغرب الأقصى فاتجه نحو المشرق.

ويحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة، منها ما يتعلق بحياة المقّري الشخصية، وبالأحوال الثقافية والأدبية في عصر المؤلف في البلدان التي زارها، وبعض القضايا الفقهية. وقد أفادني ما ذكره الكاتب عن الحياة الثقافية في كل من المغرب والجزائر، ولقائه بالعلماء المغاربة ومناظراته العلمية معهم.

- **"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"**:

لمؤلفه الشيخ عبد الكريم الفكون (ت. 1073هـ/1662م)، وهو مصدر هام يؤرخ لحاضرة قسنطينة، خاصة أوضاعها الثقافية خلال القرن 11هـ/17م، ويتطرق لتراجم بعض العلماء ليس بغرض التعريف بمناقبهم ، وإنّما من أجل من ادّعى العلم والتصوف والصلاح والولاية منهم ، وقد استفدت منه في معرفة الواقع الثقافي في حاضرة قسنطينة، ومراسلات بعض فقهائها مع غيرهم من فقهاء حواضر بلاد المغارب.

-**" فتح الإله ومنته في التحدث بفصل ربي ونعمته"**:

لمحمد أبي راس الناصري الجزائري (ت. 1238هـ/1823م)، وهو من المصادر الجزائرية الهامة وقد استفدت منه في مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب.

-**"تاريخ الضعيف الرباطي"**:

لمحمد بن عبد السلام بن أحمد الرباطي ، نشر هذا الكتاب بعنوان:" **تاريخ الدولة السعيدة**" ، وهو مصدر هام لتاريخ الدولة العلوية، استفدت منه في الحديث عن تأسيس الدولة العلوية، والحملات المغربية على الجزائر، وكذا المراسلات التي تمت بين حكام الجزائر وسلاطين المغرب.

- **رحلة " ماء الموائد "**:

كتبها الرحالة المغربي أبو سالم عبد الله العياشي (ت. 1090هـ/1679م)،وهي رحلة اشتملت على كثير من المشاهدات والملاحظات للأحداث التاريخية ، كما تضمنت وصفا لمظاهر للحياة الثقافية، وقد أفادني في معرفة بعض مظاهر التواصل الثقافي بين العلماء الجزائريين الذين التقى بهم من جهة، وكذا المعلومات التي أوردها في ذكره لطريق رحلته إلى الحج خلال مروره بالجزائر ذهاباً وإياباً من جهة أخرى.

-" **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني"** :

لمؤلفه أبي محمّد عبد السلام بن الطيب القادري، الذي وُلد يوم الجمعة 10رمضان عام 1058م الموافق ل29سبتمبر1648م وتوفي سنة 1110هـ/1698م.له العشرات من المؤلفات ،قام بتحقيق كتابه نشر المثاني أحمد توفيق ومحمد حجي، ونشره مع كتب أخرى في موسوعة أعلام المغرب، يتّبع الكتاب نظام السنوات ابتداء من القرن 11هـ/17م، زيادة عن التراجم ، فهو يزودنا ببعض المعلومات عن تاريخ المغرب، وقد استفدت منه في رصد الحملات المغربية على الجزائر ، وكذا أوضاع المغرب.

– **"رحلة الوزير في افتكاك الأسير"**:

لمحمد بن عبد الوهاب الغساني (ت.1119هـ/1707م)، وهي من الرحلات السفارية إلى اسبانيا ، استفدت منها في ذكر قضية الأسرى المسلمين من مغاربة وجزائريين التي تكلّف بها الغساني لدى ملك اسبانيا كارلوس الثاني.

–" **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان"**:

لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي(ت. 1120هـ/ 1708م)، هو من كتب الرحلات الفهرسية، وقد استفدت منه في ذكر رحلته للجزائر ولقائه بعلمائها، وحصوله على الإجازات منهم .

– " **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"**:

لمحمد الصغير بن محمد الإفراني ، الملقّب بالصغير(ت. 1156هـ/1743م) ،ويعدّ كتابه من أهم الكتب التي تناولت تاريخ الدولة السعدية بموضوعية، كما تناول فترة حكم بداية الدولة العلوية إلى غاية حكم المولى إسماعيل.

-"روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف" لمحمد بن محمد الإفراني، وهو من المصادر الهامة، إذ عاصر المؤلف فترة حكم المولى إسماعيل ، وقد استفدت منه في دراسة نسب العلويين وكذا الحملات المغربية ضد الجزائر.

– **"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"**:

لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري(ت.1159هـ/1746م)، الذي حقّقه وقدّمه الباحث المرحوم محمد ابن عبد الكريم الجزائري ، وقد عاش ابن ميمون في الفترة التي تمتد من أواخر فترة الآغوات إلى

أواسط عهد الدايات، ولذلك كان شاهدا على أحداث هذه الفترة، ومنها فتح وهران الأول، وقد استفدت منه كثيرا، في العلاقات السياسية والثقافية بين البلدين، خاصة فيما تعلق بالحملات على الجزائر.

– **" تحفة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر"**:

لمؤلفه عبد القادر المشرفي (ت. 1192هـ/1778م)، من قرية الكرط بمعسكر، حقّق الكتاب وقدّمه الباحث المرحوم محمد بن عبد الكريم الجزائري، وهو كتاب هام في معرفة القبائل الجزائرية على الحدود الغربية وعلاقاتها بالإسبان، والتي كان الكثير منها داعما ومموّلا لهم؛ إذ ندّد المؤلف بخيانتها ، كما تحدث عن فتح وهران الأول سنة1119هـ/ 1708م.

– **"الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"** :

ألّفه أحمد بن سحنون الراشدي (ت. بعد 1211هـ/1796م)، عاش في بلاط الباي محمد الكبير، وكان ملازما لتأديب وتعليم ولده عثمان ، والكتاب حقّقه الشيخ المهدي البوعبدلي ، وهو بمثابة مذكرات لما عايشه المؤلف في البلاط ، كما تطرق فيه إلى فتح وهران الأول والثاني، وأشاد بالباي محمد بن عثمان.

– **المراجع العربية**:

– **"الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى"**:

لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي الجعفري، تحدّث فيه عن تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي، الطبعة الثانية الصادرة بالمغرب سنة 1954-1956 في تسعة أجزاء، والأجزاء التي أفادتني في بحثي هي الجزء السادس الخاص بالدولة السعدية، والجزء السابع الخاص بالدولة العلوية.

– **"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"** :

لمؤلفه محمد بن محمد بن مخلوف التونسي ، استفدت منه خاصة في تراجم علماء الجزائر والمغرب، وما كان بينهما من تواصل ثقافي .

–**" المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف"**:

لمؤلّفه مولاي عبد الرحمان بن زيدان؛ مؤرخ الدولة العلوية وأحد أبنائها، والذي أفادني في معرفة العلاقات السياسية بين البلدين على عهد المولى إسماعيل العلوي، وذلك من خلال الاطلاع على الرسائل التي أرسلها إلى حكام الجزائر.

- **" تعريف الخلف برجال السلف"** لأبي القاسم محمد الحفناوي ، وهو من المؤلفات الهامة في التعرف على علماء الجزائر،وقد استفدت منه كثيرا من جزأيه الأول والثاني في ترجمة علماء الجزائر.

- **"تاريخ الجزائر الثقافي"**:

لأبي القاسم سعد الله، والذي تضمن عشرة أجزاء، استفدت خاصة من الجزأين الأول والثاني المتعلق بالفترة من 1500-1830م، والكتاب غزير بالمعلومات؛ وهو بمثابة موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي ولم يغفل الحديث عن المؤثرات في الحياة الثقافية بالجزائر قبل مجيء العثمانيين في مطلع القرن السادس عشر وحديثه عن المؤسّسات الثقافية والطرق الصوفية في الجزائر وعلاقات علمائها بعلماء المغرب.

-" **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**" :

للأستاذ عمار بن خروف وهو في الأصل رسالة ماجستير الموسومة بـ:" العلاقات بين الجزائر والمغرب (923 - 1069هـ/1517 – 1659م)"، التي تناولت أهم العوامل المؤثرة في العلاقات بين البلدين، وأبرز مظاهرها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في الفترة المذكورة ، وقد استفدت منها كثيرا، سواء في الجانب السياسي أو الثقافي.

- كتاب:" **الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني**"، وهو في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث للأستاذ إبراهيم سعيود، وقد تركّز اهتمام الباحث في هذا الكتاب بمسألة استرقاق الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني؛ الذين تكاثر عددهم بسبب تصاعد حركة الجهاد البحري الإسلامي مقابل نشاط القرصنة المسيحية من خلال توظيف الأرصدة الوثائقية الخاصة بهؤلاء الأسرى. وقد استفدت منه في مسألة الأسرى.

- **" أطوار العلاقات المغربية العثمانية: قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)"**:

لإبراهيم حسن شحاتة ، والكتاب مهم جدا في موضوع العلاقات السياسية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ويحتوي الكتاب على الوقائع السياسية التي ميزت العلاقات بين الحكام العثمانيين في الجزائر وسلاطين المغرب ، وكذا الرحلات الحجازية والعلمية ، وقد استفدت منه كثيرا في العلاقات السياسية بين البلدين خاصة في موضوع الحملات العسكرية المغربية على الجزائر .

- " **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى العهد العلوي**":

ألّفه عبد الهادي التازي(ت.2015م) في عشرة مجلدات ، لكنّني اقتصرت على مجلدين، وهما: الثامن الذي خصّصه للسعديين، والتاسع الذي خصّصه للعلويين، وقد ضمّ كتابه معلومات هامة عن تاريخ العلاقات المغربية الجزائرية خلال هذه الفترة، استفدت منه كثيرا في موضوع العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر والمغرب ، وبين المغرب والدولة العثمانية بشأن أيالة الجزائر في بدايات العهد العلوي .

- "**الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق**":

وهو من تأليف الأستاذ حسن أميلي؛ ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سنة 2006، استفدت منه كثيرا في مسألة الجهاد البحري والتعاون المشترك بين الجزائر والمغرب.

- " **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17و18م**":

هو من تأليف الأستاذ حسن أميلي أيضا، صدر عن دار أبي الرقراق سنة 2011، وهو كتاب هام،واحتوى الكتاب على احصائيات هامة بشأن عدد السفن والغنائم ، وقضايا الجهاد البحري استفدت منه كثيرا في مسألة الجهاد البحري .

-" **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية–ثقافية خلال القرن 10هـ/16م**":

للأستاذة زهراء النظام، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. حاولت الباحثة تقديم بناء تصور نظري ومعرفي لمسار العلاقات الجزائرية المغربية، حيث استحضرت في مختلف فقراتها مجمل الأفكار التي طبعت هذه العلاقات في جانبيها السياسي والثقافي؛ من نهاية القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن السادس عشر الميلاديين.

ويلاحظ الباحث توظيفها لمصطلح " أتراك الجزائر"، ومصطلح "الغزو التركي" للمغرب، فهل يمكن الحديث عن دولة قومية تركية في القرن السادس عشر ميلادي؟ وكل الدراسات التاريخية الأصيلة تؤرّخ للدولة العثمانية العلية؟.

–المصادر باللغة الأجنبية:

وفيما يتعلق بالمصادر الأجنبية فمعظمها مدون باللغة الفرنسية، وأهم ما رجعت إليه؛ أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

– الوثائق الأوربية المنشورة:

لقد نُشر الكثير من الوثائق الخاصة بأيالة الجزائر والمغرب الأقصى، سواء في بعض المؤلفات أو المجلات التاريخية، التي استفدت منها كثيرا؛ وهي:

– " وثائق دو كاستري" (المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب)

-Henry de castry: **"Les sources inédites de l'histoire du Maroc"**

وهي مجموعة وثائق أوربية مختلفة، التي تتعلق بتاريخ المغرب وعلاقته مع اسبانيا والبرتغال، وفرنسا وانجلترا، وهولندا، ابتداء من العصر السعدي. وتضم تقارير، ومقالات، ورسائل، ورحلات، وتفاصيل دقيقة عن التاريخ السياسي، والدبلوماسي، والاقتصادي، والاجتماعي. جمعها هنري دوكاستري، وواصل العمل من بعده آخرون. وتحتوي هذه المجموعة على 27 مجلدا، يضم السلسلة الأولى والتي تغطي الفترة الممتدة ما بين 1530–1630م، مخصّصة بالدولة السّعدية، أما السلسلة الثانية مخصّصة للدولة العلوية الفيلالية، تغطي الفترة الممتدة ما بين 1661م–1845م، وهي ستة مجلدات من الوثائق الفرنسية التي تخص الحقبة التاريخية ما بين 1661و1718م، ثمّ أضيف إليها سنة1970 مجلد سابع صغير يشتمل على وثائق تخص الحقبة التاريخية التي بين1718 و 1725 م.

وقد أشاد بها المؤرخون المغاربة؛ لما لها من دور في كتابة تاريخ المغرب ، ومنهم عبد الرحمان بن زيدان في كتابه (إتحاف أعلام الناس)، إذ قال: " ومن أكبر البراهين و أوضح الأدلة على ما كان بين المولى إسماعيل وبين عظماء أوربا من العلائق السياسية، ما وقفت عليه في عدّة مكاتب ومخابرات صدرت بينه وبينهم، ألم بكثير منها مؤرخ فرنسا الماهر الشهير الرحالة الفيلسوف الخبير الكونت دوكاستري في عدّة من كتبه"[1]. وقد أفدت منها كثيرا في معرفة بعض المسائل التي طبعت العلاقات الجزائرية المغربية، خاصة منها الجهاد البحري.

-PLANTET Eugène**: Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France, 1579-1833**.

وهو من المصادر الهامة التي تحمل بين طيّاتها أرشيفا هاما يؤرخ لحقبة من تاريخ الجزائر الحديث في الفترة التي تمتد من (1579–1833م) ، سعى فيها المؤلف الذي شغل منصب قنصل

---

[1]- عبد الرحمن ابن زيدان بن محمد السجلماسي : **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** ، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1429هـ/2008م، ج2، ص67-68.

فرنسا في الجزائر إلى جمع الرسائل التي بعث بها الدايات إلى ملوك فرنسا و وزرائها. وقد استفدت منه في الرسائل التي كانت بين داي الجزائر وفرنسا عن المسائل التي تخصّ المغرب الأقصى.

-Haëdo Diego: **Topographie et histoire générale d'Alger** :

إنّ هذا الكتاب هو مصدر هام لتاريخ الجزائر، حيث قدم هايدو –والذي كان أسيرا في مدينة الجزائر في الفترة الممتدة مابين (1578-1581م)– وصفا دقيقا لطوبوغرافية الجزائر العاصمة ، كما قدم صورة أكثر شمولية و دقة للمجتمع الجزائري في أواخر القرن السادس عشر ميلادي، وقد استفدت منه في حديثي عن التنظيم العسكري للجزائر.

-Dan Pierre: **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**:

وعنوانه بالعربية: " **تاريخ بربريا وقراصنتها**" للرّاهب دان، زار الجزائر سنة 1634 بهدف افتداء الأسرى؛ رفقة المبعوث الفرنسي ساسون لوباج. يُعدُّ الرّاهب دان من الأوائل الذين شوهوا تاريخ الجزائر الحديث، فقد أعماه التعصب الديني عن رؤية الحقيقة. وبغض النظر عن وجهة نظره المتطرفة والمنحازة للجالية المسيحية، يمكن الاستفادة منه في التعرف على أوضاع الجزائر في النصف الأول من القرن السابع عشر.

ويعتبر هذا الكتاب غنيا بالمعلومات حول حياة البلاط السائد في أواخر الدولة السعدية، ويورد تفاصيل عن التجارة الخارجية للمغرب آنذاك.

-Laugier De Tassy: **Histoire du royaume d'Alger**:

مصدر مهم للرحالة لوجيي دوتاسي ،الذي زار الجزائر سنة 1718م،أقام فيها مدة قصيرة، تناول فيه وضع الجزائر خلال الحكم العثماني، وقد أفادني في موضوع الأسرى ، وكذا وضع الجزائر خلال بدايات حكم الدايات

– المقالات:

تزخر المجلات التي كانت تصدر في الجزائر وتونس والمغرب وفرنسا، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعدد كبير من المقالات التي تتعلق بتاريخ الجزائر والمغرب في العصر الحديث؛ موضوع البحث في الرسالة، ولاسيما باللغة الفرنسية. وقد اطلعت على عدد لابأس به من تلك المقالات، واستفدت من الكثير منها، وذكرت في الفهرس أهمها فقط، إذ أنّ بعضها درس جوانب أخرى من ذلك العهد كالجوانب الاقتصادية والاجتماعية،لم تكن موضوع البحث في الرسالة. ونكتفي هنا بالإشارة إلى أهم المجلات التي استفدت منها، مثل المجلة الافريقية (La revue

(Africaine، ومجلة التاريخ الجزائرية، ومجلة دعوة الحق، وغيرها. وفي الفهرس جرد لأهم المقالات التي استفدت منها .

وعلى الرغم من أنّ بعض المصادر والمراجع لم تتعرض لموضوع البحث إلا في بضعة أسطر، وبعضها لم تشر إليه إطلاقا، إلا أنّ فيها معلومات تفيد في دراسة مجال البحث. ومهما اجتهد الباحث، فإنّه من الصعب عليه الاطلاع على كل ما كُتب حول الفترة المقترحة للدراسة والبحث فيها. فالبحث الأكاديمي هو عمل متواصل، وكتاب مفتوح، بحاجة إلى الإثراء المستمر، إما من صاحبه، أو من الأجيال القادمة.

– الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجاز هذه الدراسة:

لا تخلو أي دراسة علمية أو أي بحث علمي جاد من صعوبات وعراقيل، خاصة إذا كان صاحبها يريد الوصول إلى نتائج مرضية وموضوعية، وعندما حاولت التعمّق في دراسة الموضوع اعترضتني عدّة صعوبات، نذكر من أهمها:

– وجدت صعوبة كبيرة في جمع مادة البحث من مضانها، ومن الوثائق الأصلية بالذات، بالإضافة إلى نقص المادة الأرشيفية الخاصة بالموضوع في هذه الفترة في الجزائر، مع عدم التوصل إلى أغلب المعاهدات والرسائل التي كتبت بين حكام البلدين في هذه الفترة. وقد تزامن ذلك مع انتشار الوباء العالمي جائحة كورونا 19 الذي أعاق تنقلي إلى مراكز الوثائق بالجزائر والمغرب.

– صعوبة التعامل مع بعض الوثائق الأرشيفية؛ من حيث عدم وضوح خطها في بعض الأحيان.

– الأحداث الكثيرة والمتشعبة التي شهدتها العلاقات الجزائرية المغربية، ذلك أنّه كان يتوجب علي دراسة كلّ من العلاقات السياسية والثقافية وفق محاولة مقارباتية.

ولا يفوتني في هذا المقام إلا أن أتقدم بعظيم الامتنان والتقدير والشكر لأساتذتي الأفاضل الذين تعلّمت على أيديهم من مرحلة التعليم الابتدائي إلى مرحلة التعليم الجامعي ، وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور صالح بوسَليم لما أولاني به من توجيه وتشجيع طوال مدة الإشراف ولم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيّمة، وأمدّني بكل ما توفَّر لديه من مادة علمية تخدم الموضوع، فجزاه الله عنّي كل خير. كما لا يفوتني أن أشكر كل من قدّم لي يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد، وشجّعني ولو بكلمة طيّبة على إنجاز هذا البحث.

وقد كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني إلى العماد الأصفهاني الكاتب المشهور – رحمة الله عليهما– قائلا: " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غدِه: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

هذا وإن أصبت فهو توفيق من الله سبحانه، وإن أخطأت وقصرت فذلك ضعف من نفسي، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

زينب جعني

غرداية في: 01أكتوبر2021م.

الفصل التمهيدي:

لمحة عن العلاقات السياسية والثقافية الجزائرية المغربية قبل سنة 1069هـ/1659 م

لمحة عن العلاقات السياسية والثقافية الجزائرية المغربية قبل سنة 1069هـ/ 1659 م

عُرف القرن السادس عشر بقرن التحولات الجذرية، خاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وبداية تفوق الضفة الشمالية المسيحية على الضفة الجنوبية الإسلامية؛ بسبب التجزؤ الكبير الذي شهدته هذه الأخيرة خاصة المغرب الأوسط والأقصى، وهو ما شجع البرتغاليين والإسبان على المضي في مشروع توسّعهم على حساب البلدين اللذين شهدا حكم العثمانيين في الجزائر،والسعديين في المغرب الأقصى؛ إذ تميزت العلاقة بينهما بالتوتر بسبب محاولة توسع كل منهما على حساب الآخر، ومحاولة فرض العثمانيين على السعديين تقديم الولاء لهم ،لكن رغم ذلك إلا أنّ العلاقات الثقافية لم تتأثر بهذا الصراع، وظلت مستمرة بين البلدين، وقد كان للروابط الجغرافية والتاريخية والدينية واللغوية الموجودة بينهما دور في تمتين العلاقات الثقافية بين البلدين.فماهي طبيعة العلاقات السياسية والثقافية القائمة بينهما؟

أولا– العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى:

تعدّدت القوى السياسية التي كانت تحكم المغرب الأوسط والأقصى ، خاصة خلال النصف الأول من القرن 10هـ/16م، ولذلك كان من الضروري دراسة العلاقات المتشعبة بين القوى الموجودة في البلدين ، ثم دراسة العلاقة بين الأتراك العثمانيين في الجزائر من جهة،والسعديين في المغرب الأقصى من جهة أخرى حتى نهاية حكمهم في المغرب، ومن هذه العلاقات:

1– العلاقات بين حكام الجزائر العثمانيين والوطاسيين :

إنّ علاقة العثمانيين بالوطاسيين كانت قبل تواجد العثمانيين في الجزائر، وذلك من خلال إرسال السلطان المغربي عبد الحق المريني سفيرا لتهنئة محمد الثاني بفتحه اسطنبول857هـ/ 1453م ، ولما تواجد العثمانيون في الجزائر، بداية الحركات الكبرى التي قام بها عروج وخير الدين[1]،خاصة في تلمسان؛ إذ بسبب هيمنة القبائل وتدخلها في الحكم وضعف ملوك بني زيان واستسلامهم للإسبان،انزعج سكان تلمسان والقبائل المجاورة، ما جعلهم يستغيثون بالوطاسيين في فاس لتخليصهم

[1]– عمار بن خروف:**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**،دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2006،ج1،ص81، ينظر أيضا: محمد المنوني: "**علاقات المغرب بالمشرق في العصر المريني**"، في مجلة دعوة الحق، ع6–7، المغرب، 1965،ص99.

من السلطان الزياني المتحالف مع الإسبان،إلا أنّ معاناة محمد الوطاسي الملقب بالبرتغالي من مواجهة الاحتلال الإيبيري ، والقبائل المناوئة الطامعة في الحكم جعلته لايهتم باستغاثة سكان تلمسان ،فتوجه أهل تلمسان إلى العثمانيين،فأرسلوا وفدا إلى عروج يطلبون منه المساعدة ضد حاكمها أبي حمو موسى الثالث حليف الإسبان،الذي استولى على العرش بعد وفاة أبي عبد الله محمد سنة 1516م، وسجن أبا زيان الوريث الشرعي للحكم وإخوته [1].

وبعد أن وافق عروج واستولى على قلعة بني راشد وترك بها أخاه إسحاق ، ثم توجه إلى تلمسان في سبتمبر 1517م واستقبله سكانها بجفاوة ، فهرب أبو حمو خوفا من عروج ، الذي أطلق سراح أبي زيان،وأخويه عبد الله و محمد المسعود اللذين لجآ إلى فاس، كما لجأ أبو حمو إلى ملك فاس الوطاسي يطلب منه المساعدة لاسترداد حكمه فتماطل في ذلك ، وطلب منه أن يسلمهما أخويه عبد الله ومحمد المسعود وأن لايقف معهما ضده[2]، لكن السلطان الوطاسي رفض أن يسلمه لهما خوفا عليهما منه وترك لهما حرية الاختيار[3]، فلجأ أبو حمو إلى الإسبان،فبجلوس شارل الخامس[4] على العرش ، منح حاكم وهران عشرة آلاف جندي من أجل محاربة عروج ، وإعادة أبي حمو على حكم تلمسان[5].

لذا قرر عروج تقوية جبهته، وبعث إلى السلطان الوطاسي محمد البرتغالي ليتحالف معه ضد الإسبان في مقابل مساعدته ضد سلطان مراكش السعدي[6].ويبدو أن عروج أراد أن يؤمّن حدوده،

---

[1]- مختار حساني:**تاريخ الدولة الزيانية**، ط1، منشورات الحضارة،الجزائر،2009،ج1،ص109.ينظر أيضا: زهراء النظام : المرجع السابق،ص70.

[2]- محمد الطمار: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**،ط1، د.م.ج ، الجزائر، 2007، ص299.

[3]- اختار أبو عبد الله الذهاب إلى حاكم وهران للاستنجاد بالاسبان ، بينما لجأ المسعود للأتراك العثمانيين في الجزائر، ثم حصل على الدعم من خير الدين للزحف إلى تلمسان وانتزاع الملك من أخيه عبد الله الذي تولى الحكم بعد أبي حمو في حوالي سنة 926هـ /1520 م ، ينظر: عمار بن خروف : المرجع السابق، ج1، ص 78.

[4]- إمبراطور اسبانيا، ولد سنة 1500م، وتوفي سنة 1558م، ابن فليب الأول وجوانا أميرة قشتالة، وحفيد فرديناند الخامس ملك أراغونة وإيزابيلا ملكة قشتالة. ينظر، **الموسوعة العربية الميسرة** ، إشراف: محمد شفيق غربال ،ط1،دار الشعب،القاهرة ، 1965، ص463.

[5]- زهراء النظام : **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية– ثقافية خلال القرن10هـ/16**، ط1، دار الأمان، المغرب، 2015، ص72 .

[6]- Fray Diego de HAEDO :**Histoire des Rois d'Alger**,Traduit et annotée par.de GRAMONT , 1881,p30.

ويأمن جانبه وكذا إحباط مساعي أبي حمو وعدم تمكينه من الحصول على دعم الوطاسيين، وقد نجح الإسبان وحليفهم أبي حمو في الاستيلاء على قلعة بني راشد في جانفي 1518م، فانقطعت عن عروج الإمدادات التي كان يزوده بها أخوه ، وحاصروه في تلمسان فجدد طلب المساعدة من الملك الوطاسي الذي تريت في إرسال المساعدة له [1] .

ويبدو أن تخوف الملك الوطاسي من أنه إذا أعان عروج فسيثير سخط الزيانيين، والاسبان.وإن هو لم يسعفه، وانتصر فسيهدد ملكه.فالتزم محمد الوطاسي الحذر، ووعد عروج بمده عشرين ألف محارب، إلا أنّ عروج ونتيجة الحصار الذي دام خمسة أشهر وتأليب جزء من جيشه المكون من العرب والأندلسيين عليه واستياء أهل تلمسان من العثمانيين بسبب تجاوزات جنودهم، اضطر عروج لمغادرة تلمسان متوجها غربا من أجل لقاء القوات التي وعده بها الملك الوطاسي،لكن القوات الإسبانية لحقت به وقتلته عند الوادي المالح في 923هـ/ماي 1518م[2].

وتمت إعادة أبي حمو ملكا على تلمسان وتعهد بدفع ضريبة سنوية للإسبان وتموين حاميتهم في وهران[3]، ويبدو أنّ تأخُر السلطان الوطاسي كان يحمل هدفا إذا ما انهزم عروج ، ونتيجة لعدم التعاون المخلص بين الطرفين تمكن الاسبان من القضاء على عروج وأخيه إسحاق[4].

وبحكم خير الدين بربروس[5]،وبعد تحريره لحصن البنيون يوم 10رمضان935هـ/ 27ماي 1529م من يد الاسبان، طمح لتحرير وهران، واتصل بالسلطان الوطاسي أحمد بن محمد البرتغالي،

---

[1]- زهراء النظام : المرجع السابق، ص73.

[2]-محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543**، ط3، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2015،ص247.

[3]- زهراء النظام: المرجع السابق، ص 76.

[4]- عمار بن خروف: المرجع السابق ،ج1،ص83.

[5]- ولد بجزيرة مدللي ، إحدى جزر اليونان ، حوالي سنة 1472م ، والده اسمه يعقوب ، وهو من الانكشارية الذين فتحوا واستقروا في هذه الجزيرة ، من أبنائه : عروج ، خيرالدين ، إسحاق و إلياس ، وخير الدين اسمه " خضر" ، واشتهر مع أخيه عروج بالإخوة بربروس أي ذوي اللحية الشقراء ، اشتغل بالتجارة ، ثم عمل مع أخيه للإغارة على السفن والشواطئ الأوربية ، ليتولى منصب بايلرباي سنة 1519م بعد وفاة أخيه عروج ، تمكن من طرد الإسبان من حصن الصخرة سنة 1529م ، استطاع الاستحواذ على تونس سنة 1535م مؤقتا،انتقل إلى خدمة الباب العالي ، توفي سنة 953هـ/1546م ودفن باسطنبول ، ينظر: مؤلف مجهول : **سيرة المجاهد خير الدين بربروس** ، تق. تح: عبد الله حمادي،ط1، دار القصبة ، الجزائر، 2009، ص ص 5-6، ينظر أيضا محمد دراج : الدخول العثماني إلى الجزائر، المرجع السابق، ص ص 183-187.

وبأمير بادس أبي حسون الوطاسي[1] ودعاهما للمساهمة في تحرير وهران ،لكن ظروفهما واحتلال السعديين لمراكش لم تسمح لهما بتلبية ندائه[2]. ولجأ الوطاسيون إلى مهادنة البرتغاليين في ذي الحجة 944هـ/ماي 1538م، وجاء فيها أنه لايحق لرعايا السلطان الوطاسي التعامل مع العثمانيين في المراكز الساحلية، ورغم ذلك حصل تعاون بين مجاهدي شفشاون وتطوان، وعثمانيي الجزائر وكانت السيدة الحرة التي تزعمت تطوان تسمح للأتراك العثمانيين ببيع وشراء الأسرى المسيحيين فيها[3].

ومايُؤكّد التعاون بين العثمانيين والوطاسيين ،طلب أبي حسون المساعدة من البايلرباي صالح رايس،وإقناعه بمساعدته للقضاء على السعديين،واسترجاع عرشه مقابل الخضوع للعثمانيين ومساندتهم في مواجهة الاسبان والبرتغال[4]. فقبل صالح رايس[5] ودعّم أبا حسون للدخول إلى فاس سنة 961هـ/ 1554م ، واستقرت القوات العثمانية بفاس ، وقُرئت الخطبة باسم السلطان العثماني، كما سُكت العملة العثمانية فيها [6]. وأثناء تواجدهم بدأوا بالإساءة لأهالي فاس، وحاولوا الإطاحة بأبي حسون، لكن مساعيهم فشلت، لأنّ الأهالي وقفوا إلى جانب أبي حسون ، وتمّ إبعادهم إلى الجزائر ودفعت لهم تعويضات[7] ليرجع السعديون إلى فاس ويستولوا عليها سنة 961/ 1554م[8].

1- كان أميرا على بادس في عهد أخيه السلطان محمد البرتغالي، اتصل بالأتراك وطلب منهم المساعدة دخل بهم فاس منتصرا، قتل سنة 961هـ/1554م. ينظر: دييقو دو طوريس: **تاريخ الشرفاء**، تعريب: محمد حجّي و محمد الأخضر،ط1،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والتوزيع، المغرب،1988، ص 217.

2- زهراء النظام:المرجع السابق،ص ص 84-85.

3 -Henry de Castry: **Les sources inédites de L' histoire du Maroc** ,1'ere série dynastie Saadienne , Archives bibliothèques de d'Espagne, T1 , éditeur Ernest le roux.paris,1909,p107
ينظر أيضا: زهراء النظام: المرجع السابق، ص110.

4-محمد علي داهش:**الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف**،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،2010، ص30.

5- أصله من الإسكندرية ، انتقل إلى الدولة العثمانية بعد ضم سليم الأول لمصر ، عمل بحارا، ثم انتقل إلى أسطول خير الدين في شمال إفريقيا ، وأصبح قائدا من قياده الكبار، اقتاده معه إلى الدولة العثمانية ، ثم عيّنه السلطان العثماني بايلربايا على الجزائر بعد الفترة الأولى من حكم حسن بن خير الدين ، فوصل إلى الجزائر وحكمها (1552-1557م)، من أهم أعماله : إخضاع تقرت، وورقلة ،وتحرير بجاية 1555، ينظر: صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، د.ط، دار هومة ، الجزائر، 2012، ص74.

6- عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة** ،جامعة محمد الخامس، الرباط ، المغرب،1978، ص81.

7- دييقو دو طوريس: المصدر السابق،ص209.

8- محمد القبلي: **تاريخ المغرب تحيين وتركيب** ، ط1، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط ، 2011 ،ص378.

2- العلاقات السياسية بين الزيانيين والسعديين :

إنّ الضعف والانحطاط الذي عاشته الدولة الزيانية،وسيطرة قوى جديدة على أراضيها وتهديد ملكها،لم يدفع الزيانيين لربط علاقات مع السعديين في المغرب،حتى لايثيروا غضب جيرانهم الوطاسيين،كما أنّ ظهور السعديين كمجاهدين ضد الإسبان،وتزايد هجرات سكان تلمسان نحو المغرب خاصة إلى فاس بعد سيطرة السعديين عليها ومطالبتهم بالدخول إلى تلمسان والقضاء على العثمانيين فيها [1]، جعل الزيانيين يتخوفون منهم ،إذا ما أحكموا سيطرتهم على تلمسان، فإنهم لن يتنازلوا عنها .

ورغم وجود علاقات بين أحمد الأعرج الحاكم المخلوع من قبل أخيه محمد الشيخ الذي أرسل رسولا يحمل رسالة في17 جويلية 1549م إلى السلطان أحمد الزياني المخلوع من قبل حسن بن خير الدين [2]، طالبا منه الاتصال بالإسبان لمساعدته ضد أخيه محمد الشيخ [3] ، الذي اكتشف ذلك وسعى إلى استمالة أحمد الزياني ، فتقرب من محمد الشيخ، وقدم له مساعدات، خاصة خلال حملة السعديين على تلمسان سنة 1550م ، وتمكّنوا من إلقاء القبض على السلطان الحسن بن أبي عبد الله سنة 957هـ/1550م،إلا أنّ العثمانيين تمكّنوا من استعادة تلمسان[4].

3-العلاقات السياسية بين الحكام العثمانيين في الجزائر والسعديين في المغرب:

أ- في عهد أحمد الأعرج:

بدأت بوادر التعاون العثماني السعدي في الثلاثينات من القرن 16م؛ إذ أنّ خير الدين تطلع إلى الجهاد ضد الإيبيريين، ورأى أنّ الأنسب هو التحالف مع السعديين لحماسهم في الجهاد،

---

[1]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1، ص79.

[2]- من الكراغلة ، أبوه خير الدين وأمه من أصول أندلسية ، عين بايلربايا على الجزائر سنة 1544م، بعد وفاة الآغا حسن ، وقد عيّن ثلاث مرات في هذا المنصب : " 1544-1552م" " 1557-1562م" " 1562-1567م" ثم غادر الجزائر إلى الباب العالي ، ليتولى منصب القائد العام للأسطول العثماني ، ينظر: جون باتيست وولف: **الجزائر وأوربا1500-1830**، تر.تع: أبو القاسم سعد الله ، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005 ،ص113.

[3]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1،ص80.

[4]-مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق،ج1،ص219 .ينظر: هوارية بكاي: **العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى ، خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633-962هـ/1233-1554م)**، رسالة دكتوراه في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان ، السنة الجامعية:2013-2014، ص500.

وانتصارهم على المسيحيين [1]. وظهر هذا التعاون في الحملات العسكرية المشتركة التي نظمها الجانبان ضد مراكز الاحتلال في المغرب والجزائر وعند السواحل الإيبيرية[2].

وتشير وثيقة برتغالية إلى وجود أتراك عثمانيين في صفوف السعديين منذ سنة 935هـ/1529م، ومشاركتهم في حصار سانتاكروز في 948هـ/1541م،وعن الاتصالات بين أحمد الأعرج والأتراك العثمانيين ، وقد تخوف البرتغاليون من هذا التحالف، خاصة أنهم لاحظوا تزايد العثمانيين في صفوف السعديين كمدفعيين ومدربين في حصن سانتاكروز 948هـ/1541 م ،لكن علاقات التعاون كانت في عهد أحمد الأعرج فقط من خلال تزويد السعديين بالأسلحة النارية والمدافع الحديثة ما يُكسبهم التأييد الشعبي، والالتفاف حول العثمانيين ويدفع بالرعية المغربية لى حسن النية للعثمانيين[3].

ب– في عهد محمد الشيخ :

منذ تولي محمد الشيخ حكم المغرب، أراد التعايش مع العثمانيين على أمل قيام تعاون معهم لمواجهة الخطر البرتغالي والاسباني[4]. وتكشف تقارير الحاكم الاسباني الكونت آلكوديت في مدينة وهران إلى حكومته عن المراسلات بين السلطان المغربي، ووالي الجزائر، يقترح عليه القيام بعمليات مشتركة لتحرير وهران والمرسى الكبير،كما بعث بهدايا إلى درغوث باشا أمير البحرية العثمانية في البحر المتوسط،واقترح عليه الدخول في حرب ضد اسبانيا.ويتبيّن من الرسائل أن السلطان المغربي كان يهدف إلى قيام تعاون مشترك ضد الإيبيريين لتحرير المناطق المحتلة في الجزائر والمغرب ،لكن التحالف مع العثمانيين يفرض عليه التبعية للسلطان العثماني سليمان القانوني، والاعتراف به أميرا للمؤمنين وهو مايرفضه السلطان المغربي، لذا فقد فضّل الابتعاد عن العثمانيين[5].

ولكن هذه العلاقات بدأت تتغير، وقد عمَّق العداء بينهما مساعدة الوطاسيين في استرداد فاس فوجه محمد الشيخ حملة إلى وجدة في ربيع الأول 956هـ/أفريل 1549م،ثمّ وجّه حملة أخرى نحو تلمسان في ربيع الثاني 956هـ/ ماي1550م بقيادة ابنه الحران،ودخل تلمسان في 23جمادى الأولى 956هـ/9جوان1550م دون أن يواجه أي مقاومة من حاميتها العثمانية التي استسلمت واقتيدت

[1]– عبد الفتاح أحمد الغنيمي:**موسوعة المغرب العربي**،ط1، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، 1994، مج3،ص299.

[2]– زهراء النظام: المرجع السابق، ص110.

[3]– عبد الفتاح أحمد مقلد الغنيمي : المرجع السابق،مج3، ص301.

[4]– محمدعلي داهش: المرجع السابق،ص30

[5]– المرجع نفسه،ص30،ينظر: عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص76.

إلى فاس، ويُعزى ذلك الفشل إلى القبائل التي خانت العثمانيين، ورحّبت بالسعديين، وكذا انضمام المنصور بن أبي غانم قائد بني راشد ومناصريه في تلمسان ، لكن وصل الدعم وجرت معركة قرب تلمسان انهزم فيها عبد القادر السعدي ، وأسرع للاحتماء بأسوار المدينة [1]، ثم بدلا من أن يحرر وهران من الإسبان، توجه نحو مستغانم التي كانت بيد العثمانيين ، فرد حسن قورصو بقوة،واستعادها، وقتل حاميتها وقتل الحران، واضطر السعديون إلى الانسحاب إلى ماوراء ملوية في محرم 958هـ/فيفري 1551م[2]، وهنا نجد أنّ هذه الهزيمة كبحت جماح محمد الشيخ الذي لم يفكر في توجيه حملة إلى تلمسان مرة أخرى ، وعاد حسن قورصو إلى تلمسان،وانتقم من القبائل التي ساندت السعديين،وأقام حامية كبيرة بقيادة القائد صفا ونصبّ مولاي عمار بن عبد الله الزياني خلفا لأخيه الحسن، ثم خلعوه في رجب 958هـ/جويلية 1551م وأرسلوه إلى الجزائر مع وزيره مزوار،وبذلك أسقطوا الدولة الزيانية[3].

ولتلطيف الجو بين العثمانيين في الجزائر والسعديين في المغرب ، أرسل سليمان القانوني في أوائل محرم959هـ/جانفي 1552م سفارة تحمل رسالتين ، تتلخص فيهما موقف السلطان، وكرهه للصراع الدائر بين العثمانيين والمغاربة ، وكذا عزل حسن بن خير الدين وتعويضه بصالح رايس ليعمل على الصلح ، فصرف محمد الشيخ نظره عن تلمسان[4].

إلا أنّ العلاقات ازدادت سوءا بين السعديين والعثمانيين ، عندما لبوا طلب أبي حسون في استرداد فاس،ولما سمع محمد الشيخ جهز جيشا ، وخرج لملاقاتهم في بادس لكنه انهزم، حيث انضمت القبائل وملك دبدو مولاي عمر إلى أبي حسون[5]، مما أفسح للعثمانيين المجال لمواصلة توسعاتهم في الداخل فاستولوا على تازة ثم فاس 961هـ/1554م، فمُني محمد الشيخ بهزيمة ساحقة[6]،لكنّه

[1]-عمار بن خروف:المرجع السابق، ج1،ص ص142-143.ينظر:مختار حساني:تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص219.

[2]- مصطفى الغاشي: "**المغرب السعدي والعثمانيون ،من صراع محمد الشيخ إلى تعاون عبد الملك**"، في مجلة الكلية، ع12، المغرب، 2010، ص40.

[3]- عمار بن خروف : المرجع السابق ، ج1، ص ص 144-145.

[4]-محمد حجي: "**العلاقات المغربية العثمانية في القرن السادس عشر**"،في المجلة التاريخية المغربية،ع 30،تونس، 1983، ص153.

[5]- عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص80.

[6]- إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**،ط1،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1978،ج2، ص55.

استردها بعد خروج العثمانيين 961هـ/1554م،فوجد نفسه أمام عدة قوى خارجية مناوئة ، فاضطر إلى مهادنة البرتغاليين،كما سعى للتحالف مع الاسبان، وعرض عليهم مشروع طرد العثمانيين من بلاد المغارب[1]،يبدو أنّ شعور الكره والبغض الذي حمله محمد الشيخ تجاه العثمانيين صار أكبر من أي اعتبارات دينية في التحالف مع المسيحيين ضد المسلمين. وقد أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني سفارة لتهنئة محمد الشيخ باسترجاع ملكه من أبي حسون ،وطلب منه أن يحذو حذو أبي حسون ، لكن محمد الشيخ رفض وأهان المبعوث العثماني.

هدف العثمانيين هنا الحصول على ولاء السعديين، في حين كان محمد الشيخ يطعن في استحقاق العثمانيين بالخلافة وكان يرى في مطالبته بذكر اسمهم في الخطب والنقود مساسا بسيادته[2]. وكان يلقب السلطان العثماني ب "سلطان الحواتة "، حيث يذكر الإفراني: "... وكان أبو عبد الله لايسمي سلطان العثامنة إلا سلطان الحواتة لأنّ الغالب على هؤلاء الأتراك سفرهم في السفائن "[3].

إنّ رفض محمد الشيخ وتهديده أغضب الباب العالي فدبر مؤامرة لاغتياله.وكلف الجزائر بهذه المهمة ، حيث اختار حسن بن خير الدين أحدا من خيرة جنده يدعى صالح كاهية ، فتظاهر أنّه هارب من الجيش العثماني ولجأ إلى محمد الشيخ فرحب به، وضمه إلى صفوف القوة التركية ، ونجح في قتل محمد الشيخ وقطع رأسه في يوم الأربعاء27 من ذي الحجة 964هـ/23 أكتوبر1557م[4].

ج- في عهد عبد الله الغالب(964هـ -981هـ/1557م -1574م):

بعد مقتل والده محمد الشيخ بويع ابنه عبد الله الغالب بالخلافة في فاس، وقد تولى السلطة في ظروف صعبة خاصة ؛إذ قتل والده على يد العثمانيين ، وهذا ما أدى إلى نشوب خلافات معهم،فحاصرهم في قلعة تارودانت[5] .وفي تلك الأثناء قام حسن بن خير الدين بمساعدة ملك دبدو[6]

---

[1]- مصطفى الغاشي: المغرب السعدي والعثمانيون،المرجع السابق، ص45.

[2]- محمد حجي: العلاقات المغربية في القرن السادس عشر، المرجع السابق، ص154.

[3]- محمد الصغير الإفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تق.تح: عبد اللطيف الشاذلي،ط1،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998 ، ص93.

[4]- مصطفى الغاشي: المغرب السعدي والعثمانيون، المرجع السابق،ص 45.

[5]- مدينة كبيرة شيدها قدماء الأفارقة وتقع على مسافة تزيد قليلا عن 6.5 كم جنوب الأطلس وهي مدينة أكثر تحضر.ينظر: حسن الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: عبد الرحمان بن حميدة ،ط1، مكتبة الأسدي، مصر،2005، ج1 ، ص129.

[6]- مدينة كبيرة جنوب مليلة ، كانت حصنا لبني مرين ،للمزيد ينظر: مارمول كاربخال: **إفريقيا** ، تعريب: محمد حجّي وآخرون، دار النشر للمعرفة ، الرّباط ، 1988 ،ج2،ص 270.

مولاي عمر الذي التجأ إلى الجزائر ، فوقعت بينهما معركة بالقرب من وادي اللبن، قرب فاس يوم السبت 2 أفريل 1558م،فانهزم العثمانيون هزيمة ساحقة[1].واستمر الغالب في سياسته العدائية مع العثمانيين ،و تمكّن من احتلال تلمسان ثم الخروج منها 968هـ/1560 م[2].

1-تواطؤ عبد الله الغالب مع الاسبان ضد العثمانيين للاستلاء على جزيرة بادس :

تنازل أبو حسون الوطاسي عن ميناء بادس للعثمانيين الذين استغلوه للإغارة على الإسبان ، الذين أدركوا الأهمية الاستراتيجية للجزيرة ؛فهي أقرب نقطة مغربية إلى جبل طارق ومالقا [3]، وتوجه أسطول فليب الثاني إليها سنة971هـ/1563م لكنه انهزم ، ثم أعاد الكرّة لاحتلالها سنة971هـ/ 1564م،وتمكن من ذلك وطرد الأتراك العثمانيين، الذين استغلوها لنشاط الجهاد البحري[4].فقام الإسبان بإغلاق مدخله بالحجارة في يوم6شعبان 972هـ/ 9 مارس 1565م[5]، بينما يذكر المؤرخ المجهول أنّ عبد الله الغالب تنازل لهم عنها ،لما رأى تردد العثمانيين على الميناء[6].

2- موقف عبد الله الغالب والعثمانيين من ثورة الموريسكيين الأندلسيين :

بدأت إرهاصات ثورة المسلمين في غرناطة من أجل الانقضاض على الحكم الإسباني، حيث استقبلوا مبعوثين من عبد الله الغالب لجمع الخراج على تبعيتهم في الولاء له ،ورغم بعض محاولات الغالب لمد المساعدة ووعوده بمناصرة ثورة جبال البشارات، إلا أنّه تقاعس وتخاذل في دعمها ، فقد ظل محافظا على علاقاته الودية مع ملك اسبانيا فليب الثاني[7].

كما أنّ الغالب اتفق مع الموريسكيين أن يرحّل عددا منهم إلى المغرب من أجل الاستفادة منهم في تعمير المغرب « ولكنه استشار معهم وأشار عليهم أن يخرجوا أهل الأندلس إلى ناحية المغرب

---

[1]- عبد الكريم كريّم: المرجع السابق، ص86.

[2]- إبراهيم حركات : المرجع السابق ،ج 2، ص286.

[3]- محمد رزوق : **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1، دار إفريقيا الشرق ، دار البيضاء ، المغرب،1991،ص93.

[4]- مصطفى الغاشي: المغرب السعدي والعثمانيون: المرجع السابق،ص131.

[5]- أحمد البوعياشي: "**جزيرة بادس واحتلالها الجائر**"، في مجلة دعوة الحق ، ع251، الرباط ، أوت 1985 ،ص89.

[6]- مؤلف مجهول : **تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية**،تح:عبد الرحيم بن حادة، ط1،دار تينمل ، المغرب،1994،ص55 .

[7]- صالح اكليل:**سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط** ، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية الآداب والعلوم الانسانية،قسم التاريخ،جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ،السنة الجامعية:2006-2007، ص183.

وقصده بذلك تعمير سواحله»[1]. كما اعتبر أنّ سبب عدم تقديمه المساعدة يرجع إلى قلة القوارب والمراكب،وانشغاله بصناعتها.فقد أراد بذلك أن تكون هذه الجالية عامل توازن اتجاه مختلف عناصر الجيش المغربي ،فقد كان عددهم حوالي 14 ألف إذا ماقُورن بعدد قواته حوالي ثلاثون ألف[2]. أمّا عن الجزائر، فقد أرسل العلج علي[3] مساعدات إلى الموريسكيين ، اقتصرت على الأهالي من الجزائريين والمهجرين الأندلسيين ، أرسل لهم مجموعة من الأسلحة .واستمرت المساعدات طيلة سنتي975هـ/ 1568م و976هـ/1569م، ولذا فقد أبلى بلاءا حسنا على عكس عبد الله الغالب.

لكنّ الاسبان حاولوا تشتيت جهود العلج علي ، فأرسلوا حملة إلى تونس،لكن العلج علي نجح في التصدي للحملة،وانتزع تونس من يد الاسبان، ووضع حامية فيها.وبهذا الانتصار عزم السلطان العثماني سليم الثاني على التأكيد للعلج علي على تقديم المساعدة للموريسكيين ، وتزويدهم بالأسلحة والمئونة في11ذي القعدة 977هـ/ 16 أفريل 1570م[4].

3-لجوء إخوة الغالب للعثمانيين :

التجأ إخوة الغالب وهم عبد المؤمن وعبد الملك والمنصور إلى أيالة الجزائر، فعُيّن عبد المومن حاكما على تلمسان سنة966هـ/1559م ليكون ضد أخيه بحكم قربها من المغرب.وقد ساءت العلاقة بين أيالة الجزائر والمغرب بعد أن دبّر عبد الله مكيدة لقتل أخيه عبد المؤمن سنة 1571م، فراسل العلج علي السلطان العثماني من أجل أن يخلف عبد الملك أخاه في تلمسان.فقام عبد الملك برحلة إلى اسطنبول طلبا لمساعدة السلطان العثماني سليمان ضد أخيه، وبالفعل استطاع أن يكسب ودّه،حيث وضعت ولاية فاس ومراكش وسلا تحت تصرف عبد الملك .وقد توفي السلطان الغالب في 27 رمضان 981هـ/20جانفي 1574م متأثرا بمرض الضيقة[5].

1- مؤلف مجهول : تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية، المصدر نفسه ،ص38.

2- محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17م**،ط1،إفريقيا الشرق، بيروت،1998،ص88.

3- ولد حوالي 1520م جنوب إيطاليا ، أُسر ثم اعتنق الإسلام ثم أصبح من رياس البحر ، وبرز دوره في معركة ليبانت ماجعل السلطان العثماني يعينه قابودان باشا ولقبه القلج علي أي السيف علي،توفي سنة م1587.ينظر مروش المنور : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة ، الأساطير والواقع** ،ط1 ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، 2009، ج2، ص138.

4- زهراء النظام: المرجع السابق، ص ص 235-236.

5- عمار بن خروف، المرجع السابق،ج1، ص187.

د– في عهد محمد المتوكل:

تولى محمد المتوكل الحكم وواصل عداءه للعثمانيين مؤيدي عمه عبد الملك ، الذي شارك الأتراك في تحرير حلق الواد بتونس [1]، و نقل خبر التهاني إلى السلطان العثماني سليمان القانوني عن طريق أمه الرحمانية[2].ولمشاركة عبد الملك إلى جانب الدولة العثمانية دور كبير في تحقيق نجاحه واستعادة ملكه، حيث بعث السلطان العثماني فرمانا إلى الجزائر بتوجيه حملة إلى فاس[3]،وقد جرت بين الجيشين معركة الركن بفاس سنة 983هـ/ 1576م،انتصر فيها عبد الملك وفرّ محمد المتوكل[4].

هـ– العلاقات في عهد عبد الملك:

بعد أن استرجع عبد الملك حكمه بفضل العثمانيين ، حرص على إقامة علاقات جيدة معهم، حيث أغدق عليهم بالأموال لمكافأتهم، ولم يطل حكمه حتى جاءه محمد المتوكل مع جيش البرتغال بقيادة سبستيان في معركة واد المخازن 986هـ/1578م[5] ،وقد سانده العثمانيون ؛إذ أمر السلطان العثماني باشا الجزائر بإرسال أربعة آلاف أو خمسة آلاف من الأتراك ، كما أرسل العلج علي رسولا إلى عبد الملك يبدي له استعداده للمجيء لمساعدته على رأس 150غاليرة ، لكن عبد الملك حرص ألا يستقدم الأسطول العثماني خوفا من ضم المغرب تحت نفوذهم ، كما أن باشا الجزائر حسن فنزيانو أرسل حوالي ستة وعشرين ألف سفينة تراقب الأجواء ، ورغم أنها لم تشارك لكنها ظلت تراقب الأجواء ولم تعد إلا بعد تحقيق المغاربة انتصارا باهرا[6].

و–العلاقات في عهد أحمد المنصور:

بعد انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن[7]،واعتلاء أحمد المنصور[1] العرش ،وبوصول الوفود المهنئة له ومنها الوفد الذي أرسله السلطان العثماني مراد الثالث [2] ، وفي سنة 988هـ/1580م

---

[1]– شارل أندري جوليان : شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس،الجزائر، المغرب)من الفتح الإسلامي إلى 1830**، تر:محمد مزالي والبشير سلامة ، تونس،1985 ،ج2 ،ص269.

[2]– محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي...،المصدر السابق،ص120.

[3]– محمد حجي: العلاقات المغربية العثمانية، المرجع السابق، ص156.

[4]– عمار بن خروف: المرجع السابق ، ج1، ص195.

[5]– محمد حجي: العلاقات المغربية العثمانية، المرجع السابق، ص156

[6]– عمار بن خروف: المرجع السابق،ج1، ص205.

[7]– نهر في منطقة القصر يبلغ عرضه 50مترا مع جرف ترابي ذي ارتفاع من ثلاثة إلى أربعة أمتار يصب في نهر اللوكس، حدثت فيه معركة وادي المخازن، ينظر: أحمد عبد الفتاح الغنيمي :المرجع السابق ،مج3، ص294.

تقرب المنصور من الإسبان ، وتثاقل في الرد على عرض السلطان العثماني في التحالف ضد الإسبان وتحرير الأندلس،مما جعل السلطان العثماني يكلف العلج علي بتوجيه حملة إلى المغرب 989هـ/ 1581م ، لوضع حد لتصرفات المنصور الذي أراد التخلص من العهود التي كان قد قطعها أخوه عبد الملك للعثمانيين[3]، بالإضافة إلى سعي العلج علي التطلع إلى المغرب لضمه إلى الدولة العثمانية[4].

وأمام هذا الوضع وجد المنصور نفسه مجبرا على التقرب من الإسبان بعد سماعه بحملة العلج علي سنة 989هـ/1581م ، الذي أرسله السلطان العثماني مراد الثالث،ولهذا طلب أحمد المنصور المساعدة من الإسبان لمواجهة التدخل العثماني[5]. وفي نفس الوقت أرسل سفارة إلى إسطنبول تضم القائد أبا العباس أحمد بن ودة العمري، والكاتب أحمد بن يحيى الهزالي[6]،وقد حملت هدية عظيمة إلى السلطان العثماني بالاعتذار له عن تأخره في الجواب كما طلب منه العمل على إيقاف الحملة الموجّهة ضده [7].فقبل مراد الثالث الاعتذار والهدية،وأمر العلج علي بالتوقف والعودة للمشرق[8].

1- غزو المنصور لمنطقتي توات وتيكورارين :

كانت أولى خطوات أحمد المنصور لتحقيق سياسته التوسعية، هو استيلاؤه على إقليمي توات وتيكورارين[9]. وذلك لمعرفته بالدور المهم الذي ستقوم به هاتان المنطقتان لتحقيق أطماعه التوسعية

---

[1]- هو السلطان أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ السعدي،أحد ملوك المغرب العظام ،ولد بفاس عام 1549م،وتوفي بها سنة 1603م،ينظر:الحسن بن محمد البوريني:**تراجم الأعيان من أبناء الزمان**،تح: صلاح الدين المنجد،مطبوعات المجمع العلمي العربي ،دمشق،1959، ج2،ص ص 220-221.

[2]-ولد عام953هـ/1564م، وتوفي 1003هـ/1595م،تولى الخلافة عام 982هـ/1574م ،وفي عهده وقعت نزاعات بين العثمانيين وإيران، ينظر:إبراهيم حليم بك:**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،ط1،المؤسسة الثقافية للكتب،لبنان،2002، ص152.

[3]- شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ج2، ص277 .

[4]- رضوان نبيل عبد الحي:**جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي،كلية الشريعة الإسلامية، قسم الدراسات التاريخية،جامعة أم القرى ، السعودية،1987،ص303.

[5]- عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص112.

[6]- محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي** ،ط1، مكتبة دار الشرق،بيروت، 1969 ، ص53.

[7]- محمد بن الصغير الإفراني:نزهة الحادي..، المصدر السابق ، ص86.

[8]- عمار بن خروف : المرجع السابق ، ج1، ص220.

[9]- إبراهيم حركات : **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**،ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،المغرب،1985،ص77.

ببلاد السودان ،حتى يسهُل عليه غزوها[1]،وقطع الطريق على العثمانيين بالجزائر إذا ما فكّروا في التوجه نحو بلاد السودان،وغربي إفريقيا بوجه خاص لغنى المنطقة ،ووفرة ثرواتها ومركزها الاستراتيجي.

وجّه المولى أحمد المنصور سنة 991هـ/ 1583م حملتين عسكريتين لغزو توات وتيكورارين، واحدة من فاس،والأخرى من مراكش ، وبعد أن التقت القوات بسجلماسة زحفت إلى تيكورارين، حيث حاصرت تيميمون واحتلتها[2]، وزحفت إلى منطقة توات واعتمدت منها على تمنطيط قاعدة قصورها ، إذ أسرع رئيسها الشيخ عمر بن محمد بن عبد الرحمن إلى إعلان طاعته للمنصور[3].

2- قضية العرائش :

هدّد العثمانيون بانتزاع مدينة العرائش بالقوة وتعيين إسماعيل بن عبد الملك ابن زوجة حسن فنزيانو اللاجئ لدى العثمانيين كسلطان على المغرب [4].فتجدّد التقارب الأسباني المغربي، وأرسل فيليب الثاني للمنصور مساعدات عسكرية ، لكن الإنجليز والعثمانيين سعوا إلى إحباط التحالف مع الإسبان فتراجع المنصور عن تسليم العرائش ، كما أرسل حسن فنزيانو هدية لأحمد المنصور وهنا عادت العلاقات بينهما،وتبادل السفارات مع الدولة العثمانية،ومنها سفارة علي بن محمد التمكروتي إلى مراد الثالث998هـ/1590م[5] .

وفي سنة 1594م ثار كل من عمار بن القاضي أمير كوكو في الجزائر بعد اتصالاته مع أحمد المنصور، وثار الناصر أخ المتوكل سنة 1596م على المنصور في المغرب بدعم من الإسبان[6]. لكن السلطان العثماني محمد الثالث أرسل إلى الباشا خضر في الجزائر أوامر بعدم مساندة ثورة الناصر ، فتحسنت العلاقات الجزائرية المغربية، وبعد تمرد محمد الشيخ بن المنصور ضد أبيه، وتهديده باللجوء إلى العثمانيين في تلمسان إذا ماوجه حملة للقضاء عليه في فاس ، إلا أنّ الجزائر لم تتدخل لنصرته

---

[1]- عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تح: عبد الكريم كريم، الرباط ، 1972، ص 62.

[2]- عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص150.

[3]- عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق، ص76.

[4]- محمد جادور :" **دبلوماسية أحمد المنصور من خلال تقاييد أسير برتغالي**" ،في مجلة المؤرخ ،ع 4 ،مجلة إلكترونية، 2009، ص6.

[5]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1، ص215.

[6]- محمد حجي: العلاقات المغربية العثمانية، المرجع السابق، ص159.

ضد أبيه[1]. فخرج إليه وتم القبض على محمد الشيخ فسجن بمكناس ، ووجد المنصور فاس في حالة سيئة،واستخلف ابنه زيدان عليها،وأراد العودة إلى مراكش لكنه أصيب بوباء الطاعون،ومات بعد أيام قليلة في 15 ربيع الأول 1012هـ / 23 أوت 1603م[2].

ز-العلاقات بين الجزائر وأبناء المنصور:

لقد عرف المغرب الأقصى أحداثا مهمة في النصف الأول من القرن 11هـ/17م ، أهمها وفاة المولى أحمد المنصور سنة 1603م ، وتولي أبناءه السلطة والذين انشغلوا بالصراعات فيما بينهم،ما أدّى إلى وجود قوى محلية سياسية ودينية أضعفت كيان الدولة ، أما في الجزائر فقد استمر نظام حكم الباشوات ثم انتهى سنة 1659م، وهو تاريخ سقوط الدولة السعدية في المغرب ، فبم تميزت العلاقات الجزائرية المغربية، سواء مع أفراد الأسرة السعدية الحاكمة أو مع القوى المحلية ؟

عرفت الجزائر في هذه المرحلة فترة من الاضطرابات بين الإنكشارية وطائفة الرياس،ودخول حكومة الجزائر بقيادة خضر باشا في عداء مع فرنسا،ماجعل الباب العالي يعزله بتحريض منها [3].

كما أنّ المغرب شهد عدّة اضطرابات بعد وفاة المنصور ، وتنازع أبنائه على الحكم ،فبايع أهل مراكش أبا فارس،وبايع أهل فاس زيدان،وجرت بينهما معركة أسندت قيادة جيشه لأخيه محمد الشيخ المأمون بعد أن أخرجه من السجن، فانهزم مولاي زيدان [4]،ثم قصد تلمسان بطلب عونها [5]، فرحبوا به، لكنّهم لم يُقدموا له الدعم الكافي، وأمدّوه بعدد قليل من الجنود، وذلك بسبب الاضطرابات التي كانت تعيشها الجزائر من جهة ،وعلاقة العثمانيين الجيدة مع أخيه أبي فارس الذي أرسل سفارة تحمل هدية ثمينة سنة1012هـ/ 1604م إلى الدولة العثمانية من جهة أخرى [6].

---

[1]- عمار بن خروف :المرجع السابق، ج1، ص237.

[2]- المرجع نفسه،ج1، ص131.

[3]- عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب (1516-1659م)**، إشراف: ليلى الصباغ، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ،السنة الجامعية: 1983م، ص252.

[4]- أحمد بن خالد الناصري :**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري،محمد الناصري،(د.ط)،دار الكتاب، المغرب،1997،ج6،ص ص5-6.

[5]- مؤلف مجهول:الدولة السعدية التكمدارتية ، المصدر السابق ، ص73.

[6]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ...، المرجع السابق، ص ص251-252.

وتمثل المشهد السياسي للمغرب في هذه الفترة بتوالي المعارك بين الإخوة الأعداء ، فبعد رفض أبي فارس التحالف مع الإسبان ضد الأتراك ، الذي كان هدفه الحفاظ على ملكه ، لكنه خرج من مراكش بعد انهزامه أمام عبد الله؛ابن أخيه محمد الشيخ سنة 1606م، ولم تمض شهور حتى استرجع زيدان مراكش[1]،ثم خسر أمام عبد الله في معركة تيفلفلت في جمادى الثانية1016ه/ أكتوبر 1607م.أما محمد الشيخ فقد لجأ إلى الإسبان لطلب المساعدة من فليب الثالث في ذي القعدة 1017ه/فيفري 1609م. ولم يكن زيدان هو الوحيد الذي طلب المساعدة من العثمانيين فقد طلب كل من أبي فارس و عبد الله بن محمد الشيخ المساعدة منهم، فالتجآ إلى دار ابن مشعل في جبال بني يزناسن الواقعة على الحدود ، لكنهما لم يحصلا على مطلبهما [2].

وبإمضاء محمد الشيخ معاهدة مع الإسبان لتسليم العرائش ،طلب زيدان المساعدة من الأتراك، لكن الجزائر كانت تجهز الجيش لإخضاع أمير كوكو و الدفاع عن الجزائر من أي هجوم مرتقب من الإسبان، أو من التوسكانيين ، لهذا لم تساند زيدان ماجعله يصرف النظر عنهم، ويسعى للتحالف مع الدول الأوربية ومنها انجلترا وهولندا بعد أن فقد فاس على يد عبد الله بن محمد الشيخ[3]،ومراكش على يد ابن أبي محلى سنة 1021ه/1612م لكنّه استطاع استرجاع هذه الأخيرة في نوفمبر 1613 م، بعد تحالفه مع أبي زكريا يحي الحاحي في السوس [4].

وباستعادة زيدان لمراكش تجددت العلاقات مع العثمانيين، حيث أرسل الوزير خليل باشا أميرال الأسطول العثماني في رمضان 1022ه/ ديسمبر1613م رسالة له[5]، وردا على ذلك أرسل زيدان سفارة برئاسة عبد العزيز محمد الثغلبي حاملا معه رسالة، يعبر فيها عن ودّه ويطلب من السلطان العثماني أحمد بن محمد الثالث المساعدة عن طريق سفينة هولندية في15ذي الحجة 1025ه/24 ديسمبر 1616م[6]. ويبدو أن السلطان قد وافق على مطالبه ، حيث جاء في رسالة سفير هولندا في

---

[1]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ....، المرجع السابق، ص254.

[2]-المرجع نفسه، ص255.

[3]- نفسه، ص 255.

[4]- عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة،2006، ج4، ص25.

[5]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب..، المرجع السابق، ص ص 258-259.

[6]-عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،ط1، مطبعة فضالة، المغرب، 1988 ، ج8، ص ص 75-76.

القسطنطينية أرسلها إلى بلده في ربيع الأول 1026هـ/مارس 1617م، تطلب منه تزويده بعدد من السفن والبحارة من الجزائر،وحظي بالقبول، وصدرت تعليمات إلى باشا الجزائر تزويد زيدان بها عندما يطلب منه يد العون[1]،ومساعدته ضد الإسبان،وإصدار أوامر إلى الجزائر بعدم التدخل في الاضطرابات التي تحدث في المغرب[2] .

يذكر الإفراني أنّ العثمانيين استجابوا للسفارة المغربية ، وجاء عبد العزيز محمد الثغلبي باثني عشر ألفا من الترك ، لكن السفن تعرضت لعاصفة أغرقتها،ولم يبق منها إلا سفينة واحدة تحتوي على شرذمة قليلة [3] ، فلم يحصل زيدان على دعم من الدولة العثمانية ، وحتى الذي أرسلوه له غرق في البحر. وفي ظل عدم استتاب الملك لزيدان ، ففاس بيد عبد الله بن أخيه ومراكش كاد يفقدها بسبب هجمات يحي الحاحي .واستمرار تجزئ المغرب، وتأييد باشاوات الجزائر للحركات المناوئة رغم طلب زيدان من السلطان العثماني عدم التدخل في المغرب ، لذا سعى للتدخل في تلمسان عن طريق إثارة الفوضى والمتاعب لهم ، حيث اتهمه أتراك الجزائر بتحريك ثورتين قامتا في تلمسان الأولى سنة 1035هـ/1625م والثانية 1037هـ/1627م وخاصة أن قائدها مغربي يدعى السوسي المغربي[4].

كما فشل زيدان في الحصول على دعم حقيقي من انجلترا وهولندا، لذا لجأ إلى مهادنة الإسبان والبرتغال ومنح هدايا إلى حاكم مازاكان في رمضان1033هـ/ جويلية 1624م[5]،وقد تمركز زيدان في معسكره قرب آسفي سنة 1027هـ/1627م ليتفاوض مع نائب اسباني ليساعده في التغلب على خصمه. وكان من الممكن أن تستقر لزيدان الأمور بعد مقتل أخويه أبي فارس والمأمون، لولا ظهور بعض الزعماء الشعبيين ،وشيوخ الزوايا الذين تسابقوا إلى حمل راية الجهاد لطرد المحتل،ثم توفي زيدان سنة1037هـ /1628م بعد صراع طويل بينه وبين إخوته وبين الإمارات المستقلة[6].

---

[1]- De castries Henry: **les sources inédites de L'histoire du Maroc** ,1serie dynastie Saadienne , Archives bibliothèques holland , T1 , Éditeur Ernest Leroux , Paris ,1909،pp26-27.

[2]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ...، المرجع السابق، ص261.

[3]- محمد صغير الإفراني: نزهة الحادي : المصدر السابق ، ص239.ينظر أيضا:أحمد الناصري: المرجع السابق، ج6، ص70.

[4]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ... ،المرجع السابق، ص 264.

[5]- المرجع نفسه، ص263.

[6]- محمد السيد:**العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين**، ط1، دار القاهرة،مصر،2008 ، ص113.

ح- العلاقات بين الأتراك العثمانيين في الجزائر وأحفاد المنصور:

حاول أحفاد المنصور الانفتاح على الدول الأوربية ، وتقديم تسهيلات لها من أجل الحصول على دعم لقهر خصومهم في الجزائر،حيث عقدت معاهدة صداقة وتجارة مع انجلترا سنة 1047هـ/ 1637م [1]، ولبحث إمكانيات اشتراك إنجلترا مع المغرب في حملة ضد الأتراك العثمانيين في الجزائر،تمّ إرسال سفارة إلى ملك انجلترا شارل ، والذي أرسل معها ثلاث سفن حربية كدعم لمحمد الشيخ[2]،إلا أنّه انهزم أمام محمد الحاج الدلائي سنة 1048هـ/1638م،وانتهت مشاريعه ضد الجزائر، وحتى ابنه أحمد العباس الذي جاء بعده لم يكن له نفوذ وسلطة سياسية قوية،حيث تمكن منه أخواله عرب الشابانات وقتلوه سنة 1069هـ/1659م وبمقتله سقطت الدولة السعدية نهائيا[3].

وعليه يمكن القول إنّ الأتراك في الجزائر،قد ساهموا بشكل أو بآخر، في إضعاف العائلة السعدية، وفي تقوية التقسيم المغرب بتدخلاتهم .

ط-العلاقات مع القوى السياسية الجديدة:

1-العلاقات مع ابن أبي محلي :

بعد انتقال ابن أبي محلي من سجلماسة، وتوطنه في بني عباس في ساورة منذ 1002هـ/ 1594م ، على أيام أحمد المنصور ، حيث حاول إثبات وجوده بعيدا عنه[4]، واكتسب شهرة دينية ، وقد كانت له علاقات طيبة مع الجزائر ، إذ نجده في قصائده يدعو الأتراك لتحرير وهران ،حيث قال:

وَجُنْدُ بَنِي عُثْمَان فِي كُلِّ قَائِد جُيُوشًا كَمَوْجِ البَحْرِ عِنْدَ التَّلاَطُمِ
أُنَاشِدُكُم بِالله مَاعَذَرَ كُلُّكُم لَدَى الله فِي وَهْرَانَ أَمْ الخَنَازِرِ

كما وجّه أبياتا شعرية إلى بني عامر يلومهم على تقصيرهم في الجهاد ، بقوله:

فَمَنْ مُبْلِغٍ عَنّي قَبَائِلَ عَامِرٍ وَلَاسِيَمَا مَنْ قَدْ ثَوَى تَحْتَ كَافِرِ[5]

---

[1]- شوقي عطاالله الجمل: "**العلاقات الانجليزية المغربية**"، في مجلة المناهل ، ع3، 1975، المغرب ، ص178.

[2]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ... المرجع السابق، ص ص 180-181.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 268-269.

[4]- أحمد ابن أبي محلي: **بن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الخريت**،تح: عبد المجيد قدوري، منشورات عكاظ، المغرب، 1991 ، ص43.

[5]-عبد الله حمادي الإدريسي:"**ابن أبي محلي وتحريضه والجزائريين والأتراك على تحرير وهران من قبضة النصارى المحتلين 1016هـ /1606 م**" ، في المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج3، ع5، جوان 2017، ص49.

وبعد تسليم محمد الشيخ للعرائش، تمرد ابن أبي محلي على السلطة السعدية الحاكمة ، فانتصر عليهم في سجلماسة، وأقبلت عليه وفود من أهل تلمسان والراشدية يهنئونه [1]، وهذا يدُل على علاقاته الجيدة معهم .وبعد استيلائه على مراكش وتنصيبه ملكا عليها ، أقبل وفد من تلمسان لتهنئته وكان على رأسهم الشيخ سعيد قدورة الجزائري [2]. الذي تتلمذ على يد ابن أبي محلي ، كما ذكر أبو راس ناصري أن سعيد قدورة تتلمذ على يد ابن أبي محلي [3].

2- العلاقات مع سلا:

بعد الهجرات المتتالية لمسلمي الأندلس وطردهم من قبل الملك فليب الثالث سنة 1609 م ، واستقرارهم في عدة مدن خاصة سلا ، التي استطاعوا فيها تكوين جمهورية مستقلة سنة1627 م، ولاتساع نشاط البحرية الجزائرية انجذبت إليها قوى البحر المغربية خاصة سلا ، فوجدت في الارتباط بها نوعا من التضامن ضد البحرية الأوربية خاصة الإسبان ، ويذكر أن تأسيس ديوان الموريسكيين الجمهوري في سلا قد نشأ بتحريض من الجزائر[4].وظهر تقارب بين أتراك الجزائر وسلا في استعمال موانئها والتموين بها. كما كان أندلسي سلا عيونا للأتراك العثمانيين في الجزائر على المغرب، ويبدو أنّ هذا التعاون قد استفاد منه العثمانيون على الصعيد الإقتصادي أكثر من الصعيد السياسي[5].

3- العلاقات مع العياشي:

كان لعثمانيي الجزائر علاقة جيدة مع المجاهد العياشي[6]،بدأت مع مطلع انتصاراته على الإسبان، وقد تمكن من أَسر عدد كبير منهم بعد انتصاره عليهم في المعمورة سنة1037هـ/ 1627م، وإرسال قائدهم إلى باشا الجزائر،حيث قام بمبادلته مع أحد القادة الجزائريين كان أسيرا لدى الإسبان[7].

---

[1]- محمد الصغير الإفراني:نزهة الحادي، المصدر السابق، ص308.

[2]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج6، ص30.

[3]- أبو راس الناصري: **فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته**،تح: محمد بن عبد الكريم،ط1، م. و. ك، الجزائر، 1990، ص47.

[4]- حسن شحاتة: المرجع السابق،ص ص 267-268.

[5]- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ... ،المرجع السابق، ص265.

[6]- هو محمد بن أحمد الزياني العياشي ،ولد سنة 980هـ/1563م ، بدأ يدرس الفقه على يد المرابط الشاذلي في سلا، كان رجل حرب أكثر منه رجل علم وعبادة، توفي سنة 1051هـ/1641م.ينظر:محمود علي عامر،محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى، ليبية"**، ط1، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000 ، ص76.

[7]- محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي..، المصدر السابق،ص266.

4-العلاقات مع مقدمي تطوان :

بدأ حكم آل النقسيس مع محمد بن عيسى من النقساسة،من قبيلة بني يدر[1]،وفي سنة 1019هـ/ 1610م حكم أحمد بن عيسى النقسيس تطوان. والجدير بالذكر أن العلاقة مع مُقدّمي تطوان امتدت قبل الحكم السعدي في المغرب وخلاله،ربطت علاقات جيدة بين مقدمي تطوان والجزائر، فقد كانت السفن الجزائرية تتردد على سواحل تطوان ،لنقل الحجاج والمسافرين وكذا لبيع غنائم الجهاد البحري،أو لتموين وتزويد سفنهم بالغذاء ،والجهاد المشترك بينهم ضد السفن الأوربية[2].

5- العلاقات مع الدلائيين :

اهتمام الدلائيون في البداية بالناحيتين الدينية والعلمية ، فكانت الزاوية الدلائية مقر الدعوة والإشعاع والتوجيه والإرشاد[3]، لكن بعد وفاة محمد بن أبي بكر الدلائي سنة 1046هـ/ 1636م ظهر ميل ابنه محمد الحاج إلى السلطة [4]، الذي انتصر على محمد الشيخ المأمون وعلى العياشي، وقد أسند حكم سلا والرباط والقصبة إلى ابنه عبد الله سنة 1061هـ/1651م[5] ، وبحكم علاقات التعاون بين الجزائر وسلا استمرت بعد حكم الدلائيين ، وفي أواخر 1061هـ/ 1651م، فسخ عبد الله البند الرابع للمعاهدة التي وقعت مع هولندا والتي تنص على ألا يسمح لقراصنة الجزائر وتونس وطرابلس أن يبيعوا في سلا مايستولون عليه من أسرى الهولنديين وبضائعهم وألا يسمحوا للأتراك وغيرهم بحمل رسائل امتياز في سلا [6].واستمرت العلاقة بين الجزائر وسلا حتى بعد تحكم العلويين في زمام الحكم في المغرب.

وبهذا يمكن القول إنّ مغرب مابعد وفاة المولى أحمد المنصور هو مغرب الصراع على السلطة بين أبناء البيت السعدي،والتفتت والتجزؤ، وظهور كيانات دينية سياسية ، وربطتهم علاقات مع الجزائر ، كما عانى المغرب كثيرا جراء تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

[1]- محمد بن الطيب القادري:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**،تح :محمد حجي وأحمد توفيق،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1996 ،ج3،ص 339.

[2]- عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ... ،المرجع السابق، ص266.

[3]- عبد الله التليدي: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**،ط4،دار الأمان، الرباط ، 2003، ص187.

[4]- محمد حجي:**"الدور السياسي للزاوية الدلائية"** ، في مجلة دعوة الحق، ع 4 ،المغرب، فيفري 1965،ص93.

[5]- محمد حجي:**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،المطبعة الوطنية،المغرب، 1964، ص176.

[6]- محمد حجي:الزاوية الدلائية ،المرجع السابق ، ص187.

ثانيا:العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى (1519-1659م):

لقد أدّى تردي الأوضاع السياسية في كل من الجزائر والمغرب في مطلع القرن 10هـ/16م ، وما نتج تجزؤ وتفكك وضعف للسلطتين الزيانية والوطاسية،يضاف إلى ذلك الغزو الإيبيري لسواحلهما، ثم ظهور قوى جديدة حاكمة؛إذ ظهر العثمانيون في الجزائر، والسعديون في المغرب الأقصى ،ورغم التوتر والصراع الذي ميز علاقة العثمانيين بالسعديين، إلّا أنّ العلماء اعتبروا البلدين وحدة متكاملة، حيث كان هناك تبادل للمعارف والأراء في مختلف العلوم، فقد ظل الطلبة والعلماء والسكان يتنقلون بين مختلف حواضر البلدين لأخذ العلم أو نشره فيها من خلال رحلات سفارية ، أو رحلات علماء المغرب إلى الحج والتنقل بين المدن الجزائرية.وقد أثرت الأوضاع التي عرفتها تلمسان بعد سقوط الدولة الزيانية وحملات السعديين والتخوف من عدم الاستقرار في تزايد هجرات السكان، خاصة العلماء سواء طوعية أو قسرية [1]. وظل التواصل الثقافي قائما بين البلدين، ومن تلك المظاهر نذكر منها:

1-تنقل العلماء بين البلدين:

ومن أهم العلماء الذين وفدوا بين البلدين بصفتهم سفراء عن بلدهم ، وكان لهم أثر هام في التقاء العلماء والاحتكاك بهم ما أدى إلى توطد العلاقات الثقافية ،ومن السفارات بين البلدين:

أ- الرحلات السفارية التي وفدت من المغرب إلى الجزائر:

-رحلة حسن بن محمد الوزان (ت.944هـ/1537م): أصله من الأندلس ونشأ بفاس المعروف بليون الافريقي،وقد وفد إلى الجزائر سنة 921هـ/1515م ، ودخل تلمسان وتجول بها ولقي السلطان الزياني ، وكان لقاؤه بعروج في بجاية [2]، وله كتاب وصف إفريقية [3].

- رحلة أبو الحسن علي بن محمد التمقروتي: مرّ بالجزائر وزارها سنة997هـ/ 1589م قبل توجهه في مهمته الرسمية السفارية إلى اسطنبول لدى السلطان العثماني ، وألف كتابه "النفحة المسكية في السفارة التركية" .

---

[1]- تزايدت الهجرات القسرية من تلمسان تجاه المغرب خاصة بعد فشل حملة محمد السعدي على تلمسان سنة 957هـ ، فرافقه عدد كبير من العلماء والمتصوفة الذين أيدوا دخوله لتلمسان ، ثم وقعت هجرة جماعية بعد حملة حسن بن خير الدين على تلمسان سنة 968هـ/1561م فوقعت فتنة كبيرة وانقسم العلماء بين مؤيد ومعارض للعثمانيين.ينظر: كمال فيلالي: "**هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني**"، في مجلة المواقف ، مج 2، ع1، أفريل 2008، معسكر، ص374.

[2]- خضر موسى محمد:**أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم** ،ط1، دار الكتب العلمية،لبنان، 2011، ص158.

[3]- الحسن بن محمد الفاسي الوزان : وصف إفريقيا ، المصدر السابق،ثلاث أجزاء.

ب- الرحلات السفارية التي وفدت من الجزائر إلى المغرب:

وفدت عدة سفارات من الجزائر إلى المغرب تزأسها علماء ، نذكر منها :

- رحلة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي(ت.963هـ/1556م): نزيل الجزائر، وأحد علمائها البارزين، أوفده السلطان العثماني سليمان القانوني(1520-1566م) مرتين إلى المغرب في سفارة إلى محمد الشيخ من أجل إقامة السلام ورسم الحدود،وذلك سنة 959هـ/1552م ثم سنة 961هـ/ 1554م أين كانت له فرصة لقاء علماء المغرب والتناظر معهم [1].

- أبو الطيب البسكري (ت بعد987هـ/1579م): مفتي وخطيب الجامع الأعظم بمدينة الجزائر[2]، أوفد إلى المغرب في سفارتين الأولى سنة 978هـ /1571م ، ثم أرسله السلطان العثماني في سفارة سنة 987هـ /1579م ، لتهنئة المنصور على انتصاره في معركة واد المخازن وتنصيبه ملكا للمغرب سنة 986هـ/1578م[3].

ج- تنقل العلماء الجزائريين إلى المغرب:

إنّ تردي الأوضاع السياسية سواء بسبب الاحتلال الاسباني لبعض السواحل المغرب الأوسط إلى هجرة الكثير من علمائها، واستقرارهم بالمغرب الأقصى، سواء أثناء حكم الوطاسيين أو السعديين من بعدهم الذين رحبّوا بهم وقربوهم إليهم ، إذ وصل عدد منهم إلى مناصب هامة كالتدريس، الإفتاء، والخطابة،خاصة في جامع القرويين ، فاستفاد منهم علماء وطلبة المغرب، منهم :

- أحمد بن أبي جمعة الوهراني (ت .930هـ/1523م) : مفتي وهران ، هاجر إلى فاس، وتولى مهمة التدريس فيها بعد الاحتلال الاسباني لوهران ، كان عالما في علوم اللغة والفقه والحديث[4].

- أحمد بن محمد العبادي التلمساني (ت. 940هـ/1533م): دخل إلى فاس في عهد الدولة الوطاسية وتولى مهمة التدريس في جامع القرويين ، توفي بتلمسان[5].

---

[1]- عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في 10هـ/16م**،ط1، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2008،ج2،ص118.

[2]-أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**،(ط.خ)، دار البصائر، الجزائر ،2007،ج1، ص428.

[3]- عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص50.

[4]- محمد بن عسكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح: محمد حجي،ط2، مطبوعات دار المغرب، الرباط، المغرب، 1977، ص ص125-126.

[5]- المصدر نفسه ، ص 119، ينظر: زهراء النظام : المرجع السابق، ص420.

– أحمد بن محمد بن يحي بن جيدة المديوني الوهراني (ت.951هـ/ 1544م):صوفي، عارف بالفقه، مشارك في عدة علوم.من أهل وهران، تعلم بها وبتلمسان .كان ملازما للكفيف ابن مرزوق يطالع له[1]، درس علم الكلام بفاس . من شيوخ المنجور، وقد ذكره في فهرسته[2].

–علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري التلمسانى(ت.951هـ/1545م):عالم في علوم التفسير والحساب والفرائض ، انتقل إلى فاس ومكث فيها تسعا وعشرين سنة، واشتغل بالتدريس فيها ولازم الإمام ابن غازي[3].

– عبد الواحد بن أحمد الونشريسي:(ت. 955هـ/1549م): ولد بفاس ، أصله من تلمسان أخذ عن والده العلم [4]، فوالده أحمد بن يحي الونشريسي صاحب كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية الأندلس والمغرب"[5]، كما أخذ عن ابن غازي ، تولى مهمة القضاء والإفتاء والتدريس[6].

–أبو مهدي عيسى بن موسى التوجيني (ت.962هـ/1554م): من قبيلة بني توجين بالقرب من معسكر ،هاجر إلى فاس و درس على يد أحمد بن غازي شيخ الجماعة بفاس ، وكان له نظم سماه"بغية الطالب في ذكر الكواكب" [7].

– محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت.981هـ /1574م): من كبار علماء تلمسان، هاجر إلى المغرب ودخل فاس سنة 1551/958م ، وحظي بمكانة كبيرة لدى سلطان المغرب محمد الشيخ

---

[1]– عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص348.

[2]– أحمد المنجور: **فهرست أحمد المنجور**،تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب للتأليف والترجمة ، المغرب، 1976، ص17.

[3]– محمد بن عسكر: المصدر السابق، ص51.ينظر: عادل نويهض:المرجع السابق، ص ص 305-306 .

[4]– محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج** ، (د.ط) ، د.م.ج ، الجزائر، 2007، ص 255.

[5]– أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، د.ط، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2011،عدد الأجزاء13.

[6]– عبد الواحد بن أحمد الونشريسي:**النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس**، تح: سالم أمين،الحسان بوقدون، ط1، دار ابن حزم ،لبنان،2016،ص 20.ينظر أيضا: محمد بن جعفر الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج2، ص ص 162-163.

[7]– يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة**،ط1،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1995، ج2، ص230.

فعينه مفتيا ،ثم تولى عدة مناصب في جامع القرويين منها التدريس والإفتاء والإمامة ، كما كان يعقد مجالس علمية في فاس وفي مدن أخرى كمراكش[1].

– **أحمد بن محمد بن قاسم العقباني (ت. 980هـ/1572م)**: هاجر قسرا إلى المغرب خوفا من بطش العثمانيين بعد استردادهم لتلمسان عقب حملة عبد الله الغالب سنة 1560م مع العبادي ، واشتغل بالفتوى والتدريس في فاس ، ولم يكن أحمد هو الوحيد من عائلة العقباني التي هاجرت إلى المغرب[2].

– **محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيبي التلمساني(ت.983هـ/1576م)**: من شيوخ الإفتاء وكبار الأئمة في تلمسان ، برع في عدة علوم كالفرائض والحساب والمنطق، رحل إلى المغرب، ودخل فاس سنة 967هـ/1560م ، وحظي بمكانة لدى سلطان المغرب الغالب بالله ، وتولى الإفتاء بمراكش حتى أطلق عليه " مالك الصغير"[3].

– **أحمد بن أحمد العبادي (ت.985هـ/1577م)** : درس بتلمسان على يد والده وعلماء تلمسان ، ثم رحل إلى فاس سنة 968/1560م ، في جملة من رحل إليها من فقهاء تلمسان ، وحظي بعناية السلطان الغالب بالله،اشتغل بالتدريس في فاس ثم في مراكش، ثم عاد إلى الجزائر واستقر بمليانة[4].

– **عبد الرحمان العنابي**: هو أحد كتّاب المنصور الذهبي، ويبدو أنّه جزائري الأصل، لكنّ مولده كان بالمغرب،فوالده هو محمد بن عبد الله العنابي نزيل درعة بجنوب المغرب مطلع القرن 16م[5].

– **أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت. 999هـ/1591م)**: فقيه من علماء أصول الدين وعلم الكلام، رحل إلى المغرب وتخرج علي يد المنجور، استقر بتطوان وتولى التدريس فيها[1].

[1]– عادل نويهض : المرجع السابق ، ص ص 87–88.ينظر: زهراء النظام : المرجع السابق، ص414.

[2]– محمد بوشنافي :" **هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520– 1830)**" ، في مجلة المواقف، مج 4، ع1، معسكر، 2009، ص102.

[3]– محمد بن عسكر: المصدر السابق، ص ص116–123 ، ينظر: عادل نويهض: المرجع السابق،ص188.

[4]– المصدر نفسه،ص118، ينظر: زهراء النظام: المرجع السابق، ص415.

[5]– عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص216، ينظر: أحمد بن القاضي:**المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**،دراسة وتح:محمد رزّوق، مكتبة المعارف، الرباط،1986،ج2،ص604، ينظر أيضا: أحمد المقري: **روضة الآس العاطرة في الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس** ،ط2، المطبعة الملكية، الرباط ، المغرب، 1983، ص176.ينظر أيضا: عمار بن خروف : المرجع السابق، ج2، ص154.

–محمد بن أحمد بن الوقاد (**ت.1001هـ/1593م**): أخذ العلم عن مشايخ بلدته منهم التنسي،رحل إلى المغرب الأقصى ودخل تارودانت وولي بها قضاء الجماعة،ثم رحل إلى مكناس ثم فاس وتولى منصب الخطابة ،ثم رجع إلى تارودانت وتوفي بها [2].

– أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد التلمساني: هو شقيق محمد كان من عدول تارودانت ، فقد ترك العديد من الوثائق الشرعية الموقعة في الحوالة الحبسية لمدينه تارودانت [3].

– أبو سرحان مسعود بن محمد الشراط (**ت.1031هـ/ 1621م**): أصله من قبائل زناته بالقرب من تلمسان، سكن فاس ،له كرامات كثيرة ، حيث كان مزارا في حياته وبعد وفاته [4].

– أحمد المقري (**ت. 1041هـ/1631م**) : هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد المقري التلمساني ولد في تلمسان سنة 986 هـ/ 1578م وتوفي سنة 1041هـ/1631م [5]، من أسرة اشتهرت بالعلم ، وفضّلت الهجرة إلى فاس سنة 1009هـ/1600م ، فدرس بها ثم عاد إلى تلمسان،وبقي سنتين ثم رجع سنة 1012هـ[6]، واحتك بكبار علماء فاس، وطالع العديد من المؤلفات ، حتى أصبح من علماء المغرب ، وأثناء ذهابه إلى مراكش اتصل به المنصور الذهبي ، ثم رجع إلى فاس، وفي عهد السلطان السعدي المولى زيدان، قلده منصب الإمامة والخطابة بجامع

---

[1]– أحمد بن القاضي : **درة الحجال في غرة أسماء الرجال**،تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2002، ص ص 158-159.

[2]– أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق،ج1، ص25، ينظر:محمد الطمار: الروابط الثقافية ، المرجع السابق، ص 256.

[3]– محمد بن الوقاد بن عبد الرحمان:**مقيدات تارودانت فيما بين** (**1068-1073هـ/1658-1662م**)، تح:نور الدين صادق،المملكة المغربية ،1998،ص19،ينظر:صالح بسالم: **التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب**(**1549-1664م**)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العلاقات الإقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير ،قسم التاريخ ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية ،جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية: 2013-2014،ص ص 105-106.

[4]– محمد بن جعفر الكتاني:**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماءوالصلحاء بفاس**،ط1،دار الثقافة،المغرب، 2004،ص148 .

[5]–أبو العباس أحمد المقري: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**،تح: محمد بن معمر،ط1، مكتبة الرشاد ، الجزائر، 2004، ص5.

[6]– محمد الطمار: الروابط الثقافية ، المرجع السابق، ص 256.

القرويين وبقي فيه حتى سنة 1617م[1]،وبسبب الفتنة التي وقعت له واتهامه بموالاة قبيلة الشراقة الجزائرية ، فضل الرحيل إلى المشرق، واستقر بالقاهرة ،وله العديد من المؤلفات[2].

– **عبد العزيز الزياتي(ت. 1055هـ/1645م)** : هو الفقيه أبو فارس عبد العزيز بن الحسن بن يوسف الزياتي ، أصله من بني عبد الواد ،نسب إلى بني زيات لاستقراره فيها[3].

د– تنقل العلماء المغاربة إلى الجزائر:

من العلماء المغاربة الذين زاروا الجزائر وحواضرها لأخذ العلم منها، أو نشره فيها أولزيارتها والمرور بها خلال رحلات الحج منهم :

– **أبو علي ابراهيم المريني البجائي:** أصله من المغرب، أقام ببجاية ، شهد دخول صالح رايس لبجاية سنة 962هـ/1551م،وله كتاب بعنوان "عنوان الأخبار فيما مر على بجاية" إلا أنّه ضاع [4].

– **عبد الواحد بن محمد اللمطي الميموني المكناسي(ت.988هـ/1580م):** هاجر إلى الجزائر واستقر بها إلى أن توفي فيها ،كان فقيها ونحويا [5].

– **سعيد بن مسعود الماغوسي (ت.1016هـ/1607م):** فقيه وأديب لغوي، تلقى تعليمه في المغرب والمشرق ، ودرس على علماء من قسنطينة ، ومن تآليفه "إيضاح المبهم من لامية العجم"، وفهرس ذكر فيه شيوخه[6].

– **أبو عبد الله محمد بن مزيان (ت.1031هـ/1621م):** زار زواوة، وأخذ النحو عن عالمها محمد عبد الله بن مصباح ، ثم ذهب إلى قسنطينة وتولى مهنة التدريس[1].

---

[1]– أبو العباس أحمد المقري: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق،المصدر السابق، ص7.

[2]– منها: "حاشية على شرح أم البراهين"، "كتاب إعراب القرآن"، "أسئلة وأجوبة شريفة حوت حقائق لطيفة ودقائق منيفة"، "تاريخ الأندلس"، "حسن الثّنا في العفو عمَّن جنى" ، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" ، "روضة الآس"، وكتاب "أزهار الرياض في أخبار عياض"، وغيرها من المؤلفات ينظر: مراد قاسيمي: **أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني: حياته، مكانته وأعماله** ، في المجلة النصف السنوية للدراسات الجزائرية،جامعة فالنسيا، إسبانيا،2015، ص ص 71-72.

[3]– عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي: **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر** ، تق. تح: فاطمة نافع ، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2008، ص113.

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ص345.

[5]– عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص160.

[6]– زهراء النظام: المرجع السابق، ص410، ينظر: محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي، المصدر السابق، ص ص 218-219.

– **أحمد بن ابراهيم الراسي البطوئي (ت. 1039هـ/1630م)**: من علماء منطقة بطوية الريفية ، تلقى تعليمه فيها ، وتنقل إلى تلمسان ودرس فيها وأقام بها سنوات عديدة ثم عاد لمسقط رأسه واشتغل مدرسا[2].

– **عيسى بن محمد البطوئي: (ت بعد 1040هـ/1630م)**: من أحد كبار علماء المغرب ، درس في بطوية ثم فاس ثم انتقل إلى الجزائر، ودرس بتلمسان لمتابعة تعليمه، ودرس عند عدد من علمائها ومنهم محمد بن مريم (ت.1028هـ/1618م)[3].

2– منح الإجازات :

أما من حيث الإجازات العلمية التي كانت أداة للتواصل بين علماء البلدين خلال القرن10هـ/ 16م وبداية النصف الأول من القرن /11هـ17م، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ– إجازة علماء الجزائر لعلماء المغرب الأقصى :

ومن العلماء الجزائريين الذين أجازوا العلماء المغاربة، نذكر منهم:

– إجازة محمد بن علي الخروبي لكل من أبي عبد الله الوزروالي سنة 959هـ/1552م ، ومحمد بن يوسف الترغي (ت.1009هـ/1600م)[4].

– إجازة محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي (ت.983هـ/1575م)، الذي سافر إلى فاس ثم إلى مراكش، وتولى الإفتاء[1]،ومن تلامذته الذين أجازهم محمد بن عسكر سنة 969هـ/1562م في جميع مروياته [2].

---

[1]– عبد الكريم الفكون : **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** ، تح: أبو القاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص ص 57-59.

[2]– زهراء النظام: المرجع السابق، ص411.

[3]– المرجع نفسه، ص411، ينظر: محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ط1، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،المغرب، 1976، ج2،ص456.

[4]–أحمد بن القاضي:**جذوة الإقتباس في من حلّ من الأعلام بمدينة فاس** ،طبعة حجرية، المملكة المغربية، 1981،ج1، ص322. ينظر:صالح بسالم :**التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب(1549–1664م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العلاقات الإقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير ،قسم التاريخ،كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية: 2013-2014،ص79.

– إجازة أحمد بن أحمد العبادي لمحمد بن عسكر في سلسلة مشايخ الصوفية ، الذين أخذ عنهم[3].

– إجازة أحمد المقري لعدد من المغاربة بحكم أنه تصدر التدريس في فاس ، وممن تخرج على يديه وأجازهم محمد بن قاسم المعروف بابن القاضي المكناسي (ت.1041هـ/1631م)[4]، محمد بن يوسف التاملي أجازه سنة 1026هـ/1617م[5]،وأجاز أحمد بن علي السوسي البوسعيدي (ت. 1046هـ/ 1637م)، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي (ت.1057هـ/1647م)[6].

أ– إجازة علماء المغرب لعلماء الجزائر:

ومن العلماء المغاربة الذين أجازوا العلماء الجزائريين، نذكر منهم:

– إجازة محمد بن غازي لأبي الحسن علي بن هارون المطغري[7].

– إجازة عدد من العلماء المغاربة لأبي العباس أحمد المقّري خلال تواجده في المغرب، ومنهم أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي في ستين كتابا من مؤلفاته، كما أجازه أحمد بن محمد بن أبي العافية المعروف بابن القاضي[8]سنة 1020هـ/1617م[9].

ومن شيوخ التصوف أجازه أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي (ت. 1013هـ/1604م)، وأجازه سنة 1010هـ أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار الغرناطي الأصل (ت.1012هـ/

1–محمد بن الطيب القادري:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح: محمد حجي، أحمد توفيق،ط1، دار الغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1977، ج1، ص82.

2– محمد بن عسكر: دوحة الناشر ، المصدر السابق ص116–123.

3– المصدر نفسه، ص ص118–119.ينظر: زهراء النظام: المرجع السابق، ص406.

4– أحمد المقري: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، المصدر السابق، ص ص 77–78.

5– ليلى غويني: "**التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**"، في مجلة الدراسات التاريخية، ع 14، جامعة الجزائر، 2012، ص216.

6– فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518–1830**،ط1، دار سنجاق الدين ، 2009، ص193.

7– محمد حجي:الحركة الفكرية ، المرجع السابق، ج1، ص105.

8– ولد سنة 960هـ من أشهر علماء المغرب ، درس على يد علماء من المغرب ، ومن المشرق، توفي 1025هـ ، من مؤلفاته : "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"، "جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس"، "درة الحجال في أسماء الرجال"، ينظر: محمد الصغير الإفراني: **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تق .تح: عبد المجيد خيالي،ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب،2004،ص ص 150–151.

9 – أحمد المقري: *روضة الآس*، المصدر السابق، ص289.

1604م)[1] ، كما أجازه عبد العزيز الفشتالي (ت.1031هـ/1622م) لفظا نظرا لضيق الوقت كما ذكر المقري لقرب سفره[2].

3-تبادل المؤلفات والمراسلات بين علماء البلدين:

إنّ تنقل العلماء بين البلدين أدى إلى تنقل المؤلفات، فقد شهد البلدان خلال القرن 10هـ/16م حركة علمية نشيطة ، وتعددت المؤلفات خاصة في العلوم النقلية، وبحكم تنقل العلماء وقرب المسافة بين البلدين، عرفت المنطقة تلاقحا وتواصلا ثقافيا بينها .

أما عن تبادل المراسلات فقد جرت عدة مراسلات بين المتصوفة والمرابطين حول بعض القضايا الدينية والصوفية أغلبها في القرن 10هـ/16م والنصف الأول من القرن 11هـ/17م، سنذكر منها:

- مراسلات محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت.1503/909م) إلى علماء فاس حول معاملة اليهود[3].

- مراسلات بين محمد بن علي الخروبي وهو من أتباع الطريقة الزروقية وعلماء المغرب،إذ بعد سفارته للمغرب وعودته للجزائر بعث رسالة للشيخ أبي عمرو القسطلي وأصحابه من أتباع الجزولية، ورد عليه القسطلي وعلماء آخرون منهم ابن أبي محلي[4]، كما بعث الخروبي برسالة لعلماء فاس سماها بـ "رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس" ، ذكر فيها القواعد الخمسة للإسلام، في الهيللة أي في مسألة التشهد، كما رد عليه مفتي فاس وقاضيها محمد بن عبد الرحمان اليسيثني معارضا الخروبي[5]، كما ردّ عليه علماء مغاربة آخرون منهم الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي (ت. 963هـ/1555م) [6].

- مراسلات من المغرب الأقصى لعلماء الجزائر تضمنت مجموعة من الأسئلة ، ومنها ماسُئل عنها الشيخ الوزان بقسنطينة فلم يتمكن من الإجابة، فأجاب عنها الشيخ العطار[7].والمراسلات بين عبد

---

[1]-ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء ، المصدر السابق، ص167،ينظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2،ص49.

[2]-أحمد المقري: روضة الآس ،المصدر السابق، ص163.

[3]-محمد بن عبد الكريم المغيلي: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح: رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1986، ص65.

[4]-رسالته كانت بعد عقود من وفاة الخروبي ، بعد أن عثر عليها ابن أبي محلي سنة 1000هـ/1592م بدرعة ، ورد عليه معاتبا إياه في انتقاد شيخه أبي عمرو القسطلي والكفر بقطبانيته.ينظر : زهراء النظام : المرجع السابق، ص 456.

[5]-محمد إدريس طيب: **الأذكار السنية بالمدرسة الزروقية**، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2012،ص44.

[6]- محمد بن عبد الله الهبطي الكبير: **رسائل التوحيد والهيللة**، تح: خالد زهري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص18.

[7]- عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ،المصدر السابق، ص38.

الكريم الفكون وعلماء فاس بعد خلافه مع أحمد الفاسي[1]. ومن المراسلات رسالة كل من عبد العزيز الفشتالي إلى المقري[2]،والفقيه علي بن عبد العزيز السوسي برسالة للمقري،يودعُه فيها بأبيات[3].

ومما سبق، يمكن القول:

- مواجهة المغرب الأوسط والأقصى بداية القرن10هـ/16م لظروف صعبة، إضافة إلى الغزو الإيبيري ما أدى إلى ظهور قوى جديدة بهما تمثلت في العثمانيين في المغرب الأوسط، والسعديين في المغرب.
- تمكُّن العثمانيين والسعديين من تحرير عدة سواحل من الاحتلال الإيبيري، وتوحيد البلاد بعد القضاء على منافسيهم، من أفول الأسر الحاكمة الزيانية في المغرب الأوسط، والوطاسية في المغرب.
- تميُز العلاقات الجزائرية المغربية بعدم الثقة خاصة من قبل المغرب الأقصى؛ بسبب تخوفه من السياسة التوسعية للعثمانيين في بلاد المغارب ؛ إذ هو الدولة الوحيدة التي لم يشملها نفوذ العثمانيين. وقد وجّه المغاربة عدة حملات على تلمسان للتوسع على حساب الأراضي الجزائرية خاصة في عهد محمد الشيخ، إلا أنّ من خلفوه ابتعدوا عن المواجهة مع العثمانيين، واتبعوا سياسة التحالف تارة، والمناورة تارة أخرى.
- إنّ الازدهار الثقافي الذي عرفته الجزائر والمغرب خلال هذه الفترة لم يكن بفضل السلطات الرسمية العثمانية والسعدية فحسب، بل كان للفئات الاجتماعية على اختلافها مشاركة فعالة فيه.
- مساهمة علماء البلدين في تعزيز وتوثيق العلاقات ، فقد تنقل العديد منهم بين الجزائر والمغرب أو العكس، واحتك كل من علماء البلد بالآخر ،من خلال رحلاتهم خاصة خلال رحلتهم إلى الحج.
- نجاح السلاطين السعديين في جذب عدد من العلماء الجزائريين بفضل سياستهم القائمة على احترام العلماء ،وإغداقهم بالأموال.
- عرفت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية هجرات جماعية لنخبة علمائها طيلة القرن السادس عشر بسبب تهديدات الاسبان في البداية، ثم مضايقة وتعسف العثمانيين لسكان تلمسان.
- مساهمة الحركة الجهادية في المغرب الأوسط والأقصى في ازدهار الحركة الأدبية ، فنُظمَت العديد من القصائد للحث على الجهاد.

[1]- عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ،المصدر السابق، ص33.

[2]- أحمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس،دار صادر، بيروت، 1988، ج6، ص56.

[3]- ليلى غويني: المرجع السابق ، ص224.

الباب الأول :
العلاقات السياسية الجزائرية المغربية

– مقدمة الباب:

إنّ العلاقات بين الجزائر والمغرب ترجع إلى فترات سابقة بحكم القرب الجغرافي بينهما ، وعلى الصعيد السياسي تميزت بالصراع خاصة في ظل رغبة السلاطين العلويين التوسع وبسط نفوذهم إلى المناطق الغربية للجزائر. فشكلت مسألة الحدود مصدر قلق لحكام البلدين ما أدى إلى صراعات ونزاعات بينهما ، فكان الاتصال الدبلوماسي وإيفاد السفراء وتبادل الرسائل وعقد المعاهدات من أجل حل الخلافات والنزاعات .

ورغم توتر العلاقات بين البلدين، إلا أنّ مسألة الجهاد البحري و الأسرى، خاصة تحرير الأسرى المسلمين في الضفة الشمالية ؛ أين كان الافتداء يشمل أسرى البلدين أدّت إلى التعاون المشترك بينهما.

الفصل الأول:

العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى (1659-1727).

- المبحث الأول: الواقع السياسي والإداري للجزائر

1- الواقع السياسي للجزائر.

2- الواقع الإداري للجزائر.

- المبحث الثاني:الواقع السياسي والإداري للمغرب الأقصى

1- الواقع السياسي للمغرب الأقصى.

2- الواقع الإداري للمغرب الأقصى.

- المبحث الثالث : العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين .

1- العوامل الموروثة في العلاقات السياسية بين البلدين .

2- العوامل المستجدة في العلاقات السياسية بين البلدين .

الفصل الأول:

العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية الجزائرية المغربية (1659–1727م)

إنّ محاولة رصد وتتبع العلاقات السياسية بين البلدين في هذه الفترة، يستوجب منا معرفة الأوضاع السياسية التي شهدتها كل من الجزائر والمغرب الأقصى، والمستجدات التي طرأت عليهما، فالجزائر شهدت انتقال الحكم من الباشوات إلى الآغوات، أما المغرب الأقصى فقد شهد سقوط الدولة السعدية وقيام الدولة العلوية، فالعلاقات السياسية بين البلدين تميزت آنذاك بالعداء تارة وبالسلم تارة أخرى، وكانت وراء هذه العلائق عوامل ومؤثرات متنوعة ومتشابهة داخلية وخارجية بعضها موروث، وبعضها مستجد ،خاصة ماتعلّق بالخلافات الجوهرية بين البلدين، والتي ظلت منذ مجيء العثمانيين، وهي مسألة الحدود وأحقّية الخلافة. وسنحاول في هذا الفصل البحث في الأوضاع السياسية للبلدين والعوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بينهما.

المبحث الأول:

الواقع السياسي والإداري للجزائر (1659-1727م)

1- الانتقال السياسي إلى مرحلة الأغوات :

حسم الجند الصراع بينهم وبين باشوات حكام الجزائر سنة 1069هـ/1659م، فقرر الديوان إلغاء منصب الباشا وإسناد السلطة إلى قادة الأوجاق ، فقد كانت سياسة إبراهيم باشا سببا مباشرا في تحول السلطة إلى الأغوات؛ إذ امتنع عن دفع رواتب الجند، واقتطاعه من أموال المكافأة الموجهة لرياس البحر من قبل السلطان العثماني ، ما أدى إلى ثورة الأوجاق والرياس معا[1].

كما كانت هناك أسباب غير مباشرة في تغيير النظام منها،حادثة مدير الحرس والمراكز الفرنسية بالقالة ، إضافة إلى فرض غرامات إضافية ،وابتزاز الأغنياء ما أدى إلى سخط الأهالي [2]، فنهضوا بقيادة أعضاء الديوان ضد حكم الباشاوات ،فقضوا عليه ، و استبدلوه بمنصب الأغا وأسندوا حكم البلاد له، وأصبح لقب "الباشا"، مجرد لقب فخري وتشريف للحاكم، وتقرر إلغاء الباشوية واستبداله بالأغا[3]. وسجن الجند الباشا إبراهيم في جوان 1659م، في الوقت الذي أرسل فيه السلطان العثماني الباشا علي ليستلم الحكم، لكن الجند ألقوا عليه القبض ، ووضعوه في سفينة عادت به إلى إزمير بالدولة العثمانية ورفضوا أي مظهر لتبعية السلطان العثماني[4].

دامت مرحلة حكم الأغوات اثني عشرة سنة،وهي من أقصر المراحل، وحتى لايستحوذ الأغا على السلطة تقرر أن يستعين الحاكم بمجلس يرأسه الديوان، يتألف من أربعة وثلاثين ضابطا ممن وصلوا إلى رتبة صاغ[5]، ثم توسعت عضويته؛ فأصبح يضم ممثلين عن فئة رياس البحر وبعض كبار الموظفين[6]، وبذلك يكون الأغا تحت رقابة الديوان.

---

[1]- نعيمة حمشوش: النظم السياسية ، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،الجزائر،2007،ص52.

[2]- أمين محرز: **الجزائر في عهد الآغوات 1659-1671** ، ط1، البصائر، الجزائر،2011، ص77.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام** ،ط7،د. م. ج ، الجزائر، 1994، ج3، ص 166.

[4]-عزيز سامح إلتر:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،تر:محمود علي عامر،ط1،دار النهضة ،لبنان، 1984، ص387.

[5]- صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى** ، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية ، مصر، 1993،ص26.

[6]- عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر**،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997 ، ص59.

وكانت بداية حكم الأغوات مع تعيين البولكباشي الأغا خليل سنة 1069هـ/ 1659م، لكنه لم يبق في الحكم سوى سنة واحدة، سعى فيها إلى تنظيم الشؤون المالية، رغم محاولاته استرضاء الباب العالي، فأرسل وفدا سنة 1069هـ/1659م، فرفض استقباله، فأرسل الصدر الأعظم محمد باشا كوبرلي فرمانا جاء فيه: "لن نرسل إليكم واليا بايعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم، لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر، فالجزائر إن كانت وإن لم تكن شيئا واحدا، ومن بعد ذلك إن اقتربتم فلن تكونوا راضين"[1].

إنّ قرار الصدر الأعظم ضد الجزائر سيؤثر سلبا على الأيالة وعلى تنقلات سكانها مما سيؤدي إلى توقف حركتها ونشاطها التجاري والديني من خلال رحلات الحج إلى المشرق. إضافة إلى توقف إمدادات وتجنيد الدولة العثمانية للانكشارية إلى الجزائر.

وقد عرفت الأوضاع الداخلية في بايلك الشرق رجوع الاضطرابات ، كما تمكن أمير كوكو أحمد ابن أحمد المدعو بوختنوش من بسط نفوده على المناطق الساحلية الواقعة بين بجاية وأعالي سباو. ورغم ذلك جدد الديوان عهدة الآغا خليل عاما آخر، إلا أنه قتل في محرم 1071هـ/ أكتوبر 1660م [2]، فخلفه الأغا رمضان الذي بادر إلى إعادة العلاقات مع الدولة العثمانية، وأرسل الباشا إبراهيم سنة 1661م، لكن حكم الاغا رمضان لم يدم طويلا؛ إذ اغتاله الجند سنة 1661م، وتولى بعده الآغا شعبان والذي مدد حكمه لأربع سنوات لكنه اغتيل أيضا على يد الجند سنة 1665م[3]، ثم خلفة علي آغا الذي مكث ست سنوات في الحكم (1665-1671م)، وقد استطاع فرض سيطرته على الجند،كما عرف الناس الترف والرخاء إذ يذكر ابن المفتي:"فقد أثرى التجار وعاش الناس في رخاء وتحمسوا لتسليح أجفان الحرب وتهيئة العمائر لجلب الغنائم"[4] إلا أنّ الانكشارية تآمرت عليه لقتله في 24 سبتمبر 1671م لكنه نجا ، ثمّ لقي حتفه في المحاولة الثانية يوم الأحد 14جمادى الثانية 1082هـ /18أكتوبر 1671م .وبعد وفاته عرفت الأوضاع السياسية منعرجا خطيرا وفوضى عارمة ؛إذ اجتمع الديوان لانتخاب أغا جديد خلفا للآغا علي ، وتم ترشيح خمسة أو

---

[1]- عزيز سامح إلتر: المرجع السابق، ص ص387-388.

[2]- أمين محرز : المرجع السابق، ص ص 86-87.

[3]- نعيمة حمشوش: المرجع السابق ، ص53.

[4]- حسين بن رجب شاوش بن المفتي: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**،جمع واعتناء: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة ، الجزائر، 2009،ص66.

ستة آغاوات في مدة ثلاثة أيام ،لكنهم قتلوا جميعا ، فقد عجز الديوان عن تعيين آغا كفؤ لتولي الحكم والخروج من الأزمة[1]. و تخوف الأغوات من تعيين أنفسهم خوفا من القتل ، إلا أنّ الأهالي مالوا إلى تأييد طائفة الرياس[2]،الذين كانوا مصدر دخل للخزينة ، وكانوا يمثلون السكان ، ومن هنا فرض رياس البحر أحد رجالهم لتولي الحكم سنة1082هـ/ 1671م [3].

ومن مميزات فترة حكم الأغوات :

- زوال نفوذ العثمانيين ، فلم يعد السلطان العثماني يعين حكام الجزائر، فبعد إلغاء نظام الباشوات وسجن الباشا إبراهيم ممثل السلطان العثماني ، وطرد حاكم علي المعين من قبل السلطان العثماني[4].
- تحديد فترة حكم الأغا بشهرين قابلة للتجديد ،وقد تشبت الأغوات بالسلطة، وحاولوا تمديدها.
- موافقة مؤسسة الأوجاق لكل الضباط بالارتقاء إلى منصب آغا الذي لايدوم سوى شهرين، مما جعل كل أعضاء الأوجاق يطمحون للوصول للسلطة[5]،لكن نهايتهم تكون بالقتل من قبل الجند، لأنّه أصبح الوسيلة الوحيدة لتبديل الآغوات[6] ما أدى إلى تأزم الأوضاع وعدم الاستقرار.
- جعل السلطة التشريعية بيد الديوان، وقد أظهر هذا النظام عجزه نتيجة اللإستقرار الذي عرفته الجزائر[7].
- انتشار الفوضى والفساد السياسي خاصة مع اشتداد الصراع بين اليولداش والرياس.
- توالي الحملات الأوربية خاصة الفرنسية والإنجليزية على مدينة الجزائر وبجاية وجيجل، بسبب استمرار نشاط القرصنة، وما انجرّ عنه من تكالب السفن الأوربية ضد الجزائر.

ب- فترة حكم الدايات (1082هـ/1671م - 1246هـ/1830):

اختلف المؤرخون في ظروف انتقال الحكم من الأغوات إلى الدايات، فهناك من رأى أن الجيش الانكشاري عندما تدهورت الأوضاع وكثرت الفوضى والاغتيالات انسحبوا تاركين الحكم لرياس

---

[1]- محرز أمين : المرجع السابق ، ص ص 133-134.

[2]- محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**،ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975،ص72.

[3] - صلاح العقاد : المرجع السابق، ص27.

[4]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص60.

[5]- نعيمة حمشوش : المرجع السابق، ص54.

[6] - حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008 ، ص135.

[7]- عمار عمورة : المرجع السابق، ص99.

البحر، وهناك من يرى أن رياس البحر اغتنموا الفرصة واستحوذوا على الحكم[1]. وبهذا انتصروا على قادة الجيش البري،وانتقلت الجزائر من مرحلة الفوضى والاغتيالات التي شهدتها خلال فترة حكم الأغوات، وتأسس نظام جديد عرف بنظام الدايات دون تحديد فترة الحكم، والذين يعيّنون من قبل الديوان الذي يعدّ سلطة تشريعية كما ذكرنا سابقا، أما التعيين الرسمي فيتم من طرف السلطان العثماني بإرسال فرمان، وبالتالي نلاحظ أنّ تبعية الجزائر للدولة العثمانية كانت اسمية شكلية [2]. وقد تمتعت الجزائر خلال هذه المرحلة التي دامت فترة طويلة استمرت من (1671-1830م) بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية، كما عرفت المقومات السياسية للدولة[3]، خاصة بعد إلغاء منصب الباشا الذي كان يرسله السلطان العثماني سنة 1710م؛ إذ عمل الدايات منذ وصولهم إلى الحكم على القضاء على ازدواجية الحكم،والحصول على منصب الباشوية[4] .

ويُعتبر الداي محمد التريكي أول داي حكم الجزائر (1671-1682م)، وقد دامت فترة حكمه إحدى عشرة سنة، وهي فترة طويلة نسبيا تعادل فترة حكم الأغوات ، كما أن عهده عرف علاقات جيدة ؛إذ تلقى التزكية من قبل الباب العالي ، وبعدها استقال من منصبه وعيّن صهره البابا حسن الذي حكم من(1093-1094هـ/1682-1683م)[5].ولكنّ اشتداد الصراع مع فرنسا، وقصف الجزائر في صيف 1683م جعلت الحاج حسين ميزومورطو يطيح بالداي بابا حسن ، بعد نجاحه في صد الهجومات الفرنسية،فأصبح دايا للجزائر وحصل على لقب بايلرباي من قبل السلطان العثماني، وفي سنة 1100هـ/1689م غادر الحكم بسبب سياسته المتعنتة تجاه الفرنسيين، بالإضافة إلى توالي الحملات الفرنسية والخسائر التي تكبدتها مدينة الجزائر من القصف أدى إلى تذمر الأهالي، زِد على ذلك تمرد الجيش بزعامة الأغا شعبان[6]،الذي بوصوله إلى الحكم وحكم (1100-1106هـ/1689-1695م)،شهدت فترة حكمه حروبا مع تونس والمغرب ، استطاع الانتصار

[1] – وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية،(د.ط)،ش. و. ن .ت، الجزائر، 1980، ص74.

[2]– عمار بوحوش: المرجع السابق ، ص60.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب** ، (د.ط)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص108.

[4]–أندري برنيان وآخرون : **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر : رابح إسطنبول ومنصف عاشور، الجزائر، 1984، ص130.

[5]– نعيمة حمشوش : المرجع السابق، ص54.

[6] – نعيمة حمشوش : المرجع السابق، ص54.

فيها على خصومه التونسيين على الحدود الشرقية وعلى المولى إسماعيل من المغرب الأقصى[1] ،إلاّ أنّ جنود الانكشارية و بسبب زجهم وإنهاكهم بكثرة الحملات العسكرية ضد تونس والمغرب، فقاموا بسجن الداي شعبان ثم قتله[2] ،ليتولى بعده الداي أحمد الذي حكم (1106هـ-1110هـ/1695م -1698م)، وكان مسنا مريضا، يرقع الأحذية ، وبالتالي فهو لعبة في أيدي الانكشارية الذين أوصلوه للحكم؛إذ كانت مهمته تقتصر على الإمضاء.

أما الحكم الفعلي فكان بيدهم،وبعدها خلفه الداي حسن باش شاوش قارة برلي حكم من (1698-1700م)، أقنع الديوان بإعادة إبرام الصلح مع فرنسا، وتجديد الصلح مع إنجلترا [3]، و انتهى عهده بالصراع بين المغرب من جهة ،وبين تونس من جهة أخرى، حين هاجمت قوات الباي مراد الثالث حاكم تونس بايلك الشرق، وقعت بينهما معركة في 21محرم1112هـ/7جويلية 1700م انهزم فيها الجزائريون أمام الجيش التونسي [4] وحليفه الجيش الطرابلسي الذي شارك في الحملة[5]،فاستقال الداي حسن عن الحكم وتولّى الحاج مصطفى أهجي عطشي الحكم (1700م-1702م) ، الذي استطاع دحر القوات المغربية و إفشال مشروع الوحدة بين الجزائر وتونس من أجل التوسع في الجزائر، وتشتيت قواتها،وقد استمر التوتر بين البلدين ، و خرج الداي بنفسه لهجوم تونس،ولكن لما سمع خبر التآمر عليه عاد للجزائر فقُبض عليه وقُتل في 3نوفمبر 1705م[6].

ثم تولى حسين خوجة الحكم من(1705-1707م).ولعلّ من أهم أعماله إطلاق سراح إبراهيم الشريف الذي هاجم الشرق الجزائري ، ظنا منه أن يسترجع بذلك ملكه ويعترف بسيادة الجزائر، إلا أنّه تلقاه جند حسين بن علي في تونس وقضوا عليه عند غار الملح ، وعُزل حسين خوجة

[1]- للإطلاع على شخصية الداي شعبان ، ينظر: مولاي بالحميسي:" **إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان** "، في مجلة الدراسات التاريخية،المجلد1، ع2، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986، ص ص 39-56.

[2]- محمد بوشنافي : "**ظاهرة الصراع السياسي والاغتيالات بالجزائر أثناء العهد العثماني (1520-1830)من خلال المصادر الأجنبية**"، في مجلة الحوار المتوسطي، ع1، جامعة سيدي بلعباس، 2009،ص25.

[3]-محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق.تح: محمد بن عبد الكريم، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ،2007، ص ص25-26.

[4] - عمار بن خروف:**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 12هـ/18م**،ط1،دار الأمل،الجزائر،2017،ص17.

[5]- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**،ط1، الدار التونسية للنشر، 1968، ص175.

[6] -عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس .. ، المرجع السابق، ص62.

عن الحكم في مارس1707م[1]، وتمّ تنصيب الداي محمد بكداش، الذي حكم (1707-1710م)، وقد استطاع تحرير وهران في 20جانفي 1708م ، وطلب من السلطان العثماني أن يرسل إليه قفطانا يُلبسه لصهره حسن أوزن كشعار لترقيته برتبة باشا،لكن السلطان العثماني رفض طلبه ، وقد تعرض الداي بكداش للاغتيال من طرف الإنكشارية في مارس 1122هـ/1710م بعد أن تأخر عن تسديد أجورها،كما قتل صهره حسن أوزن عند وصوله إلى مدينة الجزائر[2]. وخلف محمد بكداش دالي إبراهيم،ولم تدم فترة حكمه سوى أشهر وقتله أحمد الجنود[3].

وبعد ذلك نُصب مكانه بابا علي شاوش (1710-1718م)،الذي قام بإلغاء منصب الباشا الذي كان يعينه السلطان العثماني ، ففي سنة 1711م لم يستقبل الباشا إبراهيم عند وصوله، ونجح الداي علي في إقناع السطان العثماني أحمد الثالث في تبرير مافعله ، بمساوئ ازدواجية السلطة[4]؛ إذ أنّ الباشاوات الذين كانت ترسلهم الدولة العثمانية كانوا سببا دائما للاضطرابات ،بالإضافة إلى إرسال الهدايا له في الحصول على لقب الباشا، مما زاد في دعم استقلال الجزائر عن العثمانية [5].ويذكر أحمد شريف الزهار عنه :"إنّه رجل شرف وذوق و عقل متزن،وكان يشرف بنفسه على العدالة وإعطاء الحقوق"[6].

وتمثلت سياسته بتكثيف الجهاد البحري ، ورفض عقد معاهدات السلم مع الدول الأوربية، لأنّه كان يرى في هذه المعاهدات سببا في نقص العائدات المالية التي تجنيها من القرصنة ، واكتفى بعقد الصلح مع هولندا في 23جوان 1713م[7].

---

[1]- أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791.سيرته ، حروبه ، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده،** ط1، م. و .ك ، الجزائر، 1986 ، ص 47.

[2]- BERBERUGGER.A : **«épitaphe d'ousoun Hassan conquérant d'oran en1708** » in R.A, N °9,1865,P123.

[3]- أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا ، المرجع السابق ،ص 47.

[4] - نعيمة حمشوش: المرجع السابق، ص57.

[5]-نصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830)**،ط2،م. و.ك،الجزائر،1984، ص23.

[6]- أحمد شريف الزهار: **مذكرات**، تح: أحمد توفيق المدني ،ط1، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1972، ص38.

[7]- صورية حصام: **العلاقات بين أيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، السنة الجامعية:2013-2014،ص47.

واستطاع علي شاوش فرض رأيه على الديوان حتى قبيل وفاته عندما أصيب بمرض الملاريا فأوصى بأن يخلفه وزيره الخزناجي محمد بن حسن [1]، الذي حكم من (1718-1724م)، والذي سالم وهادن تونس والمغرب ، ووطد وجوده الداخلي وقضى على ثورة القبائليين[2]، وتمّ اغتياله من طرف رياس البحر عندما كان في طريقه إلى الميناء[3]، فخلفه عبدي باشا الذي كان يشغل منصب آغا العرب، ويتولى شؤون بايلك التيطري [4]حكم من (1724-1732م)، وقد عرف عهده بثورات الحنانشة التي قضى عليها ، كما أنّه رفض إعادة إستقبال الباشا ممثل السلطان العثماني سنة1729م، وإعادة احتلال الاسبان لوهران سنة 1732م[5].

ومن خلال تتبع مرحلة الدايات في هذه الفترة ،نجد أنّها تميزت ب:

- هيمنة رياس البحر ذلك أنّ اختيار الدايات في بداية الأمر من (1671-1689م) ، كان يتم بين صفوف الرياس نظرا لنفوذهم ومكانتهم بين السكان[6]، فالدايات الأربع الأوائل كانوا من الرياس، عهدهم كان يمثل عهد القوة العسكرية ،و نشاط القرصنة ، والتمكن من تقليص نفوذ الديوان وعدم الالتزام بقراراته[7]. ثم تمكن الانكشارية من استرجاع هيبتهم بعدما أجبروا الداي حسين ميزومورتو على الاستقالة سنة 1689م ،فأوصلوا الدايات بعد ذلك إلى الحكم عن طريق الانقلابات،وشكل منصب الآغا عنصرا هاما في الديوان وأصبح يشارك الداي في جميع القرارات السياسية.[8]

- استمرار الصراع بين جيش البر وجيش البحر رغم استحواذ رياس البحر على السلطة ، بالإضافة تراجع عائدات القرصنة، فتم إقصاء الرياس عن الحكم المتمثل في وكيل الحرج ، ومعاداة الأوجاق

[1]- نعيمة حمشوش: المرجع السابق، ص57.

[2]- عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس ... ، المرجع السابق، ص79.

[3] -Laugier De Tassy: **Histoire du royaume D'Alger**,Editions Loysel, Paris, 1992, p135.

[4]- نعيمة حمشوش: المرجع السابق، ص 58.

[5]- محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص70.

[6]- ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص109.

[7]- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص70.

[8]- وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية،(د.ط)،ش. و. ن .ت، الجزائر، 1980، ص78.

وفرق الانكشارية له، باعتباره المشرف على طائفة رياس البحر المنافسين لهم في حكم البلاد[1]، ففتح منصب الداي أمام الوزراء من الأوجاق مثل الخزناجي وخوجة الخيل وأغا العرب[2].

– استمرار الخلافة العثمانية في إرسال الباشوات الذين يمثلونها في الجزائر،وفرضهم على الداي وقد حاول الداي حسين ميزومورتو الجمع بين لقبي الباشا والداي[3]، ولكن ازدواجية السلطة سرعان ما عادت حينما قامت الدولة العثمانية بإرسال ممثليها الباشوات ، حتى قرر الداي علي شاوش سنة 1122هـ/1710م إخراج الباشا من البلاد وإلغاء المنصب نهائيا ، فحمل الداي لقب الباشا مع لقب الداي[4] ، واكتسب الدايات نفوذا كبيرا واستقلالا عن الدولة العثمانية مما سمح لهم بممارسة سلطتهم بشكل فعلي .وبالتالي يستأثر بكل مظاهر السلطة والنفوذ ، فأصبحوا يجمعون بين المنصب التنفيذي " الداي"،واللقب الشرفي "الباشا"،ويستحوذون على المهام التنفيذية لجهاز الحكم بالجزائر[5].

– إنّ الداي هو المسؤول العسكري والسياسي للبلاد،والقاضي الأعلى في أمور الحرب والسلم و المسؤول على الضرائب والتوظيف ، فكانت له صلاحيات غير محدودة ،وكان القتل هو الوسيلة للحد من صلاحياته[6].

– إنّ تدخل الجنود الانكشارية في الشؤون السياسية كان السبب في حدوث الاضطرابات ، فبمجرد تأخر دفع رواتبهم،أو رفضهم الخروج في حملة عسكرية ، أو انهزامهم في أخرى ، يثورون على الحاكم، ويخيرونه بين التنازل عن الحكم أو القتل.ووصف الأب "فو " (Fau)الذي جاء إلى الجزائر في عام 1729م حياة الداي البائسة بقوله: "إنّ الداي في معظم الأحيان لا يخرج من قصره، فقد

[1]– ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص179.

[2]– صالح عباد: المرجع السابق، ص139، ينظر: حنيفي هلايلي: أوراق...، المرجع السابق،ص137.

[3]– قام الداي حسين ميزومورتو برفض الاستقلال عن الدولة العثمانية من خلال رفض ممثلها الباشا إسماعيل وقد نجح في الجمع بين لقب الباشا والداي، ينظر:

Henri De Grammont: **LETTRE d Ismael pacha à Louis** XIV-1688, R. A, T28, n°163,1844, pp68-73.

[4] –تواتي بومهلة: **الجزائر"الثغر الأبيض"**، مراجعة: أحسن بومالي، ط1، دار المعرفة، الجزائر،2010، ص120.

[5]– ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص110.

[6]–محمد أوجرتني: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520–1830**،دار الأيام، الأردن،2017،ص456.

يحدث أنّه إذا خرج منه أن تستقبله طلقة من بندقية تعفيه من لقب الداي ومن حياته معا"[1]، فالداي الوحيد الذي كانت وفاته طبيعية هو الداي علي باشا ، وبما أنّ أغلب الدايات قد استولوا على السلطة بالظلم والجور والقوة فقد أُسقطوا بنفس الطريقة[2].

-يعدّ بداية عصر الدايات عصر القوة العسكرية، فقد تمكنوا من توطيد ملكهم، وصدّ الحملات التونسية والمغربية ،وإجبارها على رسم الحدود ، كما استطاعوا تحرير وهران الأول من الإسبان في عهد الداي محمد بكداش سنة 1707م بعد عدة محاولات حاولت فيها تحريرها وعجزت عن ذلك .

- إستقلال الدايات عن الباب العالي؛ إذ تمتعوا بصلاحيات واسعة في عقد الاتفاقيات،ولا يبعث إلى السلطان إلا من باب إعلامه حتى لاتنقطع الرابطة المعنوية التي كانت تجمع بالدولة العثمانية[3]. فينظرون إلى الدولة العثمانية كحلفاء لهم، لكنهم لا يتعاملون مع الدول الأوربية باسم القسطنطينية، بل يتصلون بالأوربيين مباشرة باسم الجزائر، فكان الداي يعقد المعاهدات ويرسل القناصل دون الرجوع للباب العالي[4]، ويرى دوغرامون أنّ السلطة الفعلية كانت في يد الديوان :" لقد كان الديوان يتخذ القرارات بكل سيادة فيعلن الحرب، ويعقد السلام، ويوقع المعاهدات ، ويقيم الأحلاف دون أن يتساءل عما إذا كانت القرارات المتخذة موافقة أو مخالفة لسياسة الباب العالي"[5].

- تحول جنود البحرية من جنود مقاتلين، ومناضلين ضد الأوربيين المسيحيين إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم وللحكام [6].

---

[1]- محمد بوشنافي: **ظاهرة الصراع السياسي والاغتيالات بالجزائر أثناء العهد العثماني(1520-1830)من خلال المصادر الأجنبية**، في مجلة الحوار المتوسطي، ع1، جامعة سيدي بلعباس ،2009 ، ص25.

[2]- رشيدة شدري معمر: **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م** ، كلية :العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم :التاريخ ، جامعة الجزائر، 2005- 2006،ص22.

[3]- يذكر وليام شالر:"دايات الجزائر يملكون ويمارسون جميع سلطات السيادة عقب انتخابهم مباشرة وتنصيب الداي رسميا لايقع إلا بعد وصول تأكيد من السلطان لانتخابه ، ووصول القفطان التقليدي وسيف الدولة ...بواسطة مبعوث الدولة "، ينظر: وليام شالر: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1830**، تع: إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت ، الجزائر، 1982، ص 41.

[4]-عمار بوحوش :المرجع السابق،ص61.

[5] -Henri-Delmas de Grammont:**Histoire d'Alger sous la domination turqu- (1515-1830)**, E.leroux, paris, 1887, p126.

[6]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص61.

– لقد كان منطق الثورة على النظام مستساغا في الأرياف[1] بسبب الضرائب المفروضة ، وأصبح الأهالي في موقع المتفرج عن أحداث الاغتيالات والانقلابات وصراع الداي مع الانكشارية ،الذين احتكروا السلطة ومنعوا السكان المحليين من المشاركة في الحكم ، إضافة إلى انهاكهم بالضرائب خاصة مع تناقص عائدات البحرية ، مما أدى إلى انتشار الفتن والتمرد والعصيان ضد العثمانيين في الجزائر[2]، ويذكر باناتي أن :"الشعب الجزائري بين أيد حديدية لحكومة عسكرية ،وحكام أجانب"[3].

أما سكان مدينة الجزائر، فأمام الصراعات على السلطة، وتجنبا لزجهم في فوضى هذا الصراع فظلوا البقاء في بيوتهم، لحين انتهاء الصراع الذي كان يحسم في فترة وجيزة وتعود الأمور إلى نصابها، وقد جنب هذا الحياد البلاد من حرب أهلية [4]، فقد كان سكان المدن يحترمون السلطة الحاكمة ، فالحكام هم رمز القوة والثروة والرفاهية التي ينعمون بها، فلم يكن هناك سبب للتمرد لهذا لم يفكر سكان المدينة في الثورة على السلطة أو الانقلاب[5].

– تزايد الضغوط الخارجية بسبب نشاط الجهاد البحري ، ما أدى إلى توالي الهجومات الأوربية، فقد كانت الجزائر منهكة في حروب ضد الدول الكبرى مثل اسبانيا ،انجلترا و فرنسا ، خاصة هذه الأخيرة التي وجهت عدة حملات عسكرية على مدينة الجزائر في عهد لويس الرابع عشر ، ومنها حملة سنة 1682م و1683م التي ألحقت بالمدينة خسائر كبيرة ، ولكنها أجبرت على عقد معاهدات السلام مع الجزائر، ومنها معاهدة السلام واستغلال الباستيون مع فرنسا في 25 أفريل 1684م[6]، بيد أنّه تمّ اختراق المعاهدة، وتجدد الصراع بتوجيه حملة ديستري إلى الجزائر سنة 1688م، إلاّ أنّ فرنسا تيقنت بضرورة عقد السلم مع الجزائر،فعقدت معاهدة السلم المئوي في24 سبتمبر 1689م، لتعرف

---

[1]– ويذكر المؤرخون أن البيئة الجغرافية تمثل عنصرا أساسيا، إذ أنّ معظم الحركات الانفصالية والثورات القوية التي قامت ضد العثمانيين كانت في المناطق الجبلية الوعرة أو البعيدة، إضافة إلى فقدانها الدور السياسي الذي احتكرته المدينة . ينظر: محمد أوجرتني : المرجع السابق ، ص545.

[2]– شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص 375.

[3] -Di Mugello Filippo Pananti: **Relation d'un séjour à Alger , contenant des observations sur l'état actuel de cette régence**, imprimeur –libraire , Paris, p410.

[4]– محمد بوشنافي: ظاهرة الصراع السياسي والاغتيالات، المرجع السابق، ص27.

[5]– محمد أوجرتني : المرجع السابق ، ص545، ينظر : وليام سبنسر: المرجع السابق، ص64.

[6]– جمال قنان : **معاهدات الجزائر مع فرنسا1619–1830**، ط.خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007،ص98.

هدوءا نسبيا خلال القرن 18م [1] ، كما وقعت بين الطرفين معاهدات إقتصادية باستمرار حق فرنسا في الامتيازات في الشرق الجزائري مثل معاهدة 1694م،و1695م[2].

2-الوضع الإداري للجزائر:

تميز تاريخ الجزائر خلال فترة حكم العثمانيين للجزائر بنشأة وتطور المؤسسات المركزية السياسية ، الإدارية والعسكرية وتركزها ، فقام العثمانيون بجملة من الإصلاحات منها :

أ-نظام الحكم:

أصبحت الجزائر أيالة[3] عثمانية ابتداء من سنة925هـ/1519م بعد انضمامها للدولة العثمانية، وقد مرّ الحكم العثماني في الجزائر بأربعة مراحل ، فبوصولهم أحدثوا نظاما إداريا مركزيا عاصمته مدينة الجزائر ، يرأسه البايلرباي ثم الباشا ، الذي كان يعين من طرف السلطان العثماني ، ومع بداية سنة 1659م بدأ حكم الأغوات أين استأثر اليولداش بالحكم،وكانوا ينتخبون من بينهم آغا [4]يقودهم ، وقد حاولوا فصل الجزائر عن الدولة العثمانية والاستئثار بالحكم [5]، واستمر حتى 1671م ليحل محلة الداي ، حيث بدأت تظهر ملامح الإدارة العثمانية جليا في الجزائر ، وذلك بفضل أهم مؤسسة ألا وهي مؤسسة الديوان[6] ، التي تنقسم إلى :

1- الديوان الخاص: ويتكون من :

– **الداي** [7]: هو المسؤول الأول عن الجهاز الإداري في الحكم لإيالة الجزائر ابتداء من سنة 1671م، يعين من طائفة رياس البحر، ثم أصبح يعين من جماعة الجند "طائفة الأوجاق" منذ سنة 1689م

[1]- محمد خير فارس:تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق ، ص ص 132-133.

[2]- جمال قنان : معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق ، ص ص 168-172.

[3]- تعني ولاية ، وهي أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى إيالات ، ينظر: سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**،مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ،السعودية،2002، ص45.

[4]- هو القائد العام للجيش وهو لقب شرفي يشترط على صاحبه عدم الخروج من مدينةالجزائر أثناء ممارسته لهذه الوظيفة ويتم اختياره حسب الأقدمية، ولا يمكنه البقاء في منصبه ، سوى شهرين . ينظر : جون باتيست وولف: المرجع السابق ، ص104.

[5]-عبد السلام محمود السامرائي:**الإدارة العثمانية في الجزائر**، ط1، صفحات للدارسة ، سورية، 2017، ص58.

[6]-لايعرف متى تحديده،ولكن صاحب الغزوات ذكر بأنّ تأسيسه يعود إلى عهد خير الدين بربروس، ينظر:عائشة غطاس وأخريات: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المرجع السابق، ص112.

[7]-لفظ الداي يعبر عن لقب لرؤساء البحر، أو الشخص الذي قتل النمر. ينظر: خليفة حماش: **أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية** ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1997،ص155.

بعد إجبار حسين ميزومورتو على الإستقالة ، ولم تقيد فترة حكمه بمدة محددة ، وأصبحت له صلاحيات واسعة [1].

– **الخزناجي**: الذي يشرف على خزينة الدولة .

– **خوجة الخيل** : يشرف على المداخيل وأراضي البايلك[2].

– **الأغا** : وهو القائد العام للجيش البري الانكشاري.

– **البيت المالجي**: يشرف على بيت المال و على المواريث التي لاوريث لها ، ذلك أنّ الأملاك والثروات التي تثبت عدم ملكيتها لأصحابها،وليس لديها ورثة شرعيون ،تؤول مباشرة إلى الخزينة.

– **وكيل الحرج**: يكلّف بالشؤون الخارجية والبحرية، وبذلك يتقلد منصب وزير البحرية والخارجية كما يضم الديوان الخاص مجموعة من الكتاب و كبار ضباط الإنكشارية[3].

ويكتسي النظام الداخلي للديوان أهمية كبرى في التسيير الحسن والتدبير والمشورة في الرأي ، ويتميز أعضاؤه بالحنكة العسكرية، والخبرة في تسيير الأمور، ومن ذلك يذكر حمدان خوجة: "لا يمكن أن يصبح الإنسان عضوا في الديوان إلاّ إذا توفرت فيه الشروط التي ينص عليها القانون ، يجب أن يبرهن عن خبرة ومقدرة، وأن يكون قد عمل في الجيوش البرية والبحرية، ولذلك فإن جميع أعضاء الديوان يكونون متقدمين في السن"[4].

2– الديوان العام :

يضم حوالي سبعمائة شخص،أغلبهم من الجيش،والبقية هم من أعضاء الحكومة ،وضباط البحرية وشواش الداي[5]، العلماء، الأعيان ، نقيب الأشراف[6].

ويشير أبو القاسم سعد الله عن نظام الحكم الذي كان سائدا في الجزائر :" فهناك من يقول: إن الجزائر كانت جمهورية عسكرية،يعين رئيسها بواسطة الانتخاب[1] ، ويذكر آخرون أنها كانت مملكة[2].

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق، ص ص52–53.

[2]– عائشة غطاس: النظم الإدارية المركزية، المرجع السابق، ص ص 116–117.

[3]– صالح عباد: المرجع السابق، ص 280.

[4]– حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تعريب وتح: محمد العربي الزبيري، م. و.ك، الجزائر، 1975، ص ص64–65.

[5] –وهم أصحاب الوظائف الثانوية ذات الطابع الخدماتي والاجتماعي، وقد بلغ عددهم حوالي اثني عشر شاوشا، عرف كل منهم بحسب الوظيفة التي يتقلدها داخل قصر الداي أوخارجه، ينظر: ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص184.

[6]– صالح عباد : المرجع السابق، ص ص 280–281.

والواقع أنها لم تكن هذه ولا تلك ، وانما كانت تحت حكم بنظام من نوع خاص لم يعرف في أي بلد آخر ، يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية، وانه كان حكما جماعيا شوريا في القمة ، وفرديا مطلقا في القاعدة "[3] .وذلك يظهر من خلال لجوء الحكام للعلماء في حل المشاكل ، وأما الصبغة العسكرية فتتمثل في الديوان الذي بيده الحل والعقد والمتكون من العسكريين[4].

ومن طرق الوصول إلى منصب الداي طريقة العهد والتعيين ، حيث يعين خليفة له، شريطة أن ينال هذا الأخير موافقة أعضاء الديوان أو بطريقة الانتخاب،وتتم في الظروف العادية، أي عند انتقال السلطة بهدوء، فبمجرد وفاة الباشا يعقد الديوان اجتماعا طارئا، يذيع خبر وفاة الداي في كل أرجاء مدينة الجزائر وهكذا يتوجه الجنود المتواجدون في المدينة إلى قصر الجنينة[5] لانتخاب حاكم جديد للإيالة، والذي من المفترض أن يكون من بين أهم موظفي الحكومة، غير أنّ هذا التقليد لم يحترم في كل الحالات، فكان بإمكان أي جندي أن يتولى المنصب إذا تحصل على مساندة الأغلبية، ولهذا كان المترشح يتقدم أمام الآغا (القائد الأعلى الجيش)[6].

ب– التقسيم الإداري:

يرجع التقسيم الإداري إلى حسن بن خير الدين ، الذي قسم الجزائر إلى أربع بايلكات، وهي:

1– دار السلطان: يرأسها الداي، وتشمل الجزائر العاصمة وماجاورها ، تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ، ومن الساحل شمالا، إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا[7].

2–بايلك التيطري: تأسّس سنة 1548م، وهو من أصغر البيالك، عاصمته المدية ، يحده شمالا دار السلطان، من الشرق متطقة الزاب،ومن الجنوب الجريد ومن الغرب معسكر[1].ويبدو أنّ اسم بايلك التيطري قد أخذ من اسم الجبل الذي يقع شمال المدية.

---

[1]- De Reynaud Pélissier :**Annales Algériennes**, Paris, 1836 , T1, P16.
[2]- De Paradis Venture : **"Alger au 18e siècle"** in R.A, n ° 41, 1989, P89.
[3]–محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص77.
[4]– المرجع نفسه، ص77.
[5]– يقع قصر الجنينة في أسفل مدينة الجزائر، وكان المقر الرسمي لباشوات الجزائر إلى غاية عام 1817، لما قام الداي علي خوجة بنقل مقر الحكم إلى حصن القصبة في أعالي المدينة.ينظر: محمد بوشنافي:ظاهرة الصراع السياسي..، المرجع السابق، ص30.
[6]– المرجع نفسه، ص24.
[7]– أحمد السليماني: **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**،ط1، مطبعة دحلب ، الجزائر،1994، ص37.

3-بايلك الشرق: عاصمته قسنطينة، وهي أكبر البايلكات مساحة وأكثرها سكانا، وتمتد من الحدود التونسية شرقا إلى بلاد القبائل غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا ، وقد أسس بايلك قسنطينة سنة 1565م[2].

4-بايلك الغرب: تأسّس سنة 970هـ/1563م، تميز بعدم استقرار عاصمته، وأول عاصمة له هي مازونة، ثم معسكر، ثم وهران بعد تحريرها الأول، ثم مستغانم بعد احتلال وهران، وبعد تحريرها نهائيا أصبحت وهران عاصمة بايلك الغرب سنة 1792م[3].

فقد كانت البايلكات الثلاث تحت سلطة الباي الذي يعينه الداي مدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد. وكانت مهمته تتمثل في جمع الضرائب، ودفع الدنوش كل ثلاث سنوات، كما أن الباي هو المسؤول عن الأمن في بايلكه،وقد كان يُرسل إلى الداي عددا من اليولداش سنويا لإخماد الفتن[4]. ولكل بايلك من البايلكات ، أجهزة إدارية متعددة ومتشابهة منها :

– **ديوان الأوجاق:** يتألف من رجال المخزن أو أعضاء الحكومة الذين يحيطون بالباي ويشاركونه في إدارة البايلك ، وهم :

– **القائد الخليفة:** وهو بمثابة نائب الباي، يأخذ مكانه في رحلة الدنوش الصغرى، التي تقدم كل سنة إلى الداي في فصلي الربيع والخريف، وهو المسؤول عن شؤون الأوطان ، ويخضع إليه القواد[5].

– **شيخ القبيلة** : يتم تعيينه من طرف القائد ، بعد استشارة رؤساء الدواوير وحرصا على الأمن يختار من القبيلة ذاتها[6].

– **قائد الدوار:** وهو الذي يشرف على شؤون البلد ، ويرعى مصالح السكان[7].

---

[1]- جميلة ثابت: **دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوربا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية:2010-2011، ص25.

[2]- عبد السلام محمود السامرائي: المرجع السابق، ص61، ينظر: أحمد السليماني: المرجع السابق، ص38.

[3]-صالح عباد: المرجع السابق، ص ص 292-293.ينظر: عائشة غطاس وأخريات: المرجع السابق، ص233.

[4]- محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص 75.

[5]- يحي بوعزيز: **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، ط. خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009،ص48.

[6]- عائشة غطاس وأخريات: النظم الإدارية المركزية، المرجع السابق،ص228.

[7]- أحمد السليماني: المرجع السابق، ص 40.

ج-القوى المحلية في الجزائر:

كان الباي هو ممثل السلطة العثمانية في الأرياف، وفي التعامل مع القبائل عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين ، لأن الزعيم هو رمز القبيلة وممثلها، وهو الوسيط بين السلطة والسكان في جمع الضرائب وفي ضمان ولائهم لها[1].

وفي إطار التنظيم الاداري للقبائل المخزنية وكسب ولائها ، قام العثمانيون بوضع قيادة على رأس كل قبيلة ، وذلك حسب قوة كل واحدة منها؛إذ سمحت للقبائل القوية بتعيين واختيار قادتها بنفسها[2] .و هناك ثلاث أنواع من القبائل وهي : القبائل الممتنعة التي تتمرد في بعض الأحيان، خاصة في فترات انشغال السلطة العثمانية بمشاكلها الداخلية والخارجية ، والقبائل المحلية التي كانت تحت سلطة العثمانيين ، فمنها من كانت قبائل الرعية ومنها قبائل المخزن.كما كانت هناك قبائل لاتنتمي إلى نفس الأصل، بل شكّلها العثمانيون من الإنكشاريين والغرباء، والعبيد الذين تم تحريرهم، ووزعت عليهم أراض فلاحية نظير خدمة العثمانيين[3] .

أما عن تعامل الدولة العثمانية مع القبائل ، فقد اتبعت في بعض الأحيان اللين من أجل كسب ودّها القبائل تفاديا للدخول معها في صراعات لضمان ولائها وطاعتها ، وأحيانا بالحذر، وأحيانا بالعنف ، إذ شنت حملات تأديبية على القبائل المتمردة بسبب قيامها بأعمال منافية للنظام العام من أجل إخضاعها. وأحيانا أخرى بزرع الفتن بين القبائل[4].

تعدّ قبائل المخزن ممثلة السلطة العثمانية مع السكان المحليين ، وهناك نوعان من قبائل المخزن قبائل: ذات طابع عسكري تساهم كجيش احتياطي متطوع، وتجمع الضرائب وتعاقب المتمردين عن الحكم، و قبائل ذات طابع فلاحي، تهتم بالفلاحة وتربية الخيول، غير مسلحة [5].

---

[1]- خديجة دوبالي: "**العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق**"، في مجلة الحوار المتوسطي، ع 3-4، سيدي بلعباس،2010، ص13.

[2]- محمد السعيد عقيب، عمر لمقدم: "**قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)**"، في مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ، مج7، عدد2، 2018، ص111.

[3]- حنيفي هلايلي: **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني** ،ط1، دار الهدى ، الجزائر، 2007 ، ص 85.

[4]- خديجة دوبالي: المرجع السابق، ص13.

[5]- محمد السعيد عقيب، عمر لمقدم : المرجع السابق ، ص 109.

وكانت قبائل المخزن تسهر على مصالح البايلك، والقوة الفعالة التي يستخدمها الحكام للإبقاء على نفوذهم ،وفي المقابل فهي تحظى ببعض الامتيازات دون بقية سكان الأرياف، حيث تتمتع بالأمان والحماية من طرف البايلكات، وتعفى من المطالب المخزنية والضرائب،إضافة إلى حصولها على منح وتجهيزات، كالسلاح والمؤونة ووسائل النقل من الدولة[1].

أما عن مكان وجودها، فهي تتركز حول الأبراج والحصون التي تقيم بها الحاميات التركية، وبالقرب من الطرق الرئيسية والممرات، فكانت همزة وصل بين السكان والحكام، خاصة مع بداية القرن 12هـ/18م، أين توجهت أنظار العثمانيين للأرياف والمناطق الداخلية مستعملة قبائل المخزن من أجل التحصيل الضريبي من السكان بعد تراجع نشاط القرصنة ، و تناقص عائداتها المالية [2]. مما أدى إلى وقوع انتفاضات، خاصة في نهاية القرن 18 وبداية 19م. وكانت السلطة تقوم بمعاقبة الممتنعين والمعادين لسلطة البايلك، وتتكفل قبائل الرعية بحراسة وتزويد الحصون[3].

بالإضافة إلى مساهمتها في توطيد الحكم العثماني خاصة في بايلك الغرب، ووقفت إلى جانب الحكم العثماني ضدّ توسعات المغرب ، وفي الوقوف في وجه القبائل المتعاونة مع الإسبان[4].

د- المحلة:

أما عن المحلة[5]، فقد ارتبطت بالباي حاكم البايلك، وانقسمت إلى ثلاث محال: الغرب، الشرق، التيطري ، محلة موسمية عادية تخرج مرة في كل سنة إلى المناطق الداخلية والأرياف لجباية الضرائب.وتقوم برحلتين في السنة رحلة الشتاء ورحلة الربيع.وتتشكل المحلة من آغا المحلة، وخليفته وكاهيته ومن بولوكباشي وأودباشي ، وخوجة الذي يكون مسؤولا على كل طلبات المحلة، بالإضافة

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني : تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،المرجع السابق، ص 248.

[2]- حنيفي هلايلي :بنية الجيش ....، المرجع السابق، ص ص 86-87.

[3]- ناصر الدين سعيدوني : تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص247.

[4]- مختار مخفي، عتو بلبروات: "**ركائز الحكم العثماني في الجزائر بين 1520-1830م**"، في المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ، مج1، ع1،سيدي بلعباس،2015، ص312.

[5]- المحلة : جمعها المحال ، وهي الفرقة العسكرية التي تخرج لجمع الضرائب على مستوى البايليك ، وتدوم المحلة ثلاثة أشهر أو أكثر. ينظر: احميدة عميراوي: **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا انموذجا)**،دار الهدى،الجزائر،2003، هامش ص60.

إلى شاويش له صلاحية دفع رواتب وطباخ المحلة ومعاونيه، ومجموعة من اليولداش والفرسان وفي بعض الأحيان يتم الاستعانة بالطوبجي أو المدفعي[1].

أما مدة جباية الضرائب فتصل إلى شهرين في بايلك تيطري، وأربعة أشهر في بايلك الغرب، وستة أشهر في بايلك الشرق. وقد يلتحق بالمحال بعض جند الإنكشارية ، وبعض القبائل والأسر المحلية[2]. أما السلطة المركزية فمقرها دار السلطان بالجزائر العاصمة ،وكانت تتلقى الجبايات كل ثلاث سنوات من البيالك الثلاث ، يستلم فيها الداي المجابي المجمعة في المراكز الثلاث وسُميت بالدنوش[3].

د- التنظيم العسكري:

أدرك العثمانيون ضرورة التكفل والاهتمام بالجيش وتطويره، وذلك من أجل تحقيق الوحدة وإبعاد الخطر الأجنبي، ومواجهة المعارضين والحد من انتشار الفوضى والانقسامات التي كانت تعصف بالإيالة ، وقد اعتمد على تشكيلات عسكرية تختلف من حيث خصائصها العرقية وأصولها الجغرافية. ولقد واجهت الجزائر طيلة الحكم العثماني غارات متتابعة؛إذ لم تقتصر الأخطار التي كانت تهددها على القوى المسيحية، بل واجهت كذلك أطماعا توسعية على الحدود الشرقية والغربية وحتى مؤامرات وانتفاضات داخلية .وأمام تعدّد الأخطار الداخلية والخارجية البرية والبحرية اضطرت حكومة الأيالة إلى بناء قوة عسكرية،وتعزيزها بتحصينات منيعة[4]، الشيء الذي قام به العثمانيون في الأيالة الجزائرية ، وذلك بهدف تقويتها، وتعزيز الأمن وتثبيت أركان الدولة العثمانية،واعتبر الجيش الركيزة الأساسية التي بني عليها نظام الحكم العثماني في الجزائر[5].وينقسم التنظيم العسكري في الجزائر إلى :

---

[1]- أرزقي شويتام : **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830**،ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016 ،ص17.

[2]- داود ميمن :" **ثكنات الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر دراسة تاريخية ومعمارية وفنيية للثكنة العليا** "، في مجلة آثار، جامعة الجزائر، مج 13، ع2 ، هامش ص269.ينظر:صالح عباد:المرجع السابق،ص480.

[3]-دلندة الأرقش وآخرون:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،مركز النشر الجامعي ميدياكوم،المغرب،2003 ، ص135.

[4]- محمد بوشنافي: "**مصادر دراسة التاريخ العسكري لأيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**"، في مجلة الحضارة الإسلامية،مج 9، ع12،جامعة أحمد بن بلة ،وهران ، الجزائر،ص291.

[5]- حنيفي هلايلي:"**أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الانكشاري في مدينة الجزائرخلال الفترة العثمانية**"، في مجلة الحوار المتوسطي ، مج 9، ع3، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر2018، ص61.

1-الجيش البري:

الجيش البري مثلته القوات النظامية من فرق الأوجاق التي يتصدرها الجيش الإنكشاري[1] في الجزائر ، وكان تواجده بالجزائر مع انضمام هذه الأخيرة رسميا إلى الدولة العثمانية سنة 1519م ، عندما طلب خير الدين بربروس من السلطان العثماني سليم الأول بأن يزوّده بألفي جندي انكشاري وسلاح المدفعية البحرية، فأرسل السلطان العثماني إلى الجزائر سنة 926هـ/1520م ألفين من الجنود الانكشاريين الأتراك،وأتبعهم بأربعة ألاف من المتطوعين،وتعدّ بمثابة النواة الأولى للجيش الانكشاري، فقد ضمّ الجيش البري في الجزائر عدّة أعراق[2] من أقاليم الدولة العثمانية الواقعة في آسيا وأوربا وإفريقيا، وجزر البحر المتوسط إلى مدينة الجزائر[3]. وكانت عملية التجنيد، في بداية الحكم العثماني للجزائر، تتم تحت إشراف ونفقة السلطان العثماني، لكن بعد استقلال الجزائر عن الباب العالي سنة 1671م، أجبرت حكومة الجزائر على تحمل جميع نفقات التجنيد[4].

ويتكون الجيش النظامي الانكشاري من فرق المشاة المدفعية "الطوبجية" ، وفرقة السبايهية التي تمثل الفرسان وكانت مهمتها حراسة البايات في البايلكات ، وفي مدينة الجزائر كان قائد هذه الفرقة يعرف بـ" آغا السبايهية" وكان عضوا في الديوان ، إضافة إلى فرقة صغيرة تسمى "صولاق"، وجنودها هم الحرس الخاص بالداي ، يختارون من أقدم جنود الإنكشارية[5].

---

[1]- معناها اللفظي "يجمع" أو "يقطف" و هي عملية جمع الصبية المسيحيين لتربيتهم تربية عسكرية إسلامية بعيدا عن الأهل والوطن، أطلق عليه "بني تشاري "معناها الجيش الجديد ، وترجع أصول هذا التنظيم العسكري إلى عهد السلطان العثماني "أورخان" بن عثمان الأول(1326-1360م) ،الذي أمر بجمع أبناء المسيحيين في البداية قسرا وكان يقتصر على فئة المراهقين، ثم جاء نظام الدوشرمة " الدفشرمة " مايسمى بضريبة الغلمان ، يتم فيه جمع أبناء النصارى ، الذين تتراوح أعمارهم ما بين 10 و 15سنة ،ومع بداية القرن 16م سُمح بانضمام العناصر المسلمة . ينظر: محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني- أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها،** مكتبة صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1954، ص 11.

[2]- وقد أطلق على الموظفين الذين يجمعون المجندين اسم "الدائيات"، ويرأسهم شخص يدعى "الباش دائي" ،كانوا يتمركزون في أهم المدن الرئيسية للدولة العثمانية مثل إزمير، ويقيمون في مبنى يتكون من اثنتين وثلاثين غرفة، يجمع فيه المتطوعون ، ويرسلون إلى أيالة الجزائر.ينظر: محمد بوشنافي:" **تجنيد المتطوعين للجيش الانكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق"**،في مجلة عصور الجديدة، ع13،وهران، الجزائر، 2014،ص129 .

[3]-حنيفي هلايلي:أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الانكشاري ، المرجع السابق، ص61.

[4]- ذهبية بوشيبة: "**الجيش الانكشاري في أيالة الجزائر بين ثنائية المصادر المحلية والاجنبية**"، في مجلة متون ،مج8، ع4،جامعة سعيدة ، 2017، ص364. ينظر أيضا : وليم سبنسر : المرجع السابق، ص 36 .

[5]-حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري ، المرجع السابق، ص35.

كما تمّ تقسيم الأوجاق في الجزائر إلى عدد من الكتائب أو الأورطة البالغ عددها 424والتي تنقسم بدورها إلى السفرات، والسفرة هي الفرقة المشكلة في الغالب من 16جنديا انكشاريا. أما عن رتب الجيش الإنكشاري فكان يترقى عبر درجات ، من اليولداش يترقى إلى رتبة "أسكي يولداش " أي الجندي القديم بعد ثلاث سنوات من الخدمة ، ثم إلى رتبة باش يولداش الذي يشرف على فرقة عسكرية ، ثم يترقى إلى رتبة" أوده باشي " أي ملازم أول ، ويصل بعدها إلى رتبة" بولكباشي " أي نقيب في الجيش، ثم ينتقل إلى "آيا باشي" أي رائد في الجيش ، ثم رتبة "الكاهية "أي عقيد في الجيش، والذي يشرف على مجموعة من الضباط الذين يعينون في قصر الداي ثم إلى رتبة أغا، وهو قائد الجيش[1] . وبعد إحالته على التقاعد يلقب بمنزول أغا"Mansoul Agha" [2].

وكان أغلب جنود الجيش الإنكشاري يسكنون داخل ثكنات، يطلق عليها "دار الإنكشارية " وقد ذكر هايدو أنّ عددها قد بلغ سبع ثكنات في بداية القرن 11هـ /17م منها ،خمس ثكنات في مدينة الجزائر، تضم كل واحدة من أربعمائة إلى خمسمائة رجل ، وثكنتان صغيرتان يسكنها مابين مائتين وثلاثمائة رجل[3].

والجدير بالذكر أنّه مع التهديدات الداخلية وكثرة المخاطر الخارجية اضطر العثمانيون إلى تأسيس جيش احتياطي غير نظامي متكون من قبائل المخزن[4]،والكراغلة[5]،والفرق النظامية منها فرقة

---

[1]- عمر جبري:" **العقيدة العسكرية للجيش العثماني في الجزائر من خلال نظام الدفشرمة أنموذجا 1518–1830**"،في المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج 5، ع9،سيدي بلعباس ، جوان 2019، ص54. ينظر أيضا: ارزقي شويتام: دراسات ووثائق، المرجع السابق، ص ص17-18.

[2]-Shaw: **Voyage dans la régence d'Alger**. Traduit de l'Anglais par J.Mac Carthy, 2ème édition , Editions Bouslama, Tunis, 1980, p91.

[3] - Diego de Haëdo: **Topographie et histoire générale d'Alger**,Traduction: de Monnereau Adrien Berbrugger, 1998,p394.

[4]- يعرفها ناصر الدين سعيدوني إنّها " عبارة عن تجمعات سكانية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية، لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدوار ، وهي لاتعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك، بل هي في واقع الأمر تجمعات سكانية تعميرية..، فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال. هذا وتشكل حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن".ينظر: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 246.

[5]–لغويا في التركية مكونة من كلمتين: كول تطلق على الجندي العثماني ،وأوغلي تعني ولد أو عبد ، ثم أصبحت تطلق في الجزائر على الأبناء الناتجين من زواج الأتراك العثمانيين من النساء الجزائريات.ينظر: EsterhazyWalsin:**Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Librairie de Charles Gosselin, Paris ,1840,P 234.

زواوة، فمثلا في حرب الداي شعبان على المغرب سنة 1692م كان يتكون من 11000جندي انكشاري،و3000صبايحي،و1000خيال عربي، كما كان لهم دور في جباية الضرائب[1].

2- الجيش البحري:

لقي التنظيم البحري عناية خاصة من قبل الأيالة الجزائرية؛ إذ أحدث العثمانيون فرقا من البحارة من ذوي الخبرة في مجال القرصنة، أطلق عليهم طائفة الرياس البحرية، مشكّلة من المسلمين من عدّة مناطق، والأعلاج الذين اعتبرهم هايدو "أتراكا بالوظيفة"[2]. إضافة إلى أقلية من الجزائريين عرب وأمازيغ، وتميز الجيش البحري بالتنظيم المحكم، من حيث ضخامة أسطوله وانضباط رجاله وتنظيمه[3].

أشاد التمقروتي خلال زيارته للجزائر برياس البحر الذين تميزوا بالشجاعة ومعرفتهم بأمور البحر، وتفوقهم على رياس البحر في اسطنبول[4]،والتي استطاعت بفضله حماية سواحلها من الهجمات الخارجية ، وفرض سيطرتها على البحر المتوسط، وتوفير الغنائم وتزويد الخزينة بالعائدات المالية ، لذا فرض رياس البحر سيطرتهم على السلطة خاصة خلال القرنين 16و17م ، فكثيرا ما تمكّن وكيل الحرج من الارتقاء إلى منصب حاكم الأيالة[5].وقد كان الجهاد البحري منظما وله هياكله ومؤسّساته خاصة في عهد الدايات، وأصبح ديوان الرياس مسؤولا عن الشؤون البحرية[6]بعدما كان الديوان العام

[1]- علي الخلاصي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**،ط1، دار الحضارة،الجزائر، 2007، ص112.

[2] -Diego de Haëdo: Topographie,Op.Cit,p503.

[3]-كان وكيل الحرج هو المسؤول الأول عن البحر بمثابة وزير البحرية والشؤون الخارجية ، يعمل تحت إمرته اثنا عشر بلوكباشيا ، ومن أهم الضباط الذين يشرف عليهم "القابودان" هو والقائد الأعلى للأسطول البحري ثم يأتي بعده "ليمان رئيسي"أي قائد الميناء.ينظر:محمد بن جبور"**البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني**"،في مجلة عصور،مج7، ع2،جامعة وهران،2008، ص115، ينظر أيضا: علي خلاصي: المرجع السابق،ص ص 180-181.

[4]- مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**،ط1،ش.و.ن.ت،الجزائر،1981، ص ص60-61.

[5]- عبد الجليل رحموني :"**الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال المجلة الإفريقية**" ،في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية،مج7، ع1، جامعة سيدي بلعباس،2015،ص77، ينظر: حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري، المرجع السابق،ص52.

[6]- محمد بن سعيدان : **الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م**،في مجلة قضايا تاريخية ، ع6، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2017، ص109.

هو الذي ينظر في الشؤون المتعلقة بالقرصنة[1]. وقد كانت القرصنة مؤسّسة خاصة من أجل الربح ، وسفنها إما ملكية لكبار البحارة أو الحكام أو لشركات ذات أسهم يتم فيها توزيع الغنائم، ولمداخيلها الكبيرة لم يعد الاستثمار حكرا على رجال المهنة ، وإنّما أضحى يستوعب مساهمات تجار المدن وميسوريها[2]، كما كانت تستفيد من مساعدات الدولة ، وذلك لأنّ حكام الجزائر كان من مصلحتهم ازدهار القرصنة، لما كانوا يجنوه من آلاف الأسرى ، فالحاكم كان يحصل على ثُمن الغنائم [3]، وقد بلغ عدد سفن الجهاد الجزائرية العاملة سنة 1674 م ثلاث وثلاثين سفينة بعد أن كان عددها مئة سفينة سنة 1624م،وفي سنة 1718م نزل العدد إلى 18 سفينة ليرتفع نسبيا سنة 1724م إلى 24 سفينة[4].وقد أرعب الأسطول الجزائري السفن الأوربية، ويقول دو غرامون : " إنّ رياس الجزائر لانظير لهم في الحرب التي كانوا يخوضونها،فقد أظهروا حماسة لا تتوقف وجسارة كانت تكلل في أغلب الأحيان بالنجاح"[5].

ومن الموانئ التي كانت تستقبل الغنائم التي كانت تغنمها في عرض البحر، ومن الجزر الاسبانية خاصة ، هناك ميناء الجزائر،وكذا ميناء المرسى الكبير بعد تحريره سنة 1090هـ/1708م من قبل الباي مصطفى بوشلاغم،حيث أصبح يستقبل الغنائم كل يوم تقريبا [6].

---

[1]- المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة ، الأساطير والواقع** ،ط1 ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، 2009، ج2،ص 378.

[2]- حسن أميلي : **البحرية العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 16و17م من الريادة إلى التبعية، العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة**، تنسيق: عبد الرحمان المودّن –عبد الرحيم بنحادة،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2003 ، ص103.

[3]- المنور مروش:المرجع السابق،ص 202.

[4]-حسن أميلي : البحرية العثمانية ، المرجع السابق، ص101.

[5]- H.D.De Grammont: Op.Cit, p50.

[6]- رحمونة بليل:" **دور الجهاد البحري في اقتصاد الأيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر**"،في مجلة الحوار المتوسطي ،مج 2، ع1، سيدي بلعباس، ص ص 23-24.

المبحث الثاني:

الواقع السياسي والإداري للمغرب الأقصى(1659-1727م)

1-الواقع السياسي للمغرب الأقصى:

ظهرت الدولة العلوية في الميدان، والمغرب مشّتت من الوجهة الداخلية بين زعماء محليين اقتسموا السلطة فيما بينهم،وبين احتلال خارجي من قبل البرتغال والإسبان والإنجليز، فأعادت وحدة المغاربة وسيادة الدولة إلى سابق عهدهما خاصة في عهد المولى إسماعيل.

أ- بدايات الحكم العلوي للمغرب الأقصى:

وبالفعل فقد خرج من ظهره سلاطين الدولة العلوية، حيث خلف مولاي علي الشريف عدة أبناء منهم مولاي الشريف الملقب بأبي ملاك (ت. 1069هـ/1659م) ، إذ ومع تدهور الأوضاع السياسية وما تبعه من تدهور في جميع الميادين ،عانت منها ربوع المغرب ،ومنها منطقة سجلماسة الواقعة بالجنوب الغربي للمغرب ، والتي كانت تابعة لأبي حسون السملالي أمير سوس، وسائر الجنوب المغربي. بدأت تظهر شخصية مولاي الشريف كزعيم للحركة العلوية في الثلاثينيات من القرن 11هـ/17م الذي كان وجيها في سجلماسة ، فبايعه أهلها سنة 1041هـ/1631م [1]، ثم ساءت العلاقات بينه وبين أبي حسون السملالي،واستحكمت القطيعة بينهما [2].

واللافت للانتباه أنّ بداية هذا الصراع هي بداية للشرعية السياسية للعلويين، حيث قام ابنه المولى محمد بن الشريف(1047-1075 هـ /1640-1664م)، الذي بايعه أهل سجلماسة سنة 1047هـ/1640م بعد أن هزم أبا حسون السملالي أمير سوس الذي أمر عامله بسجلماسة بالقبض على والده مولاي الشريف بن علي الشريف سنة 1047هـ/1637م،وبعث به إليه، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع ولده المولى محمد المال سنة 1051هـ/1641م فعاد إلى سجلماسة [3]، وكان على المولى محمد بن الشريف أن يوحّد المغرب، فتمكّن من السيطرة على الأقاليم الجنوبية ببسط نفوذه على درعة سنة 1640م ، وفتحت أمامه محاور التجارة الصحراوية، و من ثمَّ تمكن من توفير

---

[1]- محمد العمراني: **المغرب زمن العلويين الأوائل** ، ط1، مطابع الرباط نت ، المغرب، 2013، ص31.

[2]- محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي، المصدر السابق، ص424.

[3]- محمد بن عبد السلام الرباطي:تاريخ الضعيف،المصدر السابق، ص8.ينظر: محمد بن عبد العزيز الدباغ:" **شخصية المولى اسماعيل وأثرها في تحقيق أهداف الدولة العلوية** "،في مجلة دعوة الحق، ع308، الرباط ، 1995،ص117.

دخل هام جعله يوجه نظره إلى باقي المناطق المشتتة، فاتجه نحو الدلائيين، ثم توجه محمد الدلائي إلى الجنوب فزحف أين هزم محمد بن الشريف العلوي،وتمكن الدلائيون من الدخول إلى سجلماسة[1]. وبعد انتصارهم على المولى محمد في معركة القاعة سنة 1056هـ/1646م، عُقد على إثرها الصلح بين الطرفين[2]،لكن رغم انتصار الدلائيين إلا أنه أبقى على التوازن بين الطرفين، فحددت مناطق نفوذهما، حيث يكون ما فوق جبل العياشي من الأقاليم الصحراوية لمحمد بن الشريف ،وما فوق للدلائيين؛ بيْد أنّ ذلك التوازن لم يكن إلا مؤقتا،فبعد انسحاب الدلائيين استولى محمد على القصور التابعة للدلائيين،و نجح مولاي محمد بدخول مدينة فاس بمساعدة أهلها الثائرين على الدلائيين، وبايعه هؤلاء، لكنّ الدلائيين نجحوا في طرده من فاس واسترجاعها في 10 شعبان 1059هـ /20 أوت 1649م. و اضطر إلى العودة إلى سجلماسة [3].

ولما أغلق الدلائيون منافذ فاس والشمال، توجهت أنظار مولاي محمد نحو الشرق، من أجل إخضاع الأراضي الشرقية المغربية والغربية الجزائرية ، آملا في الوصول إلى منافذ على البحر على طريق تلمسان، و تمكّن من الاستيلاء على وجدة و ندرومة و تلمسان سنة1060هـ/ 1650م[4]. و أغار على قبائل بني زناتة ،وبني مطهر،وبني سنوس،وبني عامر،و الجعافرة،و الأحرار،وعين ماضي. و كرد فعل قام أحمد باشا بإرسال حملة عسكرية لمواجهة غارات الشريف العلوي انتهت بعقد معاهدة ، تمّ بموجبها تخلّي الجزائر عن أراضي غربي تافنة إلى وادي ملوية لصالح المغرب[5].

أما الجانب السعدي الحاكم في مراكش، فإنّ ضعفه لم يسمح له بالوقوف في وجه محمد الشريف حيث لم يجد الخليفة السعدي محمد الشيخ القوة الكافية لمحاربة العلويين، فعمل على مراسلتهم وردّ عليه المولى محمد الشريف[6]. لكن سقوط الدولة السعدية التي شهدت الضعف في هذه

[1]- دلندة الأرقش وآخرون : المرجع السابق، ص27.

[2]- محمد بن عبد السلام الرباطي: محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف:**تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**،تح:أحمد العماري، دار المأثورات، المغرب، 1988، ،ص12،ينظر:أحمد بن خالد الناصري: االمرجع السابق، ج7، ص ص 16-18.

[3]-أحمد المدغري العلوي: **الأنوار الحسينية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، تح: عبد الكريم الفيلالي، ط1،منشورات وزارة الأنباء، مطبعة فضالة ،المغرب، 1966،ص77.ينظر:محمد المشرفي: **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية** ، دراسة وتح: إدريس بوهليلة،ط1، منشورات وزارة الأوقاف ، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ج1،ص195.

[4]- محمود علي عامر،محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص79.

[5]- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق،ص60.

[6]- أحمد مقلد الغنيمي : المرجع السابق، مج3 ، ص356.

الفترة لم يكن على يد العلويين بل على يد أخوالهم الشابانات[1].و بالتالي اكتفى المولى محمد بمنطقتي سجلماسة و درعة. و في سنة 1069هـ/1659م توفي مولاي الشريف فجدد الناس بيعتهم لابنه محمد[2]. وفي بداية سنة 1074هـ/1663م هاجم المولى محمد بلاد الحياينة بأحواز فاس،وخرب مزارعهم، فاستغاث أهلها بالدلائيين وبايعوا محمد الحاج الدلائي [3].

وفي هذه الفترة ظهر الرشيد أخو محمد الشريف صاحب المطامع السياسية الكبرى الذي لم ترضه مبايعة القوم ،فخرج إلى أرجاء المغرب لكسب تأييد القبائل، حيث أقام في تدغة، ثم سار إلى دمنان ثم إلى جبل آصروا ،وجمع حوله مناصريه، و انتقل إلى الشرق مارا بفاس ،ثم توجه إلى تازا سنة 1074هـ/1663م ، واستقر بها لدى الشيخ أبي عبد الله اللواتي؛ الذي ساعده على قتل اليهودي ابن مشعل، الذي عاث فسادا في المنطقة [4].واستولى على ثروته الضخمة التي كانت معينا له في كسب الأنصار من شرق المغرب[5]. و لما علم المولى محمد الشريف بتزايد قوة أخيه جرت بينهما معركة في أنكاد يوم الجمعة 9 محرم 1075هـ/2أوت 1664م،تمكّن فيها الرشيد من القضاء على أخيه في بداية المعركة،وضم جيشه إلى قواته[6]. وبذلك أصبح الرشيد أكثر قوة ومقدرة على توحيد المغرب.

2– استتاب الأمر وتأسيس الدولة العلوية :

– المولى الرشيد (1075–1082هـ/1664 –1672م):

بعد مقتل المولى محمد، انفرد المولى الرشيد بالحكم، فتولى المملكة بفاس ونواحيها، ووضع هدفه الأول توحيد الدولة العلوية الكبرى فالمغرب لم يخرج بعد من تجزئه الإقليمي، بالإضافة إلى التصدع الذي ظهر بالبيت العلوي .

---

[1]– بعد وفاة محمد الشيخ الأصغر تولى الحكم ابنه العباس سنة 1064هـ/1653م ، ولم يدم حكمه طويلا ، إذ أن أخواله الشبانات حاصروا مراكش، واغتالوه ليحولوا الملك إلى أسرتهم، ونجحوا بعد أن استولى عبد الكريم الشباني الملقب بالحاج كروم الشباني على الملك في مراكش سنة 1069هـ/1659م، ينظر: محمد السيد محمد:العمائر الدينية...، المرجع السابق، ص121.

[2] –محمد بن عبد السلام الرباطي:تاريخ الضعيف ، المصدر السابق، ص101.

[3]– محمد العمراني: المرجع السابق، ص ص 36–37.

[4]– عبد الهادي التازي: "**الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل**"، في مجلة دعوة الحق، ع9،المغرب، 1959، ص ص 31–32.

[5] –محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق ، ص80.

[6]– عبد الكريم بن موسى الريفي: **زهر الأكم**، دراسة وتح: آسيا بنعدادة ،ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992 ، ص124، ينظر:محمد بن عبد السلام الرباطي:تاريخ الضعيف ، المصدر السابق، ص44.

أ- توحيد البلاد و القضاء على التمردات :

اتخذ الرشيد مدينة تازا قاعدة لعملياته الحربية في البداية[1]، فكان عليه القضاء على تمرد ابن أخيه المولى محمد الصغير الذي احتمى بسجلماسة، و أعلن العصيان[2]، ثم خرج بحركته للغرب، و انتصر على الخضر غيلان [3] الذي لاذ بالفرار، ثم استولى الرشيد على مدينة فاس يوم الجمعة الأول من ذي الحجة 1076هـ /4جوان 1666م ،و ذلك بعد محاولات عديدة، ثم غزا أحواز مكناسة ثم انحدر المولى الرشيد مع السهول الأطلسية المغربية لتطويق الدلائيين والحيلولة بينهم ،و بين موانئ الأطلس، حيث تجار الأسلحة الأوربيين[4]. ثم سار إلى تطوان في 2محرم 1078هـ/24جوان1667م ، وفتحها وخلع حاكمها عبد الكريم النقسيس، وسجن آل النقسيس وزج بهم في سجن فاس[5].

وأما عن الدلائيين، فقد كانوا في حالة ضعف،ودارت المعركة الفاصلة بينهم وبين العلويين في سهل بطن الرمان 1079هـ/1668م، حيث هزمهم الرشيد، و ألزم من بقي حيا منهم بالرحيل إلى فاس[6]، ثم قصد مراكش إمارة الشبانات الهلالية و أخذها ، فوجدها بيد أبي بكر بن كروم الحاج الشباني الذي تولى الإمارة بعد وفاة أبيه منذ عشرة أيام ، فقتله مع بعض جماعته[7]، وعين ولد أخيه أحمد بن محرز خليفة له بمراكش، وزوجه بنت السلطان السعدي العباس بن محمد الشيخ الأصغر بن زيدان [8] ، ثم توجّه إلى أبي حسون السملالي 1081هـ/1670م المتحصن بقلعة إيليغ ،حيث تمكّن

---

[1]- محمد الصغير الإفراني : نزهة الحادي ، المصدر السابق،ص427.ينظر: زبيب نجيب : **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ط1،دار الأمير للثقافة والعلوم ، لبنان ،1995،ص92.

[2]- دلندة الارقش: المرجع السابق، ص28.

[3]- من قبيلة بني قرفط التي تسكن بين العرائش و تطوان كان من أكبر مساعدي المجاهد العياشي، والمقدم الغزاة في بلاد الهبط، و في عام 1063هـ/1652م انقض على مدينة القصر الكبير، و قتل فيها عليا بن أحمد الذي اغتال العياشي و حارب الشراقة و انضم إليه كل المفاوضين الدلائيين ،وكانت حاضرته هي القصر الكبير، و امتد نفوذه إلى الأراضي بين طنجة وسبتة وبين تطوان وشفشاون. ينظر:محمد حجي:الزاوية الدلائية..، المرجع السابق ، ص217.

[4] -عبد الكريم كريم : المرجع السابق،ص363.

[5]- محمد بن عبد السلام الرباطي:المصدر السابق،ص47.ينظر: محمد حجي:**علاقة تطوان بالمخزن خلال القرن 11هـ/17م (1012-1084هـ/1603-1673م)**،ضمن أعمال ندوة تطوان خلال القرنين16و17م، ع5،المغرب،1995، ص23.

[6]- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق،ج3، ص213.

[7]- عبد الرحمان بن زيدان: اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة أخبار مكناس ،المرجع السابق، ج4،ص68.

[8]- محمد العمراني: المرجع السابق، ص43.

الرشيد من الإيقاع به، والاستيلاء على تارودانت. بذلك أعلنت بلاد سوس الطاعة سنة 1081هـ/ 1670م[1]،كما انتهت سلطة أندلسي سلا والرباط سنة 1668م، وأدمجوا بصفة نهائية تحت سلطة الرشيد[2].وبالتالي تمكن من بسط نفوذه، حيث سيطر على فاس،و تافيلالت،و تارودانت ومراكش [3].

و أعاد المولى الرشيد للمغرب وحدته الداخلية بعد حروب استمرت سبعة أعوام، فحقق بذلك وحدة الصف الداخلي كمرحلة أساسية للانطلاق. وبعد جهود المولى الرشيد توفي بمراكش أثناء ركوبه لفرسه، فأصابه غصن شجرة في رأسه،ووقع فمات في 11ذي الحجة 1082هـ/09أفريل 1672م[4].

ب- المولى إسماعيل وتوطيده الحكم :

بعد وفاة المولى الرشيد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العلوية، فتولى فيها الحكم المولى إسماعيل[5]، خلفا لأخيه على بلاد المغرب، واتخذ من مكناس عاصمة له[6]، فاجتمع الناس هناك، واتفقوا على أنه أهل للبيعة فبايعه علماؤها من بين أربعة وثمانين ابنا للمولى علي بن الشريف[7].

وقد قام المولى إسماعيل بإنجاز الكثير من الأعمال، وذلك بتنظيمه للجيش وإقراره للأمن، واهتمامه الكبير بتوثيق العلائق الدبلوماسية بين المغرب وجميع الدول الأجنبية ،وقد قضى في حكمه ما ينيف على خمسين سنة، استطاع من خلالها إنقاذ البلاد، بل أكثر من ذلك فقد عادت إلى سالف ازدهارها وقوتها، كما كانت.

وقال عنه صاحب المثاني :« أحيا الله بالإمام مولاي إسماعيل ... وأخمد به الفتن بعد تأجج نارها، وأحيا به المعالي بعد الأخذ بثأرها، وبسط له اليد على رعيته فعلت أقداره، ولاحت في آفاق الدنيا شموسه وأقماره، وتكاملت في الحسن أنجاد المغرب وأغواره، وشمخ فيه ملكه، فدار بالنصر ...»[1]

---

[1]-أ. أرثموت : **تاريخ إفريقيا العام** ، 10ج ،ط2، بقلم :محمد الفاسي ، المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1990،ج3،ص259.

[2]- محمد قشتيليو: **حياة الموريسكيون الأخيرة باسبانيا ودورهم خارجها**،ط1،مطابع الشويخ، المغرب،2001،ص42.

[3]- جلال يحي: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1983،ص13.

[4]- أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق،ج7،ص39.

[5]- بويع يوم 16 ذي الحجة 1082 هـ /14أفريل 1672 م، وهو يبلغ من العمر 26 عاما. وتوفي يوم السبت 28 رجب 1139 هـ / 21 مارس 1727م ، ودفن بضريح الشيخ المجذوب بمكناس بعد أن عمر 83 عاما.ينظر: بطرس البستاني و آخرون :**المنجد في الأعلام**، ط2،دار المشرق ، لبنان،1969، ص29.

[6]- أبو القاسم الزياني : **الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب** ،ط1، مطبعة الجمهورية،باريس،1886، ص 15.

[7]-Eugéne Plantet:**Moulay ismail Empereur du Maroc et la princesse de conti**, paris, 1833, p2.

كما ألهم شاعرا آخر فقال :

مولَاي إسماعيلَ يا شَمْسَ الوَرَى يَا مَنْ جَميعُ الكَائِنَاتِ فِدًى لَهُ[2]

ج- قمع الثورات الداخلية :

تميز عهد المولى إسماعيل بسياسة حازمة وقوية لمواجهة التحديات،والأخطار المحدقة بالبلاد، وبتسيير الأمور بنفسه حتى يتمكن من فرض الاستقرار ،وما يدل على حزمه وجدته اهتمامه بالجيش لمواجهة التمرد الإقليمي،وتوطيد مركزية السلطة، فقضى 25 سنة الأولى من عهده في قمع الثورات وأهمها: القضاء على ثورة مراكش، والتي كانت من تدبير ابن أخيه المولى أحمد بن محرز[3].كما واجه المولى إسماعيل ثورة في فاس، فقاتلهم إلى أن أذعنوا من جديد إلى طاعته ثم عفا عنهم[4].

وقام أيضا بالتوغل قي تافيلالت،ونقل قبائل الشابانات إلى جهة وجدة وأدبها[5]،كما تمكّن من إخماد ثورة الأطلس والمتمثلة في ثورة الدلائيين ، مما جعل المولى إسماعيل يتولى قيادة الجيش بنفسه، هذا وقد عمل على تجريد القبائل من السلاح و الخيل، وهكذا تمكن من إخماد ثورة الأطلس[6]. وجابه المولى إسماعيل في الشمال غيلان و أسرة النقيسس اللذين لقيا تشجيعا من الأتراك ، واستطاع القضاء عليهما سنة 1084هـ/ 1673م[7]. ليتوجه بعد ذلك لاخماده ثورة ابنه محمد العالم بسوس عام 1083هـ/1672م، فحاربه إلى أن ألقى عليه القبض 1116هـ/1704م فنفذ فيه الحد و قطع يده و رجله من خلاف، و أدى ذلك إلى موته في اليوم الموالي[8] .كما توسّع في الجنوب، حيث أعاد السلطان المولى إسماعيل بجيشه الصحراء الكبرى و السودان إلى الحكم.

---

[1]–محمد بن الطيب القادري : المصدر السابق ،ص1703.

[2]–عبد الله كنون : **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2،منتدى التراث المغربي والأندلسي،المغرب ،1960،ج1، ص270.

[3]– عزيز سامح ألتر:المرجع السابق، ص440.

[4]– عبد الرحمان بن زيدان: **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،تح: عبد الهادي التازي،ط1،مطبعة إديال،الدار البيضاء ،1993، ص215.

[5]– شارل أندري جوليان: المرجع السابق،ج2،ص294.

[6]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، المرجع السابق،ج7،ص67.

[7]– محمد داود : **مختصر تاريخ تطوان** ،ط2،مط المهدية،تطوان ،المغرب،1995، ص56.

[8]–عبد اللطيف الخطيب:"**الثغورالأسيرة وجهاد المولى اسماعيل لتحريرها**"، في مجلة دعوة الحق، ع2،المغرب،1963، ص51.

2- الواقع الإداري في المغرب:

تميز نظام الحكم في العهد العلوي بالنظام الملكي الوراثي، وبوجود حكومة مركزية يرأسها السلطان، تتكون من البلاط الذي هو مقر الحاكم واعتمد المغاربة على:

أ- مبدأ الخلافة:

شكّل السعديون ومن بعدهم العلويين في المغرب خلافة إسلامية خاصة بهم؛بحكم انتمائهم إلى آل البيت[1]، رافضين الخلافة الإسلامية الموجودة في المشرق، وهي خلافة العثمانيين ، ولما جاء العلويون خاصة في عهد المولى إسماعيل أعلن نفسه خليفة للمسلمين، وكانت إشكالية الخلافة هي سبب الصدام بين العلويين والعثمانيين كما سنرى لاحقا.

ب- النسب الشريف :

لقد أدّى النسب الشريف دورا هاما في تولي سلاطين المغرب واعتلائهم الحكم ، وهيمنتهم على مقاليده ، وقد ظهرت هذه الهيمنة بصعود الأشراف السعديين ثم العلويين إلى الحكم[2] ، واعتمادهم على النَّسب كعصبية عِرقية وقبلية، وذلك لعدم انتمائهم إلى قبيلة أو اتحاد قبلي معين[3]، إلا أنّ العلويين دعموا اعتمادهم على الشرف بمشروعهم السياسي الذي يهدف لتوحيد البلاد بعد الفترة التي عاشها المغرب من تجزء وانقسام خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م.

وقد أولى العلويون الاهتمام بالنسب الشريف خارج دائرة الحكم وسط سكان المغرب ، حيث اتسعت في فترة بداية الدولة العلوية ظاهرة تبجيل الأشراف ، الذين يمثلون قمة الهرم الاجتماعي، وكان لهم تأثير ونفوذ كبيران في المجتمع، لذلك عمد المولى الرشيد لتأسيس نقابة الأشراف و التحري

---

[1]- أجمع العديد من العلماء على أنّه من شروط الخلافة الانتماء لقريش ، لكن هناك من أنكر ذلك ومنهم عبد الرحمان ابن خلدون واعتبر أنّ إجماع الأمة على هذا الشرط كان ظرفيا وتاريخيا، ينظر: عبد اللطيف أكنوش : **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**،ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، ص40.

[2]- محمد الشقير : **تطور الدولة في المغرب ، إشكالية التكوين و التمركز و الهيمنة ، من القرن 3 ق.م حتى القرن 20م**، ط1،مطابع إفريقيا الشرق، المغرب ، 2006، ص234.

[3]- دلندة الأرقش وآخرون: المرجع السابق، ص 144.

عن صحة النسب،بعد إدعاء الكثيرين منهم بالانتساب للتصوف،وسار على نهجه أخوه المولى إسماعيل[1]، وحظيى الأشراف في عهده بمكانة خاصة وحصلوا على امتيازات كثيرة[2].

ج-مجلس الديوان:

ورث العلويون مجلس الديوان عن السعديين، والذي استُحدث منذ عهد أحمد المنصور ، وفي عهد المولى إسماعيل أقام هذا الديوان في مكناس التي اتخذها عاصمة جديدة له ، استقطب الجمهور والوفود، ودواوين أعضاء الحكومة والكتاب إليه، وهو أيضا مكان لانعقاد الجلسات الخاصة مع كبار المسؤولين والمستشارين، ليتناول أمور الدولة السياسية والعسكرية والقضائية، وحتى الأحكام الدينية لبعض القضايا السياسية، ويمثل السلطة العليا في البلاد [3].وهو بمثابة مؤسسة استشارية ، يتكون من أصحاب الرأي،والمشورة،والقادة، وحُدد بأيام معينة[4].

وتتكون الهيئة الحاكمة من رجال سياسيين وقادة عسكريين ، يمثلهم الوزراء، والذين كانوا دائما ذوي ثقافة دينية وأدبية، إضافة إلى مساعدين لهم مكلّفين عادة بالكتابة، أو القيام بسفارات، وهم أيضا على درجة كبيرة من العلم والثقافة، ولعل أهم من اشتهر بخدمة الملوك العلويين هم: أبو علي اليوسي،الوزير المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني، أبوحفص عمر الحراق الحسني، عبد الله بن حمدون الروسي (ت.1721/1133م) الذي تولى مظالم وجباية فاس[5].

كما أنّ رتبة الكاتب في العهد العلوي، لم تكن تقل أهمية عن رتبة الوزير والحاجب، ويعتبر الكُتاب من أعضاء الديوان الملكي، ومن أبرزهم في عهد الدولة العلوية:أبو علي اليوسي،وأصحاب المشورة من العلماء ،وصاحب المظالم ، أما الحاجب فقد كان على اتصال دائم بالبلاط، ويطلق عليه

---

[1]- وهناك ديوان يسمى بالديوان الإسماعيلي يميز فيه بين الأشراف والمتشرفة ، والجدير بالذكر أنّ المنصور السعدي قد سبق العلويين في التحقيق في النسب بالمغرب ، ينظر : أبو الربيع سليمان الحوات: **السر الظاهر فيمن احرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر**، دراسة وتح: حسن بلحبيب،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2019، هامش ص80.

[2]- محمد العمراني: المرجع السابق، ص ص 209-210.

[3]- شوقي عطاالله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس ، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،1977،ص191، ينظر أيضا: إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص373.

[4]- فمثلا يذكر صاحب مناهل الصفا أنّه في عهد المنصور:"وحمدت طريقته تقسيم زمانه إلى أيام الديوان وهي التي جلس فيها للجمهور والوفود وأحكام الجند ومناولة أمور المملكة بالنقض والإبرام وخصّ، بذلك يوم السبت والاثنين والأربعاء". ينظر: عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق ، ص205.

[5]- محمد حجي: **متنوعات محمد حجي**،ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1998، ص92.

لقب "المزوار "[1]. ويضم الديوان منصب المفتي ، الذي استحدثه السعديون في عهد محمد الشيخ سنة 958هـ/1551م،تأثرا بالعثمانيين في الجزائر،واستمر هذا المنصب لعهد العلويين.

كما ورث العلويون عن السعديين ما أخذوه من الأتراك، ونقصد بذلك طريقة ختم الرسائل وتوقيعها باليد وبالطابع [2]. وابتكر المنصور طريقة خاصة يكتب بها الرسائل السرية، وذلك بإحداث حروف خاصة يقابل كل منها أحد حروف الهجاء العربية، فكانت إذا ضاعت الرسالة لا أحد يعرف معناها، وبهذه الطريقة حافظ على أسرار الدولة ، وقد استعملت الدولة العلوية الأشكال السرية لتنفيذ خططها ومناهجها، كالرسالة التي أرسلها محمد ابن الشريف العلوي لحاكم الجزائر ، وقد اعتبرها أنها لاتختلف عن تأليف البوني" الأنماط " [3].

أما الألقاب الدبلوماسية التي كانت تستعمل في رسائل المولى إسماعيل مع الدول توصف بعبارة خديمنا الأكبر الأعز، أو الإنباشدور ، السفير[4].

د- نظام التشريفات والاستقبالات:

ورث العلويون عن السعديين هذا النظام ، والذي كان يشبه إلى حد كبير التقاليد العثمانية، فتقبيل الأرض مثلا كان دليلا على الخضوع والطاعة. ومرافقة الحرس للسلطان العلوي في خرجاته وكان يصطحب عدة موظفين وشخصيات، ويودع الطلبة والعلماء مثل ما يفعل العثمانيون،كما تُنظم الاحتفالات الملكية من طرف الموظفين السامين في القصر[5].

---

[1]- المزوار: لفظ بربري بمعنى الأول، واستعمل كثيرا في رئيس الجماعة كنقيب الأشراف، ورئيس المؤذنين وموقتهم، ينظر: محمد العربي بن يوسف الفاسي: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تح:محمد حمزة بن علي الكتاني،ط8، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2001، ص 45.

[2]- عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، المرجع السابق، ج1، ص106.

[3]- عبد الهادي التازي: **الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ**،ط1،مطبعة المعارف ، الرباط ،1983 ، ص42.

[4]- جلول بن قومار: **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي(1578-1603م/1672-1727م) دراسة مقارنة**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث،قسم العلوم الإنسانية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة غرداية، السنة الجامعية: 2015-2016، ص ص153-154.

[5]- ابن أبي الدينار القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**،تح: محمد شمام ، ط3، دار المسير، بيروت، 1993، ص328.

هـ – البيعة:

اعتمد نظام الحكم العلوي في المغرب كغيره من الأسر الحاكمة السابقة على المبايعة وفق الأحكام الشرعية المعروفة في التشريع[1]،والبَيعة هي ميثاق الولاء للنظام السياسي الإسلامي أو الخلافة الإسلامية، والالتزام بجماعة المسلمين والطاعة لإمامهم، فهي ميثاق إنساني وديني واجب على كل فرد مسلم، يتأسس على رؤية عقدية ويتضمن ثلاثة أطراف وهي: الخليفة نفسه، والقائمين بِالبَيْعَةِ ، وَالمبَايَعُ عَلَيْه هو الشريعة الإسلامية[2].

ويذكر أكنسوس في بداية كتابه " الجيش العرمرم" :إنّ المبايعة راجعة إلى اختيار أهل الحل والعقد فعليهم يتعين نصب الإمام، ويتعين على الناس جميعا طاعته، فليس لأحد أن يقول أنا لم أبايعه ولم أحضر بيعته، فإن المعتبر إنما هو متابعة أهل الحل والعقد، ولو انحصروا في شخص واحد"[3].

وبالتالي فإنّ البيعة هي التي بها ينعقد الأمر للإمام أو السلطان، وهي العقد الذي يخول للمبايع له مباشرة السلطة على عموم أهل المنطقة المبايعة، وبالتالي تتيح له تعيين العمال والقضاة،ومن إليهم.

فالبيعة هي عقد بين السلطة وأهل الحل والعقد الممثلين للأهالي ، وكانت البيعة كتابية ؛إذ كانت كل القبائل تكتب بيعتها وتساهم في عملية من سيشغل منصب السلطان في المغرب [4].وفي العهد العلوي ، استطاع المولى محمد بن الشريف العلوي الحصول على البيعة مرتين ، الأولى بويع في حياة والده سنة 1050هـ/1640م ، أما الثانية والتي بايعه فيها سكان الأقاليم الصحراوية بعد وفاة والده سنة 1069هـ/1659م [5].

يُذكر أنّ المولى إسماعيل وصل إلى الحكم عن جدارة واستحقاق بطريقة مشروعة ؛حيث لم يقم أحد بالنقض أو التمرد على البيعة طمعا في السلطة ، ماعدا اعتراض أهل مراكش لكن سرعان ما

---

[1]–محمد الفلاح العلوي:" **البيعة في نظام الحكم بالمغرب: الجذور والامتدادات**"،في مجلة دعوة الحق، ع 353،المغرب، 2000، ص51.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**،ط2، الشركة التونسية للتوزيع،تونس ،1985، ص 212.

[3]– محمد بن أحمد اكنسوس المراكشي: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي** ،تح: أحمد بن يوسف الكنسوسي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش ، 1994،ج1،ص29.

[4]– عبد الحميد هنية : **بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها في الفترة الحديثة مابين القرنين 17و18م دراسة مقارنة** ، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت ، 2013، ص 5.

[5]– محمد العمراني: المرجع السابق، ص36.

أخضعها[1]. والجدير بالذكر أنّ المولى إسماعيل كان قبل توليه الحكم واليا على فاس، حيث عينه الرشيد واليا على فاس حتى ولي الخلافة بعد وفاة أخيه الرشيد الذي أخذ الحكم من أخيه المولى محمد وجرت بينهما حروبا طاحنة[2].

و- ولاية العهد :

تُعدّ شخصية ولي العهد ثاني رتبة مباشرة بعد الملك، وذلك أنه مرشح لخلافته في حالة غيابه أو وفاته، وعادة ما يكون ولي العهد واليا على إحدى أكبر المقاطعات في المغرب كمدينة فاس وما جاورها،ومن هنا يكون ولاة الأقاليم هم ممثلين للسلطان ، مما جعل الحاكم يحتكر كل الصلاحيات.

ولقد ترك المولى إسماعيل أمر البيعة للأمة تحرجا من تحمل المسؤولية وتبعاتها الدينية الخطيرة ، فلم يرشح لولاية العهد أحدا ، إذ أنه استشار كاتبه القاضي أحمد اليحمدي فيمن يوليه ولاية العهد و صارحه بأنه لايوجد من أولاده من يصلح لهذه المهمة ، فتخلى عن ترشيح أي من الأمراء[3].

ز- تقسيم ولاية المناطق:

عمل السلاطين العلويون ومن كان قبلهم من السلاطين السعديين على تقسيم البلاد على أبنائهم . فقد وضع المولى إسماعيل جهازا حكوميا مركزيا و إقليميا يدير شؤون البلاد تبعا لتعليماته و طبقا لأوامره جعل أولاده ممثلين له بالمناطق التي عيّنهم فيها .وهكذا عقد المولى إسماعيل لابنه المولى أحمد على تادلة ،و لابنه المولى عبد الملك على درعة وابنه المولى محمد المدعو بالعالم على إقليم سوس، و لابنه المأمون الكبير على سجلماسة، و لابنه المولى زيدان على بلاد الشرق[4].

ورغم ما امتازت به حكومة أبنائه من أعمال الطيش و النهب في بعض الأحيان، إلّا أنّهم استطاعوا فرض سلطانهم على الأقاليم التي ولاهم عليها والدهم الذي كان لا يتورع في عزل من ثبت مع حقه أنه ارتكب خطأ ،أو قام بعمل مشين ،كما حدث مع المولى زيدان عندما أغار على العثمانيين في

---

[1]- عبد اللطيف أكنوش : المرجع السابق، ص112.

[2]- عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 2005، ج3،ص9.

[3]-أحمد كافي: **مشاريع الإصلاح السياسي في المغرب في التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار الشكر، مصر، 2013، ص139 ، ينظر : إبراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق، ج3، ص59.

[4]- عبد العزيز بنعبد الله:"**الإصلاح والتجديد في عهد الدولة العلوية**"،في مجلة دعوة الحق، ع116، المغرب1970، ص220.

الجزائر، وكذلك عندما ثار المولى محمد العالم بالسوس، فتسبب في وقائع حربية مهولة هلك في نهايتها في أبشع صورة[1].

ح- المحلة:

تعتبر المحلة من أهم المؤسسات التي ارتكزت عليها السلطة العلوية في المغرب، وهي مؤسسة يشرف عليها الأمير، هدفها تأديب القبائل وردعها ومع وردع الخارجين عن الحكم وجباية الضرائب ، فهي أداة أساسية في تثبيت هيمنة المركز على دواخل البلاد. وكانت تعرف في المغرب الأقصى بالحركة،وقد كثرت في بداية الدولة العلوية، فالمولى إسماعيل لم يمكث سنة واحدة في قصره دون أن يخرج بحركته ، أدخلت عليها عناصر جديدة تكونت من جيش عبيد البخاري[2].

ط- القوى المحلية :

برز العلويون للساحة السياسية في المغرب في فترة كثرت فيها القوى المحلية، سواء أكانت صوفية وجهادية من سملايين ودلائيين ،أو الخضر غيلان والنقسيس في الشمال، أو السلطة السعدية الشريفة في نهاية حكمها ، وقد عمل العلويون على تكوين دولتهم، والقضاء على القوى المحلية معتمدين على نسبهم الشريف، فمثل شرف الانتساب لآل البيت للعلويين سببا من أسباب نجاحهم في تركيز دولتهم ، إلا أن الشرف لوحده لم يُمكنهم من الاستغناء عن القاعدة القبلية المعروفة بقبائل المخزن [3]، وإسناد السلطة للعمال والقياد ، واتضحت معالم السلطة المركزية في عهد المولى إسماعيل ، وتتوفر هذه المناطق على هيئة سياسية، وأخرى عسكرية يعتمد عليها الحاكم في تسيير الإقليم وتدبير شؤونه[4]. وكان هدف المولى إسماعيل استتباب الأمن واستمرارية الدولة ، فسلك تجاه القبائل سياسة متسمة بالذكاء ، كترحيل بعضها إلى جهات أخرى، ومنحها أراض فلاحية، أو نزع سلاحها والسماح للبعض بالاحتفاظ بسلاحها كامتياز خاص،وحملات عنيفة ضد قبائل أخرى[5].وبهذا ضمن السلطان

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله:"الإصلاح والتجديد في عهد الدولة العلوية"،المرجع السابق، ص220.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون : المرجع السابق، ص133.

[3]-هي قبائل معترفة بالسلطة المركزية والتي تقبل بإمدادها بإعانة عسكرية في شكل فرسان، ولكن في المقابل تحصل هذه القبائل على الامتيازات. ينظر: دلندة الأرقش وآخرون : المرجع السابق، ص133.

[4]- زهراء النظام: المرجع السابق، ص355.

[5]- عبد الكبير العلوي المدغري: **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية** ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1989 ، ص41.

عدم تمرد هذه القبائل، ومن القبائل التي قام بتهجيرها المولى الرشيد قبائل الشراقة كبني عامر، وأشجع، ومديونة، وهوارة التي كانت تحت النفوذ العثماني إلى فاس سنة 1081هـ/ 1670م[1].

كما اتبع المولى إسماعيل بعده هذه السياسة خاصة بعد تمرد أهل مراكش و فاس عليه، وساعدوا تمردات البيت العلوي ضده[2]، كما قام المولى إسماعيل بإبعاد الشبانات وزرارة من مراكش إلى فاس ثم إلى وجدة ، وبعد تحرير الثغور ، رحل جيش سوس إلى المهدية [3] ، ورغم استعمال المولى إسماعيل لبعض القبائل ضمن جيشه، إلا أنّه أسس جيشا من العبيد وذلك في محاولة لضمان الاستقلالية عن القبائل.وقد عمل المخزن على تقريب القيادات المحلية، وذلك من خلال الوساطة بينه وبين القبائل ، فقد حرص العلويون على الحيلولة دون قيام قيادة كبرى، ولكن في المقابل نجد المولى إسماعيل قد عيّن في الشمال في مناطق الريف ممثلين محلين للسلطة المركزية، ولقب ممثليه بالعامل أو القائد ، وأطلق عليه لقب "الباشا"، فكان القائد المخزني المحلي هو الممثل الفعلي للسلطة المركزية ، ومن أهم الأسر الحاكمة، أسرة الريفي الحمامي القائدين أحمد وعمر بن حدو اللذين عملا في قيادة إقليم شمال المغرب، ثم عينهما سنة 1084هـ/1673م لقيادة نواة الجيش الريفي الذي جعل على عاتقه مهمة تحرير الثغور المغربية الشمالية المحتلة[4].كما تولت مهمة الباشوية ممثلة ومفوضة السلطان في جمع الضرائب، وكانت تطوان مركزا لها [5].

ك- التنظيم العسكري:

1- الجيش البري المغربي:

كانت بداية الجيش البري في عهد الدولة العلوية مع المولى محمد الأول الذي انطلق من منطقة تافيلات واعتمد على رجالها ثم على قبائل المناطق الشرقية للمغرب في تكوين النواة الأولى لجيشه[6]، ثم

[1]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق، ج3 ،ص 466.

[2]- محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي...، المصدر السابق،ص ص 429-430.

[3]- إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص ص 466-467.

[4]- عبد العزيز السعود:**تطوان في القرن الثامن عشر** ، ط1، منشورات جمعية تطاون أسمير، المغرب ، 2007،ص75.

[5]- البشير أبزراق:" **تمثيل السلطة المركزية والممارسات الاستبدادية:السلطة المحلية في شمال المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل 1672-1727**"، في مجلة سطور، ع1،المغرب ،جانفي 2015، ص ص 80-81.

[6]- مارية دادي: **"ورقة حول شخصية المولى محمد"** ، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وجدة ، 1995، ص18.

تطورت في عهد المولى الرشيد فكون جيشا من قبائل عرب بادية تلمسان ، و عرب أنكاد ، وقبائل المغرب الشرقي جمع فيه بين العرب والأمازيغ و أطلق عليه اسم شراقة أو الشراكة[1].

كما استطاع القضاء على منافسيه زعماء القوى السياسية المستقلة، وأن يوحد المغرب من مراكش إلى وجدة بجيش بلغ عدد 8000من الفرسان، و3200 من المشاة .كما ضمّ إلى جيشه حوالي ألف جندي استعملهم في المدفعية[2].

وفي عهد المولى إسماعيل طوّر الجيش،فبالإضافة إلى الوحدات العسكرية التقليدية لا سيما من القبائل، وبقية الوحدات التي ورثها العلويون عن السعديين ، فقد قام بتحديث جيش عبيد بخارى وجعلهم من أهم الوحدات في جيشه، وقد استلهم المولى إسماعيل في تنظيمه لجيش العبيد ، من تجربة الجيش الإنكشاري عند العثمانيين ؛حيث خضعوا لنظام عسكري واجتماعي صارمين [3]؛ إذ كان يمنعهم من الزواج [4].

كما تفطن إلى مميزات عبيد السودان القديم،أو إفريقيا الغربية[5]، الذين كثر عددهم أيام استيلاء المنصور عليها،إضافة إلى أنه بعد غزو المولى إسماعيل للصحراء، وتخوم السودان عام 1089هـ/ 1678م، جلب معه من وجهته هذه نحو ألفين من الحراطين بأولادهم، فكساهم بمراكش وسلّحهم، وكون منهم جيشا أطلق عليه اسم جيش عبيد البخاري [6]وقد بلغ عددهم ما يقرب من مائة و

---

[1] عبد الرحمان بن زيدان : **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط 1973،ص 14.

[2]- عبد الحق المريني :**الجيش المغربي عبر التاريخ** ،ط5، مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1997، ص95.

[3]- دلندة الأرقش ، المرجع نفسه، ص ص 163-164.

[4]-كمال فيلالي: **تاريخ المغرب الحديث**، ط1، مطبعة الكسندر،الجزائر، 2018، ص209.

[5]- وكان ذلك بمشورة وزيره ابن العياشي؛ إذ أنه عندما كثرت التمردات والفتن ، استشاره من أي قبيلة يتخذ جيشا ، فأشار إليه بغزو السلطان أحمد المنصور للسودان ، وسبيه للعبيد، إلا أنّهم تفرقوا في القبائل ،وعليه بجمعهم فإنهم مملوكون لبيت المال ، ثم جمعهم المولى إسماعيل وضمّهم إلى جيشه، وعُرفوا بعبيد البخاري.ينظر: محمد بن العياشي: **تأسيس الجيش المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل أو جنى الأزهار ونور الإبهار من روض الدواوين المعطار**، تح: عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف،المغرب، 2008،ص ص 5-6.

[6]- وسبب تسميته بهذا الإسم هو إحضار المولى إسماعيل نسخة من صحيح الإمام البخاري وقوله لهم: « أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله (ص)، وشرعه المجموع في هذا الكتاب،فكل ما آمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه، وعليه نقاتل»،وأمرهم أن يحملوا هذه النسخة معهم في حروبه.ينظر:محمد يسف:"**السياسة الأمنية في مغرب المولى إسماعيل**"،في مجلة دعوة الحق، ع298،المغرب،1995، ص202.

خمسين ألفا ،منهم ثمانون ألفا في قلاع المغرب عهد إلى بعضهم حراسة الطرق، و الحفاظ على الأمن عن طريق القلاع التي شيدوها ، وسبعون ألفا للمحلة [1].وقد قام بذلك لإدراكه لما كان من تآلب الجنود البربرية على من تقدّمه من سلاطين المغرب، ويذكر عبد الله العروي :" عدم الثقة في أي جيش يكون مرتبطا بإحدى مكونات المجتمع المغربي ، وهذا يعني أن الجندي غير الوصيف عندما يلبي دعوة أمير البلاد، يبقى في العمق وفيا للقبيلة والزاوية ، وهو يصلح لمواجهة الدخيل أيّا كان،ولايعتمد عليه في مقاتله إخوانه في النسب أو الطريقة "[2]،فأراد أن يتجنّب ذلك [3]؛إذ أراد أن يكون ارتباط الجيش متصلا مباشرة بكيان الدولة، الشيء الذي سيساعده على استقرار الأمن[4].

و اعتمد إلى جانب جيش العبيد على جيش الواديا الذي كان يتكون من ثلاث فرق، فرقة أهل سوس،وفرقة المغافرة، و فرقة الواديا بالإضافة إلى وجود جيش الريف في جيشه[5]،و لما تكاثر عددهم وزعهم إلى فريقين، أرسل أحدهما إلى فاس،و بقي الثاني في الرياض بمكناس[6]. ثم يأتي جيش النار وهو يتألف من المغاربة والأندلسيين، ومن بعض عناصر اللفيف الأجنبي الذين وقعوا في الأسر، أو تطوعوا في صفوف الجيش الإسماعيلي. من وحدات الجيش الإسماعيلي جيش المشاة، بلغ عدده حوالي 25ألف جندي ، جيش الخيالة وبلغ عدده حوالي عشرة آلاف، جيش الرماة الطبجية وتراوح عدده بين 3000و4000 ، يرابط أغلبهم في فاس والمغرب الشرقي ، كما ساهموا في تحرير بعض الثغور من الاحتلال الاسباني، والمخازنية الذين كانوا يشكلون الحرس الملكي ، الذي يشتمل على 4000من العبيد، و300 من الفرسان ، وهناك فرق تتكفل بمهمة تحصين المدن وحراستها [7].

---

[1]- عبد الأحد السبتي: **بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ماقبل الاستعمار** ، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009، ،ص133، ينظر: إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق، ج3،ص218.

[2]- عبد الله العروي: المرجع السابق، ج3، ص498.

[3]- عبد الله الجراري : "**أبو النصر المولى إسماعيل**"، في مجلة دعوة الحق ، ع4، الرباط ،1967، ص 132.

[4]- محمد بن عبد العزيز الدباغ:" **تنظيم جيش البخاري في عهد مولاي اسماعيل**"، في مجلة دعوة الحق، ع203،الرباط، 1980، ص138.

[5]- عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب،المرجع السابق، ج9،ص22.

[6]-محمد الفاسي: المرجع السابق، ص266.

[7]- عبد الحق المريني: الجيش المغربي، المرجع السابق، ص ص 97-98.

واهتم بتزويد جيشه بالأسلحة كالمدافع و البنادق و المنجنيقات، و أقام لأول مرة نظام الشرطة في المدن و الحاميات العسكرية ،كما أنشأ شبكة من الحصون و القلاع في أنحاء المغرب[1]، وقد بلغ عدد القلاع التي بناها ست و سبعين قلعة[2].و ليقمع الثورات قام بتجريد القبائل من السلاح باستثناء آيت يمور والودايا ، و مجاهدي الريف الذين كانوا يحاربون المراكز الإسبانية[3]. ويقول أكنسوس عن سياسة المولى إسماعيل في نزع السلاح والخيل من القبائل : " قد ارتكب السلطان أخف الضررين وأدنى المفسدتين، ...مع أن المطلوب هو تقويتهم بذلك لمقاتلة العدو الكافر"[4].

2- الجيش البحري المغربي:

مع بداية القرن 11هـ/17م بدأت عملية طرد الموريسكيين، والتحق الآلاف منهم بسفن الجهاد البحري، واستقروا في كل من سلا والرباط وتطوان بعد طردهم من قبل الملك الإسباني فليب الثالث ، وقد بدأت عملية طردهم منذ سنة 1609م،وامتدت حتى سنة 1614م، ويقدر عددهم أربعين ألف موريسكيا [5]، ومنهم : الحرناشيون[6]، الأندلسيون المنصرون[7]، و الأندلسيون المتنصرون[8]، الذين تنقلوا للقصبة أيضا، وأُطلق عليها اسم سلا الجديدة[9].

---

[1]-محمد السايح :" **المولى إسماعيل العلوي** "، في مجلة دعوة الحق ،ع2، الرباط ،1959، ص28.

[2]- أحمد الناصري:المرجع السابق، ج7،ص42، ينظر: عبد الأحد السبتي: بين الزطاط وقاطع الطريق ، المرجع السابق،ص 133.

[3]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق،ص91.ينظر :أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص81.

[4]- محمد بن أحمد اكنسوس المراكشي: المصدر السابق، ص78.

[5]-محمد قشتيليو: **محنة الموريسكيين في اسبانيا** ،ط2، مطابع الشويخ ، المغرب،1999،ص28.

[6]- يحظون بتعاطف من قبل الأهالي، لإخلاصهم للعقيدة ومعرفتهم باللغة العربي ، واستطاعوا بفضل ثرواتهم وخبرتهم في الجهاد،وعلاقتهم مع الأوربيين أن يسلحوا السفن ، ويجلبوا إليها التقنيين، وكان مقرهم القصبة، ينظر، محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين16-17**،ط3 ،إفريقيا الشرق، بيروت،1998، ص215.

[7]- هم اللاجئون إلى المنطقة بعادات وتقاليد متزاحمة بين المظاهر الكاثوليكية الإسبانية، والشعور بالانتماء إلى العالم الإسلامي ، وقد وصلوا إلى المغرب متلقبين بأسماء أعجمية وجاهلين للغة العربية ، ومحرومين من كل متاعهم.ينظر:حسن أميلي:**الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق**،ط1، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء ،1997، ص16.

[8]- وهم الأندلسيون الذين رضوا بحكم النصارى وانصهروا داخل المجتمع الكاثوليكي، ومع مرور السنوات أدى هذا إلى فقد لغتهم ودينهم لكنهم أجبروا على مغادرة اسبانيا بعد قرار الطرد، ينظر: محمد حجي : الزاوية الدلائية ، المرجع السابق،ص167.

[9]- عبد الإله الفاسي: **تطور علاقات العدوتين (الرباط – سلا) بالبحر من القرن 17م إلى القرن 19م**،البحر في تاريخ المغرب، تنسيق: رقية بلمقدم، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية، المغرب،(د.ت)،ص225.

أهم مراكز الجهاد البحري في المغرب هي سلا ،وقد برز نشاط السلاويين في مجال القرصنة واشتهروا في أوربا، ويرجع ذلك إلى مركزهم الجغرافي الممتاز، وتفردهم بالعمل من بين سائر القوى الإسلامية في عرض المحيط الأطلسي، الذي أصبح يحتل الدرجة الأولى في المواصلات البحرية العالمية، كما أنّ الاستقرار الأندلسي بها ووصول المطرودين بحقدهم الدفين ،ورغبتهم في الثأر من الإسبان الذين أخرجوهم من ديارهم[1] ، مستفيدين من تمركزهم في أقرب قاعدة بحرية ، كما أنّ مضيق جبل طارق جعلهم يقومون بملاحقة السفن الإسبانية ومفاجأة سواحلها[2]. وقد كانت تمر بالقرب منهم في المحيط الأطلسي مئات السفن من بينها 200سفينة اسبانية تأتي محملة بخيرات أمريكا اللاتينية[3]. وإلى جانب سلا نجد الرباط قد لعبت دورا في الجهاد العلوي، خاصة بعد بناء المولى الرشيد بجانبها قاعدة بحرية، وكان لأسطولها دورا في حركة تحرير الثغور في عهد المولى إسماعيل[4].

ومن أشهر رجال البحر المغاربة :عبد الله ابن عائشة [5]، كما شكل الأعلاج قوة كبيرة في الأسطول المغربي،ومن بينهم الرئيس بيبي قائد أسطول سلا وبلاميثو ، كربيو ، بيلو ، وجانسن الذي أصبح يدعى فيما بعد بالبرنس موراطو، وعهد إليه المولى إسماعيل بقيادة أسطول سلا[6].

---

[1]- كنيث براون: **موجز تاريخ سلا** ، تر: محمد جيدة وأناس لعلو، ط1، مجلة أمل للتاريخ ،الدار البيضاء، 2001 ،ص69.

[2]- حسن أميلي: الجهاد البحري بمصب أبي رقراق،المرجع السابق، ص18.

[3]- حسن أميلي:" **أساطيل القرصنة كانت تشبه القابل النووية**"،في مجلة المؤرخ، ع2، مجلة إلكترونية،2009، ص41.

[4] - عبد الكريم كريم:" **رباط الفتح إحدى العواصم التاريخية للمملكة** "،في مجلة التاريخ العربي،المغرب،1998، ص155.

[5]- هو رئيس البحرية الملكية في المغرب، ولاه السلطان إسماعيل شؤون البحر، وهو من أشهر سفرائه،وهو من أشهر القراصنة، أُسر من قبل الإنجليز سنة 1680م مدة ثلاث سنوات ثمّ أُطلق سراحه ، كما كان له دور في المفاوضات مع لويس الرابع عشر ينظر: إبراهيم حركات :" **ابن عائشة أمير البحر في عهد المولى إسماعيل** "، في مجلة دعوة الحق ، ع4، المغرب، 1969، ص126.

[6]- الصديق بن العربي:"**طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب**"،في مجلة تطوان، ع1،يصدرها مركز الأبحاث المغربية والأندلسية ، المغرب، 1956،ص157.

المبحث الثالث

العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين

هناك العديد من العوامل والمؤثرات التي تحكّمت في تحريك العلائق الجزائرية المغربية خلال فترة حكم الدولة العلوية أو قبلها، ونحاول أن نبحث في هذه العوامل سواء الموروثة أو المستجدة التي تحكمت في توجيه العلاقات.

1- العوامل الموروثة:

أ - العامل الجغرافي:

من خلال دراستنا لأهم الخصائص الجغرافية للبلدين،والتي نجد من خلالها تشابها كبيرا في الجانب الطبيعي، فالجزائر والمغرب كيان واحد متجانس من الناحية الجغرافية وقرب المسافة بينهما أدى إلى نشوء علاقات بينهما .

ب- العامل التاريخي والحضاري :

يكتسي العامل التاريخي دور هام ،ونجد أن الشعوب المغاربية مرتبطة ببعضها البعض خاصة مع بداية الفتوحات الإسلامية ، وانتشار الدين الإسلامي ثم انتشار اللغة العربية ، فمنطقة المغرب العربي تمثل امتدادا جغرافيا موحدا، وكيانا يشترك سكانه في وحدة الجنس، واللغة والدين والتاريخ المشترك[1] ، رغم أنها لم تتوحد سياسيا إلاّ في فترات قليلة، ونموذج تلك الوحدة المغاربية التي تعتبر أهم مشروع وحدوي في تاريخ بلاد المغارب هي دولة الموحدين التي امتدت من (515-668هـ/ 1121-1269م)، وبسقوطها انقسمت بلاد المغارب إلى ثلاث دويلات ، الحفصيون في المغرب الأدنى، والزيانيون في المغرب الأوسط، والمرينيون في المغرب الأقصى، وقد عرفت هذه الكيانات السياسية تناحرا فيما بينها، إلا أنّ الدول الأوربية كان تنظر لها ككتلة متكاملة متناسقة ، وعلى هذا الأساس، نجد أن معظم الحضارات، والهجمات كانت شاملة لكل المنطقة من أجل بسط نفوذها عليهم ، ورد فعل هذه الشعوب في صد الهجومات وتحرير أراضيها[2]، خاصة الجزائر والمغرب ، فشكّلا سيرورة

---

[1]- غيلاني السبتي: **علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، السنة الجامعية : 2010-2011 ، ص36.

[2]- نبيل علي دريس: **الاتحاد المغاربي التعاون المشترك والتقارب الاقتصادي**،ط1،مركز الكتاب الأكاديمي،الأردن، 2017، ص24.

تاريخية حضارية ، تضافرت في تكوينها عناصر الانتماء إلى الدين، والتاريخ المشترك والتطور ضمن مجتمعاته ، تحكمها مقومات الوحدة، والتعاون أكثر من مظاهر الفرقة والتباين [1].

ج- العامل الديني والثقافي:

إنّ الدين هو أساس كيان الأمة ، والممد لشخصيتها، ومنه اقتبست الأمة الإسلامية، وخاصة الجزائر والمغرب مايربط بينها ويقربهما ببعضها [2]، رغم الخلافات بينهما فقد كان للدين الإسلامي دور هام في تحريك العلاقات السياسية من جانب التضامن، والعودة للحوار، ورفض التحالف مع المسيحيين ضد بعضهم البعض . كما تميز البَلدان بوحدة المذهب المالكي إلا أنّ العثمانيين بمجيئهم للجزائر اعتمدوا على المذهب الحنفي كمذهب رسمي ، والذي اعتبره عبد الهادي التازي سببا من أسباب رفض المغاربة للعثمانيين بقوله: "إنّ من عداد الأسباب التي جعلت المغاربة يقاومون المد التركي العثماني نحو بلادهم ، علمهم بأنّ هؤلاء الأتراك يعتنقون مذهبا غير المذهب المالكي الذي ورثوه عن أجدادهم وأسلافهم " [3].

لكنّ هذا الرأي يبدو أنه بعيد؛ فالمذهب الحنفي هو من المذاهب السنية شأنه شأن المذهب المالكي ،إضافة إلّا أنّ العثمانيين لم يفرضوه على السكان ولم يحاولوا نشره في باقي أرجاء بلاد المغارب، ودليل ذلك عدم خروجه عن قصور الحكام والمساجد الخاصة به بالمذهب الحنفي[4].

إنّ القيام بفريضة الحج يمثل رابطة قوية من روابط الوحدة بين أجزاء العالم الإسلامي،ويتجدد كل عام في حياة المسلمين ولقائهم ببعضهم البعض. فكان له دور في التلاقي بين الجزائريين والمغاربة على مستوى محطات الجزائر ، وباقي المحطات سواء على مستوى المغرب الإسلامي أو المشرق الإسلامي وصولا إلى الديار المقدسة، بل إنه في المشرق كانت تضيع الهوية الخاصة بالمغربي والجزائري، وتنعدم الفوارق المكانية ليصبح الوافد إليه من تلك البقاع مغربيا فقط[5].

---

[1]- عبد الله العروي : **مجمل تاريخ المغرب** ، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996،ج3، ص ص 32-33.

[2]- محمد الفاضل بن عاشور: **أعلام الفكر وأركان النهضة بالمغرب العربي**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص23.

[3]- عبد الهادي التازي :" **وثائق لم تنشر عن الصحراء الغربية** "، في مجلة المناهل ، ع49،المغرب،1995، ص22.

[4]- عبد القادر الميلق: **العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر الميلادي – مقاربة سياسية–**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية:2016-2017،ص99.

[5]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص164.

وكما ساد الدين الإسلامي في الجزائر والمغرب سادت اللغة العربية،والتي تمثل لغة القرآن ، وكان العرب هم الذين حملوا لواء نشر الإسلام والدفاع عنه، ومع مرور الزمن حدث انصهار بين العرب والأمازيغ بفضل الحضارة الإسلامية[1]،ومن ذلك يذكر روم لاندو: "إنّ لشعب شمال إفريقيا وحدة حضارية لايمكن أن تُنكر"[2]. فكانت لغة التواصل بين الجزائر والمغرب.

2- العوامل المستجدة:

أ- أثر التواجد الأوربي :

إنّ الموقع الجغرافي للجزائر والمغرب القريب من أوربا جعل عدّة مدن جزائرية تتعرض للاحتلال الإسباني ومدن مغربية أخرى تعرضت أيضا للاحتلال الاسباني والبرتغالي خلال نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م،ورغم تحرير عدد منها، إلا أنّ بعض المدن الساحلية ظلت تحت وطأة الاحتلال ، ففي الجزائر نجد استمرار التواجد الإسباني في وهران والمرسى الكبير ، أما المغرب فكان هناك عدّة سواحل محتلة،ومنها: العرائش،طنجة،سبتة ومليلة ، وقد استطاع المولى إسماعيل تحرير أغلبها ماعدا سبتة ومليلة، وقد كان للأوربيين عامل هام في توجيه العلاقات بين البلدين .

وقد تمكنت الدول المغاربية من الحصول على إمدادات متمثلة في التجهيزات الحربية من قبل الدول الأوربية ،خاصة الإنجليز والهولنديين [3].واستطاع العلويون من خلالها الحصول على السلاح لتوطيد حكمهم، والقضاء على القوى المناوئة لهم [4]، كما امتدت أنظارها للقيام بعدة حملات عسكرية على الجزائر. ومن جهة أخرى حاول الأوربيون خاصة الفرنسيين والإنجليز تأجيج النزاع الجزائري المغربي، من خلال تحريض المغاربة الهجوم على الجزائر. وبوجود الاحتلال الأوربي خاصة الإسباني في بعض سواحل الجزائر والمغرب ،جعل سلاطين الدولة العلوية يحثون العثمانيين على الجهاد لإخراج الإسبان من وهران ، كما أن العثمانيين وجدوا في الثغور المحتلة المغربية من قبل الأوربيين وسيلة لتحويل أنظارهم عن المناطق الغربية للجزائر، منذ بداية حكم الدولة العلوية للمغرب [5].ومن ذلك

---

[1]-بحث من مركز زايد:**إتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية**،الإمارات العربية المتحدة ، 2001،ص16.

[2]- روم لاندو: **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، تر: نقولا زيادة،ط2،دار الثقافة ، بيروت،1963، ص105.

[3]-ب .ج روجرز: المرجع السابق، ينظر: دلندة الأرقش وآخرون: المرجع السابق ،ص 323.

[4]- محمد القبلي : المرجع السابق،ص404.

[5]- محمد المنصور:"**الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة**"، في مجلة دار النيابة، السنة الثانية ، ع5، المغرب، شتاء1985 ، ص27.

رسالتهم للمولى محمد بن الشريف سنة 1654م :" إذا كان غرضكم في الجهاد، فرابطوا على الكفار الذين هم معهم في وسط البلاد" [1].

وجدّدوا النصيحة في عهد المولى إسماعيل من أجل تحرير الثغور المحتلة،مذكرينهم بنسبهم الشريف،وعليهم الاقتداء والعمل بسيرته وضرورة الجهاد بقوله : " أنتم أشراف أهل قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وذريته وأولاد بنته وأحق الناس باتباعه وخدمته وجهاد أعدائه ، فكيف بكم تصبرون على الجهاد وعلى أربعة مدن[2] للنصارى في بركم وبلادكم ولابينكم وبينهم إلا يوم أو يومين "[3].

كما اعتبر الجهاد البحري عاملا مؤثرا للأوربيين في المغرب والجزائر،وذلك من العائدات المالية المنجرة عنها من خلال تحرير الأسرى ، وعقد المعاهدات بين الدول الأوربية والدول المغاربية خاصة الجزائر ودفع الأتاوات والهدايا. ومن خلال توافد الأوربيين إلى منظمة القرصنة من أجل الربح، واعتناقهم الإسلام، الذين أطلق عليهم الأعلاج، وكان عددهم كبيرا ، منهم رياس البحر الذين عملوا بجدارة ، واستطاعوا الوصول إلى الحكم ،كالعلج شعبان آغا، كما ساهم المغامرون البحارة، والأسرى الأوربيون في تطوير الأسطول الجزائري والمغربي، واستيعاب التقنيات البحرية الأوربية[4].

كما عرف البَلدان تواصل انتقال العديد من الأوربيين من اسبانيين وبرتغاليين وإنجليز وفرنسيين وهولنديين وغيرهم خلال النصف الثاني من القرن 11هـ/17م إلى المدن الكبرى للبلدين للزيارة أو الاستقرار فيها خاصة مدينة الجزائر، عنابة ،مراكش، مكناس ، الرباط وغيرها من المدن ، من تجار وأطباء وحرفيين ، قناصلة، رهبان ورحالة ساهموا بدورهم في تغيير نظرة السكان والتأثير عليهم [5].

ب– أثر العناصر الأندلسية المستقرة:

ظلّت بلاد المغارب خاصة الجزائر والمغرب مركز اجتذاب للأندلسيين، قبل وبعد سقوط غرناطة، وكان لهم دور كبير في الجهاد البحري،باعتبارهم من أهم العناصر المكونة للأسطول البحري

---

[1]– أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص27.

[2]–بلغ عدد المدن التي احتلها الأوربيون في المغرب خمس مدن وهي :الجديدة ، العرائش ، سبتة ، مليلية ،طنجة ، ينظر: محمد المنصور: الضغوط العثمانية ، هامش ص32 .

[3]– رسالة من محمد بن حدو أعطار إلى شارل ملك انجلترا ،من أجل تنبيهه إفاده بما أرسله السلطان العثماني للمولى إسماعيل وعرضه تعاون الجزائريين معه من أجل تحرير المدن المغربية ، لحث الانجليز على الانسحاب من طنجة. ينظر:المرجع نفسه، ص29.

[4]– دلندة الأرقش وآخرون: المرجع السابق،ص323.

[5]– المرجع نفسه،ص321.

في الجزائر والمغرب ، كما أدخلوا تقنيات جديدة.وساهموا في صناعة السفن والأسلحة النارية ،كصناعة البنادق [1]، والدفاع عن الجزائر والمغرب، وظهر ذلك من خلال عرقلة المشاريع التوسعية للإسبان خاصة على السواحل المغربية .وقد استطاع الأندلسيون منذ تواجدهم بالسواحل الجزائرية والمغربية ممارسة الجهاد البحري؛ حيث أسّسوا جمهوريات في المغرب الأقصى وأرعبوا شبه الجزيرة الإيبيرية خاصة بعد قرار الطرد النهائي لهم سنة 1609م كما سنرى لاحقا .

ج- أثر التواجد العثماني في الجزائر، والعلوي في المغرب :

إنّ التأزم الكبير الذي تعرضت له منطقة بلاد المغارب بسبب التفكك والتجزؤ اللذين شهدتهما بعد ضعف السلطة الحفصية، والزيانية والمرينية ، والتناحر السياسي ونشوء عدة إمارات ، ما جعل المنطقة تتعرض لحملات عسكرية من شبه الجزيرة الإيبيرية خاصة من إسبانيا ، فتساقطت جل مدن الساحل أهمها وهران، المرسى الكبير ، حصن البنيون بمدينة الجزائر، وبجاية ، عنابة، وفي المغرب الأقصى سقطت سبتة ،مليلية، أصيلا وأزمور وغيرها من المدن [2].

مما أدى إلى وجود قوى جديدة في المنطقة، ففي الجزائر ظهور العثمانيين مع بداية القرن 10هـ/16م ومساهمتهم في تحرير أغلب السواحل التي تعرضت للاحتلال الإسباني، ،ومساهمتهم في إحداث توازن على ضفتي البحر المتوسط بين القوى الأوربية والإسلامية .ولكن تحويل العثمانيين بلاد المغارب إلى إيالات عثمانية ماعدا المغرب ، جعل حكام المغرب السعديون وبعدهم العلويون يرفضون سيطرة العثمانيين على المغرب.

1- التأثيرات السياسية والعسكرية :

ساهم العثمانيون في التأثير على الدول الإسلامية؛إذ نقلوا إلى الجزائر عدّة تنظيمات إدارية وعسكرية ، أخذها عنهم السعديون ثم من جاء بعدهم من العلويين ،وتأثروا بهم رغم رفضهم الدخول تحت حكمهم [3].ومن أهم تأثيرات العثمانيين على الجزائر والمغرب والذي استمر لقرون عديدة خاصة في الجوانب الإدارية والعسكرية.

---

[1]- المنور مروش: المرجع السابق،ج2، ص61.

[2]-أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 -1792**،(د.ط)، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1976، ص 76.

[3]- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ج2، ص105.

أ- في الجوانب الادارية:

بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية ،أصبحت أيالة عثمانية هامة تتمتع بنظام متميز، ووجود إدارة مركزية ، يرأسها الداي، وفي حديثنا عن أهم التأثيرات العثمانية على المغرب والذي كانت أغلب تنظيماتهم الإدارية مقتبسة من العثمانيين ، أخذها السعديون ، وحافظ عليها العلويون الذين جاءوا بعدهم منها :استحداث المغاربة في عهد محمد الشيخ السعدي رتبة المفتي سنة 958هـ/1551م، إقتداء بالعثمانيين في الجزائر ، إلى جانب وجود منصب الديوان في العهد العلوي، والذي عُمل به منذ عهد المنصور كمؤسسة استشارية على غرار العثمانيين ، كما ورث العلويون عن السعديين ما أخذوه من الأتراك طريقة ختم الرسائل وتوقيعها باليد وبالطابع [1]. كما تتجلى التأثيرات العثمانية في طريقة الموكب السلطاني التي اتبعها السعديون ومن جاء بعدهم من السلاطين العلويين، سواء أثناء صلاة العيدين أو إلى المحلة [2].بالإضافة إلى تقسيم المغرب على غرار الجزائر العثمانية إلى أقاليم، على شكل بايلكات كل منها خاضع للسلطة ، فوالي المدينة أو والي مركز قَرَوي كبير يلقب بالباشا ثم الخليفة[3].

ب- التأثيرات العسكرية:

اهتم العثمانيون بتحرير وأمن واستقرار الجزائر،فبنوا جيشا بريا وبحريا بنفس تنظيم الجيش العثماني ، كما رأينا في المبحث الأول ، أما عن تأثير العثمانيين على المغرب، فيتمثل في اقتباس العلويين للكثير من الأنظمة العسكرية المتبعة لدى الانكشارية على غرار جيش السعديين ، من خلال تكوين فرق نظامية من الأعلاج والأندلسيين والسودانيين والأتراك ، واتخاذ نفس الالقاب[4] والرتب العسكرية[5]، مثل رتبة الأدوباشي وتعني الضابط، ورتبة بلكباشي وهو القبطان ، ومنصب الكاهية وهو العقيد، والشاوش وهو ينفذ أوامر السلطان(العون)[6]، وآلات النفخ والأسلحة النارية[1].

---

[1]- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ج2، ص106.

[2]- نور الدين إغوثان :" **الثأثيرات الحضرية العثمانية على المغرب خلال القرن 16م**" ، في مجلة ليكسوس الإلكترونية، ع7، 2016، ص81.

[3]- المرجع نفسه، ص83.

[4]- من بين الألقاب : البياك يقفون لحراسة القبة والفسطاط الملكيين ، السلاق: يقفون خلف البياك ، القبجية : حراس الأبواب وأسوار القصر، الشواش: يتولون ضبط الجيوش، البكباشات: جنود أهل الخيل، قائد النار، ينظر: نفسه، ص82.

[5]- عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ج2، ص106.

[6]- عبد الكريم كريم : المرجع السابق، ص278، ينظر : زهراء النظام : المرجع السابق، ص 360.

لقد اعتمد المغاربة في الجيش على العنصر التركي، وقد بدأ استعماله في عهد محمد الشيخ السعدي وازدادت أهميته في عهد عبد الملك، ومن بعده أحمد المنصور، واستمر استعمال الجنود الأتراك في العهد العلوي. كما كان الملوك السعديون، يتزينون بزي الأتراك، وهذا ابتداء من عهد عبد الملك وبقي زي السلطان حتى العهد العلوي[2]. الذي يتكون من لباس شبيه باللباس العثماني المزخرف ذات السراويل الفضفاضة والصدريات المزركشة [3].

كما قلّد حكام المغرب العثمانيين في تشييد الحصون والأبراج لاستخدام المدافع [4]، فبنى المولى إسماعيل العديد من الحصون، وأهم نظام اقتبس هو نظام المحلة المعروف بالحامية أو الحركة[5].

أما في الجيش البحري ،فقد عمل عدد من البحارة العثمانيين ضمن الأسطول البحري المغربي في سلا وتطوان والرباط ومنهم الرايس أحمد التركي الكوار،والرايس الهاشمي المستغانمي،الرايس محمد المستغانمي. وغيرهم من البحارة الجزائريين الذين جعلوا من المراكز المغربية ملجأ لهم ،واقتبس رتب البحارة من العثمانيين ومن ذلك لقب الرايس ، وباش رايس المعاون ووظيفة رياس عسّة ، الدمانجية ، ووارديانات، وهي ألقاب أسماء لصغار موظفي الأسطول السلاوي في العهد العلوي[6].

إنّ تأثر المغرب بالأنظمة العسكرية العثمانية لاينفي تأجّج الصراع بين العلويين في المغرب والعثمانيين في الجزائر بسبب عوامل تداخلت فيها الجغرافية مع أنظمة الحكم القائمة ، وكانت من عوامل تحريك العلائق السياسة بين البلدين هما:

1- مشكلة الحدود :

لقد كان لمشكلة الحدود[7] دور فاعل في توجيه العلاقات الجزائرية المغربية في الفترة الحديثة ، إذ إنّ الفهم الذي كان سائدا لمسألة الحدود يتميز بالشمولية، ينطلق من فكرة أن الحد الفاصل يعود إلى

---

[1]- عبد العزيز بنعبدالله: **"القوام العسكري في الحضارة المغربية"**، في مجلة المناهل، ع 12، 1978، المغرب، ص167.

[2]- عمار بن خروف: المرجع السابق ،ج2، ص106.

[3]- نور الدين اغوثان: المرجع السابق، ص83.

[4]- عبد الحق المريني: الجيش المغربي عبر التاريخ ، المرجع السابق، ص44.

[5]- نور الدين اغوثان: المرجع السابق، ص83.

[6]- المرجع نفسه،ص ص83-84.

[7]- لغة: الحد وجمعه حدود، وهو الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر، وفصل ما بين شيئين.أما اصطلاحا: فهي الخطوط التي تحدد الأبعاد الجغرافية للدولة ،و تمثل بداية ونهاية إقليمين تابعين لدولتين متجاورتين ،

أبعاده الدينية والثقافية والحضارية، لا البعد الجغرافي، حيث اعتبروا دار الإسلام مجالا جغرافيا وفضاء حضاريا يحق للمسلم أن يستوطن في مختلف جهاته، وأن الحدود لا يمكن أن تكون إلا بين دار الإسلام ودار الحرب[1].

وتعدّ الحدود الدولية ظاهرة حديثة ،ففي الماضي لم يكن الإنسان في حاجة إلى تخطيط الحدود إلا لأهداف عسكرية قصد الحماية لا لتحديد مناطق النفوذ، ثم عرف التخوم التي تمثل مناطق انتقال بين سيادة دولتين متجاورتين، وهي عبارة عن فواصل طبيعية يصعب اجتيازها،إلا من نقاط معينة للمراقبة والدفاع وتحصيل الضرائب.والحدود كظاهرة سياسية لا يمكن التكلم عنها على أساس أنّها حقيقة جغرافية، وضعتها الطبيعة على الخرائط، وعلى أنّها حقيقة ورثها الإنسان الاجتماعي غير قابلة للتعديل والتغيير، بل إنّ خطوط الحدود من تفكير وصناعة الإنسان دفاعا عن حاجته الاستقلالية والتمايزية عن جيرانه[2].

وفي إطار حديثنا عن الجزائر والمغرب فموقعهما المتجاور أدى إلى قيام مشاكل حدودية بينهما، وإن لم تكن هناك حدود مرسومة وثابتة ، بل كان تعيين الحدود واعتمادها واستغلال المجال، والتحكم فيه يخضع لضوابط اجتماعية وللأعراف ،كما هو متعارف عليه بين القبائل ؛ إذ أنّ القبائل الموجودة على الحدود لم تكن تولي اهتماما لمسألة الحد بين البلدين[3]. فهي مسألة جديدة ظهرت في بلاد المغارب، بعد مجيء العثمانيين[4] من أجل حماية الحدود الغربية للجزائر من توسعات حكام المغرب،

والهدف منها تجنب نشوب الصراعات بين الدول.ينظر:جمال الدين بن منظور: **لسان العرب**،ط3،دار صادر، بيروت ،1994 ، مج3، ص140. ينظر أيضا: أحمد إسكندري أحمد:**القانون الدولي العالم، المجال الوطني**، (د.ط)، مطبعة الكاهنة، الجزائر،1998 ،ص10.

[1]- قدور بوزياني: **البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر(ق11/10هـ-17/16م)** ،تنسيق: عبد الرحمان المودن، منشور ب (المغارب في العهد العثماني) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 41 ،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،المغرب، 1995، ص25.

[2]- عبد الوهاب الكيالي وآخرون : **الموسوعة السياسية**،ط1، مطبعة المتوسط،لبنان ،1974، ص312.

[3]-زهراء النظام : المرجع السابق، ص195.

[4] - إلا أنّ الحدود السياسية الفاصلة بمفهومها اليوم هي من وضع الاستعمار ، وفي ذلك يقول أحمد طرابين عن الحدود :" لم يضعها العثمانيون بل هي من نتاج الاستعمار ، ذلك أن الوطن العربي قبل العصر الحديث لم يعرف التجزئة بمفهومها الاصطلاحي.."، ينظر: أحمد طرابين: **التجزئة العربية كي تحققت تاريخيا**، د.ط. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، لبنان ، 1987، ص10.

سواء السعديين أو العلويين، وحصرهم ضمن نطاق جغرافي محدد، لايهدد وجودهم نتيجة التوتر وانعدام الثقة بينهما[1].

ومن خلال محاولتهم التوسع في الأراضي الجزائرية والاستلاء على تلمسان ، وفرضهم الطاعة على وجدة ، ودبدو وحجر بادس، مما اضطر السلطان العثماني لإرسال الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي 959هـ/1552م، وكان مقيما في الجزائر، من أجل تحديد الحدود الشرقية إلا أنّ محمد الشيخ رفض، مما دفع العثمانيين لاحتلال حجر بادس[2]. وقد ظلت مشكلة الحدود بين البلدين خلال العهدين السعدي والعلوي،خاصة في ظل النزاعات والصراعات على المنطقة الحدودية، وتغير الحد الفاصل بين واد التافنة وواد ملوية[3].

ومع ظهور إمارة العلويين في سجلماسة في المغرب، كرّس المولى محمد العلوي كل جهوده لإخضاع قبائل شرق المغرب، وكذا الحدود الغربية للجزائر مستغلا ضعف السلطة المركزية الجزائرية، حيث اتجه نحو وجدة سنة 1060هـ/1650م[4]،وقام بغزو الغاسول، وعين ماضي والأغواط، وعاد محملا بالغنائم ولم تسلم منه غير قبائل سويد وحصين التي فرت إلى بني راشد[5]، وتوسعت غارات محمد الشريف إلى منطقة توات وأوقروت[6].

وكان على العثمانيين اتخاذ موقف حيال ذلك ،فأوفدوا سفارة للمولى محمد الشريف في 16 رجب 1064هـ/ 1جوان 1654م، ولجأوا إلى مسألة الحدود في محاولة لاستدراجه، والحيلولة دون ماقد تفرزه تحرّكاته العسكرية من أحداث ومخاطر تهدد كيانهم[7] ، وأعطاهم عهدا بأن لايتجاوز واد التافنا ، وقبل الصلح معهم بعد أن وفدوا إليه مرتين إلى سجلماسة ، فتحصّلوا على تعهد مكتوب يقضي بتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب ، وعدم مهاجمتهم[8] .

---

[1] – برابح الشيخ:"**التطور التاريخي للحدود**" ، في مجلة دراسات وأبحاث ، ع27 ، الجلفة، الجزائر، جوان 2017،ص26.

[2]– أحمد البوعياشي:" **بحث تاريخي عن الاحتلال الجائر لجزيرة بادس**" ، في مجلة دعوة الحق، ع 166، المغرب، ص169.

[3]– حسن شحاتة: المرجع السابق، ص133.

[4]– المرجع نفسه، ص 375.

[5]– عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق،ج4، ص96.

[6]–محمد بنشريفة:" **ملامح من شخصية محمد الأول**"، في مجلة دعوة الحق ، ع 258، المغرب،أوت 1986، ص18.

[7]– قدور بوزياني: المرجع السابق، ص34.

[8]– المرجع نفسه، ص34.

وقد اعتبر العثمانيون الصلح بينهما بمثابة اتفاق حول الحدود ، وكسند قانوني أشهروه في وجه السلاطين العلويين الذين جاءوا بعد المولى محمد ، سواء في عهد الرشيد الذي توسع جنوب الجزائر،ووصل نفوذه إلى مناطق قريبة من الأغواط جنوب الجريد. وذكر الناصري أن هذه المنطقة تعرف بآبار السلطان[1] ، لكن الرشيد نقض المعاهدة سنة 1079هـ/1668م،وأخضع قبيلة بني يزناسن ،واتجه جنوبا وسيطر على فجيج[2].

أما في عهد المولى إسماعيل الذي لم يلتزم بالصلح ورفض قبول واد التافنا حدا فاصلا بينهما فقام بتوجيه ثلاثة حملات عسكرية كما سنرى لاحقا ، في حين ظلت الجبهات الجنوبية الغربية والوسطى بمنأى عن أي تحديد[3]. إذ وجه المولى إسماعيل هجوما على المناطق الصحراوية للجزائر في منطقتي قورارة وتوات سنة1089هـ/1678م. كما وجه حملات على الأراضي الشمالية للجزائر فجرت بينه وبين العثمانيين معركة القويعة سنة 1089هـ/1679م، ولكن القوات العثمانية كانت له بالمرصاد[4]، ثم أعقب ذلك ترسيم الحدود واعتبار وادي التافنة حدا فاصلا بين البلدين سنة 1679م[5].

وتوقفت حملاته على الجزائر ولم تستأنف إلا سنة 1104هـ/1692م ، ثم التفرغ للجيش المغربي وهزيمته في معركة المشارع 1692/1103م ، فنتج عنها إرسال وفد للصلح من قبل المولى إسماعيل[6]، الذي وقع معاهدة صلح في وجدة ، نتج عنها جعل واد ملوية فاصلا بين البلدين[7].

ثم قام المولى اسماعيل بحملة توسعية ووصل إلى جديوية قرب الشلف، لكن الداي مصطفى تصدى له وهزمه في 28 أفريل 1701م ، وبعد الهزيمة طبع على العلاقات المهادنة ، ولكنّ المولى اسماعيل غض الطرف عن فكرة التوسع شرقا عن طريق تلمسان ،وتوجه إلى الجنوب كما سنرى ، لكن ذلك لم يؤثر على وضعية الحدود وظلّ واد ملوية حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب[8].

---

[1]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص43.

[2]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص27.

[3]- قدور بوزياني: المرجع السابق، ص35.

[4]- محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب، المرجع السابق ، ص76.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق،ج3،ص 190.

[6]- محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب، المرجع السابق ، ص80.

[7]- صالح عباد: المرجع السابق، ص147.ينظر: خليفة حماش: المرجع السابق، ج2، ص295.

[8]- جلول المكي:**مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263هـ/1234-1847م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1993، ص118.

2- مناطق التماس:

ومن المناطق الحدودية التي كانت مجالا، للصراع بين العثمانيين والمغرب المجال الممتد من تلمسان إلى وجدة ، فكان الصراع صراعا سياسيا عسكريا وحدوديا ؛ إذ أصبحت مدينة تلمسان جسرا أساسيا في مشكلة النزاع بين العثمانيين وسلاطين المغرب السعديين ثم العلويين بحكم موقعها الاستراتيجي القريب من المغرب ، وعلاقاتها الجيدة مع المغرب بحكم روابطها التجارية مع فاس ، وكذا ميول أهل تلمسان للمغرب[1]. ومن أجل توسيع الحدود في الناحية الشرقية من المغرب، وكثيرة التمرد، فكثيرا ماكان سكان تلمسان في حالة عداء مع العثمانيين كما كانت مدينة تلمسان مركزا لهجرة العديد من الجزائريين من علماء وقبائل ومتصوفة إلى المغرب، وملجأ لعدد من الأمراء المتمردين والناقمين على الحكم السعدي والعلوي [2].

وقد شهدت الجزائر حملات اسبانية على عدّة مدن جزائرية، خاصة من المنطقة الغربية ماجعل تلمسان عاصمة الدولة الزيانية تعيش فترة حرجة وتتحالف مع الإسبان، مما دفع بأبي زيان الاستنجاد بعروج سنة 1517م ضد عمه أبي حمو الثالث عميل الاسبان ،وخوفا من فقدان الزيانيين لحكمهم أمام العثمانيين تحالفوا مع الاسبان ما أدى إلى مقتل عروج سنة 1518م[3].

كما دخل سلاطين المغرب في حلبة الصراع كطرف ثالث [4] ؛إذ كانت تلمسان نقطة صراع بين العثمانيين والسعديين والعلويين ،وعمل سلاطين المغرب سواء السعديين أو العلويين إلى توجيه حملات عسكرية والدخول إليها ، ومن السلاطين السعديين الذي توسعوا في تلمسان محمد الشيخ سنة1550م،بعد الاستنجاد به من قبل المهاجرين التلمسانيين المستقرين بفاس عقب تردّي الأوضاع، كما أنّ أتباع الطريقة الجازولية بتلمسان كانوا مستعدين لمساندته[5].

---

[1]- محمد الخداري: "**تلمسان والعلاقات المغربية العثمانية من القرن 16إلى بداية القرن 19م** "، ذاكرة التكامل ، أعمال مهداة للأستاذين البزاز والتلمساني،المغرب،2014، ص ص107-108.

[2]- المرجع نفسه، ص112.

[3]- بن عتو بلبروات: "**أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني**"، في مجلة الحوار المتوسطي، ع1، سيدي بلعباس، الجزائر،2009، ص74.

[4]- أرزقي شويتام: "**العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية**"، في مجلة الدراسات التاريخية ، ع13،جامعة الجزائر، 2011 ، ص85.

[5]- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ،المرجع السابق،ج 2 ،ص286.

ويعتبر هذا الصراع غير متكافئ بين أسرة السعديين الحاكمة التي لم يمض على ظهورها سوى فترة وجيزة ، فحاولت تجاوز طابعها الإقليمي وطمحت إلى الاستحواذ على التركة الموحدية [1] ، لكن العثمانيين تمكنوا من دحرهم سنة 1558 م ، وأبعدوهم إلى ماوراء نهر ملوية [2]. ولم يحاول السلاطين السعديون التوسع فيها، لكن بمجيء العلويين اهتموا بالتوسع في المناطق الشمالية الشرقية للمغرب، ومنه التوجه إلى تلمسان غرب الجزائر ، حيث أغار المولى محمد بن الشريف سنة 1064هـ/1653م وأوقع بأهلها وعاد إلى وجدة وقد ساند أهل تلمسان محمد الشريف ، فبعد وصول القوات العثمانية وجدت تلمسان فارغة من جل أهلها الذين ساندوا محمد الشريف [3] ،غير أن تلمسان امتنعت عن الانضمام إليه، وخرج أهلها في صحبة الحامية التركية من أجل هزمه مكّنه من ردهم، وبقي في وجدة كقاعدة له[4].

عمل الحكام العلويون على تأليب سكان تلمسان ضد الحكم العثماني،فدعموا بدورهم القلاقل والثورات التي كان يقوم بها سكان تلمسان والمناطق المجاورة ، زيادة على إحياء الشعور المؤيد للأشراف في تلك المناطق ، ومن ذلك الثورة التي وقعت في تلمسان سنة 1673م ، كما وقعت تمردات بندرومة سنتي 1678-1679م بإيعاز من المتصوفة ، وبدعم من المولى إسماعيل الذي توغل إلى شرق تلمسان ، سنة 1089هـ/1677م[5].

وقد أدت الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر إلى هجرة عدد كبير من الجزائريين خاصة من العلماء إلى المغرب الأقصى ، ويعود أصل معظمهم إلى تلمسان، وكان وراء تلك الهجرة الاضطرابات التي عرفتها المنطقة الغربية من البلاد ،سواء بسبب حملات الإسبان والتخوف من امتداده لتلمسان، أو بسبب تدخلات العثمانيين. فكثيرا ماكان سكان تلمسان في حالة عداء مع

---

[1]- عبد الرحيم بنحادة: **المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس، 1998، ص ص 73-74.

[2]- محمد دادة: **"تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م"** ، في مجلة عصور الجديدة ، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ، وهران ، 2011، ص ص 198-199.

[3]- أبو القاسم الزياني:**البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف** ،تح: رشيد الزاوية، ط1، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، 1991، ص ص42-43.

[4]- حسن شحاتة: المرجع السابق ، ص386.

[5] محمد الخداري: المرجع السابق ، ص109.

العثمانيين، إلّا أنّ مشكل التوسع وشن الحملات العسكرية من قبل السعديين ثم العلويين على المنطقة الغربية بمساعدة القبائل الغربية الحدودية التي كانت كثيرا ماتتحالف معهم ضد العثمانيين، أو على دعم السلطة الروحية، وذلك بفضل الطريقة الشاذلية في تلمسان التي كانت كثيرا ما تساند حكام المغرب، وتفتح أبوابها للجيش المغربي[1].

ومن المناطق التي كانت في دائرة الصراع بين العثمانيين والعلويين هي وجدة[2]؛ حيث سيطر عليها العثمانيون،ولكن بمجيء العلويين في النصف الثاني من القرن 11هـ/17م استولى محمد الشريف العلوي على وجدة، وضم إليه أهلها المعارضين لحكم العثمانيين، واتخذها قاعدة لهجوماته على الجزائر ،ونجح في إخضاع القبائل الداخلة تحت نفوذ العثمانيين من وجدة إلى تلمسان، لكن المولى إسماعيل استولى على وجدة، ونقل إليها قبائل عربية من ناحية مراكش وعزز حامية المدينة وأسس عددا من القلاع حولها ،لكن بعد وفاته عادت وجدة إلى حكم العثمانيين حتى استولى عليها السلطان سليمان العلوي سنة 1210هـ/1795م[3].

3- إشكالية الخلافة :

اعتبر العثمانيون أنّهم أولى بخلافة المسلمين ، التي حصلوا عليها بعد تنازل المتوكل بالله العباسي للسلطان سليم الأول سنة923هـ/ 1517م،كما استلم مفاتيح الكعبة من شريف مكة، فأصبح خادم الحرمين الشريفين وراعيا للحجاج المسلمين[4]، بالإضافة إلى حمل العثمانيين لراية الجهاد، بعد عجز المماليك عن مواجهة الحملات الصليبية المتأخرة، فتقوضت زعامتهم، وحلّت الخلافة العثمانية محلهم كحماة للإسلام في المشرق[5].وأصبحت شرعية العثمانيين قائمة على القوة والزعامة، وعلى

1- الرجع نفسه ، ص ص109-110.

2- تقع في الشمال قارة إفريقيا ،وتبعد عن البحربأربعين ميلا ،ومن الحدود الجزائرية بأربعة عشر كم،عن مغنية بستة وعشرين كم، وهي موقع استراتيجي هام في التنقلات من الشرق إلى الغرب،ومن الشمال إلى الجنوب،ينظر:جلول المكي:المرجع السابق،ص42.

3- المرجع نفسه، ص 44.

4- فهد بن محمد السويكت : **مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية** ، في مجلة جامعة الملك سعود، السعودية ، 2006، ص180.

5- خاليد فؤاد طحطح : **العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر أواخر القرن الثامن عشر**، في مجلة كان التاريخية ، مجلة إلكترونية، ع14، 2011 ، ص108.

الجهاد ضد المسيحيين،وقد كان العثمانيون يتطلعون إلى ضمّ المغرب بعد ضم الجزائر؛ بغية استكمال سيطرتهم على الممالك الإسلامية في شمال إفريقيا ، وتوحيد العالم الإسلامي تحت حكمهم[1].

وأصبحت أحقية الخلافة مسألة جوهرية في خلافهم مع السعديين والعلويين من بعدهم. الذين اعتبروا أنفسهم أحق بها من العثمانيين[2]؛ إذ نظروا إليهم من خلال نسبهم الشريف، وأنّ الخلافة في قريش ، واعتبروا العثمانيين أعاجم لاتصح الخلافة فيهم[3]. ومن ذلك نجد قول الزياني: "ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز ولا تصح إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولو وسع جهل هذا لأمكن إدعاء الخلافة لمن لا تحل له ، وهذا لايصح أصلا"[4]. كما حمل العلويون مسؤولية الجهاد،وعملوا على تحرير بعض المدن المغربية، خاصة في عهد المولى إسماعيل. كما حاول سلاطين المغرب تحقيق وحدة بلاد المغارب على يديهم، واعتبروا أنّ الخلافة حق لهم، فقد ذكر التمقروتي: "والعثمانيون إنما عملوا وقادوا الأمر في الحقيقة، نيابة ، وأمانة يؤدونها إلى من هم أحق بها وأهلها وهم موالينا وسادتنا الشرفاء ملوك بلاد المغرب "[5].

---

[1]- زهراء النظام:المرجع السابق، ص 296-297.

[2]- محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، هامش ص19.

[3]- فهد بن محمد السويكت : مواقف الأشراف السعديين ، المرجع السابق، ص178.

[4]-أبو القاسم الزياني: **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تح:محمد بيضون ، بيروت ، 2003، ص45.

[5]- أبو الحسن بن علي بن محمد التمقروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تح. تق: عبد اللطيف الشاذلي،(د.ط)،المطبعة الملكية، المغرب، 2002،ص135.

وخلاصة القول:

– إنّ هذه الفترة في الجزائر تمثل الاستقلال عن الدولة العثمانية ، فقد كانت التبعية هي تبعية اسمية فقط ، إذ يتم تعيين الدايات من الديوان سواء من الرياس أو الانكشارية .

– كان التمرد على السلطة من الصفات الملازمة لجند الانكشارية ، الذين كانوا سببا في نشر الفوضى وعدم الاستقرار في الجزائر ، كما أن جشع هذه الفئة وتسلطها ،كان أحد عوامل ضعف الحكم العثماني في الجزائر .

– يعود الفضل في تأسيس الدولة العلوية إلى الرشيد ، الذي وحّد المغرب بالقضاء على الزعماء المنقسمين، وأدخل كل الحواضر المغربية في طاعته ، وبنى كيان الدولة ، فأرسى قواعدها ، ثم حكم بعده أخوه المولى إسماعيل، الذي أخذ على عاتقه ضمان استمرار الدولة وإكمال بنائها ، واعتبر عهده ب " أوج المجد السياسي" .

– إنّ العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب عديدة ،منها ما كانت باعثة للصراع، فأنظمة الحكم القائمة في كل من البلدين، والخلاف الجوهري بينهما حول أحقية الخلافة، ومحاولة التوسع في المناطق الحدودية، أدّى إلى ظهور مشكلة الحدود ،والتي مازالت قائمة إلى اليوم ،إلا أنّ هناك عوامل منها وحدة الدين واللغة جعلت من الدولتين تمتنعان عن التحالف مع القوى الأجنبية ضد بعضهما البعض حتى وإن تفاقمت المشاكل بينهما.

– إنّ تواجد الأندلسيين جعل من البلدين يخطوان خطوات كبيرة في مجال الجهاد البحري خاصة بحكم عدائهم للإسبان.

– إنّ فرض العثمانيين لسلطتهم على إيالات شمال إفريقيا وجوارهم للمغرب الأقصى، قد ساهم مساهمة فعالة في انتقال مؤثرات الحضارة العثمانية إلى الجزائر،ومنها إلى المغرب بحكم الجوار والاحتكاك المباشر بين البلدين.

الفصل الثاني:

مظاهر العلاقات السياسية الجزائرية المغربية

- المبحث الأول: الحملات المغربية ضد الجزائر وردود الفعل الجزائرية

1- الحملات المغربية ضد الجزائر وردود الفعل الجزائرية.

2- مساندة أتراك الجزائر للقوى المناوئة للعلويين في المغرب.

- المبحث الثاني: العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر والمغرب

1- تبادل السفارات والرسائل بين الجزائر والمغرب.

2- المراسلات المغربية العثمانية بشأن الجزائر.

الفصل الثاني:

مظاهر العلاقات السياسية الجزائرية المغربية

شهد منتصف القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي أحداثا هامة في الجزائر والمغرب، إذ عرفت الجزائر تولي الأغوات للحكم ثم الدايات،أما المغرب فقد عرف قيام الدولة العلوية وبحكم الحدود المشتركة بين البلدين، والرغبة في التوسع على حساب الآخر،واتّسمت العلاقة بين الجزائر والمغرب بطابعين : أولهما العلاقات العدائية بين الجانبين، والتي تجلت في الحملات المغربية ضد الجزائر وصد هذه الأخيرة لها ، ثانيهما يتعلق بالجوانب السلمية المتمثلة في العلاقات الدبلوماسية والاتفاقيات والمعاهدات .

سنحاول في هذا الفصل إبراز أهم مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى،من حملات عسكرية ومحاولة التوسع ، ثم التقارب بين البلدين من خلال الاتفاقيات والمراسلات مع التركيز على مسألة الحدود بين البلدين والتي طبعت العلاقات بينهما.

فماهي أهم مظاهر العلاقات السياسة بين الجزائر والمغرب ؟ هل اتسمت بطابع العدائية بحكم مشاكل الحدود ؟ أم تجاوزت ذلك الصراع ؟

المبحث الأول:

الحملات المغربية ضد الجزائر وردود الفعل الجزائرية

1- الحملات المغربية ضد الجزائر:

كانت إستراتيجية الحكام العلويين الأوائل، تهدف منذ البداية إلى التوسع في الناحية الشرقية للمغرب، ومنها الوصول إلى المناطق الغربية الجزائرية ، فشهدت هذه الفترة عدّة حملات عسكرية على الجزائر، سنحاول التفصيل في أهم الحملات العسكرية وكيف كانت ردود الفعل الجزائرية.

أ- أسباب الحملات المغربية على الجزائر- أسباب الصراع والتوتر:

سعى السلاطين العلويون إلى شن عدّة حملات على الجزائر، خاصة في عهد المولى إسماعيل ، وصلت إلى قلب الجزائر ، فهل كان للعلويين الرغبة في السيطرة على غزو الجزائر؟وهل كانت هذه الرغبة هي التي جعلت أتراك الجزائر يقدمون المساعدات للمتمردين ضد الحكم في المغرب مثل غيلان، وآل نقسيس، وابن محرز، وأحمد بن عبد الله الدلائي،وقبائل بني يزناسن؟[1]

وسنحاول تقديم أهم الأسباب منها:

- طموح السلاطين العلويين، خاصة المولى إسماعيل ، الذي كان يسعى إلى إحياء واستعادة وحدة بلاد المغارب، ومحاولة الوصول إلى الأراضي الجزائرية ، فكان يراه ضرورة تاريخية وقومية[2].

-أحقية العلويين للخلافة؛إذ كانوا يرون أنفسهم أحق بها من الأتراك،وينظرون إليهم أنهم مغتصبون[3].

- استمرارية العداء للجزائر، والذي كان يكنه السلاطين السعديون ثم من بعدهم.وتخوف المغرب من امتداد سلطة العثمانيين والسيطرة عليه ، لذلك حاول السلاطين العلويون غزو بعض المناطق التي يسيطر عليها الأتراك في الجزائر، والدفاع عن حدودهم[4].

- تجسيد فكرة رسم الحدود، من خلال البعثة التركية لمحمد الشريف العلوي، ووضع واد تافنة حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب[5]، والتي كثيرا مارفضها وتجاوزها المولى إسماعيل من خلال حملاته على الجزائر منتهكا خط الحدود المتفق عليه.

---

[1]- عبد الكريم بن موسى الريفي: المصدر السابق،ص67.

[2]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق،ج3، ص12.

[3]- محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف: المصدر السابق، هامش ص12.

[4]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق ،ج3، ص12.

[5]-خاليد فؤاد طحطح: المرجع السابق ، ص108.

- أطماع الحكام العلويين التوسعية في الجزائر والاستيلاء عليها ؛ اذ اعتبر محمد الشريف مجال نفوذه من سجلماسة حتى وجدة بل حتى تلمسان[1].

- تصميم الحكام الجزائريين على الدفاع عن حرمة البلاد والمحافظة على حدودها.

- دعم أتراك العثمانيين لمناوئي السلطة العلوية،خاصة في عهد المولى إسماعيل، ماجعله يقف موقفا مضادا وعدائيا ضدهم[2].

- تخوف العثمانيين من توسع المغرب على الحدود الجزائرية الغربية، وخاصة أنّ القبائل الغربية للجزائر كانت تتعاطف مع الدولة العلوية لنسبها الشريف[3]،حيث دخلت بعض المناطق أو القبائل الجزائرية تحت طاعة السلطة العلوية ، ومنها قبيلة بني عامر التي اعتبرها العلويون من ضمن القبائل التابعة لهم، وكانوا يعاملونها بنفس المنطلق الذي يعاملون به رعاياهم الخارجين عن طاعتهم " بعثوا بصلحائهم في ذلك المكان فوقع لطف الله تعالى وألقى الله في قلبه المحبة والرأفة وصفح عنهم" [4].

- إثارة القلاقل والثورات التي كان يقوم بها سكان تلمسان، والمناطق المجاورة ندرومة سنة 1678م/ 1679م، إضافة إلى إحياء الشعور المؤيد للأشراف في تلك المناطق ، مثل ثورة تلمسان سنة 1673م بإيعاز من المتصوفة وبدعم من المولى إسماعيل[5].

- المساندة الشعبية التي كان سلاطين المغرب يتمتعون بها في الناحية الشرقية، و استمالتهم للطرق الصوفية في الجزائر بفضل القاعدة الشاذلية التي كانت تلمسان تفتح أبوابها مرارا للجيوش المغربية .

- استغلال الضعف الداخلي للجزائر، نتيجة التنافس الذي كان قائما بين الرياس والجند والثورات الكثيرة ، التي كانت تقوم هنا وهناك [6].

- الرغبة في السيطرة على المراكز التجارية المتحكمة في التجارة الصحراوية منها احتلال توات سنة 1645م[7].

---

[1]-حسن شحاتة:المرجع السابق،378.

[2]-خالد بن أحمد الناصري: المرجع السابق، ج7،ص59.

[3]- خاليد فؤاد طحطح : المرجع السابق، ص108.

[4]- عبد الكريم بن موسى الريفي: المصدر السابق ،ص ص45-67

[5]- محمد الخداري:المرجع السابق، ص109.

[6]- عمار بن خروف: العلاقات السياسية ...، المرجع السابق،ص270.

[7]-المرجع نفسه، ص271.

- النهب والسطو على القبائل الجزائرية، لغرض اقتصادي نظرا لأعمال النهب المصاحبة للحملة خاصة حملات محمد العلوي[1].

ب- الحملات المغربية على الجزائر:

1- حملة المولى محمد بن الشريف على وجدة وتلمسان:

كرّس المولى محمد كل جهوده لإخضاع قبائل شرق المغرب، وكذا الحدود الغربية للجزائر، حيث اتجه نحو وجدة والجماعات الصحراوية الواقعة إلى الشرق من تافيلالت ،إذ ذهب ناحية توات وتمنطيط سنة1053هـ / 1645م، فهزمها وتغلب عليها بسهولة،وأقام بها مدة أربعة أشهر[2]، ثم عبر في اتجاه سهل أنجاد[3] ، وقرر أن يتصل بأهالي الأطراف الشرقية وخاصة القبائل المعقلية[4] التي بايعته، وعلى رأسها قبائل سقونة والعمارنة ، ودخلت تحت رايته دخيسة ،وذوو منيع وآل صباح والمعاضد ولادخام وحميان ، واعتمد عليها؛ إذ أنّها كانت في خلاف مع العثمانيين في الجزائر، لذلك لم يجد محمد الشريف بدا من استقطابها ، ثم بدأ بغاراته وهجوماته على المناطق والمدن والقبائل التابعة لباشوية الجزائر من الجهة الغربية لها، وذلك مابين1060-1064هـ/ 1650-1654م[5].

واستطاع الشريف محمد أن يدخل مدينة وجدة، وأن يحتلها بعد مساندة القبائل المجاورة التي انضمت إليه، بل وأن يقضي فيها ماكان للأتراك من أهل وجدة مابين مناصر، ومعاد لهم [6]، وهذا ما أكدّه مؤرخ الدولة العلوية ابن زيدان حيث قال:" كانوا يومئذ في ولاية الترك، وبعضهم خارج عنها، فانحاز الخارجون إلى المولى محمد، فأعزاهم شيعة الترك ،فانتهبوهم وشردوهم عن البلد، وصفت وجدة

---

[1]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص425.

[2]- عبد الكريم الفيلالي:المرجع السابق، ج4 ، ص94.

[3]- حسن شحاتة: المرجع السابق، ص 375.

[4]- عرب المعقل هم من العرب الهلاليين، ينتسبون حسب ابن خلدون إلى المعقل باليمن، أما هم فينسبون أنفسهم إلى جعفر بن أبي طالب، ولقد دخل عرب المعقل البلاد مع الهلاليين، وانتشروا في الصحاري، وامتد موطنهم من قبلة تلمسان إلى المحيط الغربي إلى سجلماسة ودرعة.ينظر: الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحاجي الواداني:**رحلة المنى والمنة**،تح: حماه الله ولد السالم ، ط1، دار الكتب العلمية،لبنان، 2013، هامش ص47.ينظر: مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**،ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر،1976،ج1، ص 178.

[5]- عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، المرجع السابق، ص270.

[6]- عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق، ج4 ، ص93.

له ، فاستولى عليها "[1]، إذًا فقد لوحظ آنداك انقسام أهل وجدة وبني يزناسن بين مؤيد لأتراك الجزائر، ومناهض لهم وقد تجاذب شمال المغرب الشرقي بين سلطتين متنافستين سلطة الأتراك من جهة الشرق، وسلطة ملوك المغرب من جهة الغرب[2].

ثم توسعوا في بني يزناسن حلفاء الأتراك، وغيرهم من أبناء القبائل الداخلة تحت النفوذ العثماني في الأراضي الشرقية من المغرب، ويقول الناصري:" وكانوا يومئذ في ولاية الترك، فأغار عليهم، وانتهب أموالهم وامتلأت أيدي العرب من مواشيهم "[3].ومنها اتجه إلى وجدة وفيها أعاد تنظيم قواته وجعلها قاعدة لغزو القبائل بين وجدة وتلمسان ثم عاد للإغارة على القبائل الخاضعة للأتراك، وانتهبهم فتمكّن من إخضاعهم ، منها أشجع (وطنهم عربي المهاية غربي وجدة) ، وبني مطهر(وطنهم جنوب شرقي وجدة) ، وذوي يحي (وطنهم جنوب غربي تلمسان وشمالي بني مطهر) ، بني سوس(وطنهم شرقي ذويحي وسدو) ، أولاد زكري(وطنهم شمال شرقي وجدة) ،أولاد علي بن طلحة (وطنهم شمال شرقي وجدة) ، وبني عامر(وطنهم جنوب وادي زا) ، فدخلت هذه القبائل تحت طاعته[4].

وناوش الحامية تلمسان سنة 1653م، حيث خرج أهلها مع الحامية العثمانية وراء الشريف محمد فقاومهم، وتمكن من ردهم، وهذا ماجاء في مراسلة عثمان باشا إلى المولى محمد " خرج جيشنا قصبتنا بتلمسان بما لديهم من الرماة والفرسان، فهزمتموهم بفرار،وقتلتموهم قتل مذلة واحتقار"[5].فعاد إلى وجدة مع حلول فصل الشتاء.

وبحلول فصل الربيع جهز المولى محمد حملة لغزو الجزائر دافعا أمامه عرب الحارث ، سويد ، حصين وبني هاشم من بني مالك بن زغبة التي رفضت الدخول في طاعته، واحتمت ببني راشد[6]. مع أن قبائل حميان ودخيسة قد سبقتها في قبول الطاعة .

---

[1]- عبد الرحمان بن زيدان : إتحاف أعلام الناس ،المرجع السابق،ج3،ص133.

[2]- عكاشة برحاب: :**شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873-1907**، ط1، منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب، 1989، ص93.

[3]- أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج7، ص20.

[4]- جلول المكي: المرجع السابق، ص105.

[5]- مراسلة عثمان باشا إلى محمد، ينظر: أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص23.

[6]-حسن شحاتة : المرجع السابق، ص387.

وبهذا يمكن القول إنّ المولى محمد توجّه في بداية حكمه شرقا نحو المناطق الحدودية مع الجزائر، ولم يتوجه داخل المغرب لإعادة توحيده، خاصة أن المغرب كان مقسما إلى مغارب العياشي في الشمال، والدلائي في الغرب والسملالي في الجنوب ، لأنه كان يدرك أن القبائل العربية الحدودية ليست على وفاق مع العثمانيين فانضمت إليه القبائل، واعتمد عليها[1].ثم توجه نحو طريق الصحراء وأغار على الجعافرة، وانتهب أموالهم، فسارعت قبائل حميان ودخيسة وغيرها إلى إعلان خضوعها إليه،والدخول في طاعته ، وساروا بصحبته لغزو المناطق الصحراوية[2] ؛ فغزا الغاسول، وعين ماضي، والأغواط، ولم تسلم منه غير قبائل سويد وحصين، التي فرت إلى بني راشد[3] ، قد قاد هذه العمليات الشيخ اللواتي قائد بني يزناسن [4]، وكان للقبائل العربية دور في حملاته ورسالة باشا الجزائر 1653م :" وشننت الغارة العشواء على بني يعقوب... وجررت ذيل المذلة على أطراف الغاسول والأغواط، وقادك الجاهل الجهم محمود حميان لعين ماضي والصوانع وبني يطغان فراحت رياح وسويد ، ينفض كل بطل منهم غبار الوطنية ، على طودر راشد وبليد قسنطينة،...ولولاك ماثار علينا أهل تلمسان وأنكروا مالنا من قديم الحنانة والإحسان .."[5].

ذلك أن قبائل المنطقة الشرقية ثارت على سلطة الأتراك وقدمت له البيعة، وعندما عاد المولى محمد إلى سجلماسة، لحقت به عدة قبائل جزائرية ، فتعرض اقتصاد الجزائر إلى أزمة كبيرة بسبب هجمات المولى محمد[6].

إلا أن هذه الغارات لم تجد نفعا، حيث لم تستطع تغيير معالم الحدود بين الجزائر فلم يتمكن كل منهما هزم الآخر، خاصة أنّ المولى محمد كان يغير ويفر، فينهب ما فيها من خيرات إلى

[1]–محمد علي داهش: **العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1650–1830)**، في مجلة كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، ع18،جامعة قطر، 1995،ص163.

[2]– محمد بن عبد القادر الكلالي الكردودي: **مخطوطة الدّر المنضد الفاخر بما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**، مخطوط ، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء ، الورقة 18.

[3]– عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق، ج4 ،ص96.

[4]– قبائل أمازيغية في شمال شرق المغرب، موطنهم الأصلي مدينة وجدة ويمتد مجال تواجدها إلى حدود الأراضي الجزائرية،ينظر: قدور الورطاسي الحسني: **بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني**، ط1، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1976، ص ص 18–19.

[5]– أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج7 ،ص25.

[6]– عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، المرجع السابق، ص271.

وجدة؛إذ شعر بخطر الأتراك ، فعجز عن المواجهة العسكرية ، إذ لم يكن المغرب كله تحت سلطته ، فهو مقسم إلى وحدات سياسية، وليس له جيش منظم، وكانت حركته في بدايتها ، كل هذا دفع به لقبول السفارة التي أرسلها أحمد باشا، وجعل حدود واد تافنة حدا فاصلا بين العثمانيين في الجزائر والعلويين في المغرب[1]، ولكن لماذا تخلى حكام الجزائر عن أراضيهم الواقعة غرب واد تافنة إلى واد ملوية؟ رغم الاتفاق بين حكام الجزائر والمولى محمد، إلا أنه أخلّ بالمعاهدة، وهاجم تلمسان سنة 1068هـ/1658م ، فتصدى له قائدها شلبي وجرت بينهما معركة استطاع فيها هذا الأخير تتبع قوات المولى محمد وطرده باتجاه سجلماسة [2]. وقد ذكر القادري أنه سنة 1068هـ وقعت حرب من المولى محمد مع التركي شلبي على تلمسان[3]. فأدرك المولى محمد موقفه من العثمانيين لأنه لا يستطيع مواجهتهم عسكريا. وكان أسلوبه في ذلك يعتمد على حرب الكر والفر،فلم يستطع العثمانيون التمكّن منه. ويذكر ابن زيدان أن العثمانيبن :"كانوا لايتمكنون من حربه لو أراد ، وذلك لأنه يغير ويظفر وينتهب،ويصحر فلا يمكنهم التعلق بأذياله، ولاقطع فراخه وأمياله"[4].

فتوسع مجال إمارته الناشئة وتعزيز قواعدها المادية والبشرية ، وتمكن من الربط بين مراكزه الجنوبية (تافيلالت، توات، درعة)، والجبهات الشمالية الشرقية من البلاد المغربية (وجدة،بني يزناسن، أنكاد ، فجيج)، وتعززت إمكانيات العلويين لإحياء الدور المركزي الذي طالما لعبه الخط التجاري الرابط بين سجلماسة وبين الأقاليم الشمالية الشرقية[5]، لكن الإمارة العلوية لم تتمكن من تحقيق النصر شرق المغرب، إذ لم يستطع المولى محمد إكمال مسيرته خاصة بعد أن خرج عليه أخوه المولى الرشيد سنة 1070هـ/1659م ، الذي سار إلى أنجاد وبني يزناسن ، حيث استضافه شيخها أبو عبد الله اللواتي، وقد مكث خمس سنوات في أنجاد[6]، ثم تمكّن من اليهودي ابن مشعل ، ودعا لنفسه

[1]- أبو القاسم أحمد الزياني: **الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي**، المطبعة الجمهورية ، باريس، 1886، ص5.

[2]-جلول المكي: المرجع السابق، ص107.

[3]- محمد بن الطيب القادري: **التقاط الدرر،ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تح:هاشم العلوي القاسمي، ط1، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1982،ص140.

[4]- عبد الرحمان بن زيدان: إتحاف أعلام الناس ، المرجع السابق، ج3، ص 134، ينظر: أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، المرجع السابق، ج7 ، ص36.

[5]- قدور بوزياني: المرجع السابق ، ص33.

[6]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق،ج3،ص23.

أعراب الشرق، وجمع كلمتهم ونزل وجدة[1] ، وكوّن جيش الشراقة بأهل أنجاد وبني يزناسن، والتقى مع أخيه في بسيط أنجاد وقتله سنة 1075هـ/1664م،واتخذ المولى الرشيد من تازة مقرا لحكمه بدلا من فاس[2].

2- حملة الرشيد على الأراضي الجزائرية جنوب تلمسان:

بجلوس المولى الرشيد على الحكم 1664م، وصلته بعثة تركية تطلب منه أن لايسمح لجيشه بالتوغل في أراضي النفوذ العثمانية [3]، فجدّد معهم المعاهدة 1665م ، وجعل وادي التافنة حدا فاصلا بين البلدين [4]، وكان يبتغي من وراء ذلك التفرغ للاستيلاء على المغرب، وتوحيده تحت حكمه؛ إذ مالبث أن خرق الاتفاق، وأغار على بني يزناسن 1075هـ/1664م [5].كما وجّه حملة نحو الجهة الجنوبية الشرقية ضد ابن أخيه محمد الصغير الذي احتضنته مناطق توات ، تيكورارين ، ثم سار إلى البيض، وبني عامر، والحجز وأولاد عبد الله، وسويد ، فأوقع بهم الرشيد وقعة أذهبت قوتهم وشوكتهم ، وتمكن من إلقاء القبض على ابن أخيه ومسانديه، وبعث بهم إلى تازة فسجنهم هناك، ووجه لهم من قتلهم[6].

ومن هنا، نجد توسعات المولى الرشيد امتدت من جنوب تلمسان، حتى مناطق قرب الأغواط جنوب الجريد "أبار السلطان" ، مستغلا عرب بادية تلمسان الذين رحل الكثير منهم إلى المغرب، وكوّن منهم جيش الشراقة من بني عامر والجشع [7]، الذين ناصروه في حروبه ضد أخيه سنة 1074هـ/ 1663م لكن مالبث أن انسحب إلى تازا لاستكمال وحدة المغرب .

ورد في تقرير فرنسي في جمادى الأولى 1080هـ/أكتوبر 1669م، أُستخلص من تقرير انجليزي في إحدى الصحف الإنجليزية بلندن، جاء فيه أنّ المولى الرشيد فرض السيطرة الكاملة على المغرب

---

[1]- قدور الورطاسي: **معالم من تاريخ وجدة** ،ط1، مطبعة الرسالة،الرباط ، 1972،ص37.

[2]- حسن شحاتة : المرجع السابق،ص394.

[3]- عبد الهادي التازي: **الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب**، ط1، دار نشر المعرفة، المغرب، 2001،ج3، ص 135.

[4] – أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، المرجع السابق، ج7، ص33.

[5]- جلول المكي: المرجع السابق، ص109.

[6]- عبد الكريم بن موسى الريفي: المصدر السابق ،ص 124، ينظر:محمد العمراني: المرجع السابق، ص39، ينظر أيضا: عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق،ج4، ص126.

[7]- محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب (إشكالية الصراع والتحالف)، المرجع السابق ، ص 108.

الأقصى، مما جعل الأتراك يخافون منه ، وقد أرسل إليه السلطان العثماني رسالة حذره فيها من القيام بأي هجوم على الجزائر، ولما قرأها المولى الرشيد غضب غضبا شديدا ، وأمر بإلقاء القبض على السفير العثماني الذي حمل الرسالة ، وقطع أذنيه وأنفه ، وأعاده إلى اسطنبول ، وجمع جيشا وقام بحملة عسكرية على الجزائر، واستمر زحفه حتى أشرف على مدينة الجزائر العاصمة ، ودمر في طريقه مدنا وقرى كثيرة ، بلغ عددها نحو 900 مدينة، وقرية ، واستولى على 100ألف رأس من الأغنام ، وجلب معه 17ألف أسير بين رجال ونساء ، ولما أرسل الجزائريون جيشهم المكون من خمسة آلاف جندي لمواجهته ، فإن ذلك الجيش هزم الجيش أمامه "[1].

وذكر دوكاستري أنّه تقرير وهمي، ويبدو أنّ صاحبه فهم ماذُكر في الصحف الإنجليزية بطريقة خاطئة.

3- الحملات العسكرية المغربية في عهد المولى إسماعيل:

تابع المولى إسماعيل سياسة أخويه التوسعية في الجزائر،وقد تميزت فترة حكمه بمناوشات كثيرة[2]، ظهرت في المواجهات العسكرية على الحدود[3]،إذ يسعى إلى إبعاد نفوذ الجزائر من جهة،والتوسع على حسابها في تلمسان من جهة أخرى، لاعتقاده أنّ الأتراك في الجزائر يكنون له العداء لهذا فهم يدعمون التمردات الداخلية من أجل بث الفوضى، وعدم الاستقرار داخل المغرب[4].

أ- الحملة الأولى:

1- على السقونة:

وتجسّد هذا العداء في قيام المولى إسماعيل بحملته الأولى على قبائل السقونة التي تقع بجوار بني يزناسن سنة 1085هـ/1674م، حيث بدأ بالاتصال بأصحاب الزوايا، والمرابطين بتلمسان وتحريضهم ، فقامت الثورة ،واستغل المولى إسماعيل فرصة ثورة أهل تلمسان،وهجم على قبيلة سقونة،

[1]- خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن** ، ط1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر، ج2 ، ص261.

[2]- عبد الهادي التازي: الوسيط...، المرجع السابق، ص136.

[3]- محمد العمراني: المرجع السابق، ص60.

[4]-أحمد الأزمي: **بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية**، تنسيق: عبد الوهاب بن منصور ،د.ط، أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف ، مركز الدراسات والبحوث العلوية،المغرب،1989، ص183.

من أجل الاستيلاء على تلمسان غير أن الداي الحاج محمد فتك بهذه الثورة وأخرج أهلها من حرم سيدي بومدين[1].

2- على الجنوب الغربي للجزائر:

بعد حملته على سقونة توجه المولى إسماعيل للمناطق الصحراوية في الجنوب الغربي للجزائر،إذ قام بعدة حملات على منطقتي قورارة وتوات سنة 1089هـ /1678م[2] ، رغبة منه في كسب تأييد القبائل العربية لصالحه ضد العثمانيين ، فانضمت إليه من ذوي منيع، ودخيسة وحميان والمهاية والعمور وأولاد جرير وسقونة وبني عامر والحشم [3].وقد وطن إسماعيل قبائل الشجع وبني عامر من العرب، ومديونة وبني سوس من البربر في القصبة الجديدة، وعرصة بن صالح بفاس، ثمّ نقلهم إلى منطقة فشتالة بين نهري ورغة وسبو شمال مدينة فاس، واختلطت هذه القبائل فيما بينها [4].

3- على القويعة 1089هـ /1678م :

بعد حصوله على تأييد القبائل العربية توجه بهم بالهضاب العليا الغربية الجزائرية شمال سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، ثم شمالا إلى مكان يدعى القويعة إلا أن الجيش الجزائري فاجأهم ليلا بالمدافع فانهزم إسماعيل[5]، بعد تخلي القبائل العربية عنه، بدءا ببني عامر،فلم يبق معه إلا جيشه النظامي[6]، ورجع دون قتال، وعند خروجه كاتبه أتراك الجزائر، واضطر لعقد الصلح، وتجديد عهد أخويه ببقاء واد التافنة حدا فاصلا ورجع لوجدة ثم فاس، وهنا بلغه خروج إخوته الحران، وهاشم،وأحمد،وثلاثة من بني عمه،فتوجه اليهم نحو سجلماسة،لكنهم انهزموا وفروا إلى الصحراء[7].

---

[1]- جلول المكي: المرجع السابق ، ص109.

[2]- جلول بن قومار:"**جوانب من مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل العلوي (1672- 1727)**"، في مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 8، ع 27، جامعة ورقلة، 2016،ص201.

[3]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7 ، ص59.

[4]- عكاشة برحاب:المرجع السابق،ص92.

[5]- محمد علي داهش : العلاقات المغربية العثمانية،المرجع السابق، ص 164.

[6]- محمد المشرفي: **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية** ، دراسة وتح: إدريس بوهليلة،ط1، منشورات وزارة الأوقاف ، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ج 1،ص292.

[7]- أبو القاسم الزياني: **الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية**، مخطوط ، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء ، (د.ت) ، ورقة 74.

ولكي يضمن المولى إسماعيل تحصين بلده خاصة بعد تدخلات الأتراك في المنطقة من خلال تأييد المناوئين له ، ودعمهم لانتفاضات المناطق الحدودية ، قام بتحصين المدن الموجودة على خط أي تدخل تركي محتمل، ومنها وجدة وتازة وفاس[1]، كما قام ببناء سلسلة من القصبات والقلاع، حيث بلغ عددها ست وسبعين منها، قلعة رقادة ضد بني يزناسن 1678م، وأنزل بها القائد العياشي بن الزعر، ومعه خمسمائة جندي ، وقلعة العيون وقلعة وجدة وغيرها [2] ، وهذه التحصينات ليس للدفاع عن أراضي المغرب من حملات الإسبان ، بل لتأمين الحدود مع بايلك الغرب الذي كثرت حوله المنازعات بينه وبين المغرب[3].

وقد تعرضت بني يزناسن إلى مضايقات ، فأوفد إليها عرب الشابانات، وزرارة الذين نقلهم من منطقة الحوز، وولى عليهم القائد العياشي بن الزويعر الزرازي ومعه[4] جنوده، الذين ضايقوا بني يزناسن خاصة مؤيدي الأتراك، ومنعوهم من الحرث بأنجاد ، فاستمالهم الأتراك وأيدوا حركتهم [5].

وكرد فعل على ذلك شنّ المولى إسماعيل هجوما عليها سنة 1091هـ/1680م، وأرغمها على الاستسلام، وجردها من أسلحتها وخيولها، ويرجع هذا إلى التخوف من توغل النفوذ التركي إلى شمال شرق المغرب ، وقام بمحاصرتها وإحاطتها بمجموعة من القلاع قصد مراقبتها.

ب– الحملة الثانية :

بعد تعزيز المولى إسماعيل للتحصينات في المغرب ،خاصة من بني يزناسن إلى وجدة ، وقيامه بعقد معاهدة سان جرمان في 29 جانفي 1682م مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وإقرار التعاون المغربي الفرنسي [6]، في هذه الفترة بلغه أن الأتراك اجتاحوا بني يزناسن ، وعلى دار ابن مشعل [7]، كما أنهم كانوا وراء ثورة ابن محرز في الجنوب ، إذ وجدت مراسلات وبعثات بين الأتراك وابن محرز، حيث

[1]– محمد القبلي: المرجع السابق، ص408.

[2]– عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق،ج4، ص147.

[3]–كمال فيلالي: تاريخ المغرب الحديث ،المرجع السابق، ص210.

[4]– مولاي عبد الحميد العلوي: **تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد** ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1985،ص88.

[5]– إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق، ج3 ، ص40.

[6]– هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص61 .

[7]– أبو القاسم الزياني: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، المصدر السابق ، ص 165.

يذكر موييت :"إنّ فلول حزب ابن محرز بعد ضرب رجاله سنة 1678م قد انسحبت إلى الجبال المطلة على تلمسان"[1]. ولهذا توجه المولى إسماعيل بحملة إلى الشرق، وردهم الجيش المغربي وطردهم حتى تلمسان وأغار عليها[2].إلا أنّه لم يلبث ورجع إلى بلاده ، رغم أنّ الجزائر قد عرفت وقتا عصيبا، بعد هجوم الأميرال دوكين مدينة الجزائر مستعملا سلاح المدفعية الذي يطلق القذائف الضخمة على بعد 1350متر،وقد أدى إلى مقتل خمسمائة شخص[3].إلا أنّ الداي بابا حسن تصدى لهذه الحملة،كما أرسل حامية عن طريق البحر لنجدة تلمسان، فهزم المولى إسماعيل وانسحب إلى وجدة. بعد أن تكبد خسائر كبيرة قُدرت بحوالي ألف قتيل مغربي و249 قتيل جزائري[4].

واصل المولى إسماعيل محاولاته من أجل الاستيلاء على الجزائر بعد أن تمكن من إخضاع بلاد السوس كما استغل فرصة أوضاع الجزائر بعد حملة دوكين عليها، وثورة الإنكشارية على الداي حسين ميزومورتو ، وقيام الإنجليز بتحريضه بعد أن أقلقتهم معاهدة الجزائر مع فرنسا[5].

1- التوسع نحو تلمسان ورد فعل الداي شعبان وحملته على المغرب 1103هـ/1692م:

جهز المولى إسماعيل حملة باتجاه تلمسان ، فتحرك الداي شعبان بجيشه، وقد ذكر القنصل الفرنسي أنّ الداي تحرك بنفسه في جيش يتكون من حوالي 3000فارس، و10ألاف أو 12ألف جندي من المشاة،كما أرسل 13 سفينة محملة بالخيول[6] ، لنجدة تلمسان بل لحق بالجيش المغربي قبل عبوره وادي ملوية ، والتقى الجمعان في 4جويلية1692م في مكان يسمى " المشارع" [7]، وفي رسالة بعثها الداي شعبان إلى كاتب الدولة بالبحرية الفرنسية الكونت دوبونتشارتين جاء فيها: " ...

---

[1]- عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج9، ص13.

[2]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق ،ج3، ص53.

[3]- جون ب وولف :المرجع السابق، ص343.

[4]- جلول المكي: المرجع السابق ،ص ص111- 112.

[5]- محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**،تق.تح: المهدي بوعبدلي،ط1،ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، المرجع السابق، ص42.

[6]- رسالة من قنصل فرنسا في الجزائر إلى حكومته بتاريخ 22مارس 5/1692رجب 1103، ينظر: خليفة حماش: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن** ، ط1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر، ج2 ، ص293.

[7]- مولاي بالحميسي:" إرشاد الحيران "، المرجع السابق، ص50.

بل قمنا بمضاعفة تحضيرات الحرب أكثر من قبل، فاستولينا على كل البلد انطلاقا من أسوار فاس..."[1].

وأنزل بالمولى إسماعيل هزيمة خلفت خمسة آلاف قتيل مغربي حتى وصل إلى أسوار فاس ، أما الجزائر فقد فقدت مائة قتيل[2] ، والتمس المولى إسماعيل عقد الصلح مع شعبان، فكانت معاهدة وجدة. التي تضمنت اعتراف إسماعيل بوادي ملوية كحد فاصل بين الجزائر والمغرب، وانتهت الحرب بين الجزائر والمغرب في أوائل ذي الحجة 1103هـ/13أوت 1692م، وعاد الداي شعبان من منطقة الحدود الغربية ، بعد أن تمكّن من القضاء على القوة المغربية، وانتهت آمال السلطان في ضم تلمسان والجهات الغربية[3].

ونتيجة لتعاون محمد باي تونس مع المولى إسماعيل، وجه الداي شعبان حملة على تونس، بالتحالف مع حاكم طرابلس الغرب، واستطاع هزيمته في معركة الكاف في2 ذي القعدة 1106هـ/ 24 جوان1694م، وتمكّن من طرد محمد باي،وقد جاء في رسالة الداي شعبان إلى الملك لويس الرابع عشر في 15ذي القعدة 1106هـ /23جوان 1695م، جاء فيها :" كما نحيط جلالتكم علما، بأننا كنا مجبرين على إعلان الحرب ضد محمد باي، بسبب تآمره مع مولاي إسماعيل العربي المغربي"[4].

استغل المغاربة انشغال الداي شعبان بحربه الحدودية مع محمد باي تونس وإخضاعها، لكن بعودته إلى الجزائر تمرد جيشه في المناطق الحدودية الشرقية [5]، وتعاون المغرب مع لويس الرابع عشر من خلال معاهدة فرساي 11شوال1104هـ/ 14جوان 1693م، ورغم معاهدة وجدة المبرمة بينهما ، وجه المولى زيدان عامل تازة ابن المولى اسماعيل حملة إلى الجزائر سنة 1106هـ/1695م، على رأس جيش مُكّون من أربعة آلاف، وأغار على القبائل الحدودية [6]، فقاتلهم ونهبهم ورجع[7].

---

[1] -Eugène Plantet:**Correspondances des deys d' Alger avec la cour de france 1579-1833**, Paris, T1, pp 470-480.

[2] -محمد بن ميمون الجزائري : المصدر السابق،ص23.

[3] -صالح اكليل: المرجع السابق، ص183.

[4]- Eugène Plantet: Op.Cit,p459.

[5]- محمد بن ميمون الجزائري:المصدر السابق،ص25.

[6]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي: المصدر السابق ، ص 83.

[7]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص37.

كما قام المنصور بن الرامي في 20 رمضان 1110هـ/21مارس 1699م، بالهجوم على القرى الجزائرية في نواحي وهران وحرقها ، ومن هناك اتصل بأحمد المتمرد على السلطان، واللاجئ إلى الجزائر، وحاول أن يقنعه بالعودة إلى مكناس، وطلب العفو عنه من والده[1].

د- الحملة الثالثة:

1- حملة المولى إسماعيل على تلمسان ، معسكر، جديوية 1700-1701م:

لم يتوقف المولى إسماعيل عن رغبته وإصراره على التوسع في الحدود الغربية للجزائر ، ورغم عقده معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية من أجل الصلح مع الجزائر 1697م[2] ، لكنه بدأ بتجهيز الأرضية ووضع عوامل التفوق لصالحه ، فوقع معاهدة صداقة وتجارة مع لويس الرابع عشر ، وتحالف مع مراد باي تونس واتفق معه على مهاجمة الجزائر في وقت واحد من الشرق والغرب[3]. فتحرك مراد وهاجم الشرق لكن مصطفى داي الجزائر استطاع هزيمته وقتل ألفي جندي تونسي[4]، بالقرب من جوامع العلمة، وانسحب مراد إلى تونس في 19 ربيع الثاني 1112هـ/ 3 أكتوبر 1700م[5].

إنّ انشغال الداي مصطفى بدفْع ضربات مراد باي تونس، دفَع بوالي وجدة زيدان بن المولى إسماعيل بالهجوم على ضواحي تلمسان، بل توجه كذلك إلى مدينة معسكر مقر الباي مصطفى بوشلاغم[6] الذي كان منشغلا بغزواته، واستولى على قلعة معسكر، لكن القوات العثمانية استطاعت دحر جيش المولى زيدان [7]وعاد إلى المغرب، وعزله والده، وولى أخاه حفيظ [8].

---

[1]- رسالة من وكيل فرنسا في سلا إلى مسؤول في حكومة بلاده، بتاريخ16 رجب - 12ذي القعدة1110هـ/ 17جانفي - 11ماي 1699م، رقم الوثيقة 45، تسلسلي1173 ، ينظر: خليفة حماش:كشاف.. ، المرجع السابق، ج2، ص 311.

[2]- محمد علي داهش: العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث ..،المرجع السابق، ص166.

[3]- أحمد توفيق المدني: عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص46.

[4]-محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق،ص26.

[5]- أحمد توفيق المدني: عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص46.

[6]- محمد بن يوسف الزياني:دليل الحيران، المصدر السابق، ص25.

[7]- مارية دادي: **تاريخ مدينة وجدة من التأسيس إلى سنة 1830** ، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،المغرب، 2004، ص320.

[8]- مولاي عبد الحميد العلوي: المرجع السابق، ص89.

إلا أنّه نجد المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي ينفي ذلك التحالف، إذ يذكر: " ومن الطريف أن نسمع عن ادعاء جزائري لتواطؤ جديد بين المغرب وتونس لضرب الجزائر، حيث يهاجمها من شرقها مراد باي تونس ، وهو إتفاق لاتعرفه لا المصادر التونسية كما لا تعرفه المصادر المغربية"[1].

لكنّ يبدو جليا أنّ هناك تحالف بين تونس والمغرب ، إلا أنّ سوء التنسيق بينهما أدّى إلى هزيمة متلاحقة لهما من قبل داي الجزائر[2].

وفي هذه الحملات، نجد دائما أنّ فرنسا تحاول تأجيج الوضع، والسعي لإشعال فتيل الحرب بين الطرفين، لعلمها بالعداء الموجود بينهما، لكنّ رغم ذلك فإنّ هذين الطرفين لم يتحدا مع الدول المسيحية ، وقد أدركت ذلك فرنسا ، حيث جاء في تقرير لها في جوان 1700م /15ذي الحجة 1111هـ: " إنّ قيام الثورات في المغرب، وهجوم الجزائريين على الأراضي المغربية، هي عوامل غير كافية لإرغام السلطان على توقيع معاهدة الصلح مع فرنسا. وفي حالة وقوع هجوم من دولة أوربية على المغرب، فإن الجزائريين سيغيرون موقفهم المعادي للمغرب ، ويسارعون إلى نجدة السلطان ضد تلك الدول الأوربية المعتدية ، لأن ذلك من المبادئ التي تقوم عليها عقيدتهم" [3].

والأكيد أنّ رابط الدين الذي يجمع بين الجزائر والمغرب، هو الذي يجعلهما في منأى عن التحالف مع دولة مسيحية ضد بعضهم البعض حتّى في أشد حالات العداء بينهما.

2- حملة جديوية شلف1112 هـ/ 1701م:

وجه المولى إسماعيل جيشه نحو الجزائر وتوغل فيها، فالتقى الجيشان عند واد جديوية [4] ، في20 من ذي القعدة 1112هـ/ 28 أفريل 1701م، وانتهت بعد أربع ساعات بهزيمة الجيش المغربي ، حيث قتل ثلاثة آلاف مغربي ، وغُلقوا على أبواب العاصمة ، وخرج المولى إسماعيل وكاد يقع في

---

[1]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، المرجع السابق، ج9، ص21.

[2]- فقد أشار الأستاذ خليفة حماش في كتابه :"كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنية الجزائرية والتونسية" لوثيقة في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم :3205/1/53 تتضمن هجوم السلطان المولى إسماعيل على الأراضي الجزائرية بالتحالف مع مراد باي تونس ، واستشارة داي الجزائر العلماء في كيفية الرد. ينظر: الملحق العاشر: وثيقة ضمن أخبار الاتفاق المغربي التونسي للهجوم على أتراك الجزائر، مؤرخة سنة 1206هـ/1791م.

[3]-خليفة حماش : المرجع السابق، ج2، ص312.

[4]- من فروع واد الشلف، تقع على بعد 9كم إلى الغرب من واد رهيو ، وتبعد حوالي 22كم عن مدينة غليزان ، ينظر: موسى بن عيسى المازوني: **مناقب صلحاء الشلف**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 2019،هامش ص126.

قبضة الأتراك[1]. الذين غنموا خمسة آلاف حصان، منها حصان المولى إسماعيل الذي أُهدي فيما بعد إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر، في حين كانت خسارة الجزائريين عشرة جنود فقط[2].

وبعد خسائره المتكررة في محاولاته التوسعية نحو الجزائر، لم يقد حملة بنفسه بعد معركة زبوجة، وظل واد ملوية حدا فاصلا بينهما ، وليتفادى القوات العثمانية في الشمال، أرسل ابنه عبد الملك للإغارة على جنوب الجزائر،ووصل إلى عين ماضي[3].ثم استولى على قصر بوسمغون ،وذلك من أجل الاستيلاء على المناطق المجاورة، وتوسيع الأراضي المغربية على حساب الأراضي الجزائرية في فترة حكم علي شاوش(1710-1718م)، حيث استطاع أحد أبنائه أن يضع حامية في قصر بوسمغون[4]بين عين الصفراء والبيض،وظلت قائمة بين سنتي (1710-1713م)، لكنه تراجع بعد ذلك بسبب انشغاله بالثورات الداخلية[5]. وفي سنة 1720م هاجم الأراضي الجزائرية إلا أنّ الداي أرسل الإمدادات إلى بايلك الغرب، لكن الباي توصل إلى اتفاق مع المولى إسماعيل لإيقاف الحرب[6].

2- مساندة أتراك الجزائر للقوى المناوئة للعلويين في المغرب:

كان المغرب لايزال مفتتا مجزءا؛ إذ أنّ بداية حكم المولى محمد اقتصرت على سجلماسة وشرق المغرب، لكنّه انهزم أمام أخيه المولى الرشيد ، الذي حكم المغرب، وتابع توحيده، ومن العناصر المعادية لحكمه الدلائيون .

---

[1]- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق ،ج3، ص54.

[2]-محمد بن ميمون : التحفة المرضية ، المصدر السابق،ص27.

[3]-محمد الصغير الإفراني: **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية،الرباط، 1995 ص52.

[4]- يقع في منطقة البيض في الجنوب الغربي للجزائر ،اشتهر بتعدد أقطابه الصوفيه وأضرحته وزواياه، فسمي نسبة للولي الصالح أحمد بن سمغون، وكان ممرا للقوافل التجارية، ثم للحجيج المتوجهين إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج .ينظر: محمد الكبير فيقيقي: **"حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث"**، في مجلة المواقف،ع9، جامعة معسكر ، الجزائر،2014، ص 306.

[5]- حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته:من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الأوربي**،ط1،العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت،مج 2، 1992، ص273،ينظر: شارل أندري جوليان:المرجع السابق، ج2،ص298.

[6]- صالح عباد: المرجع السابق ، ص240.

أ- مساندة آل النقسيس والخضر غيلان:

راسل الخضر غيلان الجزائريين في 2 رجب 1082هـ/3نوفمبر 1672م، يطلب منهم الدعم، والوقوف معه ضد المولى إسماعيل، والجدير بالذكر أنّ الخضر غيلان وحاكم أولاد النقسيس الذين هربوا إلى سبتة ثم إلى الجزائر أثناء هجوم المولى الرشيد على تطوان سنة 1077هـ/1666م[1]، وبعد موت الرشيد عاد الخضر غيلان من الجزائر مع جماعة من الأتراك، ونزل تطوان سنة 1079هـ/1668م، كان قد سبقه صهره مفضل النقسيس،فجابه المولى إسماعيل في الشمال غيلان و أسرة النقيسس اللذين لقيا تشجيعا من الأتراك ،و تعاون هؤلاء مع فاس التي بايعت ابن محرز ،لكن جيوش المولى إسماعيل تمكّنت من القضاء على غيلان،وأسرة النقسيس سنة 1084هـ/1673م[2]، واستولى على فاس، و لعل إعراضه عن اتخاذ فاس أو مراكش عاصمة له و اختيار مكناسة كان بسبب موقف هاتين العاصمتين التقليديتين[3].

ب- مساندة ثورة الدلائيين:

تمكّن المولى الرشيد من هزم الدلائيين الذين حكموا المناطق الممتدة من سلا حتى أعالي ملوية، وكل إقليم تادلة ، سنة 1079هـ/1668م ، وقام بترحيل محمد الحاج الدلائي،وأهل الزاوية، وطردهم إلى فاس وهدم زاويتهم [4]، وسمح لهم بالبقاء فيها، مستثنيا محمد الحاج وأهله، وأمرهم بمغادرة المغرب والالتحاق بالجزائر، واستقروا بتلمسان 1089هـ/1669م ، ونزلوا بحرم العباد الذي فيه ضريح الشيخ أبي مدين الغوث[5] ، ورغم أن الدلائيين ربطتهم بالعثمانيين في الجزائر صداقة، بحكم التعاون في الجهاد البحري والمجال التجاري ، كما أنّ السلطة الجديدة الناشئة العلوية ناصبت العداء للعثمانيين ؛ إذ حاولوا عدّة مرات شن حملات عليها ،والتفاف قبائل الحدود حولها ، ولكن رغم أن تلمسان تابعة للعثمانيين إلا أنّ معاملتهم للدلائيين كانت جافة وقاسية وسلبوا أغلب ممتلكاتهم وقد مكثوا بها مدة خمس سنوات،توفي فيها الحاج محمد الدلائي في 14 ماي 1671م ، ودفنه ابنه عبد الله فيها بالقرب من ضريح الإمام السنوسي ، ثم توجه لأداء فريضة الحج، ومكث عامين، ثم عاد إلى الجزائر سنة

---

[1]- عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق،ج4، ص127.

[2]- محمد حجي : علاقة تطوان بالمخزن ، المرجع السابق ، ص 23.

[3]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص86.

[4]- محمد القبلي: المرجع السابق، ص402.

[5]- محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف: المصدر السابق، ص52.

1674م ، وبقي فيها إلى أن أُخمدت ثورة أهل تلمسان على العثمانيين ، ولحق بأهله إلى فاس الذين عادوا بإذن من المولى إسماعيل في جمادى الثانية 1085هـ/ سبتمبر 1674م قبل نشوب الثورة، وتوفي سنة 1086هـ/1676م ودفن بجوار والده[1].

وبعد عودة الدلائيين إلى فاس تخلف أحمد الدلائي بن عبد الله عنهم فلم يعد معهم ، وشعر المولى إسماعيل أنّه يجهز لثورة ضده، إلا أنّ أحمد أرسل رسالة له يبرر فيها تخلفه عن المجيء إلى فاس ، لكن بمجرد خروج السلطان إسماعيل إلى مراكش لإخماد ثورة بن محرز [2]، دخل أحمد إلى المغرب سنة 1088هـ/1677م متجها نحو بلاد الدلاء ، مدعوما من العثمانيين في الجزائر وطالب بالحكم في الأطلس المتوسط وتادلة[3] لاسترداد حكم آبائه [4].

ولما علم إسماعيل بعث بجيش بقيادة يخلف لكن أحمد تمكنّ منه[5]، وجهز إسماعيل جيشا ولم يكد يقطع واد العبيد حتى وجد جيش أحمد الدلائي في انتظاره يوم 5 صفر1089هـ/30مارس 1678م ووقعت معركة طاحنة انتصر فيها إسماعيل [6]، بينما تمكن أحمد من الفرار مع أتباعه إلى أن توفي بعد عام وخمسة أشهر يوم الأحد 21محرم 1091هـ/ 22فيفري 1680[7].

ج- مساندة ثورة أحمد بن محرز :

من التمردات الأسرية التي تعرضت لها الدولة العلوية في عهد الرشيد تمرد ابن أخيه أبي العباس أحمد بن محرز الذي ولاه على عدّة أقاليم،ومنها : وادي درعة ، سجلماسة و بلاد أنجاد " وجدة " ثم مراكش، قام بالتمرد على عمه الرشيد سنة 1671م في مراكش، و لما توجه إليه فرّ إلى أزمور ثم عاد نادما إلى عمه الذي وبخه، و أخذ منه كل ممتلكاته قبل أن يعفو عنه ،و يرسله إلى تافيلالت ، ولكن

---

[1]- محمد حجي : الزاوية الدلائية، المرجع السابق،ص238.

[2]- المرجع نفسه، ص238.

[3]- محمد القبلي: المرجع السابق، ص408.

[4]- محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي: **عنوان النفاسة في شرح الحماسة** ،تح: محمد جمالي، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2013، ج 3،ص18.

[5]- محمد المشرفي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية ،المصدر السابق،ج1، ص284.

[6]- محمد حجي:الزاوية الدلائية ، المرجع السابق، ص240.

[7]- محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي: عنوان النفاسة في شرح الحماسة ، المصدر السابق، ص18.

ما إن توفي الرشيد حتى بايعه أهل مراكش و استقدموه من تافيلالت[1]. و عندما طالب إسماعيل أهل مراكش بالبيعة لم يستجيبوا له، فتحرك إليهم في أواخر سنة 1082هـ/1672م ،و انتصر فيها إسماعيل، و فرّ ابن محرز إلى الجبال ثم ذهب إسماعيل إلى فاس ،و كان عليه أن يواجه للمرة الثانية مراكش التي عادت إلى بيعة ابن محرز سنة 1085هـ/1674م فلقيه ابن محرز بجيشه، و دخلها عنوة للمرة الثانية سنة1088هـ/1677م ،و فرّ من مراكش إلى إقليم السوس[2].

وتذكر العديد من المصادر مساندة الجزائر لأحمد بن محرز ضد عمه إسماعيل،فقد جاء في كتاب الاستقصاء مانصّه:" ثم بلغه أنّ الترك خرجوا بعسكرهم واستولوا على بني يزناسن ، وعلى دار ابن مشعل وأنّهم قد مدوا يد الوفاق إلى ابن محرز وراسلوه وراسلهم وانبرم كلامهم معه في الحرب.."[3].

ويبدو أن اتصال الأتراك العثمانيين بابن أخيه أحمد بن محرز كان بسبب سياسة المولى إسماعيل التوسعية نحو الشرق باتجاه الأراضي الجزائرية.وحينما علم المولى إسماعي أنّ ابن محرز رحل إلى الشرق إلى بني يزناسن سنة 1094هـ/1682م، و بالاتصالات التي دارت بين ابن محرز والعثمانيين. وجه حملة إلى بني يزناسن[4]. ثم قاد جيشه باتجاه تلمسان،واستغل ابن محرز تحركات المولى إسماعيل و نشط في السوس، وأرسل ديوان الجزائر رسالة للمولى إسماعيل يطلب منه الانسحاب من تلمسان ، ذلك أن الجزائر كانت تحت وقع الهجوم الفرنسي،ففك إسماعيل الحصار على تلمسان، واتجه إلى سوس للقضاء على ابن محرز ،الذي دخل إلى تارودانت، فحصاره المولى إسماعيل[5]،واضطر الطرفان لإيقاف القتال،وانتهى الأمر بانهزام ابن محرز في19جمادى الأولى 1094هـ/16ماي 1683م ورجوعه إلى تارودانت[6]. وبالتالي تمكن المولى إسماعيل من إخضاع إقليم مراكش[7].وقُتل ابن محرز بالسوس سنة 1096هـ/ 1686م الذي ظلّ يهدد ملك عمه المولى إسماعيل طيلة أربع عشرة سنة[8].

[1]- عبد المجيد قدوري : **المغرب وأوربا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر**، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ، المغرب، 2000،ص267.

[2]- محمد الصغير الإفراني:نزهة الحادي ..،المصدر السابق، ص305.

[3]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7 ، ص65.

[4]- عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق،ج4، ص133.

[5]- عبد الرحمان بن زيدان:المنزع اللطيف ،المرجع السابق،ص215.

[6]- محمد بن الطيب القادري :نشر المثاني، المصدر السابق،ص1688.

[7]- جلال يحي: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**، ط1 المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، 1983، ص17.

[8]- عزيز سامح ألتر:المرجع السابق، ص440.

المبحث الثاني:

العلاقات الدبلوماسية الجزائرية المغربية

لقد تميزت العلائق الدبلوماسية بين البلدين بالقلة مقارنة مع الدول الأوربية؛ إذ لم تكن هناك آليات دبلوماسية بين الجزائر والمغرب، إلا أنّ أول اتصال تمّ بينهما كان في عهد المولى محمد بن الشريف العلوي[1].

1- سفارة أحمد باشا إلى المغرب:

بعد الهجمات التي قام بها محمد الشريف ومحاولته التوسع شرق المغرب ، من سجلماسة حتى وجدة وحتى إلى تلمسان، بادر العثمانيون في الجزائر بإرسال أول سفارة للعلويين في منتصف رجب 1064هـ/2ماي 1654م ، بعث بها أحمد باشا[2] ،والتي تتكون من أربعة أعضاء اثنين من العلماء، وهما الفقيهان عبد الله بن عبد الغفار النفزي، ومحمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي ، واثنين من الديوان التركي[3].

رسالة أحمد باشا الجزائر إلى محمد الشريف العلوي :

وفي إطار السفارة التي أرسلها، أرسل معها رسالة كتبها أبو الصون المحجوب الحضري[4]، ومما جاء في مقدمة الرسالة من تحية وتذكيرهم بنسبهم الشريف :"....إن حفيد مولانا علي، وسيدتنا البتول وولده مولانا الشريف بن مولانا علي وبعد ..، فقد كاتبناكم من مفتي غنيمة المقيم والطاعن والزائر رباط الجريد مدينة الجزائر..."."

وقد تميز أسلوب الرسالة بالتهديد والإهانة تارة " إن الحجر لايدق بالطوب ، والخاطف لايطأ أوطية الخطوب". وباللين والاستعطاف تارة أخرى كأسلوب للمناورة بسبب تخوف الجزائر من القوة الجديدة في المغرب، خاصة بعد عملها على إخضاع القبائل العربية التي كانت تدين بالولاء للعثمانيين واستخلاصها من الحكم العثماني وإرجاعها للعرب[5]." لكن فاتكم سر الرأي والتدبير، فخرقت على

---

[1]- عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب،المرجع السابق، ص135.

[2]-حكم الجزائر في الفترة الممتدة(1063-1065هـ/1653- 1655م) ، ينظر: حسين بن رجب شاوش بن المفتي:المصدر السابق، ص53.

[3]- محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف: المصدر السابق، ص23.

[4]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7 ، ص25.

[5]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب،المرجع السابق، ج9، ص10.

الأيالة العثمانية جلباب صونها الجديد ، من وجدة الأبلق إلى حدود الجريد ، فشوشت علينا أخلاق أخلاط الأعراب ...، فإن تعلقت همتك بالإمارة فعليك بالمدن التي حجرها عليك همج البرابر فصار يدعى لها بها على المنابر.... دع عنك وطن الرمال والعجاج ...ليبقى بيننا وبينكم الستر المديد على الدوام ، ونلغي كلام الوشاة من الأقوام "[1].

وانطلاقا من الرسالة وماتوحي به من تخوف باشا الجزائر من توسعات محمد على حساب الأراضي الجزائرية، وتخوفه من تأليب القبائل في الجزائر على العثمانيين "ولولاك ماثار علينا أهل تلمسان ، وأنكروا مالنا من قديم الحنانة والإحسان"[2]. بالإضافة إلى ماشهدته السلطة في الجزائر من اضطراب نتيجة تلاعب العسكريين بالباشوات[3].

إنّ الأسلوب الذي جاءت به الرسالة بين التهديد واللين ، وكذا أطماع العلويين في التوسع . جعلت محمد يرسل رسالة إلى أحمد باشا، من إنشاء أبي عبد الله محمد بن مبارك، وشهادة الفقيه أبي العباس أحمد التجموعتي والقاضي أبي نعيم رضوان بن عبد الملك [4].

2- سفارة محمد الشريف العلوي إلى حاكم الجزائر:

ردّ محمد الشريف المغربي على رسالة أحمد عثمان باشا،في أواخر شعبان 1064هـ/15 جويلية 1654م، نقلها له سفراؤه ، ويظهر في الرسالة تهكم من الحكم العثماني القائم بالجزائر،وقد كان رد محمد قاسيا ينم عن بغضه وحقده على العثمانيين، وأنهم علوج يفتقرون للشروط الشرعية التي تخولهم حق الخلافة [5]، حيث جاء في رسالته:"قبح العلج عروج المؤسس لكم بتلمسان أجمل برج"[6].وردا عن اضطرابات وثورة أهل تلمسان أنّ سبب ذلك يرجع إلى هم العثمانيين أنفسهم، قال :"إنّ آل تلمسان ما أثارهم إلا جوركم في الأموال والبنين، مكابدتهم للضيم على مر السنين".

وفي مقابل ذلك فقد رفع من شأنه، وشأن أسرته ونظامه القائم في المغرب ، وأصرّ بسط سلطته على الجزائر وحتى ولو بعد حين" "وما فاتنا من الكرامات يدركها الأخ أو الابن أو الحفيد" ، كما

---

[1] -أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7 ، ص ص23-25.
[2] - المرجع نفسه، ج7 ، ص26.
[3] - محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب،المرجع السابق، ص73.
[4] - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج9، ص10.
[5] - محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب ، المرجع السابق، ص72.
[6] - محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف: المصدر السابق،ص25.

تطرق إلى مؤامرة قتل محمد الشيخ السلطان المغربي التي دبرها الأتراك [1]. ويظهر هنا استمرارية سياسة العداء تجاه العثمانيين،والتي كانت منذ العهد السعدي .

كما صرح وهدّد بأن نهاية وجودهم في المغرب العربي ستكون على يد المغرب، فقال: " وقلع أوتادكم مع الروم من المغرب على يد أبنائنا دون طعن أو ضرب "[2]. وهنا يضع محتلي الثغور المغربية الأوربيين الإسبان والبرتغال في كفة واحدة مع العثمانيين من أجل التخلص منهم .

كما عاب على أحمد المنصور فتحه للسودان، وانشغاله عن الأتراك؛ الذين كان لابد من تصفيتهم من بلاد المغرب العربي[3].

ولما وصلت الرسالة في يد أحمد باشا، لم يجد فيها جوابا ذا فائدة فردّ عليه في الحين برسالة شفوية[4]، موصيا أعضاءه بتقديم أرائه لكل مايفضي إلى تحقيق السلام والمحبة والأخوة"[5].

والملاحظ أنّ رسالة المولى محمد الشريف العلوي أظهرت تجدّد سياسة العداء بين البلاط المغربي والأتراك العثمانيين في الجزائر، وبهذا رجعت العداوة التي كان في العهود السابقة .

2- رسالة أحمد باشا إلى المولى محمد :

أرسل أحمد باشا برسالة إلى المولى محمد مؤرخة في منتصف رجب1064هـ/ جوان1654م يقول فيها:" نحن جئناك لتعمل معنا شريعة جدك، وتقف عند حدك ، فما كان جدك يحارب المسلمين، ولا ينهب المستضعفين ، فإن كان غرضك في الجهاد، فرابط على الكفار الذين هم معك وسط البلاد، وإن كان غرضك في استيلاء دولة آل عثمان ، فأبرز إليها واستعن بالرحيم الرحمان فلا يكن في ذلك عليك ملام فهذا ماجئت له والسلام وأما يقادنا والفتنة بين العباد فليس من شيم أهل البيت الأمجاد ولايخفى عليك أن مانفعله حرام لايجوز في مذهب من مذاهب المسلمين . وهذا فقيهان من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعا ماتقوله ويحكم الله بيننا وبينك ورسوله ، فقد تعطلت تجارتنا أجفلت عن وطننا فما جوابك عن الله في هذا الذي تفعله في بلادنا وأنت ابن رسول الله

[1]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج9، ص12.

[2]- محمد بن عبد السلام الرباطي الضعيف: المصدر السابق،ص25.

[3]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج9، ص11.

[4]-عبد الرحمان بن زيدان : إتحاف أعلام الناس ،المرجع السابق، ج3،ص164.

[5]- محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب ، المرجع السابق، ص73.

صلى الله عليه وسلم ، مع أنه لم يعجزنا أن نفعله نحن في بلادكم ورعيتكم على أننا محمولون على الظلم والجور عندكم لكن تأبى ذلك همة سلطاننا "[1].

فهنا ذكّر أحمد باشا الجزائر المولى محمد العلوي بضرورة تحريره الثغور المغربية المحتلة قبل محاربة العثمانيين المسلمين الذين يستطيعون التمكّن منه إذا أرادوا ذلك، وبهذا نجد لغة التهديد في طيات هذه الرسالة ، إلا أنّ خصالهم تمنعهم من تطبيق ذلك.

3- رسالة المولى محمد بن الشريف لأحمد باشا الجزائر:

تراجع المولى محمد وحمّل المسؤولية للعرب :" والله ما أوقعنا في هذا المحظور إلا شياطين العرب، انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله وأبلغناكم غرضهم فلاحول ولاقوة إلا بالله .وأنّي أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم سوء، وإني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لاقطعت وادي تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله "[2].

فتم وضع وادي التافنة حدا فاصلا بينهما في الشمال ،وكانت هذه المعاهدة هي أساس المعاهدات وأول معاهدة لملوك الدولة العلوية [3].

4- رسالة من حاكم الجزائر إلى المولى الرشيد:

لم تتوقف الدبلوماسية الجزائرية المغربية، واستقر خط التافنا الحد الفاصل بعد وفاة المولى محمد، وتولي الرشيد 1075هـ-1082هـ/1664-1672م ، وصلت بعثة تركية تطلب منه ألا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي التي توجد تحت نفوذهم على أن يعدلوا عن التوسع في المغرب فوافق الرشيد[4].وضمن كتابا منه إلى الوالي التركي ، احتوي على رسم الحدود التي تفصل الأراضي المغربية الجزائرية، وجعل واد التافنة حدا فاصلا بين البلدين[5].

ونجد أنّ المولى الرشيد قد التزم بوعده ، ولم يوجه حملات نحو الجزائر ، خاصة أنّه كان في مرحلة إخضاع القوى المحلية للمغرب .

[1]- ينظر: الملحق السابع،ص379.

[2]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7 ، ص26.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان: **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تح: عبد اللطيف الشاذلي، ط1، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب، 1999،ص38.

[4]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق، ج9، ص12.

[5]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7 ، ص 60.

5- رسالة من داي الجزائر إلى المولى إسماعيل :

بتولي المولى إسماعيل الحكم، يذكر صاحب الاستقصاء أنّ حكام الجزائر راسلوه، لكننا لم نقف عند الرسالة فيقول:" وكاتبه الترك في أن يتخلى لهم عن بلادهم، ويقف عنه حد أسلافه ، ومن كان قبلهم من ملوك الدولة السعدية، فإنهم ما زاحموهم قط في بلادهم ،وبعثوا إليه بكتاب أخيه المولى محمد بن الشريف الذي كان بعث به إليهم مع رسلهم حسبما تقدم،وبكتاب أخيه المولى الرشيد الذي فيه الحد بينه وبينهم ، فوقع الصلح على وادي التافنا"[1].

لكن المولى إسماعيل لم يلتزم بها،ورفض قبول واد التافنا حدا فاصلا بينهما ، ماجعل البلدين يعرفان توترا كبيرا في الفترة الإسماعيلية، خاصة بعد أن عمل العثمانيون في الجزائر على دعم أعداء المولى إسماعيل داخل المغرب والاتفاق معهم كالخضر غيلان، وآل النقسيس بتطوان، والدلائيين في سلا وتادلا، وأبي حسون السملالي في درعة، أحمد بن محرز والحران، وابنه محمد العالم في مراكش وتارودانت[2].فتراوحت سياسته في الرد على ذلك بتوجيه حملات عسكرية تارة، واتفاقيات السلم تارة أخرى، سواء بين الجزائر مباشرة أو بين الباب العالي.وبعد محاولاته التوسعية، وانهزامه في معركة القويعة في سهل الشلف أجبر، على الاعتراف بالمعاهدة التي أبرمها أخوه محمد والرشيد مع الجزائر[3].

3- سفارة المولى إسماعيل إلى الجزائر:

ومن البعثات الدبلوماسية التي وجد المولى إسماعيل نفسه مجبرا على إرسالها،بعد حملة المشارع 1692م،التي قادها الداي شعبان كرد فعل على هجمات المولى إسماعيل ، وزحفه إلى المغرب وقارب الوصول إلى فاس،إلا أنّ تدخل العلماء من الجانبين،وهم من أتباع الطريقة القادرية،الشاذلية، والأولياء الموالين للعلويين أتباع الطريقة الدرقاوية،وكان للعلماء المغاربة الذين أرسلهم المولى إسماعيل إلى معسكر الجزائريين لإقناع الداي شعبان بعقد الصلح مع السلطان،ساهم في تهدئة الجو، واتفق الطرفان على احترام الحدود، حيث نُصبت خيمة بين الجمعين، ووصل إليها المولى إسماعيل ويداه مكتوفتان وقبل الأرض ثلاث مرات أمام الداي وقال:

---

[1]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج7، ص ص 59-60.

[2]- أحمد الأزمي: بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل،المرجع السابق، ص183.

[3]- جلول المكي:المرجع السابق، ص110.

" إنّ السلطان كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح ، كانت يداه مكتوفتين ، وذلك إشعارا باستسلامه ، وخضوعه،وعندما وصل أمام الخيمة قبل الأرض ثلاث مرات، وأردف قائلا للداي:" أنت الخنجر، وأنا اللحم، فاقطع إن شئت قطع"[1]. فلم ينله مكروه من الداي؛بيد أنّه اشترط عليه شروطا عجز عن تطبيقها فيما بعد " [2]. فهذه الحادثة ذكرها ليون قاليبار ونقلها عنه محقق كتاب التحفة المرضية ، لكن نجد أن مؤرخي المغرب نفوا ذلك .

أ- معاهدة وجدة :

وقع المولى إسماعيل معاهدة صلح في لقاء وجدة[3] ، وقد اتفق على اعترافه بـ :

- تخلي السلطان المغربي المولى إسماعيل وخلفائه من بعده بصورة تامة عن الحقوق التي يدعونها في الأراضي الجزائرية، ومشاريعهم التوسعية فيها.

- اعترافه بتبعيته للسلطان العثماني ، وإرساله أحد أبنائه إليه ليعبر له عن ذلك الولاء من السلطان ، وسيأخذ الجزائريون ذلك الولد معهم إلى الجزائر، ومنها يقومون بإرساله إلى اسطنبول؛ حيث يذكر ايستل صاحب التقرير بأن السلطان المغربي عين ابنه عبد الملك البالغ من العمر 15سنة ليذهب الى اسطنبول ، وعين حاشية تتكون من بعض القواد ومئتي رجل لخدمته .

- عدم قيام سلطان المغرب في المستقبل بأية حملة عسكرية على مدينة وهران بهدف حصارها، لأن مدينة وهران جزائرية ، والجزائريون وحدهم هم الذين يقررون فتحها واستعادتها من أيدي الإسبان.

- الإقرار بواد ملوية حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب.

- إعفاء التجار الجزائريين من دفع الرسوم عن البضائع التي يحملونها معهم إلى المدن المغربية، سواء من الجزائر أو من بلد آخر غيرها ، والإجراء نفسه يتبع عند خروجهم من المغرب أيضا .

- السماح للبحارة الجزائريين بإحضار غنائمهم التي يحصلون عليها من أعدائهم في عرض البحر إلى موانئ المغرب، وبيعها هناك، دون الحصول على الموافقة من أي مسؤول في تلك الموانئ ، إضافة إلى

[1]-محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران، المصدر السابق، ص50.

[2]-Léon Galibert:**Histoir de L'Algérie Ancienne et Moderne**,Paris ,1843, p234.

[3]- أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق ، ص45.

ذلك فإنه يسمح لهم بأن يخرجوا من الأراضي المغربية الأسرى الأوربيين الذين يقبضون عليهم على متن السفن التي يغنمونها، دون أن يرغموا على بيعهم للسلطان كما كان يفعل من قبل[1].

– التوقف عن التحرشات والاعتداءات بين البلدين.

– تسريح المولى إسماعيل لجيوشه غير الضرورية و دفع الضريبة إلى الداي [2].

وبعد الاتفاق على بنود معاهدة الصلح، سلم السلطان المولى إسماعيل فرسه الذي كان سرجه وشكيمته من ذهب ، وتقدر قيمتها بنحو خمسة عشر ألفا من العملة الذهبية الفرنسية ،ثم صاح وسط جيشه ثلاث مرات مُشيدا فيها بالسلطان العثماني معترفا بتبعيته له [3].

ب– تنقل السفارة المغربية إلى الجزائر:

أرسل المولى إسماعيل سفارة إلى الجزائر لعقد الصلح، وضمّت عددا من كبار الأعيان ، مائة وعشرين فارسا على رأسهم ابنه المولى عبد الملك [4] . والقاضي أبي عبد الله محمد الطيب الفاسي، والكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب الغساني المدعو الوزير في27 شوال 1103هـ/ 12جويلية 1692م [5]، وقد اتفق الطرفان على إعادة الحدود من واد تافنا إلى ملوية، وبهذا تراجعت الحدود إلى ملوية[6].لكنه نقض هذه المعاهدات بحملاته كما ذكرنا من خلال حملة ابنه زيدان ، معركة جديوية، وتحالفه مع تونس 1694م.كما وجدت عدّة بعثات بين البلدين لم تذكرها المصادر المحلية بل ذكرها القناصلة الأوربيون في تقاريرهم ، لكنهم لم يكتبوا تفاصيلها ونذكر منها على سبيل المثال:

– تنقل السفارة الجزائرية إلى المغرب:

أرسلت سفارة جزائرية إلى مكناس تتألف من أربعة أشخاص،طلبوا من المولى إسماعيل توضيحات حول أهداف استعداداته العسكرية ، وأسباب نواياه الحربية ضد الجزائر، وأخبروه بأن الجزائريين يستعدون لاسترجاع مدينة وهران من أيدي الإسبان ، طالبين منه تقديم المساعدة العسكرية وتتمثل

[1]– تقرير من السيد ايستل مبعوث الملك الفرنسي إلى المغرب ، بتاريخ 2محرم 1104هـ/12سبتمبر 1692م ، ينظر: خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ،المرجع السابق، ص ص 295-296.

[2]– Léon Galibert:Op.cit,p235.

[3]–خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق،ج2، ص296.

[4]– عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، المرجع السابق، ص136.

[5]– محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر..، المصدر السابق، ص256.

[6]– جلول المكي: المرجع السابق ، ص114.

في خمسة ألاف جندي سوداني ، لكن السلطان لم يأخذ كلام السفارة بعين الاعتبار واعتبرهم جواسيس[1].

من خلال الرسائل والسفارات،يظهر أنّ الآلة الدبلوماسية بين البلدين قليلة، بل حتى مع العالم الإسلامي، وهذا بسبب عدم الاهتمام بتدوين ذلك ، على عكس الدبلوماسية الأوربية التي دونت تفاصيل سفاراتها، وعلائقها السياسية بينها وبين الجزائر والمغرب.

2- المراسلات المغربية العثمانية بشأن الجزائر:

سعت كل من الدولة العثمانية والمغرب لربط الصلات بينهما،وذلك من خلال تبادل الرسائل والسفراء بين الدولة العثمانية والمغرب من أجل تحسين العلاقات بينهما من جهة، ووضع حد وإيجاد حل للخلاف المغربي الجزائري من جهة أخرى والذي أصبح هاجسا يؤرق الدولة العثمانية، ويزعزع العلاقة بينها وبين المغرب التي تحكمت فيها الثقافة الدبلوماسية من خلال احتواء الصراع والخلاف الذي كان بين أيالتها في الجزائر والمغرب و تأكيد البعد الإسلامي بين البلدين.

1-رسائل بين المولى إسماعيل والسلطان العثماني محمد الرابع (1058-1099هـ/1648-1687م) :

- رسالة شكوى:

أول رسالة أرسلها المولى إسماعيل إلى السلطان العثماني محمد الرابع مستثمرا العلاقات الودية بينهما، لعله يستطيع التأثير على الجزائر، يخبره فيها بما فعله أتراك الجزائر، ومحالفتهم لابن محرز ضده ، ويبدو أن السلطان قد أنصفه من خلال ماورد في رسالة محمد بن حدو إلى شارل الثاني 11شعبان 1096هـ/5أوت 1683م، تؤكد أن السلطان العثماني أنصف السلطان المغربي المولى إسماعيل: " إنّ أيالة الجزائر تحت أمره ونهيه "[2].وبهذا استطاع المولى إسماعيل كسب قضية الجزائر [3].

[1]- رسالة من القنصل الفرنسي في مكناس إلى حكومته ،4رمضان 1105هـ/ 28أفريل 1694م. ينظر: خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2 ، ص300.

[2]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب،المرجع السابق، ج9، ص ص 13-14.

[3]- عبد الرحيم بن حادة: **المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**،ط1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998 ، ص147.

2-رسائل بين المولى إسماعيل والسلطان العثماني سليم الثاني(1099-1102هـ/1687-1691م) :

إنّ تصرفات حكام الجزائر لاتمثل وجهة نظر الدولة العثمانية التي تميزت بالاحترام والتقدير. إذ استمرت علاقات المولى إسماعيل الودية مع الباب العالي بعد وفاة محمد الرابع وتنصيب سليم الثاني (1687-1691م) ، حيث بعث برسالة له يهنئه فيها بتوليه عرش الدولة العثمانية حملها عبد الملك الأيوبي إلى اسطنبول.وردّ عليه مع سفيره الحاج خليل آغا، متمنيا أن يستمر تبادل الرسائل ووصول السفراء بينهما[1]، وعند رجوع الوفد المغربي من اسطنبول حمل معه رسالتين :

جاء في الرسالة: " لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الود والصداقة المتوارثين فيها بين الأمتين، وإنه من حين جلوسنا على العرش ، ونحن نقوم بأنفسنا على تحرير قواعد الملة خدمة لمصالح الأمة ورفعا لراية الجهاد وحماية الثغور الإسلامية وأننا لم نسمح بقيام المحضورات الشرعية في بلادنا .."[2].

ونلحظ من الرسالة ثناء السلطان العثماني على دولته، ودورها في الدفاع عن الأمة الإسلامية، كما نوّه للمولى إسماعيل عدم التعدي على أيالة الجزائر .

3- رسائل بين المولى إسماعيل والسلطان العثماني مصطفى الثاني (1106-1115هـ/ 1695-1703م):

- سفارة المولى إسماعيل إلى الباب العالي:

أرسل المولى إسماعيل سفارة من عشرة أشخاص، وذلك خلال حملة ابنه زيدان على الجزائر في 29 أوت 1694م، فاستقبلهم السلطان العثماني، وتعهد بتلبية رغبتهم في الصلح مع الجزائر،وأرسل هدايا له[3].

- رسالة تهديد من السلطان مصطفى إلى المولى إسماعيل:

ولكن بعد تحالف إسماعيل مع باي تونس، وحربه على الجزائر من أجل تطهير المغرب الكبير من العثمانيين ، وشكاية داي الجزائر من المولى إسماعيل أرسل سنة 1107هـ/1696م رسالة من مصطفى الثاني حملها الجليل بن الجليل للصلح مع الجزائر، لكنها تحمل في طياتها معاني التحامل

---

[1]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب،المرجع السابق، ج9، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص15.

[3]-عزيز سامح ألتر:المرجع السابق، ص442.

والتهديد[1].فامتثل لذلك المولى إسماعيل، وعمل برسالة مصطفى الثاني، ويهدف من خلال الرسالة إلى ترك الجزائريين في حالهم، والحيلولة دون اختراق هذه البلاد، وحمل ملك المغرب على الطيبة المخلصة مع الجزائر،وعقد أواصر الود معها [2].

وفي رسالة تهديدية بعث بها السلطان العثماني 22شوال 1110هـ/أفريل 1699م، كما نجد في خضم رسالته تساؤله عن سبب عدم تحرير بقية الثغور المغربية من يد الإسبان والبرتغال والانشغال بوجود الأتراك في الجزائر ، جاء فيها :" إنّ الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة المسالك، وأنّ سكان البلاد وأهلها وكامها وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا" وبعد هذا يذكر أنّه بقرب دار السكان المغرب، ماتزال توجد مليلة والبريجة وسبتة وبادس وهي بيد الكفار ... وأنتم تمدون يدكم إلى مدينة بعيدة عن دياركم تقع جوار تلمسان ألا وهي وهران، تريدون أن تحوزوها بأغدار واهية على عكس ماتشير به الآية القرآنية :"يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار"[3].

ويلاحظ أنّ السلطان العثماني حاول توجيه أنظار المولى إسماعيل لتحرير أراضيه المحتلة من قبل الإسبان، بدل تدخله في تحرير وهران ،لأنّ أمر تحريرها شأن داخلي يخص العثمانيين.

– رد المولى إسماعيل على رسالة التهديد:

لم يتردد سلطان المغرب في الرد على الباب العالي:"وماذا منعكم أنتم من تحرير وهران إلى الآن من الإسبان، مع أنّها في متناول اليد، وعوض تخليصها تسمحون لأنفسكم بإذابة الأعراب هناك"[4].

وردا عن عدم تحرير المولى إسماعيل للثغور المغربية ، ذكر السلطان العثماني أن تحرير وهران ليس صعبا " إنّ جهاد جيراننا أهل مزغنة في دشرة وهران أمر خفيف"[5].

[1]– عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق، ج9، ص16.

[2]– حسن شحاتة : المرجع السابق ، ص428.

[3]– عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق، ج9، ص18.

[4]– محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب، المرجع السابق، ص82.

[5]– عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق، ج9، ص20.

4- رسائل بين المولى إسماعيل والسلطان العثماني أحمد الثالث (1115-1143هـ/ 1703-1730م):

- رسالة تهنئة للسلطان العثماني بفتح وهران :

ورغم هذا التوتر في العلاقات خاصة بين الجزائر والمغرب ، وبعد تحرير الداي محمد بكداش وهران من الإسبان سنة 1708م ، أرسل المولى إسماعيل رسالة تهنئة للسلطان أحمد الثالث يهنئه فيها بفتح وهران، وقد ظهر الخلاف واضحا في الأحقية بالخلافة ، إذ خاطبه في الرسالة بحاكم "ولاية فاس"[1] ، ويبدو أن سوء التفاهم سرعان ماتجدد؛إذ أن المولى إسماعيل كغيره من أسلافه ملوك الدولة السعدية والعلوية يلقب "بأمير المؤمنين "، ورأى أحقيته من العثمانيين بالزعامة الروحية للمسلمين[2].

- رسالة من المولى إسماعيل يعرض مساندته للعثمانيين:

أرسل المولى إسماعيل رسالة إلى كل من السلطان العثماني، وملك فرنسا لويس الرابع عشر يعرض مساعدتهم ضد حرب النمسا ، وقد جاء في رسالته التي حررت في 14 جمادى الأولى 22/1122جويلية 1709 [3] : " إنه بالرغم من نظرة تركيا للعرب وتخوفها من وحدة كلمتهم ، فإننا على أتم الاستعداد للوقوف إلى جانب فرنسا مادامت تعمل يدا واحدة مع تركيا..... إنّ حبنا للأتراك نابع من كونهم حراس الحرمين الشريفين وبيت المقدس"[4].

ومن هنا وضحت الرسالة رغبة إسماعيل في التعاون مع الدولة العثمانية، رغم وجود اختلافات بينهما لكن يبقى رابط الدين الإسلامي يجمعهم للوقوف ضد أي خطر أوربي، وهو في نفس الوقت محاولة للتضامن والمصالحة مع الدولة العثمانية لكي ينعكس على علاقاته مع الجزائر.

ورغم علاقات التضامن مع الباب العالي إلا أنّ علاقات التوتر لم تتوقف بين دايات الجزائر والمغرب ، حيث أرسل سفارة إلى السلطان أحمد الثالث يشتكي فيها مما يفعله حكام الجزائر.

---

[1]- حسن شحاتة: المرجع السابق،ص431.

[2]- محمد علي داهش : العلاقات المغربية العثمانية،المرجع السابق، ص167.

[3]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق، ج9، ص22.

[4]- محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب، المرجع السابق، ص84.

- رد السلطان العثماني على شكوى المولى إسماعيل:

جاء رد السلطان العثماني على شكوى المولى إسماعيل بتاريخ آخر جمادى الثانية1137هـ/ 1725م وورد فيها :

"اعلم أيها السيد الوالي أنّ قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسمى، وخطابكم الأنمى، كنا لانعرف ماهم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد ،كما أنهيتموه لنا ولاعرفنا ماصار عندهم ولاما هم عليه ، وبالجملة أهل الجزائر ماهم على شيء لكونهم أخلاط الناس فيهم الأصلي، وفيهم البراني وفيهم من لاخلاق له ولم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب كل هذا لايخفانا قبل ، نعرفه ونتحققه منهم، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم وأرادوا الشر معك وإنا لانرضى منهم ذلك وهذه الذخائر والأموال والخزائن التي خبرتنا بها قطعا خبرنا بها غيرك والآن إن شاء الله نرد لهم البال ونشتغل بهم ولانتركهم في حيز الإهمال وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة نمحي جرتهم "[1].

وبهذه الرسالة التي طلب فيها السلطان العثماني السماح من المولى إسماعيل توعدّ بمعاقبة أتراك الجزائر إذا ما عادوا لصنيعهم.

[1]-عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب،المرجع السابق، ج9، ص ص 22- 23.

ومما سبق، يمكن القول:

-إنّ العلاقة بين العثمانيين والعلويين قد شهدت عدة توترات بسبب الأطماع التوسعية لدى الطرفين فكانت لدى السلطان مولاي إسماعيل رغبة في التوسع نحو الشرق، والسيطرة على تلمسان، وبسبب ذلك وقعت عدة حروب بين الجيشين حول الحدود المغربية ، وتم عقد عدة اتفاقيات صلح بغرض تحديد الحدود الفاصلة بين البلدين .

– السيطرة على القبائل والتخوف من تذبذب ولائها، وانضمامها للسلطة الحاكمة في المغرب سواء السعدية أو العلوية، ومساعدة القبائل لهما في حملاتهم، ما جعل العثمانيين يخرجون ورقة الحدود بين المغرب والجزائر، بهدف مراقبة تلك القبائل وضبط تحركاتها، وذلك لمنع تسرب النفوذ المغربي إلى الجزائر، وبهذا فإنّ العثمانيين كان لهم دور في إدخال مفهوم الحدود السياسية إلى المنطقة.

– إنّ التقارب الجغرافي للمنطقة والترابط التاريخي هو الذي جعل سكانها يعتبرها مجالا واحدا يحق فيه التنقل والإقامة فيها رغم محاولات وضع الحدود السياسية الفاصلة بين البلدين.

– اعتمدت الجزائر والمغرب على الحدود الطبيعية قبل وبعد مجيء العثمانيين ، حيث كان واد ملوية حدا فاصلا ، ليتغير مع بداية الدولة العلوية إلى واد التافنا .

– إنّ انضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية مثّل مرحلة انتقالية جديدة في تاريخ الجزائر، إذ شهد ميلاد دولة جزائرية جديدة ممتدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن، حاولت بكل السبل الحفاظ على حدود الدول السابقة لها.

– تغير الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى مرارا من ملوية إلى تافنة ، وانتهت بأخذ وجدة وفجيج من الجزائر ، برسم معاهدة مغنية بين الاحتلال الفرنسي والمغرب الأقصى ، ورغم الفصل في قضية الحدود إلا أنّ العلاقات الجزائرية المغربية لازالت حبيسة لهذه القضية.

الفصل الثالث :

الجزائر والمغرب الأقصى محورا التنافس الأوربي

- المبحث الأول: تحرير الثغور الجزائرية والمغربية المحتلة.

1- تحرير الثغور الجزائرية.

2- تحرير الثغور المغربية.

-المبحث الثاني: التعاون المشترك في الجهاد البحري بين الجزائر والمغرب.

1- البحرية الجزائرية والمغربية ومسألة الجهاد البحري المشترك بينهما.

2- ردود الفعل الأوربية ضد البلدين .

- المبحث الثالث: الجهود الجزائرية المغربية لتحرير الأسرى .

1- مسألة تواجد الأسرى الأوربيين في الجزائر والمغرب.

2- الجهود الجزائرية المغربية لتحرير الأسرى المسلمين

الفصل الثالث :

الجزائر والمغرب محورا التنافس الأوربي

تميز البحر المتوسط بكونه مسرحا للصراع بين ضفتيه الشمالية المسيحية والجنوبية الإسلامية، وكانت القرصنة أكثر نشاطا خلال النصف الثاني من القرن 11هـ/17م،وقد اعتبرها المسلمون جهادا ضد الأوربيين المسيحيين ، أوجب على بلاد المغارب ممارسته والتعاون معا، خاصة بين الجزائر والمغرب اللذين عرفا أوج قوتهما في الجهاد البحري بفضل قوة أسطولهما وتعاونهما البحري المشترك، وتهديدهما للدول الأوربية ،كشكل من أشكال الدفاع الشعبي ، ومظهر من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأوربية وتهديداتها .

ويعالج هذا الفصل في إطار العلاقات الجزائرية المغربية في جانبها السياسي مسألة التعاون المشترك في الجهاد البحري بينهما من خلال إبراز الفرق بين الجهاد البحري والقرصنة، ومدى قوة الأسطولين الجزائري والمغربي ، والتركيز على التعاون بينهما في الجهاد البحري ضد السفن والسواحل الأوربية، كما يوضّح ردود الفعل الأوربية خاصة الفرنسية والإنجليزية، وحملاتهما ضد الجزائر والمغرب من أجل تقويض نشاطهما البحري المشترك .

المبحث الأول:

تحرير الثغور الجزائرية والمغربية المحتلة

1- تحرير الثغور الجزائرية:

أ- تحرير وهران :

سعى حكام الجزائر لتحرير وهران التي احتلت منذ سنة 1505م من قبل الإسبان،فخلال النصف الثاني من القرن11هـ/ 17م، سعى آغوات الجزائر رغم تذبذب الأوضاع ،حيث اغتنم الحاج علي آغا سنة 1665م انتصاره على الفرنسيين في حملتهم على جيجل، فوجه جيشا صغيرا إلى وهران، وحاصرها لكنه فشل بسبب قلة عدّة الجزائريين [1].

وفي 1669م أعاد المحاولة لتحريرها وجهز جيشا،تدعم في الطريق بعدد كبير من المتطوعين والخيالة العرب . لكن ماحدث هو أن المعسكر رفع الحصار بعد محاولات غير مجدية ضد أسواره ، والسبب وراء فشلها هو اندلاع ثورة تلمسان الكبرى التي كانت بإيعاز من سلطان المغرب [2].

وفي عهد الدايات كانت أول محاولة مع الداي الحاج محمد ، حيث قام بحملة على وهران سنة 1675م ، بسبب توسعات حاكم وهران الدون أنيفو دي طوليدو لاحتلال تلمسان[3].ففي عهد الداي حسين ميزومورطو، حاول باي بايلك الغرب شعبان الزناقي منذ توليه سنة 1098هـ/1679م شنّ عدة هجومات على وهران. وفي سنة1686م جهز حملة كبيرة تتكون من ثلاثة آلاف رجل مجهزين بالعتاد ، وخرج إليه الإسبان مدعمين بقبائل بني عامر،والتقوا في كدية الخيار، واستطاعوا تشتيت قوة الإسبان إلا أنه استشهد بعد إصابته بسهم من طرف أحد من بني عامر، وعلّق رأسه على باب المدينة ، فانسحب رجاله ورفعوا الحصار[4].

وفي سنة 1687م خلفه الباي إبراهيم خوجة، فحاصر وهران وبدأ في قذفها ، لكنه اضطر إلى رفع الحصار بأمر من الداي، الذي طلب منه الالتحاق بالعاصمة لمواجهة حملة ديستري الفرنسية [5].

---

[1]- أمين محرز: المرجع السابق، ص126.

[2] - المرجع نفسه، ص127.

[3]- مولاي بالحميسي: "**تحرير مدينة وهران سنة 1708م** "، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع9، الجزائر، 1970، ص62.

[4]- يحي بوعزيز : مدينة وهران عبر التاريخ،المرجع السابق ، ص ص 52-53.

[5]- عبد القادر فكاير: **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره910-1206هـ/1505-1792م** ، ط2، دار هومة، الجزائر، 2015، ص 303.

وقدم إلى المولى إسماعيل حوالي عشرة من الإسبان، يحملون رسائل دبلوماسية،يطلبون فيها توسطه مع حكام الجزائر في مسائل التهدئة بمنطقة وهران.وكان ذلك في يوم عرفة من سنة 1108هـ/ 29جوان1697م، ويبدو أنّها جاءت عقب الحملة التي قام بها إبراهيم خوجة على وهران،والتي انضوت تحته أغلب القبائل الحليفة للإسبان،بينما فرت قبائل أخرى إلى المناطق الجبلية، وحاصر المدينة لعدة شهور[1]. وفي سنة 1706م أعدّ الداي حسين خوجة حملة على وهران، وهي آخر محاولة قبل التحرير الأول سنة 1708م بقيادة مصطفى بوشلاغم[2].

1- محاولات المولى إسماعيل لتحرير وهران :

رغم الهزيمة الكارثية التي مني بها المولى إسماعيل في الجزائر في عهد علي باشا داي الجزائر ، إلا أنه لم يتوقف عن التدخل في الجزائر، لكنه وجه حملة نحو وهران التي كانت تحت وطأة الاحتلال الأسباني ، وقد كانت هذه المحاولة استجابة لطلب العلماء والشعراء، الذين أصروا عليه بفتحها، فنجد عبد الرحمن الجامعي الفاسي يستجدي المولى إسماعيل بفتح وهران فيقول: «إنّ الكثير من أهل زمانه يرى أن هذا الفتح إنما يكون على يد هذا العامل المغربي، لما عاينوه من حرصه أول دولته على إخلاء الثغور من الكافرين، وتعميرها بالمسلمين"[3]. فبعد تمكنه من طرد الإسبان من العرائش1100هـ/ 1688م، هنأه العالم المغربي عبد الواحد البوعناني الفاسي، مفتي فاس في قصيدة، وذكّره بتحرير وهران من الاحتلال الاسباني :

وَوَهْرَانُ تُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ   مَتَى يَأْتِنِي الإِمَامُ مَتَى يَزُورُ
مَتَى يَأْتِي وَيَفْتَحُهَا سَرِيعًا   وَيلْحَقُ أَهْلَهَا مِنْهُ الثُّبُورُ [4]

وقد وجّه حملة لتحرير وهران والإغارة على بني عامر الذين ساندوا الاسبان سنة 1112هـ/ 1700م، وقد ضمت هذه الحملة عشرة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف فارس ولم يتمكن من الاستيلاء عليها[5]، وقال أبو عبد الله السليماني في كتابه: " اللسان المعرب " :

---

[1]- محمد بن الطيب القادري:المصدر السابق ، ص1841.

[2] - عبد القادر فكاير: المرجع السابق ، ص ص 303-304.

[3]- عبد الرحمان الجامعي : **فتح مدينة وهران**،تح:مختار حساني،مخبر المخطوطات ،جامعة الجزائر،2000،ص13، ينظر: محمد المنوني : "**مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية**"، في مجلة دعوة الحق ، ع3،المغرب، 1960، ص57.

[4]- محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي...، المصدر السابق، 434.

[5]- محمد علي داهش: المغرب والدولة العثمانية ، المرجع السابق، ص 79.

"وفي سنة 1112هـ/1700م جمع المولى إسماعيل الجيوش وأعدّها ، وقصد مدينة وهران لحرب الاسبان بها ...... فجعل يشن الغارات على وهران بجيوشه وبمن إنضاف إليه من هؤلاء القبائل، ولما أعياه أمرها وطال تردد الجيوش عليها ، وقف عليها وتعجب من حصانتها وقال : هذه أفعى تحت صخرة تضر غيرها ولا يقدر عليها أحد ..."[1].

وذلك بسبب تحصيناتها وعدم توفر المدفعية ولم يتمكن من الاستيلاء عليها،قال ابن سحنون في الثغر الجماني :"كان فتحها عليه أغرب من عنقاء مغرب"[2].

وبعد فشل المولى إسماعيل في اقتحام وهران، توجه جنوب مرسى أرزيو ،إلا أنّ الباي مصطفى بوشلاغم تصدى له وهزمه بمكان يدعى زبوجة الغرب[3]، في غابة أصبحت تعرف باسم المولى إسماعيل[4]، ويذكر المزاري:"وارتحل عنها مشرقا، فقامت عليه الأعراب مع الأتراك إقامة الغضب"[5].

ويبدو أنّ محاولة توسع إسماعيل في الأراضي الجزائرية بحجة طرد الإسبان، قد أثارت حفيظة الأتراك العثمانيين في الجزائر، والسلطان العثماني مصطفى الثاني ، الذي عاب على المولى إسماعيل ادعاءه القيام بفريضة الجهاد ضد الإسبان المحتلين لوهران، وعرب بني عامر المتعاملين معهم، في حين أنّ عددا من الثغور المغربية كانت بيد النصارى [6]، فأرسل إليه الرسالة والتي ذكرناها آنفا.

2- فتح وهران 1119هـ/1708م:

بعد تولي مصطفى بن يوسف بوشلاغم بايلك الغرب(1686-1733م) ، ونقله العاصمة من مازونة إلى معسكر. في هذه الفترة كانت ضواحي سكان وهران قد تضررت من الإسبان ، فقد ذكر محمد بن يوسف الصغير عن أسر الإسبان للجزائريين المقيمين في المدن المجاورة لوهران، حيث يقول: " بلغه ضرر النصارى الساكنين بوهران ، ويعودون راكبين على الخيل إلى أن يصلوا قريبا من

---

[1]- محمد المنوني : "مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية"، المرجع السابق، ص58.

[2]- أحمد بن سحنون الراشدي : **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ، تح: المهدي البوعبدلي، وزارة المجاهدين،الجزائر، 2002، ص 198.

[3]- حنيفي هلايلي : أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ، ص 63.

[4] – أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا ، المرجع السابق ، ص46.

[5] – الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 م** ، تح: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ، ج1،ص232.

[6] – محمد القبلي: المرجع السابق، ص410.

تلمسان في رعية الجزائر ويسألون المسلمين ويبعثوهم إلى بلاد النصارى ، ويبيعوهم للنصارى ، فتكاثرت عليه أخبار ضرر النصارى ، فعندها أمر برمي الوطاق وبعث أوامره إلى كل بلد وإلى كل جبل "[1].

فحاصر مصطفى بوشلاغم وهران سنة 1704م ،وانطلق الجيش البري من بداية شهر صفر 1118هـ/ ماي 1706م من أجل حصار المدينة ، بعد أعمال الحامية الإسبانية بالمناطق القريبة من وهران،ومانجم عنه من استرقاق عدد كبير من الجزائريين أغضب أيالة الجزائر، واستغل الباي مصطفى قرب عاصمة بايلك الغرب من وهران بعد أن قام بتغييرها من مازونة، إلى قلعة بني راشد ثم إلى معسكر [2]، كما حرص على إخضاع القبائل المجاورة الموالية للإسبان[3]،مثل قبائل بني عامر ،وبهذا يكون قد شدد الخناق على الإسبان، وحرمهم من تمويل القبائل لهم في وهران [4]، وذلك من خلال فتاوى العلماء بإباحة الاستيلاء على أموالها[5]،وقد كان لشعر الحماسة دور في استنهاض الهمم؛ إذ منذ احتلال وهران والشعراء ينظمون الشعر من أجل تشجيع ودعوة الحكام على تحريرها، فهذا الشاعر القويجلي الجزائري نظم شعرا يخاطب الباشا أحمد خوجة :

وَبِغَرْبِنَا وَهْرَانُ ضِرْسٌ مُؤْلِمٌ   سَهْلُ اِقْتِلاَعٍ فِي اِعْتِنَاءٍ يَسِيرُ
كَمْ دَانَتْ مِنَ المسْلِمِينَ وَكَمْ سَبَتْ   مِنْهُمْ بِقَهْرٍ أَسِيرَةٍ وَأَسِيرٍ[6]

وهناك عوامل خارجية دفعت داي الجزائر لتحرير وهران منها محاولة السلطان المغربي لفتحها ، ما جعل الداي يصرّ على ذلك حتّى يكون فتحها على يد الجزائر لا على يد المغرب .

كما عرفت اسبانيا في هذه الفترة مشاكل داخلية حول أزمة العرش بعد وفاة شارل الثاني[1]. إضافة إلى إصرار الحكام العثمانيين منذ احتلال الإسبان لوهران على تحريرها من خلال حملاتهم

---

[1]- محمد الصغير بن يوسف : **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تق. تح: أحمد طويل، المطبعة العصرية، تونس، 2009، ج 1، ص245

[2]- ابن عودة المزاري: المصدر السابق ، ص275.

[3] – ذكر عبد القادر المشرفي بعض القبائل المتعاونة مع الإسبان في الغرب الجزائري منها : كرشتل–شافع–حميان– غمرة–أولاد عبد الله– أولاد علي–بنو عامر .ينظر: عبد القادر المشرفي: **بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر**، تح. تق: محمد بن عبد الكريم،ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص ص 13-14.

[4]– شارل أندري جوليان :المرجع السابق،ج2، ص 458 .

[5]– عبد الرحمان الجامعي: المصدر السابق،ص87.

[6]– محمد بن ميمون الجزائري:المصدر السابق، ص207.

المتكررة في أغلب العهود. فاستغل الباي مصطفى دعم الداي محمد بكداش الذي أرسل له حملة من ثلاثة آلاف رجل مجهزة بالذخيرة بقيادة صهره ووزيره حسن أوزن[2].

وقد وقال المشرفي :" وإنما هو محاصر لها بمحلته المعتادة، والتي هي مائة فسطاط من الأتراك ، في كل فسطاط خمسة وعشرون جنديا، مع جيشه من العرب، فأمده الباشا السيد محمد بكداش بالجيش برا وبحرا لنظر صهره ووزيره السيد أوزن حسن"[3] ،وقد ساهم الطلبة والعلماء في فتح وهران ، ومن أمثال هؤلاء العلماء أبي عبد الله سيدي محمد الموفق التلمساني ، وأبي عبد الله السيد محمد بن جابو [4]، وتؤكّد ذلك أرجوزة محمد الحلفاوي :

ثُمَّ نَادَى بِالجِهَادِ فِي الوَرَى   مُقَدِّمًا مَاكَانَ عِنْدَهُمْ وَرَا
فَسَارَعَ النَّاسُ لَهُ إِذْ طَلَبَهُ   لاَسِيَمَا جَمَاعَةٌ مِن طَلَبَة[5]

بدأ الباي مصطفى بفتح وهران يوم الجمعة 26 شوال 1119هـ/20جانفي 1708م ، فتوحد جيشه مع جيش حسن أوزن الذي جاء به من العاصمة ، ولما وصلوا إلى وهران، فرضوا الحصار على برج العيون في منتصف ربيع الأول 1119هـ الموافق ل 14 جوان 1707 وأسروا 545 رجلا وقتلوا المئات من الاسبان ثم سيطروا على حصن الجبل سانتاكروز، ويسمى ببرج المائدة، وله موقع استراتيجي؛إذ يطل على وهران من ناحية الغرب وفتحوه يوم 27 جمادى الثانية 1119هـ / 25 سبتمبر1707م، وأسروا به 106 رجلا وست نساء ثم اتجهوا لحصن بن زهوة، وفتحه حسن أوزن في 5 شعبان 1119هـ/6 نوفمبر 1707م،ثم اتجهوا إلى وهران وفتحوها 14 فيفري1708م [6]، ثمّ

---

[1] –كارلوص الثاني أو شارل الثاني ملك إسبانيا من سلالة الهابسبورغ،ولد في مدريد سنة 1661م وتوفي بها سنة 1700م، ورث العرش عن أبيه فيليب الرابع، وقد كان مريضا وضعيفا، اندلعت بعد وفاته حرب الوراثة الإسبانية من (1701م-1714م).ينظر:نور الدين حاطوم : **تاريخ القرن السابع عشر في أوربة**، ط1،دار الفكر، دمشق،1986 ، ص359.

[2]– يحي بوعزيز : مدينة وهران عبر التاريخ ، المرجع السابق، ص54.

[3]– عبد القادر المشرفي : المصدر السابق، ص 39.

[4]– عبد الرحمان الجامعي: المصدر السابق، ص88.

[5]– خليفة حماش : **"دور الطلبة الجزائريين في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني عامي 1118هـ/ 1706-1707و 1205هـ/1791 م (مقاربة تاريخية في تأصيل الحركة الطلابية الجزائرية)"** ، في مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع9 ، قسنطينة، 2001،ص 206.

[6]–يحي بوعزيز: وهران عبر التاريخ ، المرجع السابق ، ص 54.

توجه حسن بما لديه من قوات، وحاصر المرسى الكبير ، ونظرا للحصار الذي تعرضوا له مدة ثلاث سنوات والجوع، وقلّة المياه، اضطروا للاستسلام ، فأسر ألفي أسير،وأرسل داي الجزائر إلى السلطان العثماني أحمد الثالث مفاتيح وهران الثلاثة المصنوعة من الذهب يخبره بفتح وهران فأعجب بذلك[1].

ونقل الباي عاصمته إلى وهران، فأعاد تعميرها بعد نزوح الجالية المسيحية عنها،وأقام المساجد، وزيّن ساحتها العامة بالأقواس، فانتعشت الحرف والصنائع ،وازدهرت التجارة، وتحول ميناؤها إلى أكبر قاعدة تجارية بعد الجزائر العاصمة. فعاد الأمن والاستقرار من جديد إلى المنطقة، لكنه لم يدم طويلا.

2- تحرير الثغور المغربية:

لقد سعى المولى إسماعيل منذ أن تولى الحكم على تحرير المغرب، و إنقاذ المدن الواقعة تحت السيطرة الأجنبية. كما ساهم العثمانيون في ذلك من خلال ضغط السلطان العثماني على المغرب منذ بداية الحكم العلوي، حيث كان يردّد مقولة: "فإن كان غرضك في الجهاد فرابط على الكفار الذين هم معك في وسط البلاد ، و إن كان غرضك في الاستيلاء على دولة آل عثمان ، فأبرز إليها و استعن بالرحيم الرحمان ، فلا يكن عليك في ذلك ملام "[2] .

ويبدو أنّه كلما وجه العلويون أنظارهم للجزائر، وقاموا بشن حملات توسعية عليها ، إلاّ وذكرهم العثمانيون بثغورهم المحتلة من قبل الإسبان والانجليز .فقد أرسل السلطان العثماني للمولى إسماعيل رسالة جاء فيها : " أنتم أشراف أهل قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وذريته وأولاد ابنته وأحق الناس باتباعه وخدمته وجهاد أعدائه ، فكيف بكم تصبرون على الجهاد وعلى أربعة مدن للنصارى في بركم وبلادكم ولا بينكم إلا يوم أو يومين "[3]. لذا نجد أن السلطان العثماني قد أحرج المولى إسماعيل في نقطة حساسة ألا وهي الجهاد ضد النصارى وقد كان يهدف إلى صرف نظر المولى اسماعيل عن التوسع في الجزائر من جهة وتحرير أراضيه المحتلة من جهة أخرى .

[1]- شارل أندري جوليان:المرجع السابق،ج2، ص459.

[2]- أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص26.

[3]-محمد المنصور : " الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور" ، المرجع السابق ، ص29.

كما عرض عليه المساعدة من أيالة الجزائر فقال: " أهل الجزائر يكونون عند أمرك ونهيك في كل ماتريده منهم،ويعطونك الحركة والجيش لجهاد النصارى في الوقت الذي تريده "[1].وكتب السلطان العثماني للجزائر فأجابوه بالسمع والطاعة على الذي يأمرهم من حركات النصارى وغيرها .

أ- المعمورة " المهدية ":

حررها المولى إسماعيل سنة 1092هـ/ 1681م، وجرت عدّة محاولات لتحريرها قبل تسلم العلويين للحكم،لكنها باءت بالفشل ،و قد ذهب المولى إسماعيل على رأس جيش، بلغ تعداده 15 ألف مقاتل إلى جانب القوات المغربية النظامية بقيادة عمرو بن حدو البطوئي[2]، فوجد القائد الإسباني أن الأمل في المقاومة ضعيف، فاضطر إلى الاستسلاميوم السبت 14ربيع الثاني 1092هـ/03 ماي1681م .

في حين تذكر رواية أخرى أن دخول جنود المولى إسماعيل إلى المعمورة قد تمّ دون حرب، لأنّ المغاربة قد منعوا وصول الماء إلى الحامية الإسبانية الموجودة هناك،مما اضطر رجالها إلى الاستسلام[3]. غير أنّه من المحقق أنّ قائد القصر الكبير ومنطقة الشمال عمر بن حدو البطوئي الذي اجتاز بجيشه حواجز المدينة التي كانت تمتد إلى نهر سبو، ثم أغار على حصنين من حصونها فاستسلمت الشرذمة المكلفة بالدفاع عنهما بعد قتال مرير، ولو كان قطع الماء عنها كافيا لإرغام حاميتها على الاستسلام، لما فشلت المحاولتان السابقتان لتحريرها[4].

وقد حصل المغاربة من جراء ذلك على غنائم كثيرة، منها مائة مدفع، وكميات كبيرة من الذخائر، وأسر ثلاثمائة جندي إسباني[5] ، وبعد تحريرها غير اسمها من المعمورة إلى المهدية، و أسكن فيها مجموعة من جيش السوس العبيد لتعميرها، و حراستها و شيّد سورا حول المدينة، و خصص الأراضي المجاورة للقوات العسكرية الموجودة فيها[6].

---

[1]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق، ج9، ص16.

[2]- عبد اللطيف الخطيب: المرجع السابق ،ص52.

[3]- جلال يحي:المرجع السابق،ص28.

[4]- عبد اللطيف الخطيب : المرجع السابق ، ص52.

[5]- أحمد بن خالد الناصري:الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، المرجع السابق،ج7،ص63.

[6]-إبراهيم خلف العبيدي:**حركة الجهاد البحري في المغرب خلال العهد العلوي**،منشورات المجمع العلمي،بغداد، 2002، ص9.

ب- طنجة:

من خلال رسائل السلطان العثماني التي حثت المولى إسماعيل على تحرير ثغوره، عزم على تحرير طنجة من الإنجليز إذ قال في رسالته لهم: " الأتراك لن يرضوا إلاّ بتحويل طنجة إلى ملاح"[1].

فمنذ تولي المولى إسماعيل شدّد الخناق على طنجة[2] واستولى في 1679م على عدد من القلاع، وحاولت إنجلترا التفاهم معه، حيث زار سفير إنجلترا المغرب وزار سفير المغرب محمد بن حدو العطار إنجلترا ولكنه لم يتوصل إلى اتفاق ، فحاول شارل الثاني بيعها لفرنسا ، لكنه رضخ بسبب اشتداد الحصار،والتضييق على الإنجليز في طنجة ، فأخلى الإنجليز طنجة 1684م [3] ، إذ أمر المولى إسماعيل أبا الحسن علي بن عبد الله بالتوجه إلى طنجة على رأس جيش من المجاهدين لمحاصرتها ، فضيقوا الخناق على الإنجليز حتى فروا بسفنهم وتركوها [4]، واستولى على طنجة ونقل سكان الريف إليها[5].

ج -العرائش :

كانت العرائش أكثر أهمية من المهدية، وتفوقها على جميع الاعتبارات، فقلْعتها قوية ،كما أنّ وقوعها عند مصب نهر اللوكوس، أعطاها قوة ومنعة، وتحيط بها الأسوار، وتشتمل على الثكنات الجديدة، ومخازن القمح ،ومصانع البارود ، لذلك عزم المولى إسماعيل على تحريرها. ففي أواخر شهر شوال 1100هـ/1689م، سار القائد أبو العباس أحمد بن حدو إلى العرائش التي استمر حصارها خمسة أشهر كاملة ،وفتحت بعد معاناة[6].كان القتال شديدا،إذ بلغ عدد أفراد الحامية الإسبانية ثلاثة آلاف ومائتين حيث تمت محاصرتها من 28 شوال 1100هـ/ 14 أوت 1689م إلى غاية 19 محرم1101هـ/ نوفمبر 1689م،فقام المغاربة بحفر الخنادق ،و ملئها بالبارود، ثم أوقدوها بالنار،

---

[1]- محمد المنصور: " الضغوط العثمانية ..."، المرجع السابق، ص30.

[2]- كانت في يد البرتغاليين منذ القرن الخامس عشر. فلما تم اقتران كارلوس الثاني ملك إنجلترا بالأميرة كاتالينا أخت ألفنصو السادس ملك البرتغال سنة 1661م، زفت الأميرة البرتغالية إلى الملك الإنجليزي مع هدية مُكونة من نصف مليون جنيه إسترليني، مقرونة بمفتاحي طنجة وبومباي. وابتداء من شهر يناير 1662م أصبحت طنجة مستعمرة إنجليزية.ينظر: عبد الله المرابط الترغي: "**ذكريات الجهاد على عهد الدولة العلوية:فتح طنجة عام 1095هـ في التاريخ والأدب**"،في مجلة دعوة الحق، ع353، المغرب، 2002،ص122.

[3]- محمد خير فارس ومحمود علي عامر: المرجع السابق ، ص 93.

[4] - محمد الصغير الافراني:روضة التعريف.. ، المصدر السابق،ص72.

[5]-محمود السيد: **تاريخ دول المغرب العربي**،ط1، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2000، ص245.

[6]- جلال يحي: المولى إسماعيل..، المرجع السابق،ص30.

فسقط جانب من السور ثم اقتحموه ففزع الإسبانيون، و اعتصموا بحصن القبيبات [1] يوما و ليلة،وطلبوا الأمان، فأمنهم القائد أحمد بن جدو و أخذوا أسارى، و لم يعتق إلا أميرهم حيث أُسر ألفان و قتل ألف ومئتين[2]، وكان عددهم قبل الأسر ثلاثة آلاف ومائتين،وقتل من المغاربة 114 [3]، و أمر المولى إسماعيل بنقل الأسرى الإسبان من العرائش إلى مكناسة ،و استخدمهم في بناء قصوره ، و أسكن أهل الريف في العرائش [4]، ووجد المجاهدون في العرائش الكثير من البارود والعتاد، فمن المدافع مائتين وثمانون، اثنان وعشرون من النحاس، والباقي من الحديد، ومدفعه كان يسمى باسم (الغصاب)، طوله خمسة وثلاثون قدما[5].

ويُعدّ تحرير العرائش نصرا مهما للسلطان إسماعيل؛ حيث دعم بذلك حكمه، و ظهر بصفة محرر البلاد، لأنّ العرائش ظلت تحت الاحتلال الإسباني مدة ثمانين سنة، وتظهر أهمية ذلك من خلال تغيير المغاربة للون النعال من الأسود إلى اللونين الأصفر والأبيض، فكان ذلك بمثابة إنهاء الحداد بعد استرجاع العرائش[6].

د – أصيلا :

أصدر المولى إسماعيل أوامر إلى ابن حدو بأن يحاصرها ، وكان حصاره لها طويلا، وصلت مدته إلى سنة [7].وبعد أن أنهكت قوى السلطان المحاصرين،توسلوا بأن تحفظ لهم أرواحهم،فضمن لهم ذلك شريطة موافقة السلطان، إلّا أنّهم تخوفوا من أن يحدث لهم مكروه، ففروا وركبوا سفنهم ليلا، ودخل المغاربة أصيلا في عام 1102هـ/1691م[8]، ثم عمّرت المدينة بأهل الريف الذين يعرفون المنطقة أكثر من غيرهم، وبنوا فيها مسجدين و مدرسة[9].

---

[1]- يقع فوق مقر الحراسة القديم المشرف على المحيط الاطلسي ومدخل نهر اللوكوس،بناه المنصور.ينظر: أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحاجي الواداني: المصدر السابق، ص52.

[2]- جلال يحي: المولى اسماعيل وتحرير لثغور، المرجع السابق،ص35.

[3] -محمد الفاسي :المرجع السابق، ص265.

[4]- جلال يحي: المولى اسماعيل وتحرير الثغور، المرجع السابق،ص36.

[5]- إدريس خليفة:" **الفتح الاسماعيلي لمدينة العرائش**"، في مجلة دعوة الحق، ع326، المغرب،1997، ص89.

[6] -إبراهيم خلف العبيدي:المرجع السابق،ص ص11-12.

[7]- محمد الفاسي : المرجع السابق ، ص265.

[8]- إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص49.

[9] -إبراهيم خلف العبيدي:المرجع السابق،ص12.

هـ- محاولات تحرير سبتة ومليلة:

1- سبتة:

بعد تحرير أصيلا ، تطلع المغاربة لتحرير سبتة فأنشد الشاعر عبد السلام كسوس الفاسي قصيدة يحرض المولى إسماعيل على استرجاعها:

رَفَعَتْ مَنَازِلُ سبْتَةَ أَقْوَالهَا تَشْكُو إِليكُم بالذِي قَدْ هَالَهَا

عَارٌ عَلَيكُمْ أَن تَكُون أَسيرَةً بجِوَارِكُم وَجُنُودُكُم تُغْزَى لَهَا[1]

فتوجهت همة المولى إسماعيل لشن الغارات عليها وحصارها. و قد بلغ تعداد جيشه 25000 مقاتل وتواصل القتال حول سبتة طوال عام 1691م ثم من عام 1695 إلى غاية 1713م[2]، وأسّس على مشارفها معسكرا عرف بمعسكر الدار البيضاء، و قد واصل قتال الجيش الإسباني حتى وفاة السلطان إسماعيل، ويرجع إخفاق المحاولات في تحرير سبتة إلى إصرار الحكومة الإسبانية على الاحتفاظ بها، لخشية فقدان قواعدهم نهائيا في شمال إفريقيا من جهة، بعد خسارتهم للمهدية والعرائش، وانسحاب حاميتهم من أصيلا [3].

بالإضافة إلى انفتاح سبتة على البحر وقربها من قادس ومن الموانئ الإسبانية، مما سهل على الإسبان تزويدها بالإمدادات ،لذلك فإنّ مدة حصارها كانت طويلة استمرت ثلاثين عاما[4].

بالإضافة إلى الحركة الدعائية؛ إذ لما توالت الانتصارات المغربية، قامت الكنيسة في إسبانيا والبرتغال باستنفار مختلف الطبقات وترغيبها في المسارعة إلى قتال المسلمين،وروجت أنّ فشل القوات الملكية في الاحتفاظ بقواعدها في شمال إفريقيا على أنه ضعف مادي و معنوي، و شددت على عدم خسارتها لتلك المراكز التي رفع جنود الملكة إيزابيلا الصليب عليها، و قد أثرت هذه الحملة الدعائية على الروح المعنوية للحامية الإسبانية الموجودة في سبتة ،كما أثرت في الحكومة الإسبانية التي أرسلت الإمدادات إليها و حرصت على الاحتفاظ بسبتة بأي ثمن[5] .

---

[1] -عبد الحق المريني: "**الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى إسماعيل قاهر الأعداء**"، في مجلة دعوة الحق، ع282، المغرب،1991، ص110.

[2]- حميد الفرخ: المرجع السابق،ص16.

[3] -جلال يحي: المولى اسماعيل وتحرير الثغور،المرجع السابق، ص39.

[4] -إبراهيم خلف العبيدي:المرجع السابق،ص12.

[5] - جلال يحي : المرجع السابق،ص39.

2- مليلة:

ترتبط حركة مقاومة الوجود الأجنبي في الشمال الشرقي المغربي ، بتسرب الإسبان إلى مليلة 19 محرم 903هـ/17سبتمبر 1497م،ولذلك حمل المولى الرشيد همّ تحريرها؛إذ وقعت عدة معارك بتدبير من القائد بلقاسم الشاوي القرمودي ابتداء من 1079هـ-1081هـ /1668م-1670م؛الذي اختاره المولى الرشيد رئيسا للمجاهدين، وقد اعتمد على نظام النوبة في الجهاد إلى رباط مليلة، لاقتسام مسؤولية الدفاع ضد الخطر المشترك ، ولقد عمل بلقاسم على القضاء على الأبراج الإسبانية وهدمها، لكن كانت هناك صعوبة، بسبب ارتفاعها وحصانتها، وهي العقبة التي اصطدمت بها كل محاولة تحرير مما ترتب عنه خسائر في الأرواح دون التوصل إلى نتائج[1].

كما حاول المولى إسماعيل تحريرها ، فأنشأ حولها برج دار المخزن ،ووقعت هجمات ومعارك عديدة أسهم بها الجيشان النظاميان وسكان الريف، واستمرت هذه المحاولات حتى وفاة المولى إسماعيل دون نتيجة حاسمة ،وبقيت هذه المدينة شأنها شأن سبتة تحت السيطرة الإسبانية حتى الآن.

وكثيرا ما ردّدت المراجع الإسبانية أنّ مليلة لم تشهد حصارا أعنف مما عرفته أواخر القرن11هـ/ 17م ، خصوصا سنتي 1678م و1679م، حيث سقطت سلسلة من الأبراج الهامة كما عرفت أزمة لا مثيل لها نتيجة الضغط المغربي مابين 1675م و1680م وفقدت مليلة من جراء ذلك أبراج المحيط[2].

[1]- حسن الفكيكي :" **مواقف جهادية للمولى الرشيد والمولى إسماعيل في الدفاع عن مليلة** "،ع 258،في مجلة دعوة الحق، المغرب، 1986، ص ص 29-30.

[2] – محمد القاضي: **مليلية المغربية وخمسة قرون من الاحتلال** ، المدونة الإلكترونية،16 /5/ 2011،ص ص8-9.

المبحث الثاني:

التعاون المشترك في الجهاد البحري بين الجزائر والمغرب

برزت ظاهرة القرصنة وتطورت عملياتها خلال النصف الثاني من القرن11هـ/17م للأسطولين الجزائري والمغربي ضد سفن الدول الأوربية، وكانت القرصنة أكثر نشاطا بفضل التعاون المشترك بين الجزائر والمغرب اللذين جمعهما في البداية التضامن الإسلامي انتقاما لطرد المسلمين من الأندلس ، ثم تباينت الأهداف نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تخيم على البلاد الإسلامية[1].

وبالرغم من العلاقات المتوترة بين الجزائر والمغرب إلا أنّ مراكز السلاويين والتطوانيين كانت ملاذا لرجال البحر الجزائريين والسواحل الجزائرية كانت كذلك ملجأ للمغاربة . وفي هذا السياق التاريخي نطرح الآتي : ماهو مجال العمل الجهادي البحري المشترك بين الجزائريين والمغاربة؟ وماهي ردود الفعل الأوربية إزاء هذا التعاون ؟

1- مسألة الجهاد البحري المشترك بين الجزائر والمغرب:

إذا كان هناك من لا يفرق بين القرصنة والجهاد البحري، فإنّ هناك فريقا آخر يفرق بينهما ، إذ يرى أنّ القرصنة هي قيام سفينة أو مجموعة سفن مسلحة باعتراض سفن تابعة لدولة أخرى، أو جماعة ما في البحر، وسلب ما تحمله تلك السفن بدون وجه حق،ودون أن يكون في هذا الهجوم رد لعدوان، أو ثأر لعمل سابق، ومعنى ذلك أنّ هذا الهجوم هو لغرض السلب فقط، دون أن تكون هناك عداوة سابقة ،أو حروب معلنة بين الطرفين.

أما الجهاد البحري؛ فهو كل عمل حربي، تقوم به سفينة أو مجموعة سفن، تابعة لدولة ما، بهدف الإضرار بسفن تابعة لدولة أخرى معادية عند مرورها في المياه الإقليمية، أو الهجوم على سواحل البلد المعادي[2]،لهذا فإنّ المغاربة والجزائريين كانوا يرون أنّ المسيحيين أعداء لهم، بسبب حروبهم معهم واختلافهم الديني ، لذلك كانوا يرون أنفسهم في وضعية قانونية ،واعتبرت كورين شوفاليه،أنّ

[1]- هلايلي حنيفي : "**القرصنة وشروط إفتداء الأسرى الاسبان في الجزائر خلال العهد العثماني**" ، في مجلة الآداب والعلوم الانسانية، ع 4،سيدي بلعباس ، الجزائر، 2005، ص243

[2]- رأفت الشيخ : **تاريخ العرب الحديث** ،ط1،دار عين للدراسات والبحوث ،القاهرة، 2005، ص232.

القرصنة هي حرب مشروعة، فهي بالنسبة للمسلمين شكل من أشكال الجهاد في البحر[1]. وقد كان الأوربيون متعصّبين في نظرتهم للقرصنة الإسلامية؛ حيث يذكر مولاي بالحميسي " أنّ قراصنة البحر المتوسط، عندما يكونون مسلمين فما هم إلا قراصنة وناهبين ولصوص ، ولكن عندما يكونون مسيحيين فهم عبارة عن جنود في خدمة الوطن والعقيدة ،وجنود للرب....والهدف من وجودهم هو محاربة المسلمين "[2].

والجدير بالذكر ، أنّ حركة الجهاد البحري ، أو ما اصطلح عليه الأوربيون بالقرصنة، لها ارتباط بأحد أسباب مدّ النفوذ العثماني إلى الحواضر الغربي للمتوسط، وكذا المساهمة في انقاذ أعداد لايستهان بها من مسلمي الأندلس[3].

وقد ظلت حركة الجهاد البحري ضد الغزو المسيحي حتى مطلع القرن 19م ، أحد الثوابت المدعمة لشرعية حكم الأتراك العثمانيين بالجزائر ؛ في مقابل شرعية الشرف والانتساب لآل البيت ورفع راية الجهاد التي ميّزت حكم السعديين ومن بعدهم العلويين بالمغرب الأقصى والتي حالت دون مدّ نفود العثمانيين إليه[4] .

2- مجال عمل الجهاد البحري المشترك بين الجزائريين والمغاربة:

اتسع ميدان عمل المجاهدين المغاربة، فاجتازوا السواحل الإنجليزية والايرلندية شمالا ووصلوا إلى الشواطىء الأمريكية غربا، ومع بداية الدولة العلوية أصبح الجهاد البحري يتمتع بتأييد الدولة ، ففي عهد المولى الرشيد استولى على مصب أبي الرقراق 1666م[5] ،وفي عهد المولى إسماعيل كان يملك ثماني سفن، وفي الغالب تعود هذه السفن إلى سلا اعتبارا من شهر نوفمبر ،ولا تعاود نشاطها إلا في شهر

---

[1]- زكي مبارك:" **الجهاد البحري في الغرب الإسلامي (المفهوم الاسلامي والمفهوم المسيحي)**"،في مجلة البحث العلمي ، السنة 31، ع45، الرباط ، المغرب، 1998، ص16.

[2]- Moulay Belhamissi: **Histoire de la marine Algerienne (1518 – 1830)**, 2é edition enal Alger, 1983.p17.

[3]- محمد أمين : **الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م) (اسهام في دراسة التوسع الاستعماري)** ، ط1،مطبعة انفو برانت ،فاس ،د.ت،ص57.

[4]- محمد أمين : المرجع السابق، ص57.

[5]- محمد حجي :" **الأسطول المغربي أيام العهد العلوي**"، في مجلة دعوة الحق ، ع 116، المغرب ،ص103 .

أفريل، ذلك أن سلا كانت قاعدة أساسية للقراصنة [1]. وقد بلغت القرصنة أوج ازدهارها سنة 1680م، إذ كان السلاويون يستولون على العديد من المراكب الأوربية خاصة الإسبانية ، فيبيعون الرجال في بلادهم ، ويبيعون البضائع للنصارى أنفسهم الذين بلغ بهم الجبن مبلغا جعلهم يقبلون على شرائها، ويدفعون بدلها إما سلاحا وإما بضائع أخرى[2].

وقد نشط قراصنة سلا ضد السفن الإسبانية ، فنشروا الرعب في نفوس الأوربيين ، خاصة الإسبان، فأرسلت تقارير إلى اسبانيا من أجل احتلال سلا والرباط ، ومنها تقرير الراهب خوليان باستور ، إذ لما رأى ما للمركز من دور في تهديد التجارة الإسبانية ،بعث بتقرير في 27 جوان 1661م يحث فيه على ضرورة الاستيلاء على سلا[3]. هذا وقد أدت العمليات الجهادية المتواصلة إلى جعل مركز سلا الجديد يبرز كقاعدة احتضان للبضائع، وأصبح كنقطة جمرك عالمية تفرض ورودا للسفن التجارية[4]. كما تمكّن السلاويون من أسر 23 سفينة منها أربع سفن فرنسية بين فترتي جويلية 1668إلى أوت 1669م[5].

وإلى جانب سلا نجد الرباط أدّت دورا في الجهاد البحري العلوي، خاصة بعد بناء المولى الرشيد قاعدة بحرية بجانبها تعزيزا لتحصيناتها العسكرية، وعندما تولى مولاي إسماعيل الحكم، أعطى للرباط عمقا استراتيجيا وعسكريا ؛حيث قام أسطولها البحري بالقيام بأدوار هامة في الجهاد وحركة تحرير الثغور[6] ، وبإسهام السلطان الرشيد،ومن بعده مولاي إسماعيل في تمويل المواسيم الجهادية بتملك عدد من السفن التي أصبح عددها أكثر من عدد سفن الخواص سنة بعد أخرى بلغت 60%من مجموع وحدات الأسطول أربع من سبع سفن سنة 1671م.واستمر نشاط القرصنة،وكان يمثل مصدر دخل

---

[1]– فهد بن محمد السكويت:**سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر،أسبابها ونتائجها**،مطبعة الجمعية التاريخية السعودية ،الرياض،2004،ص38.

[2]–عثمان بن خضراء:" **السلطان مولاي إسماعيل وعلاقاته بالدول الأوروبية**"،في مجلة دعوة الحق، ع383،المغرب،2005، ص54.

[3]–حسين بوزينب:"**مذكرة الراهب خوليان باستور تحث على إحتلال قصبة الرباط،وتتكلم عن المورسكيين والسعديين والعياشي والدلائيين وغيلان وبداية العلويين**"،في مجلة التاريخ العربي، ع22،أبو ظبي ،2002، ص319.

[4]– حسن أميلي: الجهاد البحري بمصب أبي رقراق،المرجع السابق، ص23.

[5]- Laila Maziane**: Salé et ses corsairs 1666-1727,un port de course marocain au 17éme siecles**, ed.univ-Rouen Havre Paris,2007,p159.

[6]–عبد الكريم كريم:"(**رباط الفتح)إحدى العواصم التاريخية للمملكة** "،في مجلة التاريخ العربي،المغرب،1998، ص 155.

للدولة ، قُدر بأربعين ألف ليرة شهريا ، وراقب السلاطين القُواد الموزّعين على مهام مصب أبي الرقراق للحفاظ على مداخيله[1]،كما جدّدوا بناء الأسطول، وأشرفت السلطة المركزية مباشرة على الجهاد البحري[2].إذ أرادت تقليص نفوذ زعماء الطرق الصوفية، وتحجيم دورهم وعدّوا مسألة الجهاد من المسائل الأساسية، وذلك لكسب الرعية إلى جانبهم[3].

اعتبر جبل طارق حدًا فاصلًا بين القراصنة الجزائريين والمغاربة،خاصة السلاويين بحكم موقع سلا القريب من جبل طارق ، الذي أصبح يحتل المرتبة الأولى في المواصلات البحرية العالمية بعد اكتشاف العالم الجديد وطريق رأس الرجاء الصالح، واتسع ميدان عمل المجاهدين المغاربة، فاجتازوا السواحل الإنجليزية والإيرلندية شمالا، ووصلوا إلى الشواطئ الأمريكية غربا ، وقلما كان السلاويون يعبرون جبل طارق للدخول للبحر المتوسط[4] ،وبصورة خاصة على الشواطئ الاسبانية وفي أنحاء جزر البليار.

وأما رياس الجزائر فكان نشاطهم محصورا في البحر المتوسط، إلّا أنّهم كانوا يخترقون جبل طارق ، ويمارسون نشاطهم وعملياتهم في المحيط الأطلسي وذلك لأقدميتهم وقوتهم ، وكان العمل إما لحسابهم الخاص أو بالاتفاق مع السلاويين[5]. فمثلا استيلاء رايس البحر الجزائري محمد بستانجي في14 ربيع الثاني 1097هـ/ 9مارس 1686م على سفينة فرنسية، وثلاث سفن هولندية قرب ميناء سلا وقادها إلى سلا[6].وذكر في تقرير الجاسوس خوليان أنّه في أواخر جانفي1661م ، وصلت إلى مضيق جبل طارق 22 فرقاطة حربية جزائرية قادمة من الجزائر،وموزعة إلى ثلاثة أساطيل ، كانت تجري بالقرب من شواطئ سلا،وقد أسرت سفينة كانت قادمة من العرائش وتحصلت على غنائم أخرى ، كما عاينت بعض السفن الإنجليزية،وفتشتها،وضربت قباطنها ضربا مبرحا، رغم وجود معاهدة بين الجزائر وإنجلترا[7].وقد كان قادة سفن القرصنة يحملون في بعض الأحيان جوازي سفر سلاوي جزائري، وهذا ما تبين من خلال رسالة كتبها القنصل الفرنسي في قادس بيير دي كاتلان إلى كاتب الدولة

---

[1]- حسن أميلي: **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17و18م**،ط1،دار أبي الرقراق ،المغرب،2011، ص256.
[2]- المرجع نفسه، ص232.
[3]- إبراهيم خلف العبيدي:المرجع السابق، ص8.
[4]- محمد حجي : الأسطول المغربي أيام العهد العلوي،المرجع السابق،ص105.
[5]- محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم.. ، المرجع السابق، ص219.
[6]- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر.. ، المرجع السابق، ج2،ص 276.
[7]- حسين بوزينب: المرجع السابق، ص328.

البحرية الفرنسية جون باتيست كولبير في 12 ماي 1687م، نقلا عن ابن عائشة جاء فيها :" قبل اثني عشر يوما، وغير بعيد عن سلا حجز سفينة من الجزائر من طرف بعض العمارات التابعة للإنجليز، تبين أنّ قائدها كان يحمل جوازين أحدهما من الجزائر والآخر من سلا" [1].

كما كتب نفس القنصل في صدد التنكر والتحايل بين البحارة الجزائريين والسلاويين جاء فيه: "لقد تركت نفسها لمفاجأة البرابر بصورة استخدموا فيها الحيلة أكثر من القوة للاستيلاء عليها ، فالسلاوي المتنكر في زي قرصان جزائري عرض على بحارتنا الفرنسيين الصعود معه "[2]، وقد انطلت على طاقم السفينة هذه الحيلة.

وهكذا، فإنّ السلاويين في البحر يدّعون أنهم جزائريون، وكان الجزائريون يدّعون أنهم سلاويون ، كما كانوا يتبادلون الغنائم بينهم،فأصبحت موانئ البلدين مجالا مفتوحا للجهاد البحري، إذ يسمح المغاربة يسمحون للسفن الجزائرية بالرسو في الموانئ المغربية تطوان ، العرائش ، سلا ، المعمورة وآسفي، والتموين منها بل وحتى بيع حمولتها من الأسرى ، واتخاذها قواعد لعملياتها الجهادية [3]، وكذلك استعمل المغاربة، وخاصة السلاويين المراسي الجزائرية قصد التزود بما يحتاجونه وبيع غنائمهم. وقد نظر المغاربة إلى البحارة الجزائريين كضيوف في الموانئ المغربية [4].

لذلك، فإنّ تعاون الجزائر مع سلا بدأ مع بداية القرن 11هـ/17م، كما كانت تطوان ميناء مفتوحا دائما سواء في عهد الدلائيين، أو في عهد الخضر غيلان للسفن العثمانية التي تأتي لحمل حجاج المغرب إلى مكة ، بالإضافة إلى كونها مقرا لبيع الأسرى الذين تعذر بيعهم في أسواق الجزائر بعد الخلاف مع سلا، لكن هذا الخلاف لم يدم، فالجهاد البحري استمر يرعب الدول الأوربية، خاصة اسبانيا التي كانت تستحوذ على وهران والمرسى الكبير في الجزائر وعلى عدّة مراسي مغربية ، وخاصة أن أغلبهم كانوا من أصول أندلسية عزموا على الانتقام منهم ، فنجد السفير الانجليزي (كوتنغهام) يقول:" إنّ قوة وجرأة قراصنة شمال إفريقيا،هما الآن على هذا النحو من الضخامة سواء في

[1] -عمر بن قايد :" **أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م**"، في مجلة الواحات ، ع17، غرداية،2012، ص145.

[2] -روجي كواندرو: المرجع السابق ، ص ص121- 122.

[3]- إبراهيم حسن شحاتة :المرجع السابق،ص420.

[4]- المرجع نفسه، ص421.

البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي ، وأشهد أنه لم أعرف في حياتي شيئا قد جلب إلى البلاط الإسباني الأسى العميق، والخراب الكثير غير هؤلاء القراصنة"[1].

3- الدور الدولي الأوربي في علاقات حركة الجهاد المشترك بين الجزائر والمغرب الأقصى:

شكّلت القضية الجزائرية إحدى المحاور الهامة في اللقاءات والسفارات المتبادلة بين المغرب وفرنسا، ففي عهد المولى إسماعيل أرسل بعثة محمد تميم ،والتي أسفرت عن معاهدة بين فرنسا والمغرب في 29 جانفي 1682م، ومن بنودها أن يدافع المغرب عن السفن التجارية الفرنسية بعرض المياه المغربية ويحميها إذا تعرضت لاعتداء الجزائريين والتونسيين[2].

لكن لم يستطع المولى إسماعيل تطبيق هذا البند، خاصة أننا نجد الموانئ الجزائرية والمغربية كانت مجالا واحدا تُستعمل لخدمة مصالحهما ، حيث كان المغاربة يستعملون البحر المتوسط الغربي والمحيط الأطلسي دون اعتبار للحدود [3]، فهدف هذه المعاهدة كان بث التفرقة بين البلدان الإسلامية والتخلص من بحارة بلاد المغارب، فلا يمكن للمغرب أن يعترض بالسلاح على سفن إسلامية ترسو في الموانئ المغربية، وهي معادية لفرنسا ،وهي من ضمن البنود المختلف عليها في اتفاقية 1682م،لأنّ المغاربة لايقبلون بتحالف بلدهم مع النصارى ، فحسبما ذُكر في الحديث الذي دار بين القنصل سانت أمان،والقائد علي بن عبد الله في عام 1682م إلى إمكانية إخفاء خبر المساعدة الفرنسية للمغرب في مشروعاتها الحربية ضد الجزائر تفاديا للتضرر الذي يبديه المغاربة من قيام تحالف مع النصارى في حرب ضد المسلمين [4]،وفي إحدى رسائل الأسرى بمرسيليا كتبت في 9ماي 1682م يتحدّث فيها أنه شاع في فرنسا أنّ السلطان المغربي سيهاجم الجزائر برا، وتهاجمها فرنسا بحرا، إلّا أنهم لم يصدقوا ذلك ، فالسلطان المغربي لايتحد مع الكفار، لأنّه من ذرية الرسول، ولأنّ هذا فيه تحطيم للديانة المحمدية [5].

---

[1]- جون ب وولف: المرجع السابق، ص191.

[2]- Henry de Castry: OP.CIT,2'eme série, France, T2 ,p395.

[3]- أحمد الازمي : **العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد المولى إسماعيل 1672-1727**، منشورات مابعد الحداثة، المغرب ، 2007، ص24.

[4]- إبراهيم حسن شحاتة، المرجع السابق ، ص 421.

[5]-جعفر بن أحمد الناصري: **سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، تح: أحمد بن جعفر الناصري، مطبعة المعارف الجديدة ، 2006، ج3، ص84.

وقد كان للوازع الديني تأثير على موقف ملك المغرب بالسماح للقراصنة الجزائريين بممارسة نشاطهم في السواحل المغربية،وهو ما ذكرته الوثائق الفرنسية [1]، وهو مايحظى به قراصنة تطوان وسلا في الجزائر من استقبال ،كانوا يرونه من واجب الضيافة. رغم معارضة واحتجاج قناصلة فرنسا في الجزائر،حينما وقع التوتر بين المغرب وفرنسا، بسبب التاج. ففي رسالة بعثها المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر :" إنّ رئيسا من بلادنا اسمه التاج ، كان أعطاه صاحبك الذي أتانا خط يده على أنه يشتري سفينة من الجزائر ويسافر بها قرصان وماعليه فيمن لقيه من فرنصيص ، فلما اشتراها وسافر بها وغنم قطارمة ... وبعثها مع أصحابه ستة وعشرون مسلما وتعرضوا لها سفنكم وأخذوها ". وذلك في شعبان 1095هـ/ 22 جويلية 1684[2].

ونستشف من ذلك،أنّ الفرنسيين كانوا يتعاملون مع قراصنة بلاد المغارب،ومنه نجد أن الفرنسيين كانوا يتعاملون مع القراصنة المغاربة، الذين كانوا يشترون ويجهزون سفنهم من الجزائر، إلا أن الفرنسيين أسروا ماغنمته هذه السفينة مع بحارتها،وهو ما كدّر العلاقات بين المغرب وفرنسا خاصة في ظل عدم رد لويس الرابع عشر على رسالة المولى إسماعيل[3].

واستمر عمل القراصنة الجزائريين في الشواطئ المغربية ، حيث أخذت سفينة جزائرية سفينة فرنسية بالشواطئ المغربية وأسرت فيها مئة فرنسي، وجه منهم ستين إلى الجزائر،واحتفظ المولى إسماعيل بأربعين فرنسيا وأضافهم إلى الأسرى الموجودين عنده[4].

وبعد معاهدة محمد تميم سفير المغرب مع فرنسا سنة1093هـ/ 1682م، اتهمت فرنسا علي بن عبد الله قائد سلا وتطوان بخرق السلام القائم بين فرنسا والمغرب، إذ أنه كان صديق الجزائر ومتعاونا معها وأن تجارته الرئيسية معهم[5]. لكنّ هذا التعاون كان يرتطم بظروف وضغوط خارجية جعلت المولى إسماعيل يمارس ضغوطه على الجهاد البحري الجزائري ، خاصة في فترة علاقاته السلمية مع فرنسا وكذا تزايد التوتر بين الجزائر والمغرب الذي تفاقم بعد الدعم الجزائري لثورة ابن محرز سنة

[1]- إبراهيم حسن شحاتة، المرجع السابق ، ص 424.

[2]- جعفر بن أحمد الناصري: المرجع السابق،ج3، ص91.

[3]-محمد القبلي: المرجع السابق، ص54.

[4]-جعفر بن أحمد الناصري: المرجع السابق،ج3، ص97.

[5]-حسن أميلي: الجهاد البحري، المرجع السابق،ص255.

1686م ، لحد تهديد المولى إسماعيل للباشا إبراهيم خوجة بالحرب إذا ما لم يتوقف رياس الجزائر عن نشاطهم في السواحل المغربية [1].

فعمل المولى إسماعيل على التضييق على الجزائريين لمنعهم من اللجوء إلى الموانئ المغربية في عمليات القرصنة التي يقومون بها ضد السفن الأوربية ، سواء لنقل غنائمهم إليها، أو للانطلاق منها، وطريقته في ذلك الاستيلاء على الغنائم التي يحملونها إلى تلك الموانئ[2].وحتى يبرر لفرنسا تعاونه معها، وتضييقه على الجزائر ، قام بمصادرة سفينة غنيمة فرنسية قدم بها الرايس الجزائري محمد البستانجي سنة 1686م ،وقدمها للقنصل الفرنسي بيرييه (Perillé) ، وكرد فعل وانتقاما مما فعله المولى إسماعيل في حق البحارة الجزائريين، صادر باشا الجزائر إبراهيم خوجة ثلاث غنائم فرنسية جاء بها بعض رياس البحر السلاويين إلى الجزائر[3]، من أجل التضييق على نشاط السلاويين في الجزائر من قبل الداي.

وقد كانت الجزائر وفرنسا في حالة سلم بعد معاهدة1095هـ/ 1684م ،لكن التعاون استمر مع المغرب ، حيث سمحت الجزائر لأحد بحارة سلا ببيع غنيمة فرنسية ،فأعلنت فرنسا الحرب على الجزائر ووجهت حملة ديستري 1688م، وأصبحت السفن الجزائرية مطاردة من قبل فرنسا[4].

وواصلت فرنسا محاولة تقويض القرصنة المشتركة لبلاد المغارب إذ أنه في سنة 1693م عين سانت أولون قائما بالأعمال الفرنسية في المغرب، اتفق أن تساند فرنسا المغرب ضد اسبانيا ، ويساند المغرب من جهته فرنسا ضد الجزائر، نظرا لنشاط سفن الجزائر في عمليات الجهاد البحري[5] ، كما وجد مشروع معاهدة بين فرنسا والمغرب في14 جمادى الأولى 1110هـ/ 17نوفمبر 1698م، جاء في التزام المغرب بحماية السفن الفرنسية التي تأتي إلى الموانئ المغربية خوفا من اعتداء سفن القرصنة التابعة للجزائر وتونس ، وعدم تقديم أي تسهيلات تساعد تلك السفن على القيام باعتداءاتها ، وكذلك بإطلاق سراح المواطنين الفرنسيين الذين يأسرهم القراصنة ويأتون بهم إلى تلك الموانئ [6].

---

[1] -De Castry:Op.Cit,2° Série, France,T2 , p613.

[2]- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2،ص 287.

[3]- حسن أميلي: الجهاد البحري، المرجع السابق، ص ص 254- 255.

[4]-عائشة غطاس: **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17(1619-1694م)** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1984-1985 ، ص 92.

[5]- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ،المرجع السابق، ج3، ص55.

[6]- خليفة حماش : كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2، ص 309.

لكن ذلك لم يحدث،فالتعاون بين رياس البحر الجزائريين والمغاربة ظل مستمرا .وأرعب الأوربيين الذين كانوا مهدّدين بهجمات القراصنة.فسعت الدول الأوربية إلى استخدام العديد من القراصنة من أجل تحجيم أساطيل بلاد المغارب،ومنها منظمة فرسان مالطا، وسانت إتيان، الملقب أعضاؤها بالستيفانيين،وجنوا وليفورن[1]، وبقوات فرسان القديس ستيفان،وذلك طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر، فقد ساهمت في الحملات الأوربية ،ومارست حرب العصابة في البحر ،خاصة على السفن الجزائرية[2].

ومهما كانت حدّة التنافس بين الدول الأوربية في البحر المتوسط، فإنّ تأثيره كان ضعيفا على الجزائر والمغرب في نهاية القرن 17م وبداية القرن 18م ، اللتين عرفتا كيف تحافظان على التوازن الدولي، فالجزائر كانت تفرض الأتاوات على الدول الأوربية لضمان ملاحة أساطيلها، والتي اضطرت لدفع الجزية لأنها لم تستطع، أو أنّها لم تطور من سياسة عمل جماعي حقيقي خاصة ضد الجزائر ،و كانت تقدم الهدايا في المناسبات المختلفة لضمان نجاح أعمالها، وكسب ودّ حكام الجزائر[3] ، كما أنّ المغرب بزعامة المولى إسماعيل استفاد من الدول الأوربية، وعقد المعاهدات معها، وما كانت تدره عملية افتكاك الأسرى المسيحيين من أموال لتغذية خزينة الدولة والتزود منها بالأسلحة، ولوازم تجهيز السفن[4] ، فقد هدّد المولى إسماعيل هولندا بضرورة مواصلة دورها كمُمّون للبحرية المغربية، بإعلان الحرب عليها كلما بدا منها تقاعس، ففي عام 1694م أعلن الحرب عليها لعدم وفاء قنصلها بالتزاماته بشأن الإمدادات البحرية ، ولم يتراجع عن ذلك إلا في سنة 1696م بعدما تم توجيه شحنة عسكرية هولندية إلى المغرب[5].

إلا أنّه مع بداية القرن12هـ/ 18م شهدت الجزائر تراجعا في نشاط الجهاد البحري، أين أصبحت أداة الدبلوماسية تسمح للجزائر بأن تبيع للدول الأوربية شروط السلم في الملاحة البحرية،

1- حسن أميلي: البحرية العثمانية ، المرجع السابق، ص105.

2- إبراهيم سعيود: "**القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة، القرصنة الإيطالية نموذجا**"، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع11، المركز الجامعي غرداية، الجزائر،2011،ص157.

3- أرزقي شويتام: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص80.

4- أحمد الأزمي: بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل ، المرجع السابق، ص195.

5- محمد رزوق: **الجهاد البحري في عهد السلطان مولاي اسماعيل منطقة مصب أبي رقراق نموذجا**، أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف الخريفية ، مركز الدراسات والبحوث العلوية ، الريصاني ، المغرب ، ديسمبر1989، ص150.

ورغم ذلك كانت هي محرك السياسة الخارجية من خلال سعيها في التحصل على الإتاوات ، والرسوم التجارية، والتزويد بالعتاد مقابل السلم ،وتحول الاهتمام من الآفاق البحرية إلى الآفاق البرية ، من خلال توجيه وحرص الداي شعبان على توحيد جهوده على مواجهة التحالف بين طرابلس الغرب وتونس سنة 1700 م ومع المغرب 1701م[1]، كما أن استثمار أصحاب المال لم يعد في السفن فقط بل أصبح في التجارة أيضا .

2-ردود الفعل الأوربية ضد البلدين:

إنّ قيام الجزائر والمغرب بدور بطولي في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وشنّهما الغارات على السفن، بل على المدن الأوربية الجنوبية ، جعل الدول الأوربية توجه حملاتها نحوهما.

أ- الحملات الفرنسية على الجزائر والمغرب:

1- الحملات الفرنسية على الجزائر:

بسب عدم رد فرنسا الأسرى الجزائريين الذين استعملتهم كمجدفين في سفنهم، ساءت العلاقة بين الجزائر وفرنسا ، وشددت الجزائر هجماتها على السفن الفرنسية ابتداء من 1680م، حيث أنه في أواخر 1681م تمكّن الجزائريون من الاستيلاء على 29 سفينة فرنسية [2]، هذه الخسائر جعلت فرنسا توجه حملات على الجزائر منها :

أ- حملتي دوكين على مدينة الجزائر:

1- الحملة الأولى 1093هـ/1682م :

بلغ عدد سفن الحملة التي هاجمت مدينة الجزائر ستين سفينة في عهد بابا حسن باشا، وفي ليلة واحدة قصفت بمئة وخمسين قنبلة ، وقد كان غرضها حرق مدينة الجزائر وتدميرها باستعمال القذائف لكنها لم تحقق هدفها [3]، ودمرت ثلاث بوارج ومائتي منزل، إلا أن القوات الجزائرية تصدّت لها بكل قوة ، واضطرت القوت الفرنسية للانسحاب [4].

---

[1]- المنور مروش: المرجع السابق، ص375.

[2]- المرجع نفسه، ص345.

[3]- عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ"الجزائر خاصة"**،ط1، دار المعرفة، الجزائر،2009،ج2 ،ص78.

[4]- عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية ..، المرجع السابق ، ص87.

2- الحملة الثانية صفر 1094هـ/جوان 1683م:

عزم دوكين على حرق المدينة ، وقد ذكر ابن رقية التلمساني أنّ الفرنسيين رموا ستين قنبلة، وفي الليلة الثانية رموا أربعمائة وعشرين قنبلة ، واضطر الداي إلى الرضوخ لشروط فرنسا ، حيث سلّم الداي مئة وخمسين أسيرا فرنسيا، إلا أن حاجي حسين المدعو ميزومورتو، وهو أحد الرهائن استطاع أن يفلت، ويدبر مؤامرة ضد الداي،وينصب نفسه دايا على الجزائر، وقرر مواصلة الحرب ، ورغم ما خلفته هذه القنابل من خسائر رهيبة ،دافع السكان عن المدينة ورفضوا الصلح مع فرنسا [1]، التي لم تستطع إبرام الصلح إلا في 25 أفريل 1684م [2].

ب- حملة ديستري1099هـ/26 جوان 1688م:

قامت هذه الحملة بقيادة الأميرال ديستري ، وقد ألحقت هزائم بالجزائر، إذ استمر قصف المدينة مدة ستة وعشرين يوما ، حيث قصفت المنازل والثكنات والمساجد [3]، وقد تكبد كلا الجانبين خسائر، لذا رضخ لويس الرابع عشر إلى عقد معاهدة الصلح في17ربيع الثاني1095هـ/ 24 سبتمبر 1689م إلا أنّ تسوية الخلافات بين فرنسا والجزائر لم تتم إلا بعد 1694م [4].

2- الحملات الفرنسية على المغرب:

وجهت فرنسا حملات على المغرب، خاصة ضد سلا والرباط، وذلك لتقويض ظاهرة القرصنة وحماية الأساطيل التجارية ، ومنها :

أ- حملتي جون ديستري:

1- الحملة الأولى سنة 1670م:

قادها الكونت "جون ديستري" نائب أميرال البحرية الملكية الفرنسية، أرسله لويس الرابع عشر على رأس حملة بحرية مكونة من ست سفن، من أجل تطويق ميناء سلا، والشواطئ المغربية القريبة منه،ومحاربة قراصنتها ، لكنها فشلت بسبب امتلاك السلاويين سفن خفيفة، ومكوثهم في جرف يصعب دخوله[5].

---

[1]- عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية..، المرجع السابق ،ص ص 88-89.

[2]- المرجع نفسه، ص91.

[3]- جون ب. وولف: المرجع السابق، ص208.

[4]- عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية ...، المرجع السابق ، ص ص 95-96.

[5]- روجي كواندرو: المرجع السابق،ص130.

2- الحملة الثانية سنة 1671م:

تعرضت سلا لأعنف الغارات، فقد ألقت فرنسا ألف ومائة طلقة بمدفعيتها في ظرف ساعة ونصف[1].

ب- **حملات شاطو رونو سنة 1680م:**

وجه شاطو رونو أسطولا مكونا من عشر سفن إلى سلا وحاصرها ، وأرغم قائدها عمر بن حدو على التفاوض، لكنّهما لم يتوصّلا إلى اتفاق، ثم عمد "شاطو رونو" إلى إعادة الكرّة،معتمدا على عمارة بحرية مكونة من عشر سفن ، تواجدت أمام المدينة لإرغام أهلها على الموافقة على السلم الفرنسي،الأمر الذي جعل القائد عمر بن حدو الحمامي يفاوض شاطو رونو، ويبعث له برسالة في 10شعبان 1691هـ/4 سبتمبر 1680م، اشترط عدم سريان مفعول هذه الهدنة إلا بعد خمسين يوما، حتى يتمكن السلاويون من القيام بحملاتهم البحرية[2]،ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق فرفع الحصار بسبب التقلبات الجوية ، وفي سنة1681م فاوض عمر بن حدو قائد إحدى السفن الفرنسية لوفيبر دو لابار واتفقا على الهدنة في15جمادى الثانية1092هـ/ 1جويلية 1681م[3].

هذا الضغط الشديد الذي تعرض له الأسطول المغربي، لا سيما على يد السفن الفرنسية ، أدى إلى تراجع العمل الجهادي في المغرب ،خاصة وأنّه مع الاستقرار السياسي لم يعد للعمل البحري الأهمية المطلقة مع مواد التجارة الخارجية [4]، لكن رغم ذلك حاول المولى إسماعيل تشجيع النشاط البحري، وتهديده بمعاقبة رجال البحر الممتنعين عن المشاركة في البحر[5]الذين قلّ نشاطهم بسبب تحول العمل من ملكية الخواص إلى ملكية الدولة، وكذا تحويل أهم رياس البحر للعمل في السلك الدبلوماسي ، حيث عيّن ابن عائشة سفيرا أسندت له سفارة إلى فرنسا [6]، وكذلك بعد طرد الإسبان من المعمورة 1092هـ/1681م ،والعرائش1101هـ/1689م، وأصيلا،1104هـ/1692م، وطنجة1096هـ/ 1684م من الإنجليز انصرف المغاربة عن القرصنة وازدهرت تجارتهم مع أوربا.كما

---

[1]- روجي كواندرو: المرجع السابق، ص136.

[2]- أحمد الأزمي: العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا، المرجع السابق ، ص12.

[3]- جاك كيلي: **السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا**،في مجلة تطوان، ع6،المغرب،1961،ص160.

[4]-حسن أميلي: المغاربة والمجال البحري..، المرجع السابق،ص 300 .

[5] -حسن أميلي : الجهاد البحري.. ، المرجع السابق ، ص255.

[6]- المرجع نفسه ، ص271.

أن المولى إسماعيل اهتم بالبر ، حيث يقول في رسالته للويس الرابع عشر : "إن الله منح المسلمين إمبراطورية الأرض، بينما أعطى النصارى إمبراطورية البحر "[1].

ب- الحملات والتهديدات الانجليزية على الجزائر والمغرب:

1- على الجزائر:

أخذ الانجليز يهاجمون الجزائر، حيث قصفوا مدينة الجزائر سنة 1071هـ/1661م ، حينما جاءوا بثلاث وعشرين سفينة ثمّ أرادوا أن يُجددوا الصلح ، إلا أنّ الأغا رمضان بولكباشي رفض ، فقصف ذلك الأسطول مدينة الجزائر لكن سكان الجزائر واجهوهم [2]، وأخذوا يعتدون على سفنهم في البحر ، كما أحدثوا تخريبا في بجاية [3]، ففي شهر ماي 1671م، هاجموا بقيادة الأميرال(إدوارد سبراغ) مرسى بجاية، وأضرموا النار في ثمانية مراكب، واستولوا على ثلاثة منها [4]،إلا أن بريطانيا رضخت ووقعت معاهدة الصلح سنة 1682م بعد تكبيدها خسائر كبيرة،حيث تمكّنت الجزائر من اغتنام 350 سفينة، وأسرت ستة آلاف أسير إنجليزي[5].

2- على المغرب:

هاجم الإنجليز المعمورة التي أصبحت تهدد السفن الأوربية بعد تحريرها من الإسبان ، وقد تمكن الانجليز في جويلية 1685م من حرق سفينتين تابعتين للمولى إسماعيل[6]. وفي مارس 1698م استولى على ثمانية مراكب سلاوية، ما أدى ذلك إلى سقوط أزيد من 40 % من حجم الإجمالي للأسطول الجهادي في سنة واحدة،وأضحى احتمال انهيار الأسطول متوقعا، لولا النجاح الاستثنائي الذي حققه عبد الله بن عايشة؛حيث تمكّن من تحقيق خمس غنائم في جوان 1698م في رحلة دامت 38يوما[7].

---

[1]- روجي كواندرو: المرجع السابق، ص48.

[2]- أمين محرز: المرجع السابق، ص124.

[3]- يحي بوعزيز : **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط2، د. م .ج ،الجزائر، 2009، ج2،ص44.

[4] - أمين محرز: المرجع السابق، ص124.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون: المرجع السابق،ص314.

[6]-روجي كواندرو: الرجع السابق ، ص139

[7]- حسن أميلي: المغرب ومجاله البحري، المرجع السابق،ص356.

المبحث الثالث:

الجهود الجزائرية المغربية لتحرير الأسرى المسلمين

يعدّ موضوع الأسرى من بين أهم القضايا التي طبعت العلاقات بين الضفتين، لقد أثار موضوع الأسرى في ضفتي البحر المتوسط الجنوبية والشمالية الكثير من الجدل وخاصة الأسرى المسيحيين في بلاد بلاد المغارب، خاصة في الجزائر والمغرب ، بينما ظل موضوع الأسرى المسلمين في أوربا يكتنفه الكثير من الغموض، وقد شكّلت مسألة الأسرى عنصرا أساسيا في تنشيط التواصل الدبلوماسي بين الجزائر والمغرب وبين دول أوربا الغربية . وكمقاربة تاريخية وسياسية لموضوع الأسرى بين الجزائر والمغرب ، نطرح بعض التساؤلات: كيف وقع الأسرى الأوربيون في الأسر في كل من الجزائر والمغرب وكيف كانت ظروف معيشتهم؟ وماهي طرق افتدائهم؟ وماهي أوضاع الأسرى الجزائريين والمغاربة في أوربا؟ وماهي الجهود المبدولة من قبل دولهم لتحريرهم، وهل هناك تعاون بين الجزائر والمغرب لتحرير الأسرى المسلمين؟

1- مسألة تواجد الأسرى الأوربيين في الجزائر والمغرب:

1- الأسرى الأوربيون في الجزائر :

أ- إحصاء أعدادهم:

شهدت الجزائر تدفق أعداد كبيرة من الأسرى الأوربيين، وكان غالبيتهم من الإسبان والايطاليين والفرنسيين ، إذ يمثل القرن 17 م القرن الذهبي للقرصنة، فقد تزايد عددهم بشكل كبير ، ويذكر الأب دان (Le Père Dan)أنه كان في الجزائر في النصف الأول من القرن 17م حوالي 25ألف أسير من الذكور، وألف أسيرة من الإناث[1].وقد نشرت جريدة لاغزيت (Gazzette) في مارس 1790م أنّ أحد أعضاء ديوان الجزائر يدعى سيدي إبراهيم سنة 1670م، ذكر في رسالة له أنّ عدد طائفة الأسرى خمسين ألف أسير، ومن نشاط السفن الجزائرية في البحر، أنها تمكنت خلال الفترة الممتدة من 1672-1682م من أسر 353 سفينة إنجليزية،كان على متنها 1850 بحارا[2].

---

[1]- جون . ب وولف : المرجع السابق ، ص 207.

[2]- بلقاسم قرباش: **الأسرى الأوربيون في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، السنة الجامعية: 2015-2016، ص144.

إذا من خلال هذه الإحصائيات يتّضح أن عدد الأسر المسيحيين كان كبيرا جدا، وفي سنة 1729م حسب فاو بلغ عدد الأسرى عشرة آلاف أسير ، وقد تضاءل نتيجة دخول عدد منهم للإسلام ، حيث يشير الأب دان عن وجود 9500 أسير دخلوا الإسلام بالجزائر[1]، سواء من أجل الحصول على الحرية أو نتيجة اقتناعهم بسماحة الدين الإسلامي ، فشكّلت فئة الأعلاج دورا مميزا في تاريخ الجزائر ، ولقد تعدّدت الطرق التي كانوا يأسرون بها الأوربيين منها:

-الهجوم على سواحل أوربا خاصة الجنوبية، ومن هذه السواحل: جنوة، نابولي، ليفورن، سردينيا، كورسيكا ومالطا[2]. وبعض السواحل الأوربية المطلة على المحيط الأطلسي.

- اعتراض السفن في البحر خاصة التي لم تكن بينهما معاهدة، فقد كان أغلبهم يقبض عليهم في المواجهات .

- تعزيز الجزائر لوجودها في الجهة الغربية والقيام من حين لآخر بالهجوم على وهران ، والتي قلت بعدما عزز الإسبان المدينة بحصون في الجهة الشرقية لوهران في الثلث الأخير من القرن 16م [3].

- الحملات العسكرية التي شنّتها فرنسا على الجزائر في النصف الثاني من القرن 17م ، حيث تمكّنت الجزائر من أسر ألف وأربعمائة أسير خلال هزيمة فرنسا في حملتها على جيجل 1075هـ/1664م [4].

ب- ظروف عيشهم :

أول مرحلة للأسرى هي اقتيادهم لقصر الداي، حيث يُقدر حقه بين 10 و12% من غنائم الأسرى، وبناءا على ذلك يقوم باختيار الأسرى المهمين بعد معاينتهم[5] ، حيث يختار القبطان ، الضباط ، الأطباء، النجارين، كما يختار الأشخاص من العائلات الرفيعة ، ويكون عدد الأسرى

---

[1]- Pierre Dan**: Histoire de la barbarie et de ses corsaires des royaumes, et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, et de Tripoli**, seconde édition, paris,1646, p341.

[2] - يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر..، المرجع السابق، ج2، ص 185.

[3]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق،ص316.

[4]- محمة عائشة : **الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم العلوم الإنسانية، المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية:2010-2011، ص 16.

[5]- جون. ب وولف: المرجع السابق، ص209.

الذين يختارهم الداي ثمانية[1]. ويتم إرسال الأسرى الذين اختارهم إلى سجون الدولة ، والآخرين يتقاسمهم الملاك والطاقم[2]. وفي الغد يعرضون للبيع في البازيستان أو الباديستان[3] ، ويباع الأسير للذي يدفع أكثر[4]، وتتحكم في قيمته عوامل كثيرة منها عمره،ومكان ميلاده وعمله، وثروته، ووضعيته الاجتماعية في بلاده[5] ، وقد كان من حق السكان شراء الأسرى للعمل لديهم [6].

وقد تضاءل عدد الأسرى المسيحيين في النصف الثاني من القرن 17م وبداية القرن 18م، وذلك لتراجع عائدات القرصنة، إضافة إلى المعاهدات مع الدول الأوربية ، ونظرا لتزايد عدد الأعلاج في الجزائر قلّ عدد البانياوات التي كان يسكنها الأسرى ، ففي أواخر القرن السابع عشر كان هناك سجن جنينة وسجن شلبي و السجن الكبير ، إضافة إلى السجون التي يمتلكها أثرياء المدينة[7]. وقد قسم الأسرى إلى:

– أسرى الداي :

كانوا يعيشون داخل قصر الداي،حيث يقومون بالتنظيف، وتقديم القهوة للداي ووزرائه ،وقد كانت حالة الأسرى الذين يعملون في القصر أفضل بكثير من غيرهم[8].

– أسرى البايلك :

إنّ الأسرى الذين لايختارهم الداي، ولايُشترون يصبحون ملكًا للدولة ، وقد استعملوا للخدمة في الحجارة عبر طرق الأيالة، أو في الفحوص، أو في دار الصناعة، وورشات بناء السفن[9] ، أو لخدمة

---

[1] - Laugier De Tassy:Op.Cit,p163.

[2]– بلقاسم قرباش: الأسرى الأوربيون في الجزائر ...، المرجع السابق، ص221.

[3]– يعود تأسيسه قبل سنة 981هـ/1573م، أسسه الباشا حسن فنزيانو، وكان مخصصا لبيع كل مايتم جلبه من طرف القراصنة بعد عودتهم بالغنائم من أسرى وبضائع . ينظر: عائشة غطاس: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700–1830م ، مقاربة اجتماعية اقتصادية**،ط1، منشورات Anep، الجزائر،2007،ص256.

[4]– حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ص209.

[5]– جون ب .وولف: المرجع السابق، ص110.

[6]– بلقاسم قرباش: "**بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519–1830م)**"، في مجلة دراسات تاريخية، ع1، الجزائر، ديسمبر2013، ص133.

[7]– المرجع نفسه، ص132.

[8]–جيمس كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**،تر: إسماعيل العربي، د.م.ج ،الجزائر، 1982، ص ص26-27.

[9]– وليام سبنسر: المرجع السابق، ص156.

الثكنات أوللتجديف، وشدّدوا حراستهم تفاديا لهروبهم[1]، رغم أنّه في هذه الفترة لم تعد تغامر بهم في مهنة التجديف[2]،وقد كان الأسرى يلبسون حلقة حديدية في إحدى الرجلين لتمييزهم عن الآخرين[3]. كما سمح لهم بمزاولة أعمال أخرى كتسيير حانة في البانيو،ويدفعون نصف الرسوم [4].

– أسرى الخواص :

كانت سجون الخواص ملجأ للنوم بالنسبة للأسرى ، أما في النهار فيتدبر الأسير أمره، حتى يدفع لسيده نسبة معيّنة، لذا كان الأسرى يقومون بعدّة أعمال ، ومنهم من امتهن مهنة السرقة ويبيع ما سرقه في اليوم الموالي في مزاد علني داخل البانيو[5].وقد ألحقت الدولة بكل سجن مستشفى، ما ينمّ عن اهتمامها بشؤون الأسرى وصحتهم، فالداي شعبان أصدر مرسوما سنة 1694م بإقامة المستشفيات، ومنح امتيازات للقائمين على تسييرها،وهو الأب جوزيف كيرالت (Joseph Queralt) من مقاطعة قشتالة ، كما كان السجن يضم كنيسة أو مصلى صغيرا، والذي يضم كل المذاهب الدينية المسيحية من أجل إقامة شعائرهم الدينية وأعيادهم، خاصة عيد الفصح وعيد رأس السنة ، وفي أسفل سجن البايلك وسجن الجاليرا كانت هناك خانات لبيع الخمور[6].

2 – الأسرى الأوربيون في المغرب :

أ– إحصاء أعدادهم:

تتم عملية الأسر في أغلب الأحيان بطريقتين هما:الشراء والأسر في البحر،حيث تتحدث الكثير من المصادر على ظروف شراء الأرقاء الفرنسيين في الموانئ المغاربية الأخرى ونقلهم إلى المغرب، وقد قُدر عدد الأسرى بـ 1200أسير،منهم 20%من الفرنسيين،وفي سنة 1687م بلغ عدد الأسرى

---

[1] -Diego de Haëdo: Topographie,Op.Cit,p50.

[2]– جون ب وولف : المرجع السابق، ص 211.

[3]– بلقاسم قرباش: الأسرى الأوربيون في الجزائر في عهد الدايات، المرجع السابق، ص226.

[4]–جيمس كاثكارت : المصدر السابق، ص128.

[5]–جيمس ويلسن ستيفن: **الأسرى الأمريكان في الجزائر1795/1796**، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 216.

[6]– بلقاسم قرباش: بانياوات الأسرى المسيحيين ، المرجع السابق، ص136.

الفرنسيين أربعمائة أسير[1]، وفي سنة1691م قُدر عددهم 286 أسيرا،ونزل إلى 110أسير سنة 1714م،ثم ارتفع عددهم إلى 130أسيرا سنة1727[2].

أما بالنسبة للأسرى الإسبان ، فقد أدى تحرير الثغور المغربية التي كانت تحت يد الإسبان في عهد المولى إسماعيل إلى وقوع عدد كبير منهم ،خاصة في العرائش والمعمورة،وعمليات الجهاد البحري،التي أسفر عنها عدد كبير من الأسرى،من جنسيات مختلفة أغلبها إسبانية ، فمثلا بين سنتي 1672 م و1676م كان هناك 1200 أسير،وفي سنة 1708م أحصى المولى إسماعيل عدد الأسرى فوجد 800 أسير منهم 200 فرنسي، و400 اسباني ،و200 برتغالي[3].وقد قدر المؤرخون الأوربيون عدد الأسرى في عهد إسماعيل بنحو آلاف أسير ينتمون إلى جنسيات مختلفة[4].

ب– ظروف عيشهم:

كان الأسرى الذين يعيشون في مراكش أحسن حالا من أسرى المدن المغربية الأخرى، لأنهم كانوا يحظون بالرعاية المتواصلة من قبل الرهبان،ويعيشون في ظروف حسنة،بينما كان الأسرى في تطوان وسلا وآسفي يفتقرون إلى الإشراف الأسقفي المباشر، ويعيشون في ما يسمى بالمطامير[5]،التي يقيمون فيها المذابح ويؤدون شعائرهم الدينية دون أن يمنعهم المغاربة من ذلك .

وفي سلا أيضا وجد فضلا عن تلك المطامير الصغيرة مطمورة كبيرة، يحبس فيها جميع أسرى هذه المدينة،إذكان الأسرى الأوربيون مقسمين في المدن المغربية،وحين وصل المولى إسماعيل إلى الحكم جعل مسألة الأسرى من اختصاص الدولة،واستقدم الأسرى المسيحيين للعمل في بناء قصبة مكناس ، كما عملوا في مختلف الأعمال[6]،وكان في سجون المولى إسماعيل خمسة وعشرون ألف أسير يخدمون في بناء قصوره،ولما كثر عددهم اضطر المولى إسماعيل إلى توفير فضاء فسيح محاط بأسوار عالية، بنى فيه الأسرى بأنفسهم بيوتا صغيرة، وقد كان هذا السجن، مقسما إلى أحياء، ووجدت الطرق والمخابز

[1] –Henry de Castries : Op. Cit , 2série , Dynastie Filalienne, France,T3, p123.

[2]-Laila Maziane:**Les captifs europiens en terre marocaine,au 17/18éme siecles** ,in cahiers de la mediterranée,n 65,2002,p2.

[3]- IBID,p7.

[4] –الصديق بن العربي : المرجع السابق،ص157.

[5]–بديعة الخرازي: **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى**،ط1،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،2000، ص58.

[6]- المرجع نفسه، ص58.

وأماكن العبادة والمستشفيات،وقد سمح لبعض منهم العيش خارج هذا السجن، و خاصة الذين يقدمون خدمات متميزة إلى الملك أو حاشيته وكذلك الأسرى المتزوجين.

أما الأسرى الذين يعملون في خدمة الملك فكانوا يتقاضون مقابل عملهم ويتكفل هو بإطعامهم ولباسهم[1]. وقد أمر السلطان المولى إسماعيل الرؤساء الأسرى بألا يجبر هؤلاء على الاشتغال خارج ساعات العمل المحددة،وألا يضربوا،وألا توضع السلاسل في أرجلهم وأيديهم،ولا يلزم بذلك إلا المتيقن من إجرامه . كما أعفى الأسرى المرضى من القيام بما هو موكول إليهم من أعمال[2].

كما تمتع الأسرى المسيحيون بحرية التدين ؛ حيث يسر لهم المغاربة سبل القيام بشعائر دينهم، فقد كان بمراكش ديران إسبانيان،كما كان بالسجن كنيسة ومصلى، ولقد أصدر المولى إسماعيل ظهيرا يمنح الرهبان حرمة وحصانة، بحيث لايكون لأحد عليهم سبيل، كما كان المولى إسماعيل يحترم الرهبان، ورجال الدين من الأسرى يعيشون في هدوء،ويسمح لهم بممارسة مهامهم الدينية ،ويقيمون حفلاتهم ويدفن الميت منهم حسب شعائره الدينية[3].

يقول الأسير"جوزيدو ليون" بمكناس (1728/1708م): «... إن الأسرى الذين كانوا يخدمون في البناء والحدادة،كانوا يسكنون في مقر عملهم، أما الأخرون فهم يسكنون في مكان وسط المدينة كان يسمى"القنوط".....الأسرى المهرة والمستقيمون والذين يتكلمون العربية، كانوا يوظفون في معامل السلطان، وفي مهمات أخرى تتطلب الثقة والأمانة،و كانت لهم حرية التجول داخل المدينة...... »[4].

ولكننا نجد المصادر الأوربية تبالغ في الحديث عن سوء معاملة المولى إسماعيل للأسرى، لتشويه سمعته كيف أنّ أرجلهم كانت تربط بسلاسل[5]، وهذا ليس بغريب عن الكتابات الأوربية[6]،في نظرتها

---

[1]- بديعة الخرازي:المرجع السابق ،ص58.

[2]-زهراء إخوان:" **صورة المغرب في أوروبا في القرنين 17و18،من خلال بعض الكتابات الأوروبية**"، في مجلة منبر الجامعة، ع3،جامعة مولاي إسماعيل،مكناس، 2001، ص69 .

[3]- المرجع نفسه،ص70.

[4]-J.Léon,Chantale de la véronne:**La vie de Moulay Smail**,paris 1974,p p71-72.

[5]-Albert savine : **Dans les fers du Maghreb des Chrétiens ex laves au Maroc XVlle et XVllIe siècle** , Editions Michaud , Paris , 1905,p37.

[6]-وصفه الأب دان أنها كانت عبارة عن أقبيةكبيرة مقببة عل بانخفاض اثني عشر قدما تحت سطح الأرض،يسجن الأسرى بداخلها مجتمعين،ويقوم بحراستهاعدد كبيرمن الحراس ليل نهار.ينظر:Pierre Dan: Op.cit, p412

للمسلمين، فقد كان الأسرى يتلقون ضغوطا لإضافة تشويهات في كتاباتهم حتى تلقى الإقبال،وتزرع الحقد الذي كانت تنشده الكنيسة ورجال الدين[1].

لكنّ المؤكد أنّ الأسرى الذين وقع إعدامهم قليل، ولم يقع تنفيذ حكم الإعدام فيهم إلا نتيجة لخيانة أوجرائم ارتكبوها تستوجب ذلك الحكم الصارم[2]. كما إعتنق حوالي 1500أسير الإسلام في المغرب في القرن 17م، واستطاعوا أن يرتقوا في السلم الاجتماعي، وساهموا في كل الميادين العسكرية والاجتماعية، حتى استطاع أحدهم أن يصبح عاملا على سلا،وآخر على فاس[3].

3–طرق افتداء الأسرى الأوربيين في الجزائر والمغرب:

في أغلب الأحيان كانت طرق افتداء الأسرى الأوربيين في الجزائر والمغرب متقاربة ، ذلك أنّ مهمة افتداء الأسرى التي تضمنتها المعاهدات أو المؤسسات الدينية التي عملت منذ قرون على افتكاك الأسرى .

أ–الافتداء عن طريق معاهدات السلم:

إنّ المعاهدات التي تمت بين البلدين الجزائر والمغرب وبين الدول الأوربية ، خاصة مع فرنسا كانت في الكثير من الأحيان ترفض تبادل الأسرى المسلمين الأصحاء، وتعويضهم بأسرى معطوبين وعجزة ، ففي المعاهدة التي تمت بين الجزائر وفرنسا 1684م، تمّ إرسال سفراء فرنسا في المغرب،"سانت أمانس" و"سانت أولون" لإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين.

لكن إذا كان للدول الأوربية خاصة فرنسا وإنجلترا قناصل في الجزائر والمغرب وكانت بينهم معاهدات سلم يتم من خلالها تحرير عدد من الأسرى ، فإنّ اسبانيا لم يكن لديها قناصلة ممثلون لها ولم تكن هناك معاهدات سلم معها[4] .لذلك حاولت التنظيمات الدينية تعويض القناصل والمعاهدات، والإشراف على مهمة تحرير الأسرى الأوربيين، خاصة الإسبان والبرتغال والايطاليين.

---

[1]–إدريس أبوإدريس:"**المذكرات الأوربية كمصدر لتاريخ المغرب لتاريخ خلال القرن 17 و18م**"، في مجلة مكناسة،ع9، 1992 ،ص67.

[2]–الصديق بن العربي: المرجع السابق،ص158.

[3] -J.Léon,Chantale de la véronne:Op.Cit,p p 69-70.

[4]– جون ب. وولف : المرجع السابق ، ص215.

ب- الافتداء عن طريق البعثات الدينية :

لقد ارتفع عدد الأسرى بالمغرب والجزائر نتيجة للمواجهات المستمرة مع البرتغال والإسبان.لهذا وجدت البعثات الدينية الإسبانية التي قامت بدور مهم في ربط الصلات بين المغرب والجزائر من جهة، وبين اسبانيا من جهة أخرى؛إذ كان رجالها بمثابة سفراء للملك الإسباني لدى الجزائر والمغرب، كما عملت هذه البعثات على كسر الجمود الدبلوماسي،والتخفيف من توتر في العلاقات[1].

فتوافدت البعثات الدينية المسيحية على شمال إفريقيا، خاصة الجزائر والمغرب لخدمة الأسرى المسيحيين على المستوى الديني والروحي، وتوفير الرعاية الصحية لهم ، بالإضافة إلى ذلك تنشيط عملية افتكاك الأسرى المسيحيين، عن طريق التفاوض بشأنهم، لذلك كان هؤلاء الآباء مجبرين على دفع بعض الحقوق وتقديم الهدايا للحكام ، وكذا دفع فدية تحرير الأسرى، وكانوا يعاملون معاملة حسنة طيلة بقائهم في الجزائر والمغرب ويخصص لهم مسكن خاص ، وبالنسبة للأسرى الأوربيين في الجزائر كان الآباء يتفاوضون مباشرة مع الداي إلاّ فيما يخص فدية الأسرى الخواص، فيتم بالحصول على رخصة من الداي تسمح لهم بتفاوض الملاك الخواص حول تحرير الأسرى الذين بحوزتهم[2]،حيث انتقلت إلى الجزائر والمغرب ثلاث مجموعات دينية مسيحية وهي:

1-مجموعة الثالوث المقدس :(Trinitaires):

تمّ تأسيسهاسنة 1198م على يد سان خوان دوماطا وسان خوان فليبي فلو ،هدف رهبانها تحرير الأسرى[3]، فقد أرسلوا ليعوضوا الفرانسيسكان الإسبان لتولي هذه المهمة[4] ، وقد ساهمت سنة 1662م في افتداء عدد من الأسرى في الجزائر عددهم 286 أسيرا أغلبهم إسبان وجنويين، وفي سنة 1725م تمكنت من تحرير 46 أسيرا من مختلف الجنسيات، ومن الآباء الذين أرسلتهم: الأب دو

[1]- عبدالحي بنيس:المرجع السابق،ص46.

[2]- حفيظة خشمون : **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية** ،رسالة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة قسنطينة، السنة الجامعية:2006-2007، ص65.

[3]- Pierre Dan : Op.Cit, p120.

[4]-بديعة الخرازي: المرجع السابق،ص66.

لافاي(P.Jean de la Faye)، الأب دونيس ماكر (P.Denis Mackar)والأب هنري لو روا(Henry le Roi)[1].

أما في المغرب فتمكنت مجموعة الثالوث المقدس في رحلتها إلى تطوان من افتداء 127 أسير سنة1669م ،و128أسيرا سنة 1674م،وفي سنة 1676منظمت رحلة أخرى إلى مكناس[2].

2– مجموعة المرسدير (Mercédaires):

وينتسبون إلى أخوية الرحمة بغرناطة،تم تأسيسها حوالي 1218م. وكان هدفها السهر على الحياة الدينية والروحية للأسرى المسيحيين، وجمع الصدقات والهبات من أجل افتكاك الأسرى في الجزائر والمغرب،ففي جوان 1692م، تمكنت البعثة الفرنسيسكانية التي حلت بمكناس، من تحرير 123 أسيرا إسبانيا،وفي أفريل 1693م تم تحرير مجموعة أخرى من الأسرى الإسبان[3].أما في الجزائر فقد تمكنت مجموعة الرحمة سنة 1655م من تحرير 18أسيرا أغلبهم فرنسيون ، وفي سنة 1662م تمكن الأب أوفري(P.Auvry)من تحرير مئة أسير[4].

والجدير بالذكر أنّ نشاط البعثات الدينية بالمغرب والجزائر تعدى مهمة افتكاك الأسرى إلى التبشير والتأطير الديني للأسرى، والجاليات المسيحية المقيمة بهما ، وقد تمكنت من الحصول على موافقة بإقامة كنائس،كماسمح لها بإقامة مستشفيات لعلاج الأسرى خاصة في فترات الوباء [5].

بالإضافة إلى وجود سفارات من أجل افتداء الأسرى المسيحيين أرسلها شارل الثاني منها :

1– سفارة فراي خوان مونوز وألفراز ميقال باردو: وذلك في شهر فيفري 1690م،حيث تقدم إلى سلطات مدينة سبتة الإسبانية كل المبعوثين من طرف المولى إسماعيل برسالة منه إلى الملك كارلوس الثاني[6].وقد تجاوز عدد الأسرى الإسبان الألفين، مما جعل المولى اسماعيل يملي شروطا على اسبانيا،و كانت مطالبه في أول رسالتين للسلطات الاسبانية هي أن يتم تبادل 100 أسير بمدينة سبتة أو مليلية، أو مبادلتهم بألف من الأسرى المغاربة في اسبانيا.

---

[1]–حفيظة خشمون:المرجع السابق، ص75.

[2]– المرجع نفسه،ص39.

[3]–بنيس عبدالحي:المرجع السابق،ص32.

[4]– حفيظة خشمون:المرجع السابق،ص76.

[5]–بديعة الخرازي : المرجع السابق،ص63.

[6]-Vilar Juan Btautista-Ramonlourido:**Relaciones entre España y el Magreb siglos xvii y xviii**,editorialmapfre,madrid,1992,p26.

2-سفارة مانويل فييرا ديليقو ودون أبيلميسيا: تمّ إرسال مبعوثين خاصين إلى المولى إسماعيل،وقد حلاّ بمكناس في 15 سبتمبر 1690 [1]،فاستقبلهما السلطان عدة مرات في شهر ماي 1690م،واقترح المولى اسماعيل على المبعوث الخاص أن يتم تبادل المئة أسير اسباني ب500 أسير مغربي، و5000 كتاب عربي من مكتبات إشبيلية وغرناطة وقرطبة وغيرها[2]،لكن المبعوث الخاص كان مكلفا فقط بالتفاوض من أجل تبادل 100 أسير مغربي،ولهذا أرسل المولى إسماعيل الغساني إلى مدريد.

3-سفارة الأب ألفراي دييغو: كان يقوم بنقل الرسائل والهدايا لكلا الطرفين،والتفاوض على فدية الأسرى،وذلك في سنة 1111 هـ/1699م، وقدم المبعوث ومعه هدايا من كارلوس إلى المولى إسماعيل تتألف من أسلحة وفرس قبلها قبولا حسنا[3].

ج- الفرار من الأسر :

كان بعض الأسرى يحررون أنفسهم عن طريق الهروب، سواء إلى السفن الأوربية التي ترسو في الموانئ الجزائرية والمغربية أو الهروب إلى المناطق المحتلة من قبل الإسبان ، فقد كان الأسرى الأوربيون الموجودين في الجزائر يفرون إلى وهران ،أما الأسرى الأوربيون فكانوا في المغرب يفرون أحيانا إلى سبتة.

د-افتداء الأسرى عن طريق التجار :

استطاع الأسرى الحصول على حريتهم، بفضل التجار خاصة اليهود الذين أوكلت إليهم مهمة شراء الأسرى، ولعبوا دور الوساطة بين الجزائريين والعناصر الأوربية من إيطاليين وفرنسيين وهولنديين وغيرهم من يريدون افتداء أهلهم في الجزائر[4].

4- تبادل الأسرى المسيحيين بين الجزائر والمغرب:

بحكم التعاون المشترك في مجال الجهاد البحري بين الجزائر والمغرب ، كان هناك تبادل للأسرى الأوربيين بينهما ، فعندما احتاج السلطان المغربي المولى إسماعيل لعدد من العمال الإضافيين لبناء أحد المدن الجديدة في المغرب ، لجأ إلى شراء عدد من العمال الأسرى المسيحيين الموجودين في الجزائر ،

---

[1]-عبدالله العمراني: **"سياسة مولاي إسماعيل الخارجية"**،في مجلة دعوة الحق، ع4-5،المغرب،1965،ص295.

[2]- عبد الهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المرجع السابق،ج9،ص110.

[3]- لطفي عبد البديع :" **وثيقة مراكشية بالإسبانية،كتاب مولاي إسماعيل سلطان مراكش إلى كرلوص الثاني ملك إسبانيا"**،في مجلة معهد المخطوطات العربية،مج03،ج01،تصدر عن الجامعة العربية،ماي 1959، ص329.

[4]-جون ب. وولف : المرجع السابق ص167.

وذلك سنة 1688م ،إذ أنّه في هذه الفترة إزداد عدد الأسرى الأوربيين خاصة الفرنسيين؛ ذلك أن الجزائر كانت في حالة حرب مع فرنسا ، فأصبحت السفن الفرنسية مباحة للجزائريين واكتظت مدينة الجزائر بالأسرى الفرنسيين . فأرسل المولى إسماعيل رسالة إلى داي الجزائر يوضح فيها رغبته في عقد صفقة إذا ماقبلوها في بيع خمسمائة أسير، مقابل 150 دولار لكل واحد من أجل بناء المدينة، وفي حالة قبولهم ذلك يرسلونهم بسرعة إلى المغرب ، فجمع الجزائريون ثلاثمائة أسير فرنسي، وأرسلوهم إلى تطوان، ومن ثمّ إلى مكناس عند المولى إسماعيل حتى يراهم، إلا أنه وأخذهم ورفض التسديد، وهدد أعضاء البعثة بالقتل، وقال لهم إنّه لايدفع أموالا على المسيحيين الذين جلبوا إلى أرضه[1].

وفي رسالة أخرى مرسلة من قنصل فرنسا في قادس باسبانيا إلى حكومته في13 ذي الحجة 1099هـ / 8نوفمبر 1688م يقول فيها: استلاء قراصنة جزائريين لسفن فرنسية وأسرهم 200 فرنسي كانوا على متنها وقادوها إلى المغرب[2].ستين منهم وجهت إلى الجزائر عن طريق المغرب إلا أن المولى إسماعيل أخدهم وأضافهم إلى أسراه[3].

وقد أرسلت الجزائر في 2 صفر 1100هـ /25ديسمبر 1688م سفارة إلى مكناس للتفاوض مع السلطان مولاي إسماعيل حول الأسرى الفرنسيين المحتجزين لديه[4]، واستمرت الجزائر في إرسال المبعوثين إلى مكناس بشأن الخلافات بين البلدين، خاصة في موضوع الغنائم والأسرى في20رمضان 1102هـ / 16 جوان 1691م على حسب رسالة القنصل الفرنسي في سلا إلى حكومته[5].

وفي رسالة من قنصل فرنسا في سلا إلى حكومته4 ربيع الثاني 1100هـ/ 2فيفري 1689م. بسبب الأسرى الذين احتجزهم الجزائريون في البحر، ولما أرسلهم إلى الجزائر عبر الأراضي المغربية احتجزهم السلطان المغربي[6].

---

[1]- هذه التفاصيل كتبها الأسير الانجليزي فرانسيس بروك ينظر: بلقاسم قرباش:" **الهجوم الجزائري على المغرب 1688 من خلال وثيقة أصلية إنجليزية**"، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 10، ع1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018 ، ص ص 33-34.

[2]- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2، ص285.

[3]- جعفر بن أحمد الناصري: المرجع السابق،ج3، ص91.

[4]- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2، ص286.

[5]- المرجع نفسه، ص289.

[6]- نفسه، ص286.

ذلك لأن فرنسا والمغرب كانتا تبحثان عن سبل لتبادل الأسرى بينهما ، فزيادة حصيلة الأسرى الفرنسيين لدى المولى إسماعيل يعزز من موقفه لدى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر.

وفي مسألة تبادل الأسرى بين البلدين، فقد أعطى باي بايلك الغرب تسعة أسرى إسبان هدية إلى السلطان المولى إسماعيل، عندما قام القائد أوزن حسن صهر ووزير الداي محمد بكداش بن علي بالاستيلاء على حصن بن زهوة[1]يوم 05 شعبان 1119هـ/1نوفمبر 1707م،وقتل جميع مافيه من الأعداء وعددهم مائة وعشرين إلا تسعة أو ثمانية فروا إلى حرم الباي،فأعطاهم هدية إلى سلطان المغرب المولى إسماعيل[2].

2- الأسرى المسلمين في أوربا والجهود الجزائرية المغربية لتحريرهم:

أ- ظروف عيشهم:

استفحلت ظاهرة القرصنة البحرية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي في القرن11هـ/ 17م ، وما نتج عنها من احتجاز السفن وتحول ركابها إلى أسرى، وما عاناه هؤلاء الأسرى المسلمون من أوضاع مزرية في وقت أصبح الأسر، وبيع العبيد آفة عالمية وتجارة مربحة، عندما يتم تسفيرهم إلى مدينة أخرى عبر البر، يربطون بالسلاسل من أعناقهم، ويسيرون مثنى مثنى في صف طويل، يربطون بسلسلة واحدة، ويكون العدد في القافلة ما بين 200 إلى 500أسير[3].

وقد استعمل أغلبهم في التجديف الذي يستمر أحيانا إلى أربعا وعشرين ساعة دون توقف، و44% من الأسرى العاملين في التجديف يموتون بالمعاملات القاسية،والبؤس والأمراض،كما أن كثير منهم يموتون في السنوات الثلاثة الأولى،خاصة وأن الظروف الصعبة المختلفة بين بلدانهم الأصلية

---

[1]- يسمى بابن زهرة، نسبة لليهودي زاوي بن كبيسة،المعروف بابن زهرة الذي بناه ، إذ اتفق مع الإسبان أن يعينهم على دخولهم لوهران مقابل أن يسلموا له هذا البرج وكان يُسمى قبل ذلك "برج المرسى"،ينظر:عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص212 .

[2]- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق ، ص222.

[3]- إدريس أبو إدريس:"**الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**"،ندوة دولية،منشورات جمعية سلا،المغرب ،31ماي و1و4جوان 1997م،ص310.

والوسط الجديد مختلف تماما كل سفينة كانت تضم حوالي 300 مجدف يعيشون لمدة ثلاثة أشهر مكدّسين في مساحة صغيرة بأسفلها، و يقومون بتحريك عمود خشبي من 16 مترا [1].

ويستمر التجديف أحيانا يوما كاملا دون توقف، يصاحب هذه الأمور السادية استعمال السوط، وعقاب الهارب غالبا بعد القبض عليه هو قطع الأنف والأذنين، ويتكون الأكل من 26 أوقية من الخبز اليابس، وأربع أوقيات من الفول السيئ الطهي والصلب، مع القليل من الزيت والملح، وأما اللباس فكانوا يرتدون بدلة حمراء كانت تعطى لهم كل سنة لكنها لا تقاوم المناخ البارد [2].

ب- الجهود الجزائرية المغربية لتحرير الأسرى المسلمين :

مع ازدياد عدد الأسرى المسلمين خاصة من بلدان بلاد المغارب ولاسيما الجزائر والمغرب، كان لابد عليهما تحرير أسراهم،كما فعلت أوربا بأسراها في بلدانها .لذا فقد حرص الحكام الجزائريون والمغاربة لا على تحرير أسرى بلدهم فقط بل يشمل جميع الأسرى المسلمين، ومن طرق افتدائهم :

1- التبادل بين الأسرى المسيحيين والأسرى المسلمين:

إنّ ما يميز ظاهرة استرقاق الأسرى، هو مسألة تبادل الأسرى المترتبة عن إبرام اتفاقية بين البلدين، ومنه أنه بعد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1683م طالبت فرنسا الجزائر بتحرير أسراها فكان ردها " إنّ أسارى المسلمين الذين عندكم من الترك وغيرهم ، وكان الكل أكثر من أربعمائة نصطلح فأجاب اللعين بالرضى"[3].

إلا أننا نجد أنّ المعاهدات التي تمت بين الجزائر وفرنسا كثيرا ما تصطدم برغبة هذه الأخيرة في عدم إرسال الأسرى المسلمين، خاصة أنّها كانت بحاجة إلى ألف مسلم لإكمال الأعمال الشاقة ، كما استخدمتهم للتجديف في سفنها ، لذلك اكتفت بإرسال المسنين والمرضى والعجزة [4]،وكما تشبت لويس الرابع عشر بالأسرى الجزائريين تشبث بالأسرى المغاربة الذين استخدمهم كذلك

---

[1]- عز المغرب معنينو: **قضايا أسرى الجهاد البحري في الرحلة السفارية الصورة المقنعة للآخر**، المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين،الدوحة، 2010.ص3.

[2]-المرجع نفسه، ص4.

[3]- ابن رقية التلمساني: **الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية ،الجزائر، ورقة31.

[4]- جون ب. وولف : المرجع السابق، ص219.

كمجدفين في السفن الفرنسية وخسارته للأسرى الأصحاء والعاملين يشكل نكسة في القوة العضلية للسفن[1].

وقد شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر زيادة في عدد الأسرى المسلمين في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر خاصة الجزائريين والمغاربة.أما بالنسبة للأسرى المسلمين في إسبانيا ، فنجد أنّ طبيعة العلاقات العدائية،أثرت على عملية الافتداء ، إذ لم يتمكنوا من افتداء أو مبادلة إلاّ عدداً قليلاً من الأسرى المسلمين ، لأنّ الجزائر والمغرب كانتا في حالة حرب مع اسبانيا بسبب احتلالها لبعض الثغور المغربية ولوهران في الجزائر ، فلم تكن هناك منظمة إسلامية لافتداء المسلمين ولا قناصل من المغرب والجزائر في اسبانيا[2].

ولكن في بعض الأحيان نجد مراسلات ورحلات بشأن تبادل الأسرى ، وقد حرصت الجزائر على افتداء أكبر عدد من الأسرى المسلمين مقابل المسيحيين، وذلك عند استقبالهم للآباء المكلفين بافتداء الأسرى المسيحيين، إذ نجد الداي الحاج أحمد أرسل ثلاث رسائل إلى ملك إسبانيا كارلوس الثاني بين سنتي 1695-1696م للنظر في مسألة الأسرى الجزائريين ، تناولت الرسالة الأولى رسالة سوء المعاملة التي كان يتعرض لها الأسرى الجزائريون ، ويطلب منه السماح معهم بالانتقال إلى الجزائر مع المكلفين بتحريرهم ومقابل ذلك يتم تحرير راهبين مسيحيين، وفي الرسالة الثانية والثالثة جاء فيهما الحديث عن بعض الأسرى الجزائريين الذين كانوا عند تاجر إيطالي في مدينة نابولي[3].

كما كانت تتم المبادلة بين الأسرى الإسبان والجزائريين ، إذ كان بعض السلاطين يتوسطون لإسبانيا لدى الجزائريين من أجل افتداء الأسرى الإسبان عن طريق التبادل ، وبفضل ذلك تحصل مئات الجزائريين على حريتهم [4].

وبعد تمكّن الجزائريين من فتح وهران وسقوط مئات الأسرى الإسبان على يد الجزائريين، يذكر الأب (فرانشيسكو خيمنت) أنّه في سنة 1722م وقع تبادل الأسرى المسلمين في برشلونة مع

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله: **"العمل العربي في البحر جهاد والقرصنة عمل غير عربي"**، في مجلة الهلال ،ع2، مصر، 1980، ص78.

[2]- إبراهيم سعيود: **الأسرى المغاربة في "إيطاليا" خلال العهد العثماني**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2009-2010، ص193.

[3]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 326.

[4]- المرجع نفسه، ص 333.

الأسرى المسيحيين في وهران ،إضافة إلى ذلك كانت هناك طرق أخرى لافتداء الأسرى المسلمين بتوسط القنصل الفرنسي أو التجار ، إذ أن التجار الأوربيين كانوا يشترون الأسرى المسلمين من المدن الإسبانية، منها مالقا وبالما وغيرها ،وينقلونهم إلى الجزائر لمقايضتهم بأسرى مسيحيين [1].

2- دور السلطان المغربي المولى إسماعيل في تحرير الأسرى المغاربة والجزائريين:

منذ بداية عهد الدولة العلوية الناشئة أواخر القرن السابع عشر ميلادي، شكلت قضية افتكاك الأسرى المسلمين العنصر الفاعل في السياسة الخارجية المغربية واصطلح على تسميتها بدبلوماسية الأسير. فالحافز الديني يجعل الرحلة السفارية كلها جهادا متصلا بدافع ديني وإنساني غايته تخليص المسلمين من أيدي الأوربيين ،كما حدث في عهد السلطان المولى إسماعيل (1672 - 1727م) الذي عكف على تحرير الأسرى المسلمين خاصة الأسرى الجزائريين ومنها إتصالاته:

أ- مع فرنسا:

حاول المولى إسماعيل صب كل اهتمامه على مسألة الأسرى في معاهدات ومراسلات أرسلها إلى لويس الرابع عشر ، وكانت مهمة الافتداء من واجبات السلطان ، إذ شكّلت هذه المسألة مركز الصدارة في تاريخ العلاقات بينه وبين فرنسا ، وقد حل الأسير محل الهدايا واعتبر افتداؤه ضرورة وتطبيقا لتعاليم الإسلام. وفي تقرير القنصل سانت أمانس في 14ذو الحجة/ ديسمبر 1682م يقول إنّ المولى إسماعيل قال:" ولو أنّ سفيركم ومن رافقه إلى قصرنا أحضروا معه بعض الأسرى المغاربة الموجودين بفرنسا لأسعدنا ذلك أكثر من كل مسائل الدنيا، لأنه من أعظم سرورنا وهو تحرير أسير وهو ما يخص مسائل الآخرة التي هي خير وأبقى "[2].

وقد حرص المولى إسماعيل أن يضع بين يديه كل أسير مسيحي يُؤسر من قبل البحارة المغاربة، وذلك لتكون مخاطبة حكام أوربا في قضية الأسرى بيده ويكونوا وسيلة لافتداء الأسرى المسلمين[3]، لذا أصر المولى إسماعيل في هذه الفترة على عدم افتداء الأوربيين بالمال فقط، وإنما بمقايضتهم بالأسرى

---

[1]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 330.

[2]- Henry de Castries : Op. Cit , 2série , Dynastie Filalienne, France,T2, p299.

[3]- إبراهيم بوطالب:**شهادة موضوعية عن حياة أسرى النصارى بدار المخزن بقلم الإنجليزي بريثويت1727م**،(د.ط)، مذكرات من التراث المغربي، المغرب،(د.ت) ،ج4، ص70.

المسلمين، حيث لا يقبل فداء أي أسير مسيحي إلا بأسير مسلم وقدر من المال زيادة عليه وآلات حربية[1].

ورغم سياسة فرنسا والدول الأوربية في تشديد الضغط على البحارة المغاربة خلال هذه الفترة، حيث حاولت إسقاط رياس البحر حتى يتضاءل نشاط السفن، لكن المولى إسماعيل ألحّ على لويس الرابع عشر لإطلاق سراحهم واستعادتهم، ومنهم العلج رمضان محمد قنديل، طالب باستبداله بالقبطان دوفال والأسيرة ماري[2]، فنجد المولى إسماعيل يعرض على لويس الرابع عشر مقايضة الأسرى المسلمين الموجودين مقابل تحرير مثل عددهم من الأسرى الفرنسيين[3]. إلا أنّ لويس الرابع عشر كان يتمسك بالأسرى الأصحاء، فيعمل على زيادة أسراه بزيادة أسرى غير مجدين نفعا، ومعطوبين وعجزة وأسرى أتراك رأسا برأس .وفي بعض الأحيان كان المولى إسماعيل يطالب بافتداء ثلاثة أسرى مغاربة مقابل أسير فرنسي واحد ،ومن ذلك نجد السفارة التي أرسلها إلى فرنسا برئاسة عبد الله بن عائشة سنة1698م، ومطالبته بالافتداء المتبادل ل 600أسير مغربي مقابل 200 فرنسي.لكن فرنسا رفضت ذلك ،كما عمدت إلى الضغط عليه عن طريق خازنه اليهودي ميموران للتأثير عليه من أجل القبول نقدا ويبعث 53 سلاويا معطوبا و105 من الأتراك[4].

ومن هنا نلاحظ حرص فرنسا على إدراج غير القادرين على العمل ، كما نجد أن الافتداء لم يقتصر على المغاربة بل تعداه إلى أسرى شمال إفريقيا من جزائريين وتونسيين وطرابلسيين ، ولكن اتصالاته مع لويس الرابع عشر كثيرا مافشلت إلى أن انقطعت سنة 1708م ، بسبب تعنت ملك فرنسا الذي كان يتحجج في الكثير من الأحيان بأن أسرى المسلمين بفرنسا ليسوا مغاربة فقط وإنما من دول إسلامية أخرى، وهذا التمييز بين المسلمين كان يثير حفيظة المولى إسماعيل الذي كان يرى أنّه من الواجب افتداء المسلمين وليس فقط المغاربة[5].

[1] – جعفر بن أحمد الناصري: سلا ورباط الفتح..، المرجع السابق،ج3، ص96.
[2] – حسن أميلي : المغاربة والمجال...، المرجع السابق، ص144.
[3] – المرجع نفسه، ص150.
[4] – نفسه، ص153.
[5] – إبراهيم بوطالب: المرجع السابق، ص71.

ب– مع اسبانيا :

وكما ذكرنا سالفا، أنّ العداء صعّب مهمة الافتداء بين اسبانيا والمغرب والجزائر ، ولكن لما حرّر المولى إسماعيل مدينة العرائش الساحلية سنة 1689م،استسلم لهم مكان بها من الإسبانيين وعددهم ألفان، أخذوا أسرى بأجمعهم فطالب الإسبان بفدائهم،قضية وظفها السلطان المذكور من أجل إطلاق سراح الأسرى المسلمين بإسبانيا،واستخراج ما بقي من الكتب العربية بالمساجد والمكتبات هناك. واختار لهذه المهمة محمد ابن عبد الوهاب الغساني[1].

3– سفارة الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني:

سعى الإسبان إلى التقرب من المغرب وتمنوا أن تحل المشاكل الموجودة بينهما عن طريق المفاوضات. وهنا وجد المولى إسماعيل الفرصة سانحة لأن يبعث إلى اسبانيا سفيرا خبيرا بشؤون البلاد، فكلف الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني القيام بهذه المهمة،فهو فقيه علامة كاتب بارع، ذوثقافة أدبية وخبرة بشؤون السياسة واطلاع على أحوال الحكم [2]،ينحدر من سلالة الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس واستقروا في فاس[3].ومن دواعي إرسال البعثة المغربية إلى إسبانيا نذكر مايأتي:

– مبادلة الأسرى الذين وقعوا تحت يد السلطان المولى إسماعيل، بعد تحريره للثغور المغربية التي كانت تحت وطأة الإسبان وخاصة العرائش، وما نجم عنها من أسر للإسبان، حيث بلغ عدد الأسرى من الحامية الإسبانية حوالي خمسمائة جندي بالأسرى المسلمين الموجودين في الأراضي الإسبانية[4]،وكان شرط المولى إسماعيل إعطاءه في الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب وخمسمائة أسير من المسلمين في الخمسين الأخرى[5].

– استعادة مخطوطات السلطان المولى زيدان التي كانت في مكتبة الأسكوريال الإسبانية[6].

---

[1]–عز المغرب معنينو: المرجع السابق،ص4.

[2]- محمد بن عبد العزيز الدباغ :" **رحلة سفارية إلى اسبانيا في عهد المولى إسماعيل**"، في مجلة دعوة الحق، ع4،المغرب، 1969،ص147.

[3]–عبد الرحمان بن زيدان: إتحاف أعلام الناس،المرجع السابق،ج4،ص64.

[4]– محمد بن عبد العزيز الدباغ : رحلة سفارية إلى اسبانيا ، المرجع السابق،ص147.

[5]– إبراهيم خلف العبيدي: المرجع السابق،ص14.

[6]–محمد المستي قنديل:**رحلة الوزير الغساني إلى بلاد الإسبان**، ندوة كلية الأداب بجامعة الكويت، منشورات جامعة الكويت، الكويت،2007 ،ص2.

لكن بعد وصول الغساني لم يجد الكتب ،فطلب تعويضها بعدد إضافي من الأسرى بلغ حوالي ألف أسير من المسلمين [1]، فقد قام المسؤولون الإسبان بأخذه إلى مكتبة الأسكوريال وجعلوه يرى آثار الحريق الذي التهم كل ما في المكتبة من كتب ومخطوطات،ولكن تبين فيما بعد أن حوالي 3000 مخطوط منها كانت موجودة في أقبية الدير الذي لم تمسه النار[2].ولإتمام ما اتفقوا عليه في هذه الرحلة، فقد تمت مبادلة الأسرى في المغرب، حيث سلم الإسبان ألف أسير ؛ 700رجل و300 من النساء عوض مئة أسير إسباني، والباقي من الأسرى الإسبان وعددهم 351 أسيرا يفتدون بالنقود، ثمن كل واحد 250 بياستر، وبقي 1500أسير إسباني لم يفتدوا، وقد تمّ هذا التبادل على يد القائد علي بن عبد الله سنة 1691م[3].إذا هذا التبادل لم يقتصر على الأسرى المغاربة فقط ،بل تعداه إلى الأسرى الجزائريين ، ففي كثير من الأحيان كان الفضل للمولى إسماعيل لتوسطه لدى الإسبان .

ففي رسالة كتبها أسير جزائري في 6 شعبان 1119هـ/2نوفمبر1707م وهو عثمان بن قاسم الجزائري الأعرج يوضح فيها تحريره بفضل إسماعيل" وقعت أسيرا في صبانية مدة سنتين، وخرجني مولاي إسماعيل من جملة الأسرى الذي خرج من صبانية خمسة عشر ماية أسير خرجهم مولانا إسماعيل وخرجني من جملتهم ومشينا عنده بقصد الملاقاة به والحضور بين يديه لينظر إلينا ، فعند ذلك ودعنا وودعناه وأرسل كل غريب إلى بلاده "[4]. وفي رسالة من القنصل الفرنسي إلى حكومته بتاريخ 25ربيع الثاني 1103هـ/ 14جانفي 1692م ، جاء فيها :"إنّ المولى إسماعيل أرسل مائتي أسير جزائري تبادلهم مع الإسبان ضمن ألف ومئتي أسير مسلم كانوا محتجزين لديهم، وذلك مقابل مائة ضابط إسباني قبض عليهم السلطان في مدينة العرائش لما فتحها واسترجعها منهم.وذلك لإظهار رغبته في توثيق علاقة السلم معهم والتعبير لهم في الوقت نفسه بأن الهجوم الذي قامت به بعض وحدات الجيش المغربي على الأراضي الجزائرية في منطقة الحدود ، إنما هو مجرد خطأ صدر من أحد قادته"[5].

---

[1]-محمد الأندلسي الغساني:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير(1690م/1691م)** ،تح: نوري الجراح،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبوظبي2002،ص85.

[2]-محمد المستي قنديل:المرجع السابق،ص6.

[3]- جعفر بن أحمد الناصري: المرجع السابق،ج3، ص251.

[4]-جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث**،ط1،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر،1987، ص144.

[5]- خليفة حماش : كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2، ص ص291-292.

لكن الواقع أنّ المولى إسماعيل افتدى الأسرى المسلمين، لأنّه كان يرى في ذلك واجبا دينيا مقدسا، لذلك حرص على بذل جهوده لتحرير الأسرى، سواء مغاربة أو جزائريين أو غيرهم من المسلمين.

3- الهروب من الأسر :

ومن طرق تحرير الأسرى المسلمين هو هروبهم من الأسر ، فقد كان أغلبهم يعملون في التجديف، وتظهر رغبتهم في الفرار عند رسو سفينة على الشاطئ ومن ثمّ الهروب إلى أقرب بلد إسلامي، أو عند تعرض السفينة إلى الهجوم، فيحاولون اغتنام الفرصة للتمرد ، لكن في كثير من الأحيان يفشلون ويتعرضون للعقاب[1] ، ومثاله محاولة هروب إبراهيم شاوش من الأسر الفرنسي ، وفشله في ذلك ما أدّى إلى قطع أنفه وأذنيه ،حسب رسالة من قنصل سلا الفرنسي إلى حكومته في 19جوان1691م[2].

[1]- إبراهيم سعيود: الأسرى المغاربة ...،المرجع السابق، ص180.

[2]- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ج2، ص ص 289-290.

وخلاصة القول:

- رغم التنافر والعلاقات الحذرة بين الجزائر والمغرب خلال هذه الفترة (1069هـ/1659م - 1139هـ/1727م)، إلا أنّ مسألة الجهاد البحري كانت في معزل عن ذلك الصراع ، فقد وقف السلاويين والتطوانيين مع البحارة الجزائريين صفا واحدا في مناوئة الأعداء خاصة الاسبان ،أو بيع الغنائم أو التزود بالمؤن.

- ينبع التعاون المشترك في الجهاد البحري بين الجزائر والمغرب من حُكامهما الذين يؤيدون العلاقات بين سكان البلدين، وحتى بين القيادات ورياس البحر ، فرغم محاولة الدول الأوربية شل هذا التعاون لكنّها باءت بالفشل.

- لم تنجح الدول الأوربية في إقامة علاقة سلام دائم مع الجزائر والمغرب بسبب نشاط القرصنة . ما أدى إلى شن عدة حملات عسكرية عليهما خاصة فرنسا وانجلترا.

- تراجع الغنائم البحرية للبلدين خاصة مع نهاية القرن السابع عشر ميلادي وبداية الثامن عشر، وذلك بسبب عقد معاهدات بينهما وبين الدول الأوربية، وما تضمنته بنودها من سلامة سفنها.

- إنّ طبيعة العلاقات بين الضفتين الشمالية والجنوبية واستمرار الصراع ، إضافة إلى تزايد نشاط القرصنة بين الضفتين، أدى إلى تزايد عدد الأسرى في الضفتين ،فالضفة الجنوبية خاصة الجزائر والمغرب كانت تحوي أعدادا من الأسرى الأوربيين ، كما أن أعداد كبيرة من الأسرى المسلمين تواجدوا في الضفة الشمالية خاصة الجزائريين والمغاربة، ماحتّم على البلدين تظافر الجهود لتحرير الأسرى ككتلة واحدة دون التفريق بين أسير مغربي وجزائري.

الباب الثاني

العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية

مقدمة الباب:

لعلّ الحديث عن العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب في الفترة الممتدة من (1659-1727م) يدخل في إطار شبكة من العلاقات التي كانت قائمة بين هذين البلدين، والتي لم تكن وليدة هذه الفترة،وإنّما تمتد جذورها في أعماق التاريخ.

وقد عرفت الشعوب البلدين وحدة وتماسك وترابط نتيجة عوامل ثابثة متمثلة في القرب الجغرافي ووحدة التاريخ واللغة والدين ،و عوامل غير ثابتة من تواجد أندلسي وأوربي ، وكذا التأثير العثماني ماجعل التواصل الثقافي قائما بين البلدين .

كما ساهمت حركية انتقال العلماء بين البلدين في انتعاش الحياة الثقافية سواء من المغرب إلى الجزائر عبر الرحلات العلمية أو محطات العبور خلال الرحلات الحجازية ، أو من الجزائر إلى المغرب خاصة مع امتلاك هذه الأخيرة لمراكز ثقافية هامة، كمدينة فاس أين يوجد بها جامع القرويين وكذا اهتمام السلاطين العلويين بالعلم والعلماء ،وهذا ما شجع علماء الجزائر للهجرة إليها ، وقد نتج عن هذا التواصل الفكري تراث حضاري مشترك، من تبادل وتنقل للمصنفات والكتب في مختلف العلوم والمعارف ومناظرات علمية وتبادل للفتاوى . وهذا ما سنتطرق له في هذا الباب بفصوله الثلاثة.

الفصل الأول:

مقومات الوحدة الثقافية الجزائرية المغربية

- المبحث الأول : العوامل المؤثرة في العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى :

1- العوامل الموروثة.

2- العوامل الجديدة.

- المبحث الثاني : مراكز التبادل الثقافي في الجزائر والمغرب الأقصى:

1- أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر.

2- أهم مراكز التبادل الثقافي في المغرب الأقصى.

- المبحث الثالث:دور المؤسسات الثقافية في دعم التواصل الفكري بين البلدين:

1- المؤسّسات الثقافية في الجزائر والمغرب الأقصى.

2- نظام الأوقاف.

3- دور حكام البلدين في إمداد المؤسسات الثقافية وعلاقتهم بالعلماء.

الفصل الأول:

مقومات الوحدة الثقافية الجزائرية المغربية

لقد رأينا في الباب الأول أنّ العلاقات السياسية الجزائرية المغربية طبع عليها التوتر والصراع . ورغم ذلك فإنّ العلاقات الثقافية بينهما لم تنقطع ، وظلت في منأى عن ذلك الصراع، واشترك البلدان في مجموعة من الموروثات، من تماثل الرقعة الجغرافية، وتجانس شعوبها في وحدة التاريخ واللغة والدين . هذه العوامل المشتركة إضافة إلى عوامل ظرفية دعمت التواصل الثقافي ، كما ازدهرت الحواضر في البلدين، ودبت الحياة الثقافية فيهما بفضل مؤسّساتها الدينية والتعليمية ، وتنقل العلماء الجزائريين والمغاربة بين تلك الحواضر للاستفادة من مؤسّساتها وعلمائها.فما القواسم الثقافية المشتركة بين الجزائر والمغرب ؟وماهي أهم مراكز التبادل الثقافي بينهما

المبحث الأول:

العوامل المؤثرة في العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى .

1- العوامل الموروثة:

وتتمثل في :

أ- العامل الجغرافي:

تعدّ دراسة المكان في الوقت الحالي ذات مفهوم طبيعي بشري، ولا يمكن أن تكتمل دون الإلمام بما حدث لهذا المكان خلال الزمن وهو التاريخ[1].

وللجغرافيا دور كبير في دراسة التاريخ ، خاصة التاريخ الثقافي وتنقلات السكان ، فالجزائر والمغرب كيان واحد متجانس من الناحية الجغرافية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية[2]، لاتفصلهما الفواصل الطبيعية. وقد ذكرنا سابقا موقعهما الجغرافي .

وقد رسم الموقع الجغرافي للبلدين خطوط الاتصال والتواصل الثقافي بين البلدين ، "فكانت الجزائر تملك البعد الأعمق،لأنّها هي التي تلامس المغرب الشرقي"[3] ، فهي منطقة عبور لسكان المغرب الأقصى خلال رحلاتهم إلى المشرق خاصة الرحلات الحجازية . وقد أدّى العامل الجغرافي دورا في التعاون المشترك بين البلدين، فكل منهما امتداد للآخر لا فاصل حقيقي يفصل بينهما أو يحول دون اتصال سكانهما في انتقالهم وتعاملهم واحتكاكهم مع بعضهم البعض ، وهذا التشابه والتماثل في طبيعتهما أدى إلى تشابه حياتهم الاجتماعية والثقافية،ما نجم عنه قيام علاقات بين البلدين، خاصة في المجال الثقافي[4].

ب – العامل التاريخي:

للعامل التاريخي دور هام ، فالتاريخ ليس ماضي أمة ما فحسب، بل هو بوصلة مستقبلها، فالشعوب المغاربية ارتبطت ببعضها البعض خاصة مع بداية الفتوحات الإسلامية ، وانتشار الدين

1- محمد الحسن عبد الرحمان :"**دور العامل الجغرافي في حركة التاريخ**"، في مجلة كان التاريخية ، ع20،جويلية2013، ص8.

2- نهلة شهاب أحمد : **المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع**، ط1، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، 2002، ص19.

3- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ج2، ص8.

4- المرجع نفسه ، ص98.

الإسلامي ثم اللغة العربية ، فمنطقة بلاد المغارب تمثل امتدادا جغرافيا موحدا، وكيانا يشترك سكانه في وحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ المشترك[1].

واعتمدت اللغة العربية كلغة للتواصل بين البلدين، بحكم أنها لغة السكان الأصلية ، إضافة إلى اللهجات المنتشرة في البلدين كالأمازيغية ،كما تميزت الجزائر بوجود لغة جديدة وهي اللغة العثمانية التي كانت مقتصرة على السلطة الحاكمة مع انتشار بعض مفرداتها في أواسط السكان . وكان للثقافة العربية الإسلامية وتجانس فيها اللغة واللهجات ، وطرق التدريس والمؤلفات دور في زيادة قوة الروابط بين سكان البلدين، ما أدّى إلى وحدة فكرية وثقافية بينهما[2].

ج- العامل البشري:

لقد تقدمت الإشارة إلى أنّ العناصر السكانية التي تتألف منها سكان بلاد المغارب متشابهة، وهي القبائل الأمازيغية، والقبائل العربية ، وقد اندمجت القبائل الأمازيغية في القبائل العربية وحدوث العكس أيضا [3]، بالإضافة إلى العناصر الوافدة كالسودانية ، والأندلسية واليهود الذين طردوا من قبل الإسبان ، وبالتالي تشابه البنية الديمغرافية لكلا البلدين ، ووحدة الدين واللغة والتاريخ أدّت دورا في تمازج العناصر المكونة للسكان وتفاعلها مع بعضها البعض ، وتعزيز الروابط والصلات بين الأفراد خاصة في المجال الثقافي والاجتماعي .

د- العامل الديني و الحضاري:

إنّ من أهم العوامل التي كان لها دور في تعزيز العلاقات الثقافية بين البلدين هو العامل الديني، فبعد الفتوحات الإسلامية وانصهار المجتمعات المغاربية في بوتقة الدين الإسلامي ،وانتشار المذهب السني المالكي بين أوساط سكانه،لكن مع مجيء العثمانيين في بداية القرن 10هـ/16م إلى الجزائر جعلوا المذهب السني الحنفي المذهب الرسمي للدولة، إلا أنّ سكانها ظلّوا متمسكين بالمذهب المالكي[4].فرابطة الإسلام هي التي ميزت الأمة المغاربية عن غيرها من الأمم المنقسمة إلى فرق

[1]- غيلاني السبتي: المرجع السابق، ص36.

[2]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2،ص100.

[3]- المرجع نفسه، ص98.

[4]- عبد الحفيظ موسم:" **التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني**" ، في مجلة الناصرية، مج10، ع1،معسكر،2019، ص114.

ومذاهب، وحالت دون تغلغل الانقسامات في النفوس[1] . كما وُجد في الجزائر المذهب الأباضي الذي اتبعه أقلية من السكان [2].

أما التصوف فقد اشتهرت في كل من المغرب والجزائر الطريقتان القادرية والشاذلية بفروعهما، وتغلغلت في كلا البلدين ، وربطت بين سكانها رباطا قويا ، فلكل واحدة أتباعها ومريدوها في أوساطهما [3]، ولهذا فإنّ العلاقات الثقافية قد تدعمت بفضل التصوف.

كما شكّلت العقيدة الأشعرية التي تنسب لأبي الحسن الأشعري (ت.324هـ/935م)، في الجزائر والمغرب مكونا من مكونات هويتهم الدينية، ومعلما من معالمها الثقافية والدينية والحضارية، فهي عقيدة التوحيد عقيدة أهل السنة والجماعة[4]، فقد تميز التوحيد بكونه عرف تأصيلا وترسيما استمر منذ دخوله على يد محمد بن تومرت المصمودي (ت.524هـ/1129م)[5]، ثم نَشَره أتباعه ولا زال إلى يومنا هذا، ومن أشهر العلماء الذين كتبوا عن العقيدة الأشعرية في بلاد المغارب، وساهموا في نشرها :ابن أبي زيد القيرواني في رسالته ، محمد بن يوسف السنوسي (ت. 832هـ/1428م) في كتابه "أم البراهين" أو "العقيدة الصغرى"، وعبد الواحد بن عاشر(ت.1040هـ/1631م) في منظومته [6].

ولقد عمل الفقهاء المالكية على ربط الفقه بالعقيدة والسلوك ، فمذهبهم هو المذهب المالكي، وعقيدتهم هي الأشعرية، وسلوكهم هو اتباع التيار الصوفي السني المنتسب إلى طريقة الجنيد (ت.297هـ/909م) .وكان له دور في بناء وحفظ الوحدة الفكرية والعقدية القائمة في البلدين. بل في كافة بلاد المغارب وإذابة الفروقات العقدية بين الأطياف الثقافية والعرقية في المنطقة،

[1]- بيير بوتي: "**الوطن المغربي**" ،تع : محمد الدكالي، في مجلة دعوة الحق ،السنة الثامنة ع26 ،المغرب، 1961، ص40.

[2]-صالح بوبشيش: "**المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني**"،في مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج1، ع1، جامعة الجزائر، 2004،ص160.

[3]- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ج2، ص99.

[4]- عبد الله معصر:**العقيدة الأشعرية بالمغرب أصالة وامتداد**،في مجلة الغنية ، ع1،المغرب،أفريل 2011 ،ص85.

[5]- عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص440.

[6]- خالد قويدري: **شرح متن ابن عاشر المسمى بالمنهج المبين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، ط2، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية ، الجزائر، 2006.

وعكست نجاحها الفكري في بناء السلم الاجتماعي والسياسي في المغرب العربي لعدّة قرون، وهذا ما جعله ينمو نموا طبيعيا حتى أصبح مقوما أساسيا في تراثه العقدي والفكري[1].كما عبر عن ذلك عبد الواحد بن عاشر (ت.1040هـ/1631م) في المرشد المعين وهو يحدد هوية المغرب العقدية والفقهية بقوله :

فِي عَقْدِ الأَشْعَري وَفقهِ مَالِك وَفِي طَرِيقَة الجُنَيْد السَّالِك[2].

أما مؤسسة الحج، فكان لها دور هام في تفعيل العلاقات بين الجزائر والمغرب ، فقوافل الحج المغربية تمر عبر الجزائر عن طريق البر، خاصة عبر المسالك الصحراوية ، وفي طريقها ينشأ احتكاك وتواصل ثقافي،سواء مع العامة أو العلماء للإفادة والاستفادة، كما كانت مكة والمدينة ملتقى مثقفي الجزائر والمغرب،يتبادلون الأفكار والآراء،حيث تكون الفرصة لكلا البلدين للنهل من الثقافة المشرقية[3]، فركب الحج من أهم سبل هذا التواصل وتوطيده وتوسيع أهدافه. و ترسيخ معالم وأسس الحضارة العربية الإسلامية[4].

ورغم توتر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، إلا أن التواصل الديني والروحي ظلّ قائما تأكيدا على واجب الانتماء للأمة الإسلامية.

2- العوامل الظرفية:

أمّا العوامل التي طرأت على البلدين وساهمت في العلاقات الثقافية بينهما يمكن حصرها في:

أ- أثر التواجد الأوربي :

نتيجة للغزو الأسباني والبرتغالي لسواحل الجزائر والمغرب الأقصى ،والذي أثر بشكل سلبي على الوضع الثقافي في البلدين،حيث سقطت عدّة مراكز ثقافية مع نهاية القرن 15م،ومطلع القرن 16م ، وما انجر عنه من هجرة لعلمائها وطلبتها إلى المناطق الداخلية ،خاصة من الجهة الغربية للجزائر بعد

---

[1]- طارق لعجال: **المذهب الأشعري ودوره في بناء الوحدة الفكرية في شمال إفريقيا قراءة تاريخية لمنحى صياغة الوحدة العقدية والسياسية في المنطقة**، في مجلة المعيار، مج 18، ع36، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص3.

[2]- خالد قويدري:المرجع السابق، ص3.

[3]- عمار بن خروف:العلاقات الاقتصادية والاجتماعية..، المرجع السابق، ج2،ص164.

[4]- محمد برشان:" **أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي الجنوب الغربي الجزائري نموذجا**"، في المجلة الخلدونية، مج6، ع1، جامعة بن خلدون، تيارت،2013، ص197.

سقوط وهران والمرسى الكبير، وتخوف المدن المجاورة من الاحتلال الأسباني دفعهم بالهجرة إلى المغرب الأقصى .التي استقر فيها عدد من العلماء [1].

ورغم تحرير عدد من السواحل المحتلة إلا أنّ بعضها ظلّ تحت وطأة الاحتلال ، ففي الجزائر نجد استمرار التواجد الإسباني في وهران والمرسى الكبير ، أما المغرب فكانت عدة سواحل محتلة من طرف الإسبان والبرتغال إلى أن جاء المولى إسماعيل الذي قام بتحرير عدد منها ، وظلّت سبتة ومليلة بيد الاحتلال الأسباني.

وقد ساهم وجود العلماء في إصدار عدّة فتاوى بوجوب تحرير الثغور المحتلة ، كما نُظمت القصائد من أجل تحريرها خاصة تحرير وهران التي نظم فيها الشعراء الجزائريون والمغاربة أبياتا من أجل تحريرها، وأبياتا فرحا بتحريرها سنة 1707م ، ومنها قصيدة محمد بن أحمد الحلفاوي التي شرحها عبد الرحمان الجامعي الفاسي. كما ساهم العلماء في الحروب أمثال مصطفى الرماصي[2].

يُضاف إلى ذلك هجرة العديد من الأوربيين من اسبانيين وبرتغاليين وانجليز وفرنسيين وايطاليين وهولنديين وغيرهم خلال النصف الثاني من القرن 11هـ/17م ، وبداية القرن 12هـ/18م أغلبهم يعيشون في المدن الكبرى في كل من الجزائر والمغرب، وكان للتجار الأوربيين والأعلاج دور في انتشار لغة الفرنكا (Langua Franca) في بلاد المغارب خاصة في أوساط التجار والبحارة ولدى النخبة ، أين امتزجت فيها اللغة العربية بالإسبانية والإيطالية والفرنسية والبرتغالية واليونانية الدارجة[3].كما ساهم الأسرى والرحالة الأوربيون، ورجال البعثات الدينية في كتابة تاريخ الجزائر والمغرب، وإن كان فيها جانب من التعصب والمغالاة والحقد بسبب التعصب الديني ،لكنها كانت بمثابة صورة عن الحياة اليومية لهم، وما صاحبه من ذكر أخبار وعادات وتقاليد الجزائر والمغرب الأقصى، منهم:

- الأب بيار دان (père Pierre Dan) [4] ،جاء إلى شمال إفريقيا من أجل افتداء الأسرى له كتاب (Histoire de Barbarie et de ses corsaires) "تاريخ بربريا وقراصنتها "، الذي صدر سنة 1637م.

---

[1]- عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية..، المرجع السابق، ج2، ص ص 100-101.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، هامش ص 199.

[3]- دلندة الأرقش: المرجع السابق، ص 324. ينظر: زهراء النظام: المرجع السابق،ص387.

[4]- مؤرخ فرنسي نال شهادة البكالوريا في علم اللاهوت من كلية باريس ، كاهن ورئيس دير الثالوث المقدس ،أسندت له مهمة هيئة الثالوث المقدس في تحرير وافتداء الأسرى الأوربيين بشمال إفريقيا.

-الرحالة الإنجليزي توماس شاو(Tomas Shaw) ، كان قسا ملحقا بالقنصلية الإنجليزية بالجزائر،الذي زار الجزائر ومكث فيها من(1720-1732م)، كما زار المغرب الأقصى والمشرق، نشر كتابه سنة 1735م تناول فيه زيارته لبايلك الشرق، ومشاهد دقيقة لما لاحظه، وترجم الكتاب للفرنسية بعنوان(Voyage dans la régence d'Alger) (رحلة في أيالة الجزائر)[1].

-الرحالة لوجيي دوتاسي (Laugier De Tassy)،الذي جاء للجزائر سنة 1718م،أقام فيها مدة قصيرة وألف كتاب **(**Histoire du royaume d'Alger**)**، تناول فيه وضع الجزائر خلال الحكم العثماني[2].

ومن كتابات الأسرى "رحلة الأسير مويط" ، أسر سنة 1670 م في المغرب الأقصى ،نال حريته بعد أن افتداه جماعة الرهبان الفرنسيين سنة 1681م ، وقد كتب فيها ما شاهده من أخبار عن المغرب في فترة حكم المولى الرشيد والمولى إسماعيل ، وما شاهده من مدن وأشخاص وعادات وتقاليد[3].

كما ساهم الأسرى في عدّة مجالات في البناء والطب ، إذ كان منهم الأطباء الذين تولوا الإشراف على علاج الشخصيات الهامة، و علاج السكان خاصة خلال فترات الوباء، ومنه الطبيب مانويل مورللو الطبيب الإسباني الذي أسر وهو في طريقه إلى وهران سنة 1678م ، ساهم في علاج الوباء وبقي أسيرا ثلاثة عشر عاما، ثم حصل على حريته ، والطبيب الهولندي سانسون أسير باي قسنطينة[4].

ب- أثر الهجرة الأندلسية:

بدأت هجرة الأندلسيين قبل وبعد سقوط غرناطة، واستمرت حتى بداية القرن 17م ،مع صدور قرارات الطرد النهائي التي أصدرها الملك فليب الثالث بدءا من سنة1018هـ/ 1609م، وكانت

---

[1]- بلقاسم قرباش: الأسرى الأوربيون...،المرجع السابق، ص118.

[2]- زكريا العابد: **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ، السنة الجامعية: 2007-2008، ص7.

[3]- مويط: **رحلة الأسير مويط**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر،ط1، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، المغرب، 1989، ص ص 6-7.

[4]- مصطفى خياطي: **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**،ط1،منشورات ANEP ، الجزائر، 2013، ص ص 107-108.

عملية النفي طويلة،ولم تنته إلا سنة 1616م أي بعد حوالي سبع سنوات من صدور مرسوم طرد الأندلسيين،وطول هذه الفترة التي استغرقتها عملية الترحيل تؤكد ضخامة عدد المنفيين[1]. ولهذا يصعب تحديد عددهم، لأنّ هجرتهم لم تكن دفعة واحدة، و أماكن استقرارهم كانت متعددة[2].

وهناك اختلافات حول عدد الأندلسيين الذين استقروا في البلدين ، حيث ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنّ عددهم سنة 1609م في مدينة الجزائر وحدها يناهز 25 ألفا [3]، كما تقدّر بعض المصادر عدد الأندلسيين في أواخر القرن 17م بـ 600أندلسي داخل مدينة الجزائر[4]،أما وليام سبنسر فقدرهم في منتصف القرن17م بحوالي 200عائلة أندلسية[5]، وهذه أرقام قليلة مقارنة بعدد المهاجرين.

ولم يكن استقرار الأندلسيين في مدينة الجزائر فحسب، بل امتد إلى عدة مدن، أهمها وهران و نواحيها، و مستغانم ، تلمسان، قلعة بني راشد، مازونة، ندرومة، بجاية، جيجل، قسنطينة، بونة، القالة، البليدة، القليعة،شرشال، وتادلس، ومليانة والمدية[6].

أما في المغرب الأقصى، فقد ساهموا في تنشيط عدّة مدن مغربية، منها سلا والرباط و تطوان[7]، وكان للأندلسيين تأثير بالغ في الحياة الثقافية بالجزائر والمغرب بحكم قرب المسافة بينهما وبين اسبانيا، سواء قبل أو بعد سقوط غرناطة1492م ، أو حتى بعد الطرد النهائي لهم سنة 1609م ، فقد كان لهم إسهام مميز خلال القرن 17م ؛إذ نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة في التعليم، ومن ذلك عدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ القرآن ،كما كان شائعا بل علّموا روايات القرآن وأنواع قراءاته، إضافة إلى تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدارس بعضها، وتجاوزا بذلك الطريقة المقتصرة على الحفظ ، إلى تفعيل البحث والتفكير ، والمحاورة والمذاكرة من أجل فهم الطالب

---

[1]- عادل سعيد بشتاوي: **الأندلسيون المواركة** ، ط1، مطابع إنترناشيونال،القاهرة ، 1983،ص190.

[2]- أرزقي شويتام:دراسات ووثائق، المرجع السابق ، ص59.

[3]-ناصر الدين سعيدوني: **دراسات أندلسية "مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر"**، ط2،دار البصائر، الجزائر، ص134.

[4]- Montiegnent phelippeaux: **Manuscrit et description abrégée de la ville et l'état d'Alger**, secrétaire à l'état l'an 1695, p31.

[5]- وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر ،المصدر السابق، ص43.

[6]- ناصر الدين سعيدوني: **"الجالية الأندلسية بالجزائر مساهمتها العمرانية و نشاطها الاقتصادي وضعها الاجتماعي"** ، في مجلة أوراق، مدريد، اسبانيا، ع4، ص ص 111- 118.

[7]- عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية ...، المرجع السابق، ج2 ، ص103.

وترسيخ المعلومات[1]، وساهم الأندلسيون بقسط كبير في النشاط العلمي والفني لمدينة الجزائر، فكانت السلطة تعين للمدارس كبار العلماء الأندلسيين وغيرهم وتدفع لهم المرتبات[2].

ولم يقتصر دور الأندلسيين على التعليم فقط، بل تعدّاه إلى تأسيس العديد من المدارس،منها مدرسة الأندلس ومدرسة القشاش ، كما أسسوا زاوية لهم سنة 1033هـ/1623م عرفت بزاوية الأندلس بمدينة الجزائر، وظيفتها إعطاء الدروس العلمية للكبار، وتعليم الصغار وتحفيظهم القرآن الكريم ،وزُودت بكل ما يلزمها لأداء واجبها نحو فقراء الأندلس، وهي وظيفتها الحقيقية، ثم أضيف إليها مسجد وخصّصوا أوقافا لزاوية الأندلسيين لسد احتياجاتها، ويُشرف عليها أندلسيون عُرفوا بإجادتهم لفن التعليم[3]،وأسّسوا في القليعة زاوية سيدي علي بن مبارك أواخر القرن 11هـ/17م[4].

كما انتقلت روافدهم الأدبية والفقهية عن طريق دراسة المتون والشروح والحواشي ، بل بقيت الأساليب الأدبية حية، فأصبح أسلوب الفتح بن خاقان، ولسان الدين بن الخطيب مثالا يحتذى به في أساليب السجع والمحسنات البديعية والجمل القصيرة الموزونة، كما تؤكده كتابات ابن حمادوش وابن ميمون وغيرهم[5].

أما العمران، فقد شهدت الجزائر والمغرب نهضة عمرانية بعد استقرار الأندلسيين فيهما بفضل نمط وأسلوب العمارة التي أدخلوها إليهما، فأصبحت أماكن تجمعهم تتميز بطابعها العمراني الخاص، الذي أكسبها منظرا لطيفا وهندسة مميزة، لاسيما في القصور والقلاع[6].

ونشر الأندلسيون خطهم حتى تغلب على الخطوط الأخرى في المغرب العربي[7]. كما حملوا إلى المغرب بعض الظواهر اللغوية وتأثر بها المغاربة ولازالت تستعمل إلى يومنا هذا ومنها الإمالة، وذلك بإبدال

---

[1]- عبد القادر بوحسون: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني 633 هـ – 962هـ / 1235م – 1554 م** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، السنة الجامعية: 2007 – 2008 م ، ص ص 124-125.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص47.

[3]-محمد زروق: "**الجالية الأندلسية بالمغرب العربي**"، في المجلة المغاربية، تونس، ع13-14، تونس، 1986، ص ص126-130.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص56.

[5]- المرجع نفسه، ص133 .

[6]-نفسه، ص59.

[7]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص290.

الألف ياء مثل إبدال الوسواس بالوسويس ، وقد لاحظ هذه الظاهرة الحسن اليوسي عند قبائل بني زروال شمال مدينة فاس، وعند قبائل أخرى بشمال المغرب، وكذا غياب همزة المضارع في العامية الأندلسية وتعويضها بالنون، مثل أمشي – نمشي ، وربط حرف الجر بالاسم المجرور، مثل في الجبل – فالجبل ، وزيادة حرف الكاف في بداية الفعل المضارع مثل يكتب = كيكتب ،وكذا التصغير مثل السوق – السويقة[1].وفي الجزائر تأثرت بها المدن الكبرى ؛ كالجزائر، وبجاية، وشرشال، وتلمسان نظرا لرقّة مخارج حروفها وسهولة التلفظ بها[2]، والتي غالبا ماينطق فيها القاف فيها ألفا [3].

كما أدخل الموريسكيون عدة كلمات باللغة الاسبانية إلى لغة المغاربة [4]، وأصبحت متداولة ما يُسمى بلغة الفرانكا المكونة من خليط لغات البحر المتوسط، تستعمل بين البحارة والتُجار ، وقد أكّد ذلك بعض الرحالة الذين زاروا الجزائر، مثل لوجي دو تاسي سنة 1725م [5]. بالإضافة إلى إدخال الموسيقى الأندلسية،وهي موسيقى الحضر و التي تتميز بعذوبة اللحن، والعدد الكبير للعازفين الذي يُقدر من عشرين إلى ثلاثين عازفا [6]، ونَقْلِ الموشّحات والأزجال الأندلسية. وإدخال الآلات الموسيقية الأندلسية، والحفاظ عليها مثل العود ، الرباب ، الكامنجة والصنوج والدربوكة[7].ومن العائلات الأندلسية في مدينة الجزائر التي كان لها دور فعال في تسيير الشؤون الدينية للمدينة عائلة " ابن فاضل"التي تولت منصب أوقاف الحرمين الشريفين ، ومنهم مصطفى بن فاضل الأندلسي سنة 1678م، والحاج محمد بن السيد بن فاضل الأندلسي1682م، والحاج أحمد المقايسي بن فاضل بن يحيى الأندلسي سنة1683م ، والحاج محمد بن المنعم السيد بن فاضل الأندلسي سنة 1686م[8].

---

[1]- محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين16و17 م**، ط1،افريقيا الشرق، بيروت،1998، ص ص 286-287.

[2]- حنيفي هلايلي: **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، (د.ط)، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص67.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية ، المرجع السابق، ص53.

[4]-محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم ، المرجع السابق، ص 289.

[5]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص53.

[6]- أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص ص 442-443.

[7]-ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص134.

[8]- مفيدة بن يوسف: **الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر 16-17م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2010-2011، ص113.

أما في المغرب فبزغ العديد من العلماء الأندلسيين، والذين كان لهم دور كبير منهم الوزير أبو القاسم بن محمد الغساني ، ومن الأطباء الأندلسيين في عهد المولى إسماعيل طبيبه الخاص الحاج عبد الواحد بن محمد غريط الأندلسي [1] ، كما تركوا عدّة مؤلفات منها،"إرشاد السائل إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل" لمحمد بن عبد العزيز الأندلسي (ت. 1113هـ/1701م)[2].

وقد لاحظنا اندماج المهاجرين الأندلسيين في المجتمع الجزائري والمغربي مع مرور الزمن، لمعرفتهم أنّ عودتهم إلى الأندلس غير ممكنة ، ففضّلوا الاندماج فيهما ، أين وجدوا روح التسامح والأخوة ، فاعتبروا الجزائر والمغرب أرضهم ، وأبناءها إخوانا لهم، فأخذوا منهم وأعطوا لهم، رغم ذلك لا ننكر أن بعض الأندلسيين ظلوا يقدسون أندلسيتهم في بعض الأماكن التي استقروا فيها محافظين على خصوصياتهم الموروثة والمكتسبة[3].

وبالجملة فإنّ توافد هجرات الأندلسيين واستقرارهم في الجزائر والمغرب، سواء في الحواضر أو القرى كان له تأثير من خلال نقل مهاراتهم في جميع المجالات،خاصة في التعليم والموسيقى فكانوا رافدا حضاريا ثريا دعم البلدين .

ج- الحكم العثماني في الجزائر والحكم العلوي في المغرب:

1- التواجد العثماني في الجزائر وتأثيراته :

يرجع تواجد العثمانيين في البحر المتوسط إلى سنة 1492م بعد سقوط الأندلس ، و شن الإسبان لعدّة حملات عسكرية واحتلالهم لمعظم سواحل بلاد المغارب ، ومنها الحملات التي وجهت إلى الجزائر،ونتيجة لتفكّكه وضعف السلطة الزيانية والحفصية ، فلم يكن أمام القوى الدينية سوى التحالف مع العثمانيين الذين أنقذوا بلاد المغارب بتدخلهم، خاصة الأوسط من الاحتلال الإسباني وحماية الثغور[4]، ما جعل أهالي مدينة الجزائر يطلبون الانضمام إلى الدولة العثمانية رسميا وهو ماتأكدّ سنة 926هـ/1519م، فأصبح العثمانيون هم الفئة المسيطرة على الجزائر والتي تشمل الحكام وقوات الإنكشارية والموظفين ورياس البحر. وبالرغم من قلّة عدد أفراد الجالية، إلا أنها كانت قوية وذات نفوذ

---

[1]-محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم ...، المرجع السابق، ص275.

[2]- المرجع نفسه،ص277.

[3]- عبد المجيد قدور: **"الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج"**، في مجلة العلوم الإنسانية،مج 14، ع2، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003 ، ص173.

[4]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص41.

واسع في البلاد ، و امتدت فترة حكمها أكثر من ثلاثة قرون، وذلك من سنة (926هـ-1246هـ/1519م-1830م)، و بلغ عددهم حوالي 20 ألف نسمة مع دخول الفرنسيين ، وقد ذكر دابر أنه كان في مدينة الجزائر خلال القرن 17م ستمائة عائلة تركية إضافة إلى اليولداش والإنكشارية [1].وقد اهتموا في بداية الأمر باستقطاب العلماء ومن ذلك علماء المغرب ، ومنهم يوسف باشا الذي قرّب علي بن عبد الواحد الأنصاري وكانت له مكانة في مدينة الجزائر . كما استطاع العثمانيون إدخال تأثيرات ثقافية للجزائر ، بل وامتداد ذلك التأثير حتى للمغرب الأقصى.

أ- في الجانب اللغوي:

استقر العثمانيون في الجزائر مدّة طويلة ، وجعلوا من لغتهم العثمانية لغة رسمية للدولة ، إلا أنّهم لم يُعلموها للسكان،بل استعملوا عدّة مفردات في الميدان السياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي والعسكري ، و ماهُوَ مفيد لاحتياجاتهم التواصلية اليومية مع بعضهم البعض ، وقد جمع محمد بن أبي شنب الكلمات التركية والفارسية الباقية في العامية الجزائرية وأحصاها فيما يقارب 634كلمة [2] ،وقد انتقلت عدة مصطلحات عثمانية في الدارجة المغربية وأصبحت مستعملة في المجالين الإداري والعسكري[3]. كما انتشر الخط العثماني في الجزائر، ومن أشهر الخطاطين العثمانيين الذين وفدوا إلى الجزائر حسن بن عبد الله المعروف بالجزايري الرومي (ت.1125هـ/1713م)[4]، كما ساهم العثمانيون في نقل العادات والتقاليد والمآكل والملابس، ومنها نقل لباس القفطان، وقد كان يرسله السلطان العثماني لحكام الجزائر كشعار لتسلم الحكم[5]، وأخذ عنهم المغاربة زيهم المدني والعسكري[6]، كما أثروا في العمارة وظهر ذلك خصوصا في بعض المساجد والقلاع والثكنات والحصون والمنارات للمراقبة والدفاع[7].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص149.

[2]-عبد الرحمان نواصر: **تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1082-1246هـ/1671-1830م)** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، شعبة التاريخ، السنة الجامعية:2017-2018،ص141.

[3]- زهراء النظام : المرجع السابق، ص387.

[4]- محمد خليل بن علي المرادي : **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، مج2، دار ابن حزم ،بيروت، 1997، ص 55.

[5]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص149.

[6]- زهراء النظام : المرجع السابق، ص387.

[7]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج2، ص446.

ب- في الجانب الديني:

ساهم العثمانيون في عودة المذهب الحنفي إلى الجزائر إلا أنّه كان مقتصرا على الأتراك من حكام وجنود ، وقد كان المفتون الأحناف يأتون في البداية من القسطنطينية مع الحكام، ويساعدونهم في القضايا الدينية،ويلقبون بشيخ الإسلام، وعند انتهاء مهامهم يعينون في مؤسسة سبل الخيرات أو يعملون كخطباء، واستحدث العثمانيون منصب القاضي الحنفي للفصل بين الخصومات[1].

ونظرا لكَون المذهب الحنفي هو مذهب السلطة، فقد رافق النخب السياسية والعسكرية العثمانية القادمة للخدمة في الجزائر، فشمل وجوده الحواضر والحاميات التي تعيش بها الأقلية التركية العاملة في الجيش الانكشاري والكراغلة والموظفين التابعين لنظام الحكم في المدن الجزائرية[2].

بالإضافة إلى ذلك قاموا بالإشراف على بناء مساجد عديدة، وجعلوا المفتي الحنفي فيها مقدّما على المفتي المالكي في الاعتبار والرأي والحظوة، ولقبوه "بالأفندي"، وهو لقب كان يطلق على الداي فقط[3]. ومن أشهر العائلات التي تولت منصب الإفتاء والقضاء في المذهب الحنفي: بيت ابن علي، وبيت ابن العنابي،ومنهم الشيخ مصطفى ابن رمضان العنابي ت 1130هـ/1718م، وعائلة ابن المفتي ومن أشهر علمائها حسين بن رجب شاوش ت 1144هـ/1731م، وهو أول كرغلي يتولى منصب الإفتاء ، وصفه ابنه في كتابه تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ب"شيخ الاسلام" [4].وقد ذكر نور الدين عبد القادر جميع المفتين الأحناف الذي تولوا خطة الإفتاء بمدينة الجزائر[5].

وقد كان للقضاة الأحناف علاقة بالعلماء المغاربة وإجازتهم، ومنه إجازة الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي لمحمد الطيب الفاسي أحد السفراء الذين أرسلهم المولى إسماعيل إلى الجزائر سنة 1087هـ/ 1676م[6]،إلا أنّ العثمانيين لم يفرضوا المذهب الحنفي على السكان في الجزائر، ولم

---

[1]-صالح بوبشيش: المرجع السابق، ص143.

[2]- محمد أوجرتني: المرجع السابق،ص118.

[3]- رشيدة شدري معمر: المرجع السابق،ص72.

[4]- حسين بن رجب شاوش: المصدر السابق، ص 12.

[5]- نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص ص 191-193.

[6]- فوزية لزغم: المرجع السابق، ص228.

يعملوا على نشره في المغرب ، فقد ظل المذهب المالكي هو المذهب السائد[1]. وقد جمعوا بين مفتيي وقاضي المذهب الحنفي والمالكي في المجلس الشرعي أو المجلس الشريف الذي كان يعقد في ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، وانتقل للجامع الأعظم في ثمانينات القرن السابع عشر.[2]

كما ساهم العثمانيون في مجيء طرق صوفية من المشرق، اتبعها الجيش الانكشاري في الجزائر ومنها الطريقة المولوية والبكداشية[3]، وقد انتشرت في أوساط الانكشارية في الجزائر.[4]

ويظهر تأثير الحكام العثمانيين في الجزائر في الجانب العلمي والعلماء من خلال استحداثهم لمنصب "شيخ الإسلام" الذي كان ينصب مباشرة من اسطنبول ، ثم أصبح يعين من أبناء الأتراك من المذهب الحنفي.

2- قيام الحكم العلوي في المغرب:

ظهرت نواة الأشراف العلويين الذين قويَ نفوذهم في مدينة سجلماسة وتافيلالت، وكانوا قد وصلوا إليها في القرن 8هـ/14م ، ثم امتد نفوذهم إلى منطقة السوس ووادي درعة عندما ضعف أمر السعديين، وبرز الشريف بن علي بن يوسف الذي بايعه أهل سجلماسة 1041هـ ، واستولى على السوس التابعة لأبي حسون السملالي، ثم جاء ابنه محمد الذي قاتل أبا حسون وانتصر عليه ،وتغلب على وادي درعة، وأغار على مدينة فاس فبايعه أهلها ، ثم خرج منها منهزما ،واتجه نحو الصحراء إلى شرق المغرب[5]، واستولى على وجدة، ولما مات أبوه جددت له البيعة، وخرج عنه أخوه الرشيد، وقاتله قرب وجدة فأصابته رصاصة وقتل عام 1075هـ/1664م ،واستلم الرشيد الحكم[6].

---

[1]- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ج2، ص107.

[2]- حنيفي هلايلي: " **الشرطة والقضاء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بين ثُنائية المصادر المحلية والمصادر الغربية"،** في المجلة التاريخية المغاربية، السنة السادسة والثلاثين، ع 134، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، تونس،مارس 2009، ص ص 143- 144.

[3] - تنسب إلى حاجي بكداش المتصوف والشاعر (ت.669هـ/1271م) ، هي طريقة صوفية وتعرف أيضا بالكتاشية ، أسسها في القرن 13م ، وقد لقيت طريقته انتشارا واسعا لدى الأتراك. ينظر: رشيد الخيون : **النصيرية العلوية بسورية** ،ط1، دار مدارك للنشر، سوريا ، 2012، ص146.

[4]- صالح عباد: المرجع السابق، ص24.

[5]- محمود شاكر: **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر ببلاد المغرب**،ط2، المكتب الإسلامي،مصر،1996،ج14، ص120.

[6]- المرجع نفسه ،ص 121.

وقد كان لوجود العلويين أثر على الحياة الثقافية للجزائريين، خاصة أن عددا من العلماء لم يجدوا الأجواء المناسبة التي ترضي أذواق الفقهاء، بما يطلبونه من ضروب العلم، وأجواء الحرية والتشجيع المادي والمعنوي ،كما تعرضوا لسياسة الإكراه والتهميش والعنف والقسوة والظلم والطغيان التي مارسها العثمانيون ما أدّى إلى هجرة أعداد كبيرة من العلماء إلى الخارج خاصة إلى المغرب[1]، الذي وجدوا فيه ترحيبا من السلاطين العلويين ، ومنهم الشاعر سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي (ت.1088هـ/1680م)الذي رحّب به المولى محمد الشريف وابنه المولى إسماعيل، وفد كان ناقما على الأتراك في الجزائر، وعلى العلماء المتملقين لهم، كابن زاغو الذي دعا إلى اللين في التعامل مع الأتراك وإعلان الولاء والطاعة لهم، إلى جانب رغبة بعض العلماء في طلب العلم والحصول على الإجازات . ويُضاف إلى ذلك القرب الجغرافي للمغرب، ووجود جامع القرويين الذي كان له دور في تكوين عدد من العلماء الجزائريين[2].

---

[1]– سعاد لبصير:"**دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني1516–1830**" ، سوسيولوجيا الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، أعمال الملتقى العلمي الأول ، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية،جامعة منتوري، قسنطينة ، ماي 2008 ،ص ص 47-48.

[2]– محمد أوجرتني: المرجع السابق، ص552.

المبحث الثاني:

مراكز التبادل الثقافي بين الجزائر والمغرب

لقد شكّل الوجود العثماني في الجزائر وبداية الحكم العلوي في المغرب الأقصى، وما انجرّ عنه من تأزم العلاقات بين البلدين محطة بارزة في تاريخهما، وبالرغم من مظاهر التوتر والعداء أحيانا، فإنّ ذلك لم يُؤثر على حركة إنتقال العلماء، الذين رأوا في الحدود مجرد خطوط وهمية، رسمها الحكام لأغراض شخصية، فكانت مراكز التبادل الثقافي التي يقصدها طلاب العلم عديدة، ومتفاوتة الأهمية[1].

1- أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر:

لقد انتقل العديد من الطلبة والعلماء من المغرب إلى الجزائر إلى عدّة مراكز، سواء لأخذ العلم أو نشره أو مرورا عليها للحج ، والتعرف على علمائها وزيارة لأوليائها أو أضرحتها ومن أهم هذه المراكز نذكر:

أ- مدينة الجزائر:

مع مجيء العثمانيين وانضمام الجزائر رسميا للدولة العثمانية سنة 1519م، أصبحت مدينة الجزائر هي العاصمة، وكانت تسمى بدار السلطان وتشمل مدينة الجزائر وضواحيها[2]، وهي مركز إشعاع علمي ،خاصة أن العديد من العلماء استقروا فيها، وتولوا منصب الإفتاء والتدريس. ومن العلماء المغاربة الذين استقروا فيها،وتوَلوا التدريس والإفتاء علي الأنصاري السجلماسي (ت.1057هـ/1647م)، كما توفرت المدينة على العديد من الزوايا والأضرحة والقباب[3]،فزاد توافد الطلبة والعلماء المغاربة عليها كابن زاكور الفاسي، وعبد الرحمان الجامعي، حيث وصفها قائلا: "لاتخلو من قراء نجباء، وعلماء أدباء وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة..."[4].كما زارها علماء مغاربة أثناء تأدية رحلتهم السفارية، والذين سلكوا الطريق البحري خلال رحلتهم إلى الحج، ونزلوا بها ومنهم الرافعي التطواني[5].

---

[1]- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.. ، المرجع السابق، ج2 ، ص147.

[2]- العربي ايشبودان : **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، تر: مسعود جناح، ط1،دار القصبة ، 2007، الجزائر ، ص32.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج1، ص263.

[4]- محمد بن ميمون الجزائري : المصدر السابق ، ص55.

[5]- محمد ماكامان:**الرحلات المغربية**،ط1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المغرب،2014 ،ص214.

ب – قسنطينة :

من أهم الحواضر العلمية قبل وبعد مجيء العثمانيين، احتفظت بمكانتها كعاصمة لبايلك الشرق أكبر إقليم في الجزائر وأغناه ثقافة وتحضرا [1]، هي ثاني مدينة في القطر أهمية وحجما، اكتسبت شهرة علمية في العالم الإسلامي لاتضاهيها سوى شهرة فاس والقاهرة،تميزت بكثرة عدد زواياها، وبيوتها العلمية، من أشهر علمائها عبد الكريم بن محمد الفكون (ت. 1073هـ/1662م) ، وابنه محمد بن عبد الكريم الفكون (ت.1114هـ/1702م)، وابن باديس وابن كماد[2] ، وهي محط زيارة لعلماء المغرب ومتصوفيها.قيل فيها :"...كانت قسنطينة على عهد الأتراك ...عاصمة دينية، وكانت العلماء تتمتع فيهم بالسيادة المطلقة والنفوذ التام ، ...إنّ قسنطينة كانت مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم .."[3].

ج– زواوة:

تعدّ منطقة زواوة[4] قطبا حيويا ومركز جذب، وقد تميزت بكثرة زواياها مثل زاوية ميزرانة وسيدي عبد الرحمان الأيلولي(ت.1105هـ/1693م)[5] ، وكثرة علمائها ،كأبي زيد عبد الرحمان بن يسعد بن محمد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي (ت.1105هـ/1694م). اشتهر بالقراءات السبع والعشر، وأخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي[6].ومن أشهر أساتذة القراءات بزواوة محمد بن صولة[7].

د– تلمسان:

كانت تلمسان عاصمة للفكر والمعرفة والفن لقرون عديدة خلال حكم الدولة الزيانية، أهّلها لتكون مركزا للإشعاع الثقافي والعلمي،ولكنها فقدت سمعتها وقيمتها خلال الحكم العثماني بعد سقوط الدولة الزيانية سنة 1554م ،ما أثر على الحركة العلمية، حيث شهدت ركودا بعد فترة ازدهار

---

[1]– أبو القاسم سعد الله:**شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1986، ص8.

[2]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص ص 175-176.

[3] -Paul Gaffarel:**L ' Algerie**,Imprimerie de l ' Institut,1883,p123.

[4]–قبائل كثيرة مشهورة بشمال إفريقيا، تطل على البحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية، إحدى عواصمهم وإلى جيجل؛ فهؤلاء المعروفون و المشهورون بالزواوة ،ينظر: أبو يعلى الزواوي: **تاريخ الزواوة** ، مراجعة وتع : سهيل الخالدي،ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص90.

[5]– أحمد ساحي: **أعلام من زواوة إيقودان**،ط1،طباعة الثورة الإفريقية،الجزائر،(د.ت)،ص98.

[6]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 3، ص ص 188-189.

[7]– أحمد ساحي: المرجع السابق،ص103.

طويلة [1]. ورغم ذلك، ظل التواصل حاضرا بين تلمسان والمغرب، فكان العلماء المغاربة يفدون إليها، خاصة لزيارة ضريح سيدي أبي مدين شعيب، بالإضافة إلى ميناء هنين، والذي يعتبر ممرا للحركة التجارية الخارجية ، فكانت تلمسان مقصد القوافل التجارية من فاس، ووجدة، وسجلماسة[2].

هـ– مازونة :

هي من أهم مراكز الإشعاع الحضاري في العهد العثماني، والتي أصبحت عاصمة بايلك الغرب من سنة 971هـ/1563م حتى سنة 1112هـ/1701م [3].

وقد أنشأت فيها مدرسة مازونة الفقهية التي كانت منارة علمية أضاءت كل الغرب الجزائري، وحواضر من المغرب الأقصى.يذكر أبو القاسم سعد الله:" وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة ، استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، وهي أيضا من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني "[4].

ومن أهم الأسر العلمية في مدينة مازونة أسرة الكتروسي ، حيث اشتهرت خلال القرن 11هـ/17م ،وكان لها دور في المجتمع المازوني ، وحظيت بتأييد مطلق وكبير من بايات الغرب ، فتولى عدد من أفرادها مناصب دينية هامة، كالقضاء والإفتاء والخطابة والإمامة، ومنهم أحمد بن خدة بن سيدي علي الكتروسي عيّن سنة 1080هـ/1669م[5].

و– مستغانم :

تقع غرب الجزائر ، وتطل على البحر المتوسط،ظهرت كمدينة هامة، حيث ارتفع عدد سكانها ، وانتعشت المدينة خاصة مع استقرار الأندلسيين فيها ، وهي مقر بايلك الغرب بعد استرجاع الإسبان لوهران سنة 1732م[6] ، وقد وفد إليها المغاربة خاصة من أجل زيارة والتبرك بضريح سيدي لخضر بن

---

[1]–والواقع أنّ تلمسان بدأت تفقد قيمتها مع الإحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير، ما أدّى إلى الركود السياسي والاقتصادي، وهجرة العديد من علمائها نحو المغرب الأقصى .ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1،ص176.

[2]– ابن عتو بلبروات:" أضواء حول مدينة تلمسان" ، المرجع السابق، ص80.

[3]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق،ج3،ص210.

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص285.

[5]– لعباسي محمد : "**تعيينات آل الكتروسي في المناصب الدينية بمازونة على العهد العثماني من خلال الوثائق التاريخية**"، في المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج13، ع1، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، 2018، ص93.

[6]– مسلم عبد القادر الوهراني:**تاريخ بايات وهران**،تح وتق:رابح بونار، ط1،ش. و .ن. ت،الجزائر،1974،ص19.

خلوف (ت.1022هـ/1619م). ومن أهم علمائها مصطفى بن عبد الله الرماصي(ت.1136هـ/ 1724 م) الذي وصفه عبد الرحمان الجامعي بقوله:"حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره"[1].

ز- معسكر:

كانت معسكر قرية عظيمة كما وصفها الرحالة الجغرافيون في العصر الوسيط [2]، ثم أصبحت من أهم القرى في إقليم بني راشد في عهد الدولة الزيانية ، وبعد مجيء العثمانيين تعززت مكانتها[3]، فأصبحت عاصمة بايلك الغرب سنة 1701م تحت حكم الباي بوشلاغم[4]. وكانت من أهم الحواضر في الغرب الجزائري ، حيث تميزت بمنشآتها الدينية، منها زاوية القيطنة القادرية ، وزاوية سيدي بوسكرين، وكان يُشدّ لها الرحال لطلب العلم ، كما أنجبت معسكر ثُلّة من العلماء ؛كمحمد بن عبد الله الجيلالي ، الذي رحل إلى فاس لطلب العلم وعاد إلى معسكر، وقد شارك الكثير من علمائها في التأليف، وفي الجهاد ضد الإسبان في الفتح الأول لمدينة وهران سنة 1708م[5].

ح- بونة:

مدينة عنابة أو كما كانت تُعرف هيبون أو بونة أو بلد العنّاب، تقع شرق الجزائر،فهذه المدينة لها رصيد تاريخي عميق[6]. وأكدّت مدينة بونة وجودها بفضل علمائها ومؤسّساتها الدينية ، ومن مؤسّساتها جامع سيدي أبي مروان[7].

---

[1]- عادل نويهض : المرجع السابق ، ص152.

[2]- أبو القاسم بن حوقل: **صورة الأرض** ، ط2، دار صادر، بيروت ،(د.ت)، ج1،ص89.

[3]- داوود عبيد: **معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية**، معسكر المجتمع والتاريخ، ط1، مكتبة دار الرشاد للطباعة ، معسكر، 2014، ص11.

[4]- فتيحة حروبي:" **بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563-1792م**"، في مجلة المرآة للدراسات المغاربية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، ع1، جانفي 2014، ص 198.

[5]- عبد القادر قرمان: "**المؤسّسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني**"،في مجلة آثار، مج 9، ع2، جامعة الجزائر، ص82.

[6]- بتة مرزوق: **مدينة بونة وموقعها الاستراتيجي في العصر الوسيط**، في مجلة آثار، مج 10، ع1، جامعة الجزائر،ص283.

[7]- قطب،عالم ،وفقيه ولد بإشبيلية ثم انتقل إلى قرطبة ودرس على مشايخها ثم ارتحل إلى المشرق ، ثم انتقل وأقام بالقيروان، ثم إلى بونة واستقر بها ،وأقبل عليه العلماء ، واشتغل بالتدريس والتأليف ، توفي سنة 439هـ/1047م، ينظر: محمد لخضر بوبكر: "**معالم ومتصوفة بلد العنّاب من خلال الدّرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة لأحمد بن قاسم البوني**"،**التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب**، إشراف وتنسيق: عبد الباسط شرقي، د.ط،النشر الجامعي الجديد،الجزائر،2018، ص ص 154-155.

ومن أشهر العائلات العلمية فيها أسرة البوني والعنابي[1]، وقد نشط توافد العلماء والطلبة إليها في بداية القرن 12هـ/18م ، وذلك للقاء وأخذ العلم عن الشيخ أحمد بن أبي القاسم بن محمد ساسي بن ابراهيم البوني (ت.1139هـ/1726م)، وقد جاءه علماء من المغرب، منهم عبد الرحمان الجامعي الذي نزل عنده ، وقد ذكر البوني – في كتابه (الدُرة المصونة) – العلماء المغاربة الذي دخلوا إلى عنابة نظمًا ،حيث قال:

كَذَاكَ بِالأُسْتَاذِ مُوسَى المَغْرِبِي   كُنْتَ أَخَذْتَ عَنْهُ بَعْضَ الكُتُبِ[2].

ط- الحواضر الصحراوية:

لم تحظ الحواضر الصحراوية الجنوبية بالعناية ، إذ لطالما اعتبرت المدن الكبرى، خاصة الشمالية من أهم الحواضر العلمية، ولكننا نجد عدّة حواضر صحراوية،نزل بها العديد من العلماء والمتصوفة المغاربة، عند اعتمادهم على الطريق البري خلال رحلاتهم ، نذكر منهم أبا سالم العياشي، واليوسي، والهشتوكي ،وغيرهم، إذ كانت الحواضر الصحراوية مركز تبادل ثقافي، ومنها نذكر :

1- توات[3] :

تقع توات في الجنوب الغربي للجزائر، يحدّها من الشمال العرق الغربي الكبير وواد مقيدن، ومن الجنوب صحراء تنزروفت، وواد قاريت وجبال مويدرا، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير المحاذي لواد الماية، ويحدها من الغرب واد الساورة وروافده، وينقسم الإقليم إلى ثلاثة مناطق هي : قورارة — توات الوسطى — تيديكلت[4].

شهدت منطقة توات نشاطا ثقافيا كبيرا، يصفه أبو القاسم سعد الله قائلا:"وهذه المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني ،وغنية بعلمائها ومؤلفيها وبزواياها ونظمها، وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها" [5]، ولاشك أن هذا الزخم العلمي الذي تشهده المنطقة، كان تطورا لواقعها الثقافي خلال عدة عصور خاصة خلال النصف الثاني من القرن 17م وبداية 18م ، كما سمح لها موقعها الاستراتيجي والمحوري

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص178.

[2]-أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة** ،تح: سعد بوفلاقة ، منشورات بونة ، 2007، ص105.

[3]- إنّ أصل كلمة توات من التوت وهو الفاكهة والجمع أتوات، ينظر خير الدين شترة: "**القيم الاجتماعية بإقليم توات من خلال أدب النوازل" نوازل عبد الرحمان الجنتوري**"،في مجلة التراث، مج5،ع 17،جامعة زيان عاشور، 2015، ص62.

[4]- فرج محمود فرج ، **إقليم توات خلال القرنين 18و 19م** ، ط1، د.م.ج، الجزائر، 1977، ص3.

[5]-أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص142.

وقربها من المغرب الأقصى بأن تتفاعل مع حواضره، خاصة سجلماسة وفاس، فقد كانت المنطقة ممرا حتميا، و محطة للقوافل التجارية خاصة نحو بلاد السودان ، كما أنّ ركب الحج السجلماسي المغربي كان يمر بها، ويتوقف الحجيج ويزورون زواياها، ويأخذون عن علمائها ، وكثيرا ماكانوا يمكثون بها لأيام للإفادة والاستفادة ، منهم الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الدرعي الأكتاوي(1699-1755م)،الذي التقى بابن يوسف التينيلاني في طريق العودة من الحج بقرية زاجلو في بلاد توات، وكذا المقرئ محمد المكي بن صالح السجلماسي،إلتقى به الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني في تيمي بأدرار التي قدم إليها ، فأخذ عنه علم التجويد والقراءات السبع[1].

2- بشار:

ببشار تجمعات سكنية وبها قصور ومداشر على ضفاف الوادي الذي يحمل اسم وادي بشار، وهو يقع غرب الجبل الكبير الذي يحمل اسم جبل بشار ، وقد ذكره ابن منجرة في كتابه [2].

وهناك العديد من الطرق الصوفية في بشار،كالكرزازية،والزيانية،وقد وفد لزياراتها العديد من المغاربة ، مرّ بها الحجاج المغاربة وكانت بينهم وبين ساكنيها مسائل فقهية عديدة.

3- الأغواط:

الأغواط هي جمع غوطة وهي الدور التي تحيط بها البساتين ، مدينة قديمة ويرجح تأسيسها إلى منتصف القرن4هـ/ 10م[3]. من أهم مناطقها مدينة عين ماضي التي تقع غرب مدينة الأغواط ، وهي تنسب لماضي بن مقرب من بني كثير أحد بطون كرفة بن الأثبج الهلالي[4]،وكذا منطقة تاجموت والتي قال عنها الأغواطي:"وعلى مسيرة يوم شمال الأغواط تقع قرية تجموت.وينقسم سكان هذه القرية إلى

---

[1]- عبد الرحمان بعثمان: **صورة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغاربي والسوداني من خلال فهرسة عبد الرحمن التنلالي**، في المجلة الجزائرية للمخطوطات،مج8، ع9،2012، ص209.ينظر أيضا: صورية حصام: "**دور إقليم توات في توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين أيالة الجزائروالمغرب في العصر الحديث**"، في مجلة عصور، مج 1، ع17، 2018، ص ص 194-195.

[2]- محمد بن القاسم القندوسي: **رسالة أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى** ،تح: عبد الله حمادي الإدريسي، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، هامش ص70.

[3]- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق،ص107.

[4]- عبد القادر نواري: "**مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**" ، في مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 8، ع2،ورقلة ، 2020، ص205.

فريقين، وليس لهم رئيس أو حاكم، وهم يتحاربون فيما بينهم كما يفعل أهل الأغواط .وبيوتهم مبنية بالحجر والطين .وعلى الجهة الشمالية من تجمعوت جبل عال جدا يسمى جبل عمور، وهناك أيضا جبل من الملح بالقرب من جبل عمور"[1]،وقد كانت الأغواط محطة للعديد من الرحلات المغربية.

4- قصر بوسمغون:

يقع في منطقة البيض في الجنوب الغربي للجزائر ،اشتهر بتعدد أقطابه الصوفيه وأضرحته وزواياه، فسمي نسبة للولي الصالح أحمد بن سمغون [2]. واشتهر القصر كممر للقوافل التجارية أولا، ثم كممر للحجيج المتوجهين إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ثانيا،وفقد وفد إليه العديد من العلماء واحتكوا بأهل التصوف والعلم ، وهذا لما وجدوه من ضيافة وحسن معاملة سكان القصر[3].

5- ورقلة:

تحتل مدينة ورقلة موقعا استراتيجيا هاما ، فكانت همزة وصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي، وهي من المحطات التي تمر عبرها قوافل الحجيج المغربية، وقد أطلق عليها "واحة السلاطين" [4]،وردت في كتابات الرحالين المغاربة ،خاصة رحلة العياشي التي صورت لنا الوضع الثقافي والمذهبي لورقلة ، إذ ذكر وجود مسجدين مالكي، والثاني إباضي ، كما ذكر وجود مكتبة ضمّت عدّة مؤلفات[5].

6- تقرت:

عاصمة وادي ريغ في الجنوب الشرقي للجزائر، تميزت بكثبانها الرملية التي تطوقها شرقا وغربا، تتخللها سهول مالحة و بعض الهضاب الطينية الجرداء[6]، وذكر العياشي لقاءه فيها بالفقهاء وما جرى بينه وبين علمائها من مناظرات علمية[7].

---

[1]- الحاج ابن الدين الأغواطي:**رحلة الأغواطي**،تح: أبو القاسم سعد الله،(ط.خ)، المعرفة الدولية للنشر،الجزائر،2011،ص88.

[2]- محمد الكبير فيقيقي: المرجع السابق، ص303.

[3]- منى دحمون: **قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية**،تحت إشراف : علي حملاوي،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2004-2005، ص24.

[4]- مولاي بالحميسي: "**ورقلة من خلال النصوص الأجنبية**"، في مجلة الأصالة ، ع41،قسنطينة، 1971 ،ص207.

[5]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية**، تح وتق: سعيد الفاضلي وسليمان القريشي،ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة،2006،ص116.

[6]- الطيب بوسعد:"**الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**"،في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15،جامعة غرداية، 2011،ص437.

[7]- مولاي بالحميسي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة،المرجع السابق، ص ص87-88.

7- بسكرة:

وصفها العياشي بأنّها :" من أعظم المدن وأجمع لمنافع كثيرة ، مع توافر أسباب العمران فيها ، قد جمعت بين التل والصحراء "[1]، دخلها الأتراك في عهد حسن آغا[2] 949هـ/1542م ، وفي عهد صالح رايس1552م أخضعت للأتراك [3]، وكانت مقصد الحجاج المغاربة،ومحطة من محطاتهم ، ومن المناطق القريبة منها خنقة سيدي ناجي[4] ، وقد أسّست فيها زاوية ناصرية ؛ نسبة إلى المتصوف محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي (ت.1085هـ/1674م)[5].

2- مراكز التبادل الثقافي في المغرب الأقصى:

عرف المغرب مع بداية الدولة العلوية انتعاش الحركة الفكرية ، فتعدّدت المراكز والحواضر المغربية التي استقطبت العلماء من داخل المغرب أو من خارجه، خاصة العلماء الجزائريين، سواء للتعلم على يد علمائها أو للتدريس ومن أهمها:

أ- فاس:

تعدّ فاس عاصمة المغرب منذ عهد الأدارسة، فقد بناها إدريس الأول سنة 172هـ/ 789م،ورغم أنّها فقدت بعضا من أهميتها أيام حكم السعديين الذين نقلوا العاصمة إلى مراكش ، إلا أنّها استرجعت أهميتها مع بداية حكم الدولة العلوية،حينما اعتبرها المولى الرشيد عاصمة لدولته ،و اهتم بالعلم،حيث استأنفت الحركة العلمية و الأدبية في عهده، وكان يحضر بنفسه مجالس العلم بالقرويين. كما اهتم المولى إسماعيل بفاس رغم نقله العاصمة إلى مكناس[6]، لكنّها بَقيت منبرا للعلم ومركزا دينيا

---

[1]- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية،المصدر السابق، ص540.

[2]- أصله من سردينيا ، أسره خير الدين ، فتبناه ورباه ، من أهم الأعمال التي قام بها هو نجاحه في صد حملة شارل الخامس سنة 1541م ،كما شهد عهده جلاء الاسبان من ميناء هنين 941هـ/1534م ، ومن عنابة 947هـ/1540م ، ينظر: عمار بن خروف : المرجع السابق ، ج1، ص ص 33-

[3]- مولاي بالحميسي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة،المرجع السابق، ص100.

[4]-تقع شرق بسكرة، تنسب للشيخ المبارك بن قاسم بن ناجي الحسني الذي أسسها سنة 1147هـ/1734م ، تتوفر على مراكز علمية كالجامع سيدي مبارك،و المدرسة والزاوية الناصرية. ينظر: رابح خدوسي: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر،2012،ج1،ص777.

[5]- فوزية لزغم : المرجع السابق ، ص 126.

[6]- عبد الهادي التازي:**جامع القرويين**، ط2، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2000 ،ص716.

وثقافيا بفضل جامع القرويين[1] ، الذي شكّل معلمة فاس الأولى، والقلب النابض للمغرب بفضل تعدد مدارسها[2]،وللدور الذي قام به الدلائيون ، فبعد هزيمتهم من قبل المولى الرشيد سنة 1079هـ/ 1668م ، أُلْزِم من بقي حيا من الدلائيين بالرحيل إلى فاس[3]، فاندمج علماؤها مع علماء فاس[4].

ومن أشهرهم: أبو زيد الفاسي، والقضاة بردلة، والمجاصي، واليوسي، و العياشي، والقادري، والبناني، من أبرز من ظهر في عصره في السيرة النبوية أبو الفضال مسعود بن محمد بن جموع ومحمد بن عبد الرحمان الدلائي، وفي الحديث محمد بن عبد الرحمان الفاسي، وعلي بن أحمد الحريني.

وفي الفقه: الطيب عبد القادر الفاسي (ت.1091هـ/1680م) ، والحسن بن رحال المعداني، وفي التفسير والقراءات: أبو العلاء إدريس بن محمد المنجرة، ومحمد بن عبد الرحمان الفاسي. وفي التصوف محمد بن أحمد بن المسناوي الدلائي (ت.1117هـ/1705م)، والطيب بن أحمد المريني[5].

وبهذا فإنّ فاس قد شكّلت منطقة جذب للمتعلمين، فقد رحل عدّة علماء جزائريين لتلقي العلم واستكمال الدراسة والحصول على الإجازات أو حتى للتدريس والاستقرار فيها؛كابن كماد القسنطيني، و محمد بن عبد الكريم الجزائري اللذين استقرا في فاس وتَوليا التدريس فيها ، وكذا عبد القادر التنيلاني وغيرهم.

ب- مكناس:

بتولي المولى إسماعيل الحكم؛ جعل مدينة مكناس عاصمة للدولة واهتم بها، فقام بتجديد بنائها وشيّد القصور، وصف صاحب كتاب "بستان الظريف" مابناه المولى إسماعيل في مكناسة بقوله : "

1- أسّسته أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري سنة 245هـ/859م في عهد يحي حفيد إدريس الثاني. ينظر:أحمد التازي: **القرويين ودورها في ترسيخ الهوية المغربية**، تحت إشراف: محمد الروكي،بحث لنيل الإجازة،شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، السنة الجامعية:2005-2006، ص9.

2- أهمها المدرسة المصباحية أسسها أبو الحسن المريني، والمدرسة البوعنانية أسسها أبو عنان، وقبلهما مدرسة الصفارين التي يعود تأسيسهاإلى عهد أبي يوسف المريني سنة 679هـ/1280م، وهي بمثابة مؤسسات تأهيلية تسمح للطالب بالانتقال إلى الدراسات العليا بجامعة القرويين، ينظر:أحمد الخالدي:**المدن والآثار الإسلامية في العالم**،ط1، دار المعتز، سوريا، 2010، ص248.

3- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق،ج3، ص213.

4- محمد الأخضر: **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075-1311هـ / 1664 -1894م)**، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1977، ص81.

5- مفيد الزيدي: **"ملامح النهضة التعليمية منذ عهد المولى الرشيد إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله"**، في مجلة دعوة الحق، ع322، المغرب،1997،ص185.

وأما مبانيه –رحمه الله– بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه فشيء فوق المعقول وتذهل عند مشاهدته العقول "[1] .

فمن الطبيعي أن تتّجه أنظار العلماء والأدباء نحو مدينة مكناس، نظرا للمآثر العمرانية والمساجد والمدارس التي شيّدت فيها ، ولكونها أصبحت مركزا للسلطة السياسية،ومقرا لوزراء الدولة وكتابها[2]. وقد ساهم في تنشيط الحركة الثقافية فيها قربها من فاس ،فقد جلب المولى إسماعيل عددا من العلماء إليها،منهم الفقيه محمد بن محمد العكاري الرباطي (ت.1092هـ/1681م)، الذي كان يدرس بالمسجد الأعظم من فاس، كما كان يتنقل إلى مكناس ابن الطيب الشرق (ت. 1170هـ/ 1756م) ، كما جلب الحسن بن رحال المعداني(ت.1140هـ/1727م)، وعيّنه قاضيًا ومدرسًا في مكناس، واستقر فيها أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب التستاوي(ت. 1127هـ/1715م)، ومن مؤلفاته"ممتع الأسماع وشرحه"[3]، وكذا أبي مدين السوسي(ت. 1120هـ/ 1708م) الذي تولى الإفتاء والقضاء والتدريس، وسعيد العميري (ت.1131هـ/ 1718م)[4].

ج– تطوان:

من المدن الهامة، ضربها الإسبان في نهاية القرن 8هـ/14 ، وظلت مهجورة نحو قرن من الزمن، قبل أن يُجدد بناءها الرئيس الأندلسي أبو الحسن المنظوري عام 888هـ/1483م، وقد عمّرها الأندلسيون المهاجرون من غرناطة خلال 10هـ/16م[5]، استقل آل النقسيس بحكمها بعد وفاة أحمد المنصور[6]، وفي سنة 1077هـ/1666م استولى المولى الرشيد على تطوان، وخلع حاكمها النقسيس[7]. وبالإضافة إلى فضل موانئ تطوان في الجهاد البحري ، فقد شهدت ازدهارا علميا، فقد تنقل إليها الطلبة، سواء من داخل المغرب أو خارجه ، ومن ذلك رحلة ابن زاكور الفاسي لتطوان، والذي تتلمذ

---

[1]– أبو القاسم الزياني:البستان الظريف...، المصدر السابق،ص188.

[2]– علال معكول:"**الحركة الثقافية في مكناس خلال القرن الثاني عشر الهجري**"،أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1988 ، ص329.

[3]– محمد بن الطيب القادري:التقاط الدّرر، المصدر السابق، ص 310.

[4]– علال معكول:المرجع السابق ، ص ص 331-332.

[5]– عبد العزيز بنعبد الله: **تطوان عاصمة الشمال ومنبع إشعاعه**،ط1، جمعية تطاوين أسمير، المغرب، 2006،ص1.

[6]– محمد داود : المرجع السابق،ص425.

[7]– محمد حجي : علاقة تطوان بالمخزن ، المرجع السابق ، ص 23.

على يد العلامة سيدي علي بركة ، وكان لهذا الأخير جامع سُمي بجامع سيدي بركة[1]. وكان أول نزول لابن كماد القسنطيني في المغرب إلى تطوان ، كما تلقى العالم الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش العلم عن أحمد السرايري الذي كان خطيبا ومدرسا بجامع العيون بمكناس[2].

د– تارودانت:

ظهرت كمركز ثقافي في غرب جنوب المغرب عاصمة بلاد السوس في عهد السعديين[3]، وأثناء قيام الدولة العلوية دخلها المولى الرشيد سنة1670م، واشتهرت بالمؤسّسات العلمية والدينية ،منها جامع القصبة السلطانية والجامع الأعظم [4] ، ومن مدارسها في القرن11هـ/17م مدرسة عبد الله بن يعقوب السملالي،ومدارس الرسموكيين والصوابيين [5]، ومن أشهر علماء السوس أحمد بن سليمان الرسموكي (ت.1133هـ/1721م)، محمد بن سليمان الروداني (ت.1093هـ/1682م) ، وكان علامة متضلعا في جميع العلوم الدينية والدنيوية[6] ، وأحمد بن عبد الرحمان(ت. 1150هـ/1737م) ، عالم من الأسرة الأموكاديرية العلمية ، وأحمد بن أحمد الروداني (ت .1135هـ/1723م)، وأحمد بن محمد الهواري تولى القضاء في تارودانت (ت بعد 1150هـ/1737م)[7] ، وهكذا كانت سوس وقاعدتها تارودانت مركزا تجاريا وعلميا ، ورغم بعدها عن الجزائر إلا أنّ عددا من العلماء الجزائريين كانوا يرحلون إليها ،ومنهم ابن الوقاد الذي تولى التدريس فيها، وخلفه ابنه عبد الرحمان[8].

هـ– تافيلالت(سجلماسة):

اشتهرت بأنّها مركز تجاري هام في شرق جنوب المغرب [9]، بُنيت سنة 140هـ /757م ، وهي أول عاصمة لدولة بني مدرار الصفرية ، ثم اتخذها محمد بن الشريف العلوي في بداية الدولة العلوية

---

[1]– محمد داوود: مختصر تاريخ تطوان ،المرجع السابق، ص362.

[2]– عبد العزيز السعود:**تطوان في القرن الثامن عشر** ، ط1، منشورات جمعية تطاون أسمير، المغرب ، 2007، ص279.

[3]– عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية...، المرجع السابق، ج2، ص154.

[4]– زهراء النظام: المرجع السابق ،ص 389 .

[5]– محمد مختار السوسي: **مدارس سوس العتيقة ويليه رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس هجري إلى الرابع عشر**،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2015،ص48.

[6]– محمد الفاسي: "**سوس عند الجغرافيين قديما وحديثا** "، في مجلة المناهل ،ع23، المغرب، 1982، ص20.

[7]– محمد مختار السوسي: مدارس سوس العتيقة ، المرجع السابق، ص ص 93-94.

[8]– عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية ...، المرجع السابق، ج2، ص155.

[9]– المرجع نفسه، ج2،ص155.

عاصمة لدولته الجديدة، وكانت قاعدة لتافيلالت[1] ، والتي أنجبت نخبة من العلماء والمفكرين العظام الذين ذاع صيتهم في كل ربوع المغرب،نذكر منهم :الولي الصالح مولاي عبد الله الدقاق (ت.1082هـ/ 1670م) مدرس بجامع القصبة في سجلماسة[2]، ومحمد ابن عبد الله الحسني (ت بعد 1072هـ/1662م)، خطيب ومدرس في الجامع الأعظم بالقصبة السجلماسية[3].و أحمد بن عبد العزيز الفيلالي(ت.1088هـ/1677م) فقيه وكاتب الدولة زمن ولاية أحمد بن محرز، والعربي بن عبد العزيز الفيلالي (ت.1088هـ/1677م)،فقيه وقاض، تولى قضاء مراكش[4]،عبد العزيز بن عبد الرحمان الفيلالي (ت.1089هـ/1678م) عمل فقيها ومحتسبا في فاس[5]، وإبراهيم بن عبد الرحمن الملاحفي(ت.1130 هـ/1707م)،وأحمد الحبيب اللمطي (ت.1165هـ/1751م) ،بالإضافة إلى أحمد بن المبارك السجلماسي(ت. 1156هـ/1743م) الذي اختص في علم القراءات[6].

وبحكم توفرها على عدد كبير من العلماء وقربها من صحراء الجزائر ، فقد عرفت نشاطا كبيرا بين علمائها وعلماء الجزائر خاصة منطقة توات القريبة منها ،مثل عمر بن عبد القادر التينيلاني (ت.1152هـ/ 1739م) الذي رحل لطلب العلم في المغرب إلى سجلماسة ثم إلى فاس،كما كان الشيخ أحمد الهلالي يتبنى الطلبة القادمين من توات،فكان مقصدهم المفضّل سجلماسة [7].

و–سلا والرباط :

كانت سلا والرباط منطقتي جهاد بداية القرن 17م،خاصة مع استقرار الأندلسيين فيها ، كما تميزت المدينة بمنشآتها الدينية،فمن مدارسها المدرسة العظمى،والمسجد الأعظم،والمدرسته الجوفية،ومع

---

[1]- محمود شاكر : المرجع السابق، ج14، ص341.

[2]- عبد الله حمادي الادريسي: **قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس سجلماسة ووريثتها تافيلالت**، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2016، ص148.

[3]- محمد حجي:الحركة الفكرية بالمغرب ...، المرجع السابق، ج2،ص 196.

[4]- محمد بن الطيب القادري:نشر المثاني، المصدر السابق،ج2،ص ص222-223.ينظر:عبد العالي المتليني:"**علماء سجلماسة/ تافيلالت بين الإقامة والترحال في العصر الحديث والمعاصر:أعلام كتاب نشر المثاني وقصر تابوعصامت أنموذجا**"، في مجلة التراث، مج10، ع3،جامعة زيان عاشور، الجلفة،أكتوبر2020،ص128.

[5]- محمد بن الطيب القادري:نشر المثاني، المصدر السابق،ج2،ص330.

[6]- المصدر نفسه ،ج2،ص246.

[7]- عبد الكريم طموز: **تحقيق فهرس شيوخ الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي(ت.1152هـ/ 1739م**) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010 ، ص195.

نهاية القرن 11هـ/17م انتعشت بها الحركة العلمية، ومن علمائها نذكر على سبيل المثال :أحمد بن عاشر بن عبد الرحمان السلوي(ت.1169هـ/1750م)،الذي عاصر المولى إسماعيل[1]،و محمد الهاشمي بن محمد اشكلانط الرباطي (ت. 1170هـ/1757م) مفتي سلا والرباط ،وأحمد حجي من متصوفة سلا ، شارك في الجهاد ضد الإسبان في المهدية سنة1681م ، وحظي بمكانة لدى المولى إسماعيل[2]،و الفقيه الصوفي محمد بن محمد العكاري الرباطي(ت. 1092هـ/ 1681م)[3].

ز- مراكش:

يعود تاريخ تشييدها إلى القرن 5هـ/11م، وهي مدينة قديمة كانت توجد منذ الاحتلال الروماني لبلاد المغرب [4]، ويعدّ يوسف بن تاشفين أول من سكن فيها ، وتحديدا سنة 454هـ/ 1062م ، حيث بنى مسجدًا وقصبة، وحينما تولى ابنه علي الحكم تفطّن إلى الأهمية التي أخذت تحظى بها المدينة الجديدة،فأحاطها بالأسوار،استعادت المدينة مكانتها كعاصمة للسعديين خصوصا في عصر أحمد المنصور الذي أعاد ذكرى عصور الموحدين، وقرّب العلماء وأغدق عليهم[5].

ومن مدارسها مدرسة ابن يوسف العظيمة ، ومدرسة القصبة ، ومن أهم جوامعها جامع الأشراف ، وجامع أبي العباس السبتي.لكن مراكش بدأت تفقد قيمتها بوفاة أحمد المنصور وتنافس أبنائه على السلطة، ومع تولي الدولة العلوية الحكم ازداد تهميش المدينة ،ومن أهم معالمها التي كانت مقصدا لكل الوافدين إلى المغرب زيارة قبور الحراس السبعة لمراكش[6].

---

[1]- عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين** ، ط1، مؤسسة الرسالة ،1993،لبنان،ج1، ص257.

[2]- كنيث براون : المرجع السابق، ص77 .

[3]- عبد الرحمان بن زيدان: إتحاف أعلام الناس،المرجع السابق، ج 4، ص115.

[4] - Paul Lambert:**Notice sur la ville de Maroc** ,Bulletin de la société de Geographie de Paris, 1868,pp430-431.

[5]- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ج2، ص152.

[6]- وهم سبعة من الفقهاء المتصوّفة: يوسف بن علي الصنهاجي، القاضي عياض ، أبي القاسم السهيلي، أبي العباس السبتي، محمد بن سليمان الجزولي، سيدي عبد العزيز التباع، سيدي عبد الله الغزواني للاطلاع أكثر ، ينظر: حسن جلاب: **الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال**، ط1، الوراقة الوطنية ، مراكش، 1994.

المبحث الثالث:

المؤسّسات الدينية والتعليمية ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى

كان للمؤسّسات التعليمية دور مهم في النهوض بالحركة العلمية والتعليمية، ونشر الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر والمغرب، ومن أهم المؤسّسات التعليمية في كل من البلدين التي أسندت إليها مهمة التعليم ، وأضحت مهتمة به[1].

1- المؤسسات الدينية والتعليمية في الجزائر:

لم تكن المؤسّسات التعليمية والثقافية وليدة العهد العثماني، بل وُجدت في فترات سابقة له، وتنوعت وكثر عددها في هذه الفترة، سواء في المدن أو الأرياف، وسنحاول ذكر أهم هذه المؤسّسات الدينية والتعليمية، نذكر منها:

أ- الكتاتيب :

هي مفرد للكُتّاب أو المكتب، كما كان يسمى أحيانا، وهي أقل وحدة للتعليم الابتدائي، ويُطلق عليه "لمسيد " لاسيما في الجزائر العاصمة [2].وهي أول مكان يتردّد عليه الطفل في بداية حياته التعليمية، حيث يتلقى مبادئ القراءة والكتابة،وتحفيظ القرآن الكريم،إضافة إلى بعض مبادئ الفقه [3]، بالإضافة إلى تلقين بعض مبادئ الحساب[4].

وتوجد هذه الكتاتيب غالبا في الزوايا وفي الدكاكين، والمساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس[5]. وأُسست الكتاتيب لتجنيب المساجد من ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها[6]، ويتراوح عدد الأطفال بين خمسة عشر وعشرين طفلا ،أعمارهم بين ثلاث إلى أربع سنوات، أما من يرغب في

---

[1]- أحمد مريوش: **الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني**،(ط.خ)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 11 .

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 276.

[3]-فاطمة دخية: **الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغة العربية العربية،قسم الآداب و اللغة العربية،كلية الآداب واللغات،جامعة محمد خيضر،بسكرة،السنة الجامعية: 2014-2015، ص21.

[4]- صبيحة بخوش : "**وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني**"، في مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، مج1، ع2، الجزائر، 30جوان 2008، ص137.

[5]- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص58.

[6]-يحي بوعزيز: "**أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20**"، في مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة ، ع63، الجزائر، 1981، ص15.

مواصلة الدراسة،فيستمر في ذلك من أجل التعلم، وحفظ القرآن كله[1].وقد ذكر عبد الرحمان الجامعي أنه كان بمدينة الجزائر حوالي مائة مكتب مملوءة بالأولاد ، إلى درجة الجلوس على الدرج عندما لايسعهم المكان[2].

ب–المساجد والجوامع :

هناك تداخل بينهما من حيث التسمية ، فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تُؤَدى فيه الصلاة الجامعة، أو الجمعة أو العيدين، ويسمى كذلك جامع الخطبة.وبعض هذه الجوامع يسمى بالجامع الكبير أو الأعظم، غير أن هناك بعض الباحثين يذكرو " المساجد" فقط، ثم يفصلون كبيرها وصغيرها، ماله صومعة، وما ليس له صومعة، وفي الغالب أيضا كانت أسماؤها تُنسب إلى مؤسسها من السياسيين والتجار والعسكريين ونحوهم[3].

وظاهرة الاهتمام ببناء المساجد وتجديدها كان مهما، حيث يتم تشييدها من قبل الحكام أو العامة، من الأثرياء أو الهيئات والجمعيات الخيرية، هذا الاهتمام نابع من دوافع دينية ، وخدمة للمذهب ، فهناك مساجد خاصة بالمذهب الحنفي،وأخرى بالمذهب المالكي.وقد ذكر هايدو وجود مائة مسجد منها تسعة رئيسية[4]، بينما يرى دوفو أنّ هايدو جمع بين المساجد والزوايا ، واعتبر العدد هو 13 جامعا و109 مسجد[5].

وللمساجد والجوامع دور كبير في حياة المجتمع، فهي مركزا للعبادة إلى جانب الوعظ والإرشاد الاجتماعي، وهي مكان للحلقات اليومية، ومحطّة لفنون العلوم التي كانت تدرس، وتتواجد خاصة في الأرياف والمدن، فهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة حيث لاتقوم الزوايا بدورها في بث ما أمكنها من العلوم[6].

ومن أهم المساجد التي كانت موجودة في هذه الفترة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني نذكر منها : الجامع الأعظم المسجد المالكي، وتشير الكتابة الموجودة على محرابه أنّه أُسس في رجب

---

[1]– صبيحة بخوش: "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني" ، المرجع السابق، ص137.

[2]– نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص207.

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص245.

[4]– المرجع نفسه، ج2، ص29.

[5]- Albert DEVOULX**: Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger** ,R. A, volume 9, 1860,p322.

[6]– محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص59.

409هـ/1018م[1]، وقد لقي اهتماما كبيرا من قِبل الحكام العثمانيين، حيث كان يوجد فيه المجلس الشريف، ويتكون من قاضيين ومفتيين من المذهبين الحنفي والمالكي ، ويتولى الفصل في القضايا الكبرى ، ويعقد المجلس أسبوعيا كل يوم خميس ، وهو أشبه بديوان المظالم [2].

وقد قام بعض حكام مدينة الجزائر ببناء المساجد، خدمة للدين والعلم من جهة، ومن باب الشهرة من جهة ثانية، كما عملوا كذلك على صيانتها، وتجديد بنائها، وذُكر أنّ جامع القصبة البراني هو من أقدم المساجد، حيث جاء ذكره في وثيقة مؤرخة سنة 1064هـ/1654م، وبناء الجامع الجديد1070هـ/1660م في مدينة الجزائر،الذي يقع بالقرب من الجامع الكبير، وكان مخصّصا للمذهب الحنفي، وتمّ بناؤه برعاية مؤسسة سُبل الخيرات[3] ،وجامع شعبان باشا1105هـ/1694م ، وجامع حسين داي سنة 1097هـ/1686م ، الذي بُني من قبل الداي حسين مزومورطو[4]، الذي يقع بالقرب من مسجد سيدي عبد الرحمان بمدينة الجزائر 1108هـ/ 1696م[5]، ومسجد عبدي باشا الحنفي 1726م. وبعد تحرير وهران الأول سنة 1708م، أسّس الباي مصطفى بوشلاغم مسجد البرانية أو بني عامر[6]. كما أنّ بعض المساجد كانت تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها أو السوق القريب منها، مثل: مسجد حومة القايد موسى، مسجد حارة السلاوي، والبعض منها نُسب إلى شيخ زاوية معينة أو مؤسّسها من الأولياء الصالحين الذين اعتنوا بتعليم اللغة العربية، مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي مسجد سيدي علي الملياني[7].

---

[1]- مصطفى بن حموش، بدر الدين بلقاضي: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس** ،ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 2007، ص38.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق،ج3، ص439.

[3]-عبد القادر دحدوح :" **أنماط التخطيط المعماري للمآذن العثمانية بالجزائر"**، في مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مج 15، ع15 ، مصر،2012،ص 1443.

[4]- اعقيل نمير :"**المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية** "، في مجلة دراسات تاريخية ، ع 115-116، دمشق،2011، ص ص265- 266.

[5]- عيد القادر دحدوح : أنماط التخطيط المعماري ، المرجع السابق، ص1444.

[6]- يحي بوعزيز: مدينة وهران، المرجع السابق ، ص40.

[7]- صبرينة لنوار:"**مساجد مدينة الجززائر خلال العهد العثماني (القرنين17-18)**"، في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع34، جامعة بابل، العراق، 2017، ص120.

كما شهدت قسنطينة عاصمة بايلك الشرق تأسيس عدّة مساجد ، حيث ذكر أبو القاسم سعد الله حسب وثيقة تعود لسنة 1006هـ/1598م أنّ قسنطينة كانت تضم 71 مسجدا[1]. ومن المساجد الكبرى أو مايسمى بالمساجد الجامعة، من أهمها الجامع الكبير منذ عهد الدولة الحمادية، وجامع القصبة منذ العهد الحفصي، ثم شيدت جوامع أخرى، منها جامع رحبة الصوف (1077-1084هـ/1666-1674)[2]، وجامع سوق الغزل الذي بدأ في بنائه سنة في 1143هـ/1730م وبعده أسس الجامع الأخضر بقسنطبنة سنة 1156هـ/ 1743م، و جامع سيدي المبارك في خنقة سيدي ناجي 1038هـ وأكمل بناءه ابنه[3].

ج- الرباطات والزوايا:

1- الرباطات :

بدأت نشأة الثغور والرُّبط في التنظيم الإداري والعسكري الإسلامي في بلاد الشام والعراق، وبقية الحدود الشرقية للعالم الإسلامي، في حروبهم ضد الفرس والرّوم ، إذ أنّ الفتوحات الإسلامية جعلت الأعمال الثغرية والربطية ضمن التعبئة العسكرية[4].

الرباط اسم من رابطة مرابطة، وهو الإقامة على جهاد العدو بالحرب ورباط الخيل وإعدادها ، والمرابط هو الزاهد العابد الذي نزّه نفسه عن الدنيا وأقام ورابط بالثغور لحماية الأراضي الإسلامية من هجمات الأعداء[5]، والرابطات هي مراكز تشبه إلى حد بعيد الزوايا في وظائفها الاجتماعية و الثقافية إلّا أنّ مكان تواجدها يكون قريبا من مواقع الأعداء،ولا تقتصر الرابطات على مهمة الدفاع عن المواطن، و الحفاظ على تراثه الإسلامي بل تقوم أيضا بوظيفة التعليم[6]، ففي الجزائر في العهد العثماني

1- أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1،هامش ص248.

2-عبد القادر دحدوح:"**أثر التوجيهات الدينية في عمران وعمارة مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني**"،ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الإسلام في بلاد المغرب ودوره ، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011، ص ص65-66.

3- عبد القادر دحدوح :"**التأثيرات المعمارية والفنية العثمانية بمدينة قسنطينة** "، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 43، منشورات التميمي للبحث العلمي، تونس،2011، ص133.

4- محمد الأمين بلغيث: **الرّبط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، ط1،القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013،ص48.

5- المرجع نفسه، ص43.

6- مختارية تراري: "**التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية و التربوية المعاصرة**"، في مجلة إنسانيات، ع14-15، وهران، 2001، ص59.

كان يرابط فيها الطلبة والعلماء للتعبد والحراسة ، وقد انتشرت بكثرة قرب مدينة وهران، والتي كان بها رباطان، الأول في السفح الشمالي الشرقي لجبل مرجاجو، يدعى رباط صلب الفتح أسس قبل الاحتلال الإسباني. أما الثاني يسمى رباط مائدة، أُسس لمقاومة الاحتلال الإسباني[1]، وقد ساهم بايات بايلك الغرب في ترسيخ دور الرباط من أجل استرجاع المدينة من الإسبان ،وقد برز ذلك في التحرير الأول لمدينة وهران سنة 1708م ، كما كان للرباط إسهام علمي ، بحكم مايتوفر عليه من علماء وطلبة ، فتحول الرباط إلى مؤسسة علمية .

2- الزوايا :

هناك عدّة تعريفات للزاوية، فهناك من يعرفها بأنّها "عبارة عن مجمّعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام،تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم العربية، وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام ، وتخزين المواد الغذائية " [2].

كما تُلقى فيها الدروس للطلبة الكبار، وقد تكون ملجأ للطلبة أو العلماء الغرباء ، حيث يجدون فيها المأوى مجانا، والزاوية أحيانا عبارة عن ضريح لعالم، أو رجل صالح وتحتوي على مسجد[3]. فهناك زوايا خاصة بالتعليم فقط ، وهناك زوايا الضريح، وهي خاصة بالمتصوفة الذين يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين، وعند وفاته تصبح زاوية باسمه[4] ؛ حيث أن الأضرحة في الكثير من الأحيان هي النواة التي بنيت حولها الزوايا،وكانت الزوايا قلعة من قلاع العلم والمعرفة ، لما تؤديه من توعية للعقول وتربية للنفوس[5].وتميزت الجزائر في العهد العثماني بكثرة الزوايا خاصة في الأرياف التي كانت تفتقر للمراكز التعليمية ، إضافة إلى انتشار الطرق الصوفية فيها ، فكان لها دور كبير في نشر التعليم في الأرياف[6].

1- خديجة موصدق : "**الرباط في مدينة وهران وبعده الثقافي والعلمي** "، في المجلة الجزائرية للمخطوطات ، مج11، ع 12، جامعة أحمد بن بلة ، وهران، جانفي 2015،ص319.

2- يحي بوعزيز: "أوضاع المؤسسات الدينية ....."، المرجع السابق ، ص16.

3- نور الدين عبد القادر:المرجع السابق ، ص161.

4- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص262-263.

5- حميد آيت حبوش : "**واقع التعليم أواخر العهد العثماني**"،في مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا،مج4، ع7، 2017، ص9.

6- المرجع نفسه، ص9.

أما في المدن فبالإضافة إلى جانبها التعليمي فقد كانت مسكنًا للطلبة الوافدين على العواصم[1]، وأصبحت تنافس المدارس الكبرى من حيث التعليم ، وقصدها الطلبة من أجل التعلم والتثقف، ومع مرور الزمن احتلت الصدارة بين المؤسسات الثقافية، الأمر الذي سمح لها بالجمع بين الوظيفتين الدينية والتعليمية، فعادة ما كانت تمثل المسجد والدراسة في آن واحد؛ فهي مركز للعبادة، و لتدريس علوم الدين والفقه وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، إضافة إلى كونها ملجأ لعابري السبيل[2].

ومن أشهر الزوايا التي كانت موجودة في مدينة الجزائر زاوية المسجد الكبير تأسّست سنة 1629م على يد سعيد بن ابراهيم المفتي المالكي، زاوية الشرفاء تعود إلى قبل سنة 1612م ،و زاوية الأندلسيين سنة 1623م،وزاوية سيدي الهلال التي بها مسجد سنة 1679م ،وزاوية سيدي سعيد ، وزاوية سيدي صاحب الطريق تعود إلى سنة 1689م [3].

ومن بين الزوايا التي أسّسها رجال السلطة زاوية الأشراف التي أسسها الداي محمد بكداش بمدينة الجزائر سنة 1121هـ/1709م، وأوقف عليها أوقافا متنوعة،وجعل من بين موظفيها مدرّسا[4].

د- المدارس:

هي أمكنة خُصّصت لإلقاء الدروس، وتعليم الطلبة وفق نظام خاص يحكم المدرسة، وقد كثرت المدارس الابتدائية في الجزائر؛حيث لا يكاد يخلو منها حي من الأحياء في المدينة، أو في قرى في الريف،بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال، وهذا ما جعل كل من زائري الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس[5].وقد اختلف في إحصاء عددها، فهناك من يدخل الزوايا والمساجد في عداد المدارس، بحكم قيامهما بوظيفة التعليم. ومن المدارس التي كانت موجودة في مدينة الجزائر مدرسة ميزومورطو، درسة حي القسايرة التي أوقف عليها الحاج محمد داي الجزائر سنة 1089هـ/1678م ، مدرسة سيدي الديوان ، ومدرسة بناها علي باشا سنة1125هـ/ 1713م ،

---

[1]- رقية الشارف: **الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 و بداية القرن 19 م دراسة تحليلية نقدية**، ط1، دار الملكية،الجزائر،2007 ص45.

[2]- صبيحة بخوش: "وضعية التعليم .." ، المرجع السابق ، ص139.

[3]- DEVOULX:Op.Cit,p326.

[4]- فوزية لزغم: المرجع السابق، هامش ص63.

[5]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص274.

ومدرسة ساحة الجنينة سنة 1079هـ/1668م[1].ويلتحق بعض التلاميذ بالثانوي ومؤسساته من مساجد ومدارس وزوايا بعد الانتهاء من المرحلة الابتدائية حسب الظروف والإمكانيات والميول[2]. وهي المدارس التي كانت توجد في المدن الرئيسية الجزائر، قسنطينة، بجاية ،مازونة ،تلمسان ، وأما وهران فقد حولت مدارسها ومساجدها إلى كنائس من قبل الإسبان بعد احتلالها سنة 1509م[3].

ويُعرفها أبو راس الناصري[4] :" تبنى لدراسة العلم ؛أي لتعليمه وتعلمه"[5] ، وهنا لم يكن المقصود من تعريفه الزاوية أو المسجد، بل هي المدرسة المستقلة المتخصّصة في التعليم وحده، بشطريه الثانوي والعالي[6].

ومن أهم المدارس التي وجدت في تلك الفترة وكانت مصدر إشعاع علمي، ففي بايلك الغرب كانت المدرسة المازونية، التي شيدها الفقيه محمد الشارف الأندلسي المازوني سنة 1000هـ/1590م واشتهرت بتدريس الحديث وعلم الكلام والفقه. وكانت ملتقى العلماء ومقرا للمبادلات الفكرية،وأدّت دورا مهما في نشر الثقافة والعلوم[7].

1- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص277.

2- سعدية رقاد:**المؤسسات العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني 1700-1830**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،شعبة التاريخ،جامعة أحمد بن بلة بوهران ،السنة الجامعية: 2018-2019، ص249.

3- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص374.

4- ولد سنة1150هـ/1737م بمعسكر، نشأفيها ثم رحل رفقة والده إلى نواحي متيجةثم رحل إلى مجاجة بالشلف ، ثم عاد إلى معسكر، تتلمذ على يد عبد القادر المشرفي، تولى الناصري القضاء في غريس ، ثم تولّى مهمة التدريس والإفتاء، توفي سنة 1238هـ/ 1823م، ينظر: أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته...،المصدر السابق،ص25.

5- أبو راس الناصري: **عجائب الاسفار ولطائف الأخبار**، تق.تح: محمد غالم ،المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية – وهران، الجزائر، 2005، ص79.

6- حمدادو بن عمر: **"واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب"**،في مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج7، ع4، ص27.

7- مولاي بالحميسي: **"دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن العشرين"**، في مجلة العصر ، ع 11،الجزائر، 1997م، ص8. ينظر أيضا:فتيحة الواليش : **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1993- 1994م، ص169.

ومن المدارس التي كانت بمثابة معاهد مدرسة أولاد الإمام التي أسسها أبو موسى حمو الأول في بداية القرن 8هـ/14م[1]،والمدرسة التاشفينية أو الجامع الكبير ،ورغم أن تلمسان فقدت بعض إشعاعها، لكن ظلت مدارسها من أهم المعاهد العليا[2]. كما توفرت قسنطينة على عدة مدارس خلال العهد العثماني ،حيث كان بها حوالي سبعة وتسعين، منها سبع ثانويات، والباقي كان في شكل كتاتيب، وهي بمثابة مدارس ابتدائية[3]، حيث يذكر عبد الكريم الفكون "مدرسة آل الفكون ومدرسة أفوناس"، و"مكتب ابن الفكون" و"مكتب سيدي علي بن مخلوف"[4].

ولم تكن الجزائر تتوفر على جامعة ،كما هو شأن جامع الزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب، التي تُقدم تعليما من المستوى العالي، إلا أنّ أبا القاسم سعد الله ذكر أنّ دروس جوامعها كانت تضاهي بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق [5]، ففي مدينة الجزائر كان الجامع الكبير ومدرسته العليا ، حيث ساهم أبرز العلماء في حضور المذهب المالكي ،ومنهم علي الأنصاري السجلماسي،وسعيد قدورة وأولاده من بعده أحمد (ت.1118هـ/1706م)،وعلال (ت.1118هـ/1706م) ، ومحمد قدورة (ت.1120هـ/1708م)[6]، كما كان للجامع الكبير دور في جعل مدينة الجزائر منارة للعلوم تستقطب علماء البلدان الإسلامية من أجل الحصول على إجازات من علمائها، ولعلّ من أشهرهم ابن زاكور الفاسي.أما في قسنطينة فدروس عبد الكريم الفكون، وأحمد العباسي وعبد القادر الراشدي،بالإضافة لدروس أحمد البوني في عنابة، فهي تجذب إليها العلماء والطلبة من كل حدب ،وذلك بفضل اجتهاد علمائها[7].

---

[1]- فاطمة الزهراء عمارة: **المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2009-2010 ، ص34.

[2] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص275.

[3]- عبد القادر دحدوح:"**المدارس الأثرية بالجزائر خلال العهد العثماني**"،في مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع20، بغداد، العراق، 2017، ص138.

[4]-عبد الكريم الفكون :المصدر السابق،ص ص 50-51.ينظر:عبد القادر دحدوح:أثر التوجيهات،المرجع السابق، ص64.

[5]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص274.

[6]- صالح بوبشيش: المرجع السابق، ص152.

[7]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص273.

هـ- المكتبات:

كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، وتكشف عبارات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال، واندهاشهم من كثرة الكتب التي وجدوها ومن تنوعها ومن جمالها والعناية بها[1].

ولما كانت السيادة في العهد العثماني للعلوم الدينية، فإنّ محتوى المكتبات كان أغلبه لا يخرج عن هذه العلوم.فأغلبها من كتب التفاسير والقراءات والأحاديث النبوية،وشروحها،وكتب الفقه والأصول، وتصل الكتب إلى الجزائر عن طريق المهاجرين الأندلسيين أو العثمانيين،أو عن طريق الرحلات إلى مصر والحجاز واسطنبول ، وكذا رحلاتهم إلى المغرب الأقصى[2].

وذكر ابن حمادوش في رحلته إلى المغرب أنه قد اشترى ونسخ مجموعة من الكتب ،هناك مع ذكر أثمانها وأسمائها ، كان يشتغل بالكتب في مدينة الجزائر بيعا وتجليدا ونسخا، وقد كان في مدينة الجزائر سوق يدعى سوق الوراقين، مخصصا لبيع الكتب، يكثر فيه النساخون[3].

وَوُجدت المكتبات الخاصة، وهي خاصة بالبيوتات العلمية كمكتبة سعيد قدورة ، ومكتبة الفكون في قسنطينة ، ولم تشمل المكتبات الخاصة البيوتات العلمية فقط بل حتى القادة العرب من الريف مثل ابن صخري(ت.1047هـ/1637م)[4].أما المكتبات العامة فهي التي كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس[5]، منها مكتبة الجامع الأعظم ،توجد بها كتب عديد منها ما اشتراه سعيد قدورة من مال الوقف، وقد تعرضت الكتب للإهمال مما أدى إلى ضياعها ، ومن ذلك أنه بعد وفاة ابن ميمون ضاع أربعين كتابا من مكتبة الجامع الأعظم[6]،كما تعرض لهجمات الأوربيين مما اضطر لحمل مكتبة الجامع للحفاظ عليها، ومكتبة جامع صفر ومكتبة سيدي رمضان [7].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص284.

[2]- المرجع نفسه،ج1، ص289.

[3]- نفسه، ص292.

[4]- نفسه، ص293.

[5]- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق ، ص61.

[6]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص300.

[7]- نعيمة بوحمشوش وأخريات: مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المرجع السابق،ص ص 279-280.

وكانت بتلمسان خلال القرن 11هـ/17م عدّة مكتبات عامة ملحقة بالمساجد ومكتبات في زاوية الخنقة وزاوية آقبو[1].

وقد انتشرت المكتبات في أغلب حواضر الجزائر،سواء في الشمال أو الجنوب، فنجد العياشي يتحدّث في رحلته عن مكتبة ورقلة، ومكتبة الشيخ محمد بن اسماعيل(ت.1064هـ/1654م) بتكورارن (قورارة)، وقد خلف كتبا كثيرة فيها، وأوصى بأخذ مكتبته إلى المدينة المنورة ، لكن وصيته لم تنفد، حيث تخوفوا من ظُلام مصر ، فنقلوها إلى المنيعة ، وكان عددها حوالي 1500 كتاب، نقل منها 170كتاب فيما بعد إلى المدينة المنورة[2].

2- المؤسسات الثقافية في المغرب الأقصى :

أ – الكتاتيب:

هي بمنزلة المدارس الابتدائية اليوم، ثم صارت تطلق على المحلات التي يتعلم فيها القرآن مع مبادئ الدين،إلا أننا نجد أن لفظ الكتاتيب قلّما يروج في المغرب، فكان يطلق عليهم" الإحضار"[3] ، وكانت الكتاتيب في الغالب تلحق بالمساجد وتؤسس إلى جانبها ، وقد أنشأ المولى إسماعيل عدة كتاتيب في مكناس ، وكان يتوخى من إنشائها أن تكون بقرب المساجد، حتى يكون هناك ربط بين الكتاب والمسجد بالنسبة للأطفال[4]. وقد انتشرت الكتاتيب القرآنية في سوس وسبتة وسجلماسة.

ب – المساجد والجوامع :

اهتم سلاطين الدولة العلوية بتشييد المساجد وتجديدها ، والتي كانت لها دور في الحلقات العلمية، إذ جدّد المولى الرشيد سنة 1082هـ/1671م الجامع الأعظم بتارودانت،وفي عهد المولى إسماعيل أسّس وجدد عددا من المساجد ،منها مسجد آسفي 1105هـ/1693م ، ومسجد درب الزهراء بالرباط[5]،وفي مكناس مسجد باب البردعين سنة 1112هـ/1709م،ومسجد الزيتونة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص ص296-297.

[2]- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية "ماء الموائد"**، تح:أحمد فريد المزيردي، ط2، دار الكتب العلمية ، 2011،ج1،ص108.

[3]- محمد مختار السوسي: مدارس سوس العتيقة، المرجع السابق، ص9.

[4]- عبد الكريم العيوني: **إسهام الوقف في تمويل المؤسسات التعليمية والثقافية بالمغرب خلال القرن العشرين** ، ط1، دار الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2011 ، ص39.

[5]- محمد الأخضر: المرجع السابق ، ص74.

ومسجد سيدي سعيد[1]. كما أسّس مسجد الرخام بجانب ضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب[2]،وجدّد مسجد"لالة اعودة"الذي أسّسه المرينيون[3]،ومسجد بريمة والصهريج 1130هـ/ 1718م ، ومسجد الشهود في نفس التاريخ بمكناس،والتي بلغ عدد مساجدها في عهد المولى إسماعيل مايزيد عن مئة وأربعين مسجدا أهمها: المسجد الأعظم ، مسجد القصبة ، مسجد النجارين، جامع الزيتونة، مسجد البريمة التي أنشأها ، إضافة إلى مسجد الرخام ، جامع الحجاج ، مسجد العنبري، مسجد الخضراء، مسجد الحريشي، مسجد سيدي زكرار، مسجد الرياض[4]. كما وجدت عدّة مدارس في مختلف أنحاء المغرب، منها في سوس التي أُنشئت فيها عدّة مدارس منها مدرسة تسمى بالرباط في تيزنت ،كما كانت هناك مدارس تابعة للزوايا كالزاوية الدلائية [5].

ج– الزوايا :

لقد كان للزوايا دور كبير في انتعاش الحركة التعليمية والدينية في المغرب، خاصة في النصف الثاني للقرن 17م ،بعد تأثر الأوضاع الثقافية بالظروف السياسية التي عاشها المغرب. ويذكر القادري: " إنّه لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم: محمد بن أبي بكر الدلائي في ملوية من بلاد فزاز،وسيدي محمد بن ناصر في الصحراء، وسيدي عبد القادر الفاسي بفاس" [6]. فلولا هذه الشخصيات التي تنتمي إلى ثلاث زوايا هي: الدلائية[7] ، الناصرية والفاسية، إلى جانب زوايا أخرى[8].

[1]– أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحاجي الواداني:المصدر السابق، هامش ص65.

[2]– محمد القبلي: المرجع السابق، ص415.

[3]– أحمد بودهان:"**المسجد ودوره الحضاري في الغرب في المغرب الاسلامي من عهد الولاة إلى عهد الحسن الثاني**" ، في مجلة دعوة الحق، ع308، المغرب، 1995،ص97.

[4]– رقية بلمقدم: **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل**،ط1،وزارة الأوقاف ،المغرب،1992،ج1، ص58.

[5]– مفيد الزيدي: تطور التعليم في المغرب الأقصى، المرجع السابق ،ص203.

[6]– محمد بن الطيب القادري:نشر المثاني..، المصدر السابق، ج2، ص ص274-275.

[7]– أسسها أبو بكر بن محمد الدلائي سنة 974هـ/1566م بمنطقة الدلاء بالأطلس المتوسط ، ينظر: شريف الهداية ، إسماعيل إيت عبد الرفيع: **الزاوية الدلائية ودورها في إثراء الحركة الأدبية**، 2008/7/25،ص5.

[8]– بنعيسى النية،عياشي قبوسي: "**دور التصوف الروحي السني في الإصلاح الديني والإرشاد التعليمي بالمغرب**"، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب، المرجع السابق ،ص273.

فاهتمام الدلائيين في البداية كان بالناحيتين الدينية والعلمية،فكانت زاويتهم مقر الدعوة والإشعاع والتوجيه والإرشاد[1].ورغم تحولهم إلى الاهتمام بالجانب السياسي ظلّت الزاوية مركزا ثقافيا هاما تشد إليه رحال طلبة العلم من مختلف بلاد المغرب وخارجها ، وكثرت فيها المدارس التي ازدحمت بالطلاب الذين أقاموا فيها، وكان ينفق عليهم محمد بن أبي بكر الدلائي[2]، وتكونت فيها خزانة الزاوية التي كانت بمثابة خزانة الحاكم المستنصر في الأندلس، وقد استحوذ المولى الرشيد عليها بعد تخريبه الزاوية سنة1079هـ/1668م،حيث حبس بعضا منها على خزانة المسجد الكبير بمكناس[3]، ونقل علماءها إلى فاس ومنهم محمد المرابط (ت.1098هـ/1678م)، ومحمد الشاذلي(ت.1103هـ/1691م) ، ومحمد بن سعيد المرغيشي(ت. 1089-1679م) ، بالإضافة إلى أحمد بن المسناوي ، ومحمد بن أبي عمر، وأحمد بن الشاذلي ، محمد بن عبد الله بن محمد الحاج، والحسن اليوسي [4].

وأما الزاوية الناصرية [5]، فقد لاقت رواجا وانتشارا داخل المغرب وخارجه،حيث تخرج منها الإمام الحسن اليوسي وأبو سالم العياشي ،وأما الزاوية الفاسية التي أدّت دورا في عهد الشيخ عبد القادر الفاسي[6]، الذي كان يعيش من نسخ الكتب، وقد تتلمذ على يديه أبوسالم العياشي،وعبد السلام القادري، عبد السلام جسوس،ومحمد العربي الفشتالي،و أحمد بن يعقوب الولالي،وأحمد بن عبد الحي الحلبي، ومحمد العربي بن أحمد بردلة [7]،والطيب المسناوي الدلائي.وبعد نقل الدلائيين إلى فاس كثر عدد طلبتهم في زاوية القلقليين بفاس[8].

---

[1]- عبد الله التليدي: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**،ط4،دار الأمان، الرباط ، 2003، ص187.

[2]- شريف الهداية ، إسماعيل إيت عبد الرفيع: المرجع السابق،ص6.

[3]- بنعيسى النية،عياشي قبوسي: المرجع السابق، ص276.

[4]- محمد الأخضر: المرجع السابق، ص71.

[5]- أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري سنة 983هـ/1575م،خلفه عبد الله بن حسين (ت.1085هـ/1674م)، ثم أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي ومن هنا جاء اسم الزاوية الناصرية.ينظر: بنعيسى النية: المرجع السابق، ص278.

[6]- عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفهري ، ولد بالقصر الكبير سنة 1007هـ/1599م ،ودرس فيها على يد والده وغيره من العلماء الفقه والنحو والحديث،وفي سنة 1025هـ/1616م انتقل إلى زاوية القلقيين بفاس ،وتوفي سنة 1091هـ/1680م، ينظر:محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر، المصدر السابق، ص77.

[7]- محمد الأخضر: المرجع السابق، ص103.

[8]- محمد حجي: الزاوية الدلائية ، المرجع السابق، ص67.

كما كان للزوايا الأخرى دور هام في المجال التعليمي، ومنها الزاوية العياشية،التي أسّسها محمد بن أبي بكر العياشي عام 1044هـ/1635م، بمنطقة آيت عياش في سفح جبل العياشي أحد جبال درت الأطلس الكبير[1]،و كانت تسمى بزاوية سيدي حمزة،ولما آل أمر الزاوية إلى أبي سالم العياشي أخد يشتغل فيها بتدريس العلم ،وعمل على تنشيط الحركة العلمية،لكن لماجاء السلطان الرشيد نزح أهلها عنها إلى فاس، ومنهم حمزة بن أبي سالم العياشي الذي تلقى العلم على يد محمد المسناوي الدلائي[2] إلى أن جاء المولى إسماعيل وأرجع آل عياش إلى زاويتهم سنة1083 هـ/1672م[3]. وزاوية مولاي عبد الله الشريف الوزاني بِوَزان (ت.1089هـ/1678م) ، ومن أهم العلوم التي ساهمت في تدريسها هذه الزوايا العلوم الشرعية والعقلية ، وتلقين الأذكار والأوردة واقتناء الكتب واستنساخها .

وهكذا يتضح أن الزاوية المغربية في منتصف القرن 11هـ/ 17م ، قد لعبت دورا بارزا في دعم الثقافة والفكر ببلاد المغرب ، وفي احتضان الشعر والشعراء على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم، كما استطاعت أن تطبع مرحلة من مراحل المسيرة الأدبية بالمغرب بسمات متميزة، لاشك أنها نتيجة لما عرفه المغرب آنذاك من أوضاع اجتماعية وسياسية مزرية.

د- المدارس:

لقد كان في المغرب عدد كبير من المدارس قبل وصول العلويين إلى الحكم ، وفي عهدهم زاد اهتمامهم بالعلم وتجدّد نشاط الحركة العلمية والأدبية ، ففي عهد المولى الرشيد ظهرت بوادر نهضة، تحدث عنها كثير من المؤرخين؛كالإفراني الذي قال :"و في أيامه كثر العلم وظهر للعلماء أُبهة ورياسة، واعتز العلم و أهله وكانت أيامه سكونا و دعة و رخاء عظيما"[4]،كما سجل هذا العلامة اليوسي في رسالته إلى المولى إسماعيل يقول فيها: «جاء المولى الرشيد بن الشريف فأعلى منارة العلم و أكرم العلماء إكراما لم يعهد و أعطاهم مالا...»[5].

1- عبد الله بنصر علوي:" **من شخصيات الزاوية العياشية (أبو سالم العياشي)**"، في مجلة دعوة الحق، ع248، المغرب، 1985، ص145.

2- عبد السلام بن سودة: **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**،ط1، المطبعة الحسينية، المغرب، 1950، ص222.

3- محمد حجي:الزاوية الدلائية، المرجع السابق ،ص65.

4- محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي ...، المصدر السابق،ص428.

5- فاطمة خليل القبلي: **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**،ط1، دار الثقافة ، المغرب،1981،ج1، ص147.

فإلى جانب اهتمامه بالعلم شيد المدارس ، فأمر ببناء مدرسة في مراكش وأخرى شرع في بنائها، و هي مدرسة الشراطين بفاس في عام 1081هـ/1670م[1]تحتوي على مائة غرفة لكي تستقبل الطلبة من داخل وخارج المغرب[2]،ولم ينته من بنائها إلا في سنة 1678/1089م في عهد المولى إسماعيل[3].

كما اهتم بمدرسة «الصفارين» بفاس لتكون مقرا لتعليم الطلبة وسكنهم، وجامع القرويين الذي حظي باهتمام العديد من الباحثين في عدة تخصصات[4]. وبنيت عدة مدارس منها مدرسة ابن صالح بمراكش، ومدرسة ابن يوسف،ومدرسة المواسين، ومدرسة الزاوية العباسية، ومدرسة باب دكالة، ومدرسة القصبة، استقبلت الآلاف من الطلبة الوافدين على مراكش[5].

هـ– الخزانات العلمية:

تستلزم الحركة العلمية وجود مكتبات غنية بالكتب ،وقد انقسمت الخزانات إلى عامة وخاصة . الأولى ملحقة بالمساجد والمدارس والمستشفيات والزوايا،ومن أهمها في المغرب خزانة القرويين بفاس التي تأسّست في عهد المرينيين منتصف القرن الثامن الهجري[6].

ومع وصول العلويين،أولى الرشيد عناية خاصة بها وعمل على تنظيمها،كما اهتم بها المولى إسماعيل من بعده وأهدى إليها الكتب[7]،وقد وجدت العديد من الخزانات في فاس كخزانة جامع الأندلس وخزانة جامع الشرفا[8].كما توفرت العديد من المساجد على الخزائن في مكناس،كخزانة المسجد الكبير ، التي نقل إليها المولى الرشيد إليها مجموعة من كتب الزاوية الدلائية[9].

[1]– إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق،ج3، ص213.

[2]– المرجع نفسه،ص535.

[3] – محمد الأخضر: المرجع السابق، ص68.

[4]–حسن عزوزي: **إسهام الجامعات الإسلامية في الحضارة الإنسانية**،ط1،منشورات إينيسكو، الرباط، 2010، ص 25.

[5]– الحسين أحمد ريوش: **وقف الكتب وازدهار الحركة العلمية خزانة جامع القرويين أنموذجا**، ط1،دار الأكاديميون، الأردن، 2016،ص 113.

[6]– علي الغزيوي:"**خزانة القرويين بين الماضي والحاضر والمستشرف من خلال نماذج من الوثائق السلطانية**"، في مجلة دعوة الحق، ع 363،المغرب،2002،ص28 .

[7]–عبد الهادي التازي: جامع القرويين، المرجع السابق، ج3، ص668.

[8]– السعيد بوركبة: السعيد بوركبة: **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، ج1، المغرب، 1996، ص252.

[9]– بن بنعيسى النية،عياشي قبوسي: المرجع السابق، ص276.

بالإضافة إلى الخزانة التي أنشأها المولى إسماعيل وألحقها بجامع الأنوار، ووقفها على عموم القراء ، وقد بلغ عدد كتبها عشرة آلاف كتاب [1]. وخزانة الزاوية الدلائية ،و الزاوية الناصرية،والتي أسست في عهد عبد الله بن ناصر، ثم اعتنى بها ابنه وعمل على تزويدها بالعديد من المؤلفات من المشرق والمغرب[2].

وأما الخزانات الخاصة،فهي التي أنشأها العلماء والملوك والأمراء والميسورون في بيوتهم [3]، فقد أسس المولى الرشيد،الذي كان عالما وراعيا للآداب، وأنعش النشاط الفكري في المغرب ، خزانة علمية بفاس الجديد، وهي نواة الخزانة الملكية عند العلويين ، ونقل فيها ماغنمه من كتب الزوايا، ومنها كتب الزاوية الدلائية،والتي كانت تضم أربعمائة ألف كتاب[4]،كما أحدث المولى الرشيد ديوان الوراقة لاستنساخ المخطوطات وجعله متصلا بالخزانة، وذلك لتزويد المكتبة الملكية، وكان كاتبه الأول هو المؤذن الكاتب السجلماسي[5].

وبعد تولي المولى إسماعيل اهتم بالكتب، فقال عنه الإفراني: «وأما آلات العلم وجمع الكتب ونفائس الذخائر، فله نصره الله في ذلك المهمة البالغة، والرغبة السابغة، وقد جمع من الدفاتر ما يحير العاقل"[6] ، كما اشتهر السلطان مولاي إسماعيل بجلب النساخين والوراقين المهرة من فاس إلى مكناس لنسخ الكتب العلمية وكتابتها بمختلف الخطوط المغربية، وتزيينها بالألوان العديدة والذهب المحلول[7].

واهتم السلطان مولاي إسماعيل بوضع الفهارس للكتب بخزائن الحواضر الكبرى، خدمةً لطلبة العلم والمؤلفين. وكانت مصنّفة حسب العلوم والفنون، فمنها ما هو خاص بالمصاحف، ومنها ما هو خاص بالتفسير، أو القراءات، أو كتب الحديث، أو التصوف، أو الفقه، أو التاريخ، أو علم الكلام، أو المنطق، أو الأصول، أو التوقيت، أو الحساب و الطب[8].

---

[1]- رقية بلمقدم:المرجع السابق،ج1،ص236.

[2]- محمد المنوني: **دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية لتامكروت**،ط1،وزارة الأوقاف،المحمدية،1985،ص ص 24-25.

[3]- محمد حجي: الحركة الفكرية.. ، المرجع السابق،ج1، ص188. ينظر: عبد الكريم العيوني: المرجع السابق ،ص46.

[4]- بنعيسى النية،عياشي قبوسي: المرجع السابق، ص276.

[5]- شوقي بنين:المرجع السابق، ص95.

[6]- محمد الصغير الإفراني: روضة التعريف، المصدر السابق، ص83.

[7]- أحمد إيشرخان: "**جهود السلطان مولاي إسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية وازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث (1082-1139هـ/1672-1727م)** "، في مجلة دعوة الحق، ع404،المغرب،2013، ص160.

[8]-عبد الهادي التازي: **جامع القرويين**، ط2،دار نشر المعرفة ،الرباط،المغرب،2000، مج3، ص668.

كما أسّس خزانة علمية بمكناس المعروفة بالخزانة الإسماعيلية ، فنقل محتويات خزانة المولى الرشيد إليها، وقد احتوت على النفائس والنوادر من الكتب، بلغ عددها في عهده اثني عشر ألف مخطوط، وضعها تحت إشراف كبير وزرائه الفقيه أبي العباس أحمد بن الحسن اليحمدي[1]،وعمل على استعادة مخطوطات السلطان المولى زيدان التي كانت في مكتبة الأسكوريال الإسبانية.ومن ذلك إرساله لسفارة الغساني مستغلا وقوع بعض الأسرى الإسبان تحت يديه فيطلب أن يعطوه في مقابل الخمسين أسيرا نصرانيا من المائة التي كانت عنده خمسة آلاف كتاب، مائة كتاب عن كل نصراني[2].

2- الكراسي العلمية :

تعد ظاهرة الكراسي العلمية في المغرب تقليدا علميا شاع في المشرق [3]، وقد وجدت في الجزائر والمغرب منذ العصر الزياني والمريني ، نتيجة ازدهار الفكر والثقافة، واتساع مجال العلوم والفنون، وهي بمثابة مناصب علمية مرموقة تخصص لتدريس علم من العلوم أو كتب معينة، وقد لاقت ازدهارا وتشجيعا في عهد الدولة العلوية،وكانت تحبس عليها أوقافا، صادرة عن الملوك والأمراء والأفراد،تشمل وقف عقارات وأملاك على العلماء والمحدثين، للتدريس بهذه الكراسي، التي كلّما كثر عددها تكثر أملاك الوقف عليها لما تؤمنه لهذه الكراسي و المجالس العلمية من استمرارية[4].

وقد وجدت الكراسي العلمية خاصة في الجامع الأعظم ، وكان العلماء يلقون دروسهم فيه، سواء من داخل الجزائر أو خارجها خاصة العلماء المغاربة خلال زياراتهم لها، أما في المغرب فكانت ولاية كرسي التدريس بالقرويين بعد تطورها خاصة في العهد العلوي تعتبر منصبا ساميا، لا تصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده، وهو ما يبرز لنا القيمة التي حظيت بها هذه الكراسي[5] ، فكانت تعقد بالمساجد والمدارس الكبرى،ووسيلة من وسائل الارتقاء والنهوض بالتعليم في بداية عهد الدولة العلوية فكانت تقوم بتدريس العلوم، وأشرف عليها علماء مُتمكنون في الفقه والتفسير والحديث [6].

---

[1]- أحمد إيشرخان: المرجع السابق، ص161.

[2]-عبد الهادي التازي: جامع القرويين، المرجع السابق،ج3، ص668.

[3]- السعيد بوركبة: المرجع السابق، ص193.

[4]- يوسف الكتاني: "**ظاهرة الكراسي العلمية** "،في مجلة دعوة الحق ، ع 244، المغرب، 1985، ص102.

[5]- خالد صقلي:" **الكراسي العلمية بين الأهمية والدور الفاعل في تقويم السلوك وتقريب المذهب وتمثين العقيدة نموذج**:**كراسي جامع القرويين بفاس**"، في مجلة عصور الجديدة،مج7، ع27،وهران، الجزائر، أكتوبر 2017، ص47.

[6]- السعيد بوركبة: المرجع السابق، ص163.

ومن العلماء الذين ساهموا بعلمهم في الكراسي العلمية التي في الحديث أبو زيد عبد الرحمان بن أبي القاسم القاضي (ت.1082هـ/1672م) وأبو عبد الله محمد المرابط الدلائي(ت. 1089هـ/ 1678م) من الدلائيين الذين نقلهم المولى الرشيد إلى فاس، أبو سالم العياشي(ت. 1090هـ/ 1679م)، عبد القادر بن علي الفاسي (ت.1091هـ/1680م) ،الشيخ محمد بن سليمان الروداني (ت.1094هـ/1683م)،عبد الرحمان بن القادر الفاسي(ت. 1096هـ/1685م)، أبو العباس أحمد بن الحاج العربي(ت.1109هـ/1697م) ،محمد المهدي الفاسي (ت. 1109هـ/1698م) ، أبو عبد الله محمد بن حمدون الأندلسي(ت.1110هـ/1698م) ،و الكماد القسنطيني(ت. 1116هـ/1704م)، ومحمد المسناوي الدلائي (ت.1136هـ /1724م)،والفقيه أبو العلاء إدريس المنجرة (ت.1137هـ /1724م) ، وغيرهم من العلماء الذين ساهموا في مختلف العلوم[1].

ومن الكراسي العلمية التي اشتهرت في جامع القرويين ، الذي اشتمل على 18كرسيا ، بقيت مستمرة العطاء في عهد المولى إسماعيل، منها: كرسي المحراب الذي اختص بتفسير القرآن للثعالبي، ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 651هـ/1253م ، كرسي ظهر خصة العين ، كرسي ظهر الصومعة ، كرسي الورياغلي ، كرسي الركن الشمالي الشرقي، كرسي مستودع باب الحفاة، كرسي النحو[2].

وبعد جامع القرويين، نجد جامع الأندلس والذي احتضن عدّة كراسٍ علمية ،وبعده جامع الشرفاء بفاس الذي ضمّ عدة كراسٍ منها كرسي القبة ، كما كانتٍ هناك العديد من المدارس في فاس التي شهدت هي الأخرى كراس علمية كمدرسة الحلفاويين، ومدرسة الصهريج، ومدرسة العطارين، ومدرسة الخصة، ومدرسة أبي عنان والمدرسة المتوكلية.أما في مكناس فمن أشهر الكراسي العلمية فيها، كرسي التوريق، كرسي القشيري، كرسي التفسير المعد للتدريس[3].

ساهمت الكراسي العلمية في توطيد دعائم الدين وعلومه ونشر الثقافة الاسلامية ، إضافة إلى دورها التعليمي المتميز من خلال تدريسها لمختلف العلوم والتخصّصات التي كانت تدرس بها بطريقة نظام التعليم المفتوح في وجه كل من يرغب في التعلم.

---

[1]- السعيد بوركبة: المرجع السابق،ص ص 212-213.

[2]- المرجع نفسه، ص216.

[3]- عائشة دباح: **تفاعل السلطة مع القوى الدينية والعلمية في عهد المولى إسماعيل في المغرب الأقصى(1672-1727م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2009-2010،ص50.

2- نظام الأوقاف ودوره في الحياة الثقافية بالجزائر والمغرب الأقصى:

أ- نظام الأوقاف في الجزائر:

يعدّ الوقف [1]من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، وهو نوعان[2]، وقد عُرف في الجزائر قبل الوجود العثماني،لكنه ازدهر خلال العهد العثماني، وأصبح إحدى الدعائم الأساسية لخدمة المجتمع الجزائري، وانتشرت ثقافة الوقف لدى الحكام والشعوب، حيث كان لديهم وازع ديني ووعي بأهميته وإدراكهم لغايته استنادا لتعاليم الدين الإسلامي،ورغبة في حب الخير وإصلاح المجتمع، وكونه صدقة جارية للتقرب إلى الله عزّ وجل، ورغبة في توفير مصدر رزق دائم لأفراد أسرتهم.

يُضاف إلى ذلك تعسف الحكام خاصة خلال القرن 18م، و الذين يستحوذون على ممتلكات من لاوريث لهم ووضعها تحت إشراف بيت المال،ما أدى إلى انتشار الوقف [3]، وبسبب انعدام الأمن[4] وتوالي الهجمات الأوربية على مدينة الجزائر ، إضافة إلى تحسن المستوى المعيشي والثراء بفضل مداخيل الجهاد البحري خاصة خلال القرن 17م و18م .

كما انتشرت الأوقاف في الأرياف وكانت تمنح لصالح الأولياء الصالحين والمرابطين وأضرحتهم، وذلك من أجل التبرك بهم [5]، ونظرا لهذا الغرض، فقد كان من الصعب العثور على مدينة أو ريف يخلو من أملاك ذات مردودية تنفق على المراكز الدينية[6].

---

[1]- الوقف هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة ، يصرف ريعه إلى جهة بر تقربا إلى الله تعالى، ينظر: موفق الدين أبي محمد عبد الله المقدسي: **المغني**، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الكتاب العربي،ط1،لبنان، 1972،ج8، ص184.

[2]-وقف خيري أو عام : يعود انتفاعه مباشرة على الجهة الخيرية التي قد تكون مدرسة، مسجدا،زاوية ، عامة المسلمين ، ووقف ذري "أهليّ": يوقفه في البداية على نفسه ثم على جهة أخرى، من عائلته أو خارجها ، وينتقل لجهة خيرية بعد انقطاع نسل صاحبه، وساهمت فتاوى علماء المذهب الحنفي في تشجيع السكان لتوقيف ممتلكاتهم. ينظر: أمير بوسف:"**الوقف والإدارة الحضرية بمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشرالميلادي"المساجد أنموذجا""**، في مجلة قضايا تاريخية، ع9، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة،جامعة الجزائر،2018،ص123.

[3]-عبد الكريم بوحميدة : "**نشأة وتطور نظام إدارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني**" ، في مجلة الحوار الفكري، مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، مج 13، ع15،جامعة أدرار، 2018، ص770.

[4]-ناصر الدين سعيدوني: **دراسات في الملكية والوقف والجباية**، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2001، ص189.

[5]- ناصر الدين سعيدوني: "**الأوقاف بفحص مدينة الجزائر دلالات اجتماعية ومؤثرات اقتصادية**" ، أعمال ندوة الجزائر في الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،29-30ماي 2001، ص ص 54-55.

[6]- صبيحة بخوش: "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني" ، المرجع السابق،ص142.

ولم يقتصر انتشار الأوقاف فقط على مدينة الجزائر وضواحيها، بل شمل مدنا أخرى، مثل: البليدة،شرشال، المدية، مليانة، القليعة، مستغانم ،بجاية ، عنابة وتلمسان. فمدينة قسنطينة مثلا قدرت عقاراتها الموقوفة بألف وستمائة عقار[1].

أ-المؤسّسات الوقفية في الجزائر:

1- أوقاف الحرمين الشريفين:

هي من أقدم المؤسّسات الخيرية ، وترجع إلى ماقبل دخول العثمانيين، وتعتبر من أهم المؤسسات الوقفية ، وقد حظيت باهتمام الجزائريين،نظرا لأهمية الأماكن المقدسة التي ستذهب إليها ، حيث تؤول أموالها إلى فقراء مكة والمدينة ،كما أنّها تقدم لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين في الجزائر،أو المارين بها للذهاب للحرمين ، وتشرف على بعض المساجد التي أسسها الحكام كمسجد الحاج ميزومورطو باشا ، الذي بناه أوقف عليه دكاكين وسوق وأراض، ومسجد عبدي باشا شُيّد سنة 1138هـ/1725م الذي أوقف عليه أوقافا[2]، وجامع علي باشا النقسيس ، إضافة إلى التكفل بقراء القرآن في هذه المساجد، وكانت تصرف لهم رواتب شهرية[3].وهي من أهم المؤسسات من حيث عدد المحبسين عليها والأوقاف التابعة لها ومداخيلها ، حيث تملك ثلاثة أرباع الأوقاف في مدينة الجزائر، فهي تمثل وجه الجزائر في العالم الاسلامي[4] . وقد انتشر في عدة مدن جزائرية منها المدية ، شرشال، البليدة، المدية، عنابة ، قسنطينة، مازونة، مستغانم وتلمسان وغيرها[5].

---

[1]- وافية نفطي: **الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة باتنة،السنة الجامعية: 2016-2017م، ص50.

[2]-عقيل نمير: "**المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات أنموذجا**)"، في مجلة دراسات تاريخية ،ع 115-116،دمشق،2011، ص ص 259-260.

[3]- عائشة غطاس وأخريات : أوقاف الحرمين الشريفين،المرجع السابق، ص250.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص239.

[5]- عائشة غطاس وأخريات: المرجع السابق، ص249.

2- أوقاف الجامع الأعظم :

يعد الجامع الأعظم من أقدم المساجد، ويعود تأسيسه إلى القرن5هـ/11م، بدأ التحبيس به سنة 1540م، شهدت أوقافه تكاثرا واضحا حيث بلغت 550 وقفا خلال العهد العثماني[1] .ويذكر التميمي أن عدد الأوقاف من 1540إلى 1750م بلغ 159وقفا[2]. وكان للأوقاف دور في الحفاظ على الجامع الأعظم ، وكان يشتغل به حوالي تسعة عشر أستاذا، وفيه زاوية له تدعى زاوية الجامع الكبير لإقامة العلماء والعمال ،وكان به مكتبة تضم 300كتاب سنة 1100هـ/1689م ، بنقلها إلى برج مولاي الحسن في أعالي المدينة ، حيث دام ثلاثة أيام كاملة[3].

وقد ساهم الأتراك و الكراغلة والانكشارية ورياس البحر وأصحاب الحرف في أوقافه[4] ، وكانت عائلة قدورة متولية وكالة الأوقاف خلال القرن 17م[5].

3- أوقاف سبل الخيرات:

أُسست عام 999هـ/1584م على يد شعبان خوجة، وهي مخصّصة للتكفل بخدمة المذهب الحنفي ،حيث اهتمت بتشييد وتسيير المساجد والزوايا والمدارس ، وشراء الكتب ، والتكفل بالطلبة، والفقراء وإصلاح الطرقات،ويتولى شؤونها المفتي والقاضي الحنفيان[6]، والوكيل الذي يعينه الداي ، ولقد كان لها نفوذ كبير نظرا كَلَون المحبسين من الأتراك أصحاب السلطة.

ومن أهم المساجد التي تكفّلت بها أوقاف سُبل الخيرات وكانت تشرف عليها،جامع كتشاوة تأسس سنة 1020هـ /1612م ، وجامع علي بتشين تأسس سنة 1622م، وجامع القايد صفر سنة

---

[1]- فتيحة محمد بوشعالة: **"اسهامات الوقف في خدمة التعليم في الجزائر –مدينة قسنطينة نموذجا–"**، (د.ط)،د.د.ن، الجزائر، (د.ت)، ص3.

[2]- عائشة غطاس وأخريات: أوقاف الحرمين الشريفين، المرجع السابق، ص243.

[3]- نعيمة بوحمشوش وأخريات: مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر ، المرجع السابق، ص286.

[4]- المرجع نفسه، ص ص 288-289.

[5]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص243.

[6]- ناصر الدين سعيدوني:" **الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي**"، في مجلة دراسات تاريخية ، ع5، دمشق ، جويلية 1981، ص64.

940هـ/1534م،جامع السيدة1564م،ومسجد القصبة 1064هـ/1654م،والجامع الجديد 1070 هـ/1660م[1].

بالإضافة إلى دفع مرتبات الأئمة والمدرسين، وتقديم منح للطلاب ، إضافة إلى إعانة الفقراء والمحتاجين ، ومن الحكام الذين بَنوا مساجد، وأوقفوا لها أوقافا وتكفلت مؤسسة سبل الخيرات بها مسجد المصلى الذي بناه الداي محمد باشا التريكي في عام 1086هـ/1675م[2] .

4- أوقاف الأندلسيين:

قامت هذه المؤسسة بعد محنة الأندلسيين واستقرارهم في الجزائر ، وتوليهم الجهاد ضد الإسبان، حيث أصبحوا بحاجة إلى التعاون فيما بينهم ، ففي سنة 1033هـ/1623م اشترك أفراد الجالية لبناء مسجد وزاوية تكون خاصة بهم ،كان يسير ميزانيته المعتبرة نسبيا وكيل وضع تحت تصرفه شاوش وهما من الموريسكيين،وظلّ هذا الوقف يقدم مساعداته للأندلسيين[3].

5- أوقاف الأضرحة والزوايا:

قام سكان مدينة الجزائر بتحبيس ممتلكاتهم على الزوايا والأضرحة ، وقد انعكس إيجابا من خلال زيادة عدد الزوايا والأضرحة،ومنها زاوية كتشاوة، زاوية سيدي هلال، زاوية القشاش 1069هـ/1659م، زاوية الشرفة، زاوية سيدي الجودي وبها مقبرة ومسجد 1081هـ/1670م، وزاوية مولاي بوعنان 1698/1110م،وزاوية مسجد السيدة 1703م.

ومن الأضرحة :ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، وضريح سيدي هلال،وقد حرصت على التكفل بالمجتمع الجزائري خاصة تثقيفيا من خلال التعليم في الزوايا والإقامة بها[4].

6- أوقاف الأشراف:

كانوا من الفئات المميزة،ولهم أوقاف خاصة، وممن يتعاملون مع العثمانيين نظرا لمكانتهم إذ كانت لهم نقابة خاصة يشرف عليها نقيب الأشراف،يتمتع بمكانة مرموقة لدى الدولة، ويتكون

---

[1]- زكية زهرة وأخريات :أوقاف سبل الخيرات،المرجع السابق،ص582.

[2]- أمير يوسف، المرجع السابق، ص125.

[3]-Albert Devoulx:" **Les édifices religieux de Lancien Alger**" ,R. A,1870, PP174-176.

[4]- ياسين بوتريعة : **أوقاف الأضرحة والمزايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2006-2007 ،ص 29.

أوقاف الأشراف من حوالي ثلاثمائة أسرة، حظيت بتقدير العامة ورعاية الحكام، حيث بنى لهم الداي محمد بكداش باشا سنة1112هـ/ 1709م زاوية فيها[1].

وهكذا كان لمؤسسة الوقف دور كبير في خدمة الدين والتعليم ، فبفضلها بُنيت المساجد والزوايا وكانت عنوانا للتكافل والتعاون.

ب- الأحباس في المغرب الأقصى:

عرفت الأحباس انتشارا واسعا في المغرب الأقصى، وقد استخدم مصطلح الحبس، وجمعه أحباس كصيغة لغوية للتعبير عن ذات المفهوم الذي يؤديه مصطلح الوقف[2] .وكان له دور في الحياة الثقافية في المغرب الأقصى ، وفي انتظام الحياة العلمية والدراسية . ويعتبر أهم مورد مالي لحياة المراكز الثقافية[3].

كما ساهم السلاطين العلويون في الأحباس، كما ساهم سكان المغرب في الوقف ، وذلك إدراكا لأهميته في التعليم، وجعلوه مصدرا شبه دائم لتمويل المؤسسات التعليمية واستمرارها ، ومنه نجد أنه بعد تولي المولى الرشيد الحكم أسّس مدرسة ابن صالح في مراكش ، وكان بها مسكن للطلبة ، وبنى مدرسة الشراطين "المدرسة الجديدة" بفاس في عام 1082هـ/1671م[4].وقد اهتم المولى الرشيد بالعلم وبالكراسي العلمية،وتكفل الوقف في الإنفاق على المدارس والمساجد والنظر في احتياجاتها الأساسية، وتوفير الرواتب للأساتذة والمنح للطلبة ، ومن الأملاك المحبسة على الجامع الأعظم في مكناس عدّة دور للسكن، وحمامان، وعدّة حوانيت[5]. وقد صدرت عدّة أوقاف لفائدة الكراسي العلمية، وأنفق ريعها على العلماء الذين يقومون بالتدريس فيها ، وساهمت الأوقاف في النهوض بدورها في نشر العلم[6].

---

[1]- عبد الرحمن بوسعيد:**الأوقاف و التنمية الاقتصادية و الاجتماعية بالجزائر**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،تخصص الدين و المجتمع ،كلية العلوم الاجتماعية،قسم علم الفلسفة ،جامعة وهران،السنة الجامعية:2011- 2012ص43،ينظر: عقيل نمير: المرجع السابق، ص 261.

[2] -إبراهيم القادري بوتشيش، السعيد لمليح: **الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن 14/8م" أوقاف مدينة فاس نموذجا "**، في مجلة عصور الجديدة، ع11-12، وهران، الجزائر،2014، ص47.

[3]- محمد بن عبد العزيز بنعبدالله:**الوقف في الفكر الإسلامي**،وزارة الأوقاف والشون الدينية، المغرب، ج1996.2، ص57.

[4]-السعيد بوركبة: المرجع السابق، ص200.

[5]- عائشة دباح:المرجع السابق، ص53.

[6]- نور الدين مباركي:**الوقف على الكراسي العلمية في المساجد ودورها في تفعيل العملية العلمية في الجزائر**.ملتقى الوقف العلمي وسبل تفعيه في الحياة المعاصرة ، مارس 2017،جامعة الوادي، ص553.

وفي الغالب ينشأ الكرسي العلمي نتيجة إحساس الواقف بالحاجة إلى تدريس علم من العلوم، فيخصص أوقاف له من أجل بقائه واستمراره، وهذا ما يفسر تنوع العلوم التي كانت تدرس في الكراسي العلمية من فقه وتفسير وأصول وحديث وقراءات؛ فمثلا نجد كرسي الحديث، وهو من الكراسي المستحدثة في بداية عهد العلويين ، وقد حبس على أبي الفضل أحمد بن العربي بن الحاج ، وعلى عَقبه من بعده، وأسند إليهم الواقف النظر في أمر هذا الكرسي وتنفيذه حسب رغبتهم، وقد توالى أفراد هذه العائلة العالمة للتدريس عليه ومنهم : أحمد بن العربي بن محمد بن الحاج السلمي المرداسي الفاسي (ت. 1109هـ/1697م)، والشيخ التاودي بن سودة في كرسي التفسير[1] .

كما ساهم التجار والحرفيون في الوقف للكراسي العلمية ، فوجدت في المساجد داخل الوحدات التجارية كَراس علمية، ومنها كرسي بمسجد دار الدبغ بفاس، والذي أدّى دورا كبيرا في توعية أرباب الحرف من المعلمين والمتعلمين والأمناء[2].

ولم يقتصر الوقف على المساجد والمدارس، بل تعداه إلى الكتب والمكتبات ، فقد ساهمت الأوقاف في توفير وتداول الكتب، وتأسيس خزانات جديدة للكتب على المستويات الحاكمة ،وعلى مستوى الزوايا[3]، ومنها بناء المولى الرشيد للخزانة العلمية بإزاء الجامع الأعظم بفاس ، والتي أوقف عليها جميع المؤلفات القيمة التي كانت تحتوي عليها[4].

كما أوقف المولى إسماعيل عشرات الكتب في عدة خزائن بجامع القرويين وجامع الأندلس[5].قال عنه صاحب المنزع اللطيف مانصّه :«...وأحباسه على المعاهد الدينية شرقا وغربا، ملأ طنين صداها الآفاق وحفظت رسومها لنا وجنات الأوراق رغما عما أصيبت به من التخريب والاضمحلال اللذين كانا أكبر سبب في تصبيحها ببيداء النهب والاختلاس» [6].

---

[1]- يوسف الكتاني:" **ظاهرة الكراسي العلمية** "، في مجلة دعوة الحق، ع 244، المغرب،1985، ص105.

[2]- خالد صقلي:المرجع السابق ، ص44.

[3]- محمد المنوني:**تاريخ الوراقة المغربية** ، ط1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ،1991، ص113.

[4]- شارل أندري جوليان : المرجع السابق،ج2، ص290.

[5]- السعيد بوركبة:المرجع السابق،ص ص 254-255.

[6]- عبد الرزاق وورقية :"**عناية ملوك الدولة العلوية الشريفة بخزانة المولى إدريس زرهون من خلال تحبيس الكتب العلمية**"، في مجلة دعوة الحق، ع 404، المغرب،2013،ص68.

وفي عهد المولى إسماعيل العلوي بعدما رأى كثرة الأوقاف، خاصة أوقاف جامع القرويين التي بلغت درجة كبيرة من الغنى حتى نافست مداخيله ميزانية الدولة[1]، عندئذ تخوف من ضياعها فأمر النظار الذين كانوا يُديرون الأوقاف وهم بمنزلة نواب عن القضاة يديرون الأوقاف تحت إشرافهم ومراقبتهم الشرعية ، وكانوا ملزمين بصرف مداخيلها طبقا لإدارة الواقفين،بإحصاء الأوقاف وتسجيلها في دفاتر خصوصية رسمية،وهي مايسمى "بالحوالات الإسماعيلية"[2].

وهكذا كان للوقف دور في التطور العلمي وازدهار المغرب الأقصى، ونموه من الناحية الثقافية والفكرية لما قدمه من إسهامات هامة على المدارس والمسجد والكراسي العلمية والخزانات.

4- دور حكام البلدين في إمداد المؤسّسات الثقافية وعلاقتهم بالعلماء :

أ- دعم الحكام العثمانيين للثقافة في الجزائر:

يُمثل العلماء الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني. وقد ربطتهم صلة بالناس في الدروس، ومجالس الفتوى والقضاء والزوايا،والخطب،وكان الناس يثقون في رجال الدين أكثر من رجال السياسة، ولهذا كان العثمانيون يقدرونهم ويخشونهم ويتقربون منهم ويمنحونهم الوظائف والهدايا [3]. أحيانا يلجؤون إليهم في موقف تأييد وغير ذلك[4]. كما أن العلماء كانوا في حاجة إلى الدايات والبايات طمعا في مال أو وظيفة أو تأييد ضد منافس. وكانت هذه العلاقة في الواقع علاقة مطردة، فإذا وقع نفور من أحد الطرفين أو معاملة غير جيدة، فذلك يعود إلى تصرف الأفراد في فترة معيّنة وليس إلى العلاقة في حد ذاته[5] .

---

[1]- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، المرجع السابق، ص64 .

[2]- محمد المكي الناصري:**الأحباس الاسلامية في المملكة المغربية**،ط1،وزارة الأوقاف، المغرب، 1992، ص17.

[3]- استطاعت بعض الأسر العلمية بفضل علاقاتها الطيبة مع السلطة العثمانية احتكار المناصب الدينية والعلمية ،كالإفتاء والخطابة والإمامة،ومنها عائلة قدورة سعيد قدورة ،التي تولت منصب الإفتاء، ثم تعاقب أبناؤه من بعده على هذا المنصب ، وأسرة آل فكون التي تعاقب أبناؤها على منصب أمير ركب الحجيج . ينظر: محمد أورجتني: المرجع السابق، ص551.

[4]-أدّى الفقهاء والعلماء دورا في إضفاء الشرعية أو خلعها عمن يشاؤون ،ومن ذلك عدم تأييد ثورة ابن صخري سنة1047هـ/ 1637م،التي قادتها قبائل الحنانشة والذواودة ضد الحكم العثماني في بايلك الشرق ، كما تصدى فقهاء بايلك الغرب لتمرد قبائل الأحرار على النظام السياسي ، والطعن في نسبها الشريف ، ما أجبرها على التعهد على الطاعة، وإبرام الهدنة مع الباي شعبان سنة1098هـ/ 1687م في مازونة. ينظر: المرجع نفسه، ص547.

[5]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص409.

وقد نُسب إلى العثمانيين عدم اهتمامهم بالثقافة ، وقيل إنّ وجودهم في الجزائر كان سياسيا وعسكريا، حيث اقتصر اهتماهم في المحافظة على الاستقرار السياسي، والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب[1] ، ولم يكن حضاريا ، فلم يهتموا بالآداب والدين والتعليم والفنون[2].

إلا أنّنا في نجد بعض الحكام ورجالات الدولة يلتفتون إلى المشاريع الدينية والتعليمية ويساهمون في دعم المؤسسات الثقافية، والحياة الفكرية. ففي هذه الفترة لا نكاد نجد حاكما إلا و بنى مركزا دينيا أو ثقافيا، سواء كان مسجدا أو مدرسة أو زاوية، وأَوقف عليه حبوسا من ماله الخاص، فمثلا الداي بابا حسن(1682- 1685م) الذي بنى جامع كتشاوة وأوقف عليه أملاكا وعقارات كثيرة [3] والداي حسين ميزومورتو الذي بنى مسجده أوقف عليه أراض و دكاكين و سوق[4].

وسنحاول التركيز على أهم شخصية حاكمة تولت العناية بالحياة العلمية، وكيف كانت علاقتها مع العلماء، وهو الداي محمد بكداش[5] ، الذي اهتم بالثقافة، و أسّس زاوية الأشراف بمدينة الجزائر سنة 1121هـ/1709م ، وأوقف عليها أوقافا متنوعة، وخصص أجورا للقائمين عليها من مدرس، إمام، مؤذن، حزابين، كما عين لها وكيلا لرعاية شؤونها[6]، وقرّب إليه العلماء، سواء قبل وبعد توليه الحكم، ومن العلماء الذين كانت لهم علاقات طيبة معه أحمد بن قاسم البوني(ت.1139هـ/ 1726م) ، فقد قيل إنّ بكداش عندما نزل بعنابة قبل توليه الباشوية، أخذ البركة والطريقة من عالمها أحمد بن قاسم بن محمد بن الساسي البوني. وقيل أيضا إنّه وعده بأن يحكم بالعدل إن أخذ الولاية،وبعد توليه الحكم، وجّه أحمد بن قاسم البوني نصائح كثيرة للداي بكداش:

يَا طَالِبًا لِلفَضْلِ ... وَالجُودِ ثُمَّ العَدْلِ
وَالعِلْمِ وَالرِّيَاسَةِ ... والحُكْم والكِيَاسِ

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص313.

[2]- مبارك الميلي: المرجع السابق، ج3، ص137.

[3]- رشيدة شدري معمر: المرجع السابق،ص 128.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص235.

[5]- هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد، عربي الأصل ينتمي إلى آل البيت،سماه والده بكداش تيمنا بشيخ البكداشية، نشأ محمد بكداش نشأة علمية دينية، فكان يدرس العلم، و ينظم الشعر بالعربية ويخطب بها، و يتقرب للعلماء كثيرا، لذا وصفه كل من كتب عنه بعالم الأمراء و أمير العلماء ، ترقى من دفتر عام إلى داي للجزائر سنة 1119هـ/1707م ، ينظر: رشيدة شدري معمر: المرجع السابق،ص ص 129-130.

[6]-Albert Devoulx: Les édifices، Op.Cit, PP 160-161.

اِعْمَد إلى الظَرِيف ... بَكداش الشَرِيف[1]

فكافأه الداي على هاتين القصيدتين اللتين وصفه فيهما بالعلم والعدل والكرم،وبالشرف و الظرف والكيس،«فكافأه على هذه الدرر، بمنقوش من صفحة القمر وأعطاه فوق ما طلب»[2].

فكثيرا ماقامت السلطة بالاتصال بالعلماء والفقهاء خاصة في الأوقات العصيبة التي يكون فيها الحكام بحاجة إلى الدعم المعنوي، والتعبئة الشعبية، للوقوف في وجه الأخطار المحدقة داخليا وخارجيا، وكان العلماء يَرون في دعم الحكام العثمانيين حماية للدين الإسلامي وصونا لأعراض المسلمين من حملات المسيحيين[3].

وتُعدّ قضية تحرير وهران من أهم القضايا التي ساهمت في التقريب بين الحكام العثمانيين والعلماء وطلبة العلم الذين كانوا هم السباقين للمشاركة في هذا الفتح العظيم الذي قال عنه:" جاء إليه الناس من كل فج عميق... و كان طلبة العلم و حملة القرآن هم أشد الناس مسارعة لإجابة دعوة السلطان إلى الجهاد المبارك"[4].

وقد وجد بعض العلماء فيها من التحريض على قتال الإسبان في وهران مجالا حرا للتعبير عما في أنفسهم نحو السلطة، ونحو الدين ما دام الباشوات أنفسهم عازمين على حرب الإسبان وعلى الجهاد بصفة عامة. وهذا الموقف لا يسمى تدخلا من العلماء، وإنّما يُعتبر تأييدا لما كان العثمانيون يقومون به ويعتبر تأليبا للرأي العام ضد الإسبان.

يَا حَاكِمَ الجَزَائِرِ ... يَا أُنْسَ نَفْسَ الزَأَّئِرِ
أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرِكُم ... أَدَام رَبِي نَصْرَكُمْ[5]

كما أن يحيى بن أحمد بن أبي راشد بعث له بقصيدة مهنئا إياه بتوليه الحكم جاء فيها :

مَلِكٌ تَفَرّدَ بالكَمَالِ وَ لم يَكُن   لِكَمَالِهِ فِي السَّالِفِينَ مِثَالُ
خَضَعَتْ لِسَطْوَتِهِ المُلُوك وَ سَلِمَت   لِجَلَالِه الأُمَرَاءُ وَ الأَقيَالُ[1]

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص414.

[2]– محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص133.

[3]–محمد شاطو : **نظرة المصادر الجزائرية والأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**، ط1، دار كوكب العلوم ، الجزائر، 2018، ص41.

[4]– محمد بن ميمون الجزائري : المصدر السابق، ص120.

[5]–أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص414.

في حين نجد من العلماء من لجأ إلى مدحه حتى يطلب منه حاجته أو يذكره بها. خطب مصطفى بن عبد الله البوني الذي خاطبه قائلا:

يا سَيّدِي مُحَمَّدُ بَكدَاشُ نَجْلَ الأَمجَدِ
وَعَدْتَنِي بِمَا أُحِبُّ مِنْ أَمَلِي وَ مَقْصِدِي
أَيْنَ الذي وَعَدْتَنِي يَاسَيِّدي وَ سَنَدِي[2]

وقد خلّد الشّعراء والعلماء هذا الفتح بقصائد ومقالات شتّى أشادوا من خلالها بالاستماتة الجهادية التي بذلها العثمانيون في سبيل ذلك ، وقد نوّه الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن يوسف بجهاد الباشا بكداش حينما مدحه في فتح وهران :

جَهَّزْتَ حَقًّا لِلْجِهَادِ عَسَاكِرُ الوَرَى بِقُدُومِهِمْ تَتَفَرّجُ
وَ حَبَاهُمُ المَوْلَى بِنَصْرٍ عِنْدَمَا رَكِبُوا المطَايَا لِلْجِهَادِ وأَسْرَجُوا[3].

إلا أنّ فترة حكمه لاتخلو كغيره من الحكام من اضطهاد للعلماء ،ومن الأسباب التي كانت وراء تشنج العلاقة بين السلطة والفقهاء:

- الخلاف الفقهي الحنفي المالكي و الضغائن حول المناصب والوظائف.
- اتباع سياسة الحذر تجاه العلماء، فقد قربوا كل من تماشى وسياستهم ، وفتكوا كل من عارضهم سواء عن طريق التهميش أو العزل أو القتل والنفي ، كما أجبر عدد من العلماء على الهجرة بسبب تضييق الخناق عليهم .

وفي فترة حكم الداي محمد بكداش وقع الخلاف بين المفتي الحنفي محمد النيار[4] مع المفتي المالكي أحمد بن سعيد قدورة ، في قضية الحكم على مسألة طلاق ، ورفعوا القضية إلى الداي ، وقد أنصفوا المفتي الحنفي ، وعزلوا أحمد بن سعيد قدورة من منصب الفتوى رغم رفض الأهالي[5].

---

[1]- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق ،ص153.
[2]-المصدر نفسه ، ص234.
[3]- أحمد بن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،المصدر السابق، ص109.
[4]-وصفه ابن المفتي بأنه رجل جاهل قليل الدين ، وهو أول عالم ينحني لتقبيل يد الباشا ، كما أنّه لايتوفر على مستوى علمي يُخوّل له ممارسة الإفتاء، ينظر: حسين بن رجب شاوش بن المفتي: المصدر السابق،ص99.ينظر أيضا: عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، المصدر السابق،ص90.
[5]- محمد أوجرتني: المرجع السابق، ص ص 531-532.

كما تعرّض محمد بن سعيد قدورة مفتي المالكية سنة 1090هـ/1679م للعزل، وذلك بسبب رسالة أرسلها أحد الحساد إلى الداي اتهموه فيها بأعماله الشائنة وقلّة الوقار[1]، وكذا أخوه علال قاضي المالكية،فحكم عليهما الداي محمد بكداش سنة 1118هـ/1706م بالإعدام[2].

كما طال الاضطهاد الفقهاء الحنفيين ، فقد حُكم على المفتي الحنفي محمد بن مصطفى المعروف بابن المستي، بالإعدام ومصادرة أملاكه سنة 1118هـ/1706م [3].

ويبدو أنّ الجهاد كان العامل الرئيسي في التقريب بين العلماء وحكام الجزائر، وظهر ذلك من خلال القصائد الشعرية التي كانت دعما لدايات الجزائر من أجل تحرير وهران خاصة الداي محمد بكداش ، وإن كان العلماء الجزائريون كانوا يتعرضون أحيانا للاضطهاد والسجن والتعذيب والقتل من قبل السلطة الحاكمة.

ب- دور السلاطين العلويين في الحياة الثقافية:

حرص السلاطين العلويون على الاهتمام بالمؤسسات الثقافية،وربطت معهم علاقات مع العلماء، فكانت المساجد منبرا للتوجيهات الرسمية. كما اهتم المولى الرشيد بالعلم، حيث استأنفت الحركة العلمية والأدبية في عهده، وكان يحضر بنفسه مجالس العلم بالقرويين ، وأحب الآداب ، وشارك في مناقشات العلماء الفقهية، وأغدق عليهم الهدايا من أجل تحفيزهم للتأليف والكتابة، وخلق المنافسة العلمية فيما بينهم، وتقوية الحركة الثقافية[4].

والجدير بالذكر أنّ الدولة العلوية اعتمدت في بداية تأسيسها على نسبها الشريف ، وقد أسس المولى الرشيد نقابة الأشراف في كل البلاد سنة 1080هـ/1670م،وأسند أمر البحث للمختصين من النسّابين من أهل العلم والدين ، وفوض خطة نقابة أشراف المغرب للفقيه أبي محمد عبد القادر بن عبد الله الشبيهي الجوطي المكناسي (ت. 1099هـ/1688م)[5].

---

[1]- حسين بن رجب شاوش بن المفتي: المصدر السابق،ص99.

[2]-محمد بن عبد القادر:**تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**،ط1،دار اليقظة، بيروت، 1964، ص102.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج1، ص418.

[4]- مفيد الزيدي:" **ملامح النهضة التعليمية منذ عهد المولى الرشيد إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله**"، في مجلة دعوة الحق، ع322، المغرب،1997،ص185.

[5]- محمد العمراني: المرجع السابق، ص210.

وفي عهد المولى إسماعيل نشطت الحركة العلمية؛ حيث اهتم بالعلم والعلماء فجالسهم وشجعهم وقرّب الشعراء،حتى غصّ بلاطه بالشعراء والكتّاب، وكان ذلك امتدادا، لما عُرف به المولى الرشيد[1]. كما كثرت معاهد التحصيل والتدريس وانتشر التأليف، وتضاعف النشاط العلمي الذي ظهر في تفسير القرآن ، وشرح موطأ الإمام مالك، وشرح الشفا للقاضي عياض،وشرح لمختصر الشيخ خليل، وألفية ابن مالك، وحاشية علي بن هشام،إلى غير ذلك من التآليف التي ساهمت في ازدهار العلوم[2].

إلى جانب ذلك،نجد المولى إسماعيل يدعو العلماء للحضور إلى ختم تفسير القرآن الكريم ، وقيامه بسن قراءة حديث الإنصات يوم الجمعة قبل الأذان لأول مرة في تاريخ المغرب في 19 ذي القعدة 1120هـ/30جانفي 1709م [3]، وقد لقيت معارضة من قبل بعض العلماء الذين رأوا فيها محاولة إسكات العلماء وحرمانهم من إبداء رأيهم في كثير من الأمور التي كان يثار حولها الجدال[4].

ودليل تقدير المولى إسماعيل للعلماء ومنهم أبو علي الحسن اليوسي (ت.1102هـ/1691م)، ما نجده من خلال الرسائل التي أرسلها اليوسي للمولى إسماعيل ، وذلك بسبب سياسة الشدة التي انتهجها جيشه في نزع السلاح والخيل من القبائل المغربية ، ينصحه فيها ويحثه على الخير ، وقد قبل المولى إسماعيل نصحه[5] ، وأرسل له رسالة يطلب منه الانتقال من البادية إلى الحاضرة من أجل نشر العلم، والمساعدة في الشؤون السلطانية ، وقد اعتذر له اليوسي لأنّه يحب البادية[6].

ورغم رفضه،إلّا أنّ علاقته بالسلطان ظلت جيدة ، فقد شهد له المولى إسماعيل أنه من العلماء الجادين الذين لايخافون من السلطان،بل يخافون من الله ، وذلك في مجلس ضمه مع بعض المقربين حيث قال: " علماء الوقت على أربعة أقسام: قسم لايخاف إلا من الله، ولايخاف منا ، وقسم يخاف من الله ومنا ، وقسم يخاف منا ولايخاف من الله، وقسم لايخاف من الله ولا منّا، ومثّل للقسم الأول

---

[1]- عبد الجواد السقاط : **"من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل "**، في مجلة دعوة الحق ، ع 258، الرباط 1986، ص43.

[2]- نجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ط1،دار الأمير للثقافة والعلوم، لبنان ،1995،ص101.

[3]- محمد العمراني: المرجع السابق، ص203.

[4]- المرجع نفسه ، ص206.

[5]-علال الفاسي : **"أبو علي اليوسي 1040-1102هـ، شخصيته ، حياته ، دراسة موجزة لأثاره"**، في مجلة المناهل، ع 15، المغرب، 1979، ص42.

[6]- المرجع نفسه، ص46.

باليوسي "[1]. وكان قد اقترح على المولى إسماعيل أن يبحث عن البقية الباقية من العلماء، ويوفر لهم ما يحتاجون ثم يدعوهم بالرغبة لابالرهبة ليؤذوا للجيل الناشئ أمانة العلم[2]. وقد قال عنه أبو سالم العيّاشي :

مَنْ فَاتَهُ الحُسْن البصري يَصْحَبُهُ   فَلْيَأْتِ لِلحُسْنِ اليوسِي يَكْفِيهِ[3]

ومن القضايا التي نشب فيها الخلاف وأحدثت ضجة بين الفقهاء وبين السلطة في عهد المولى إسماعيل،مسألة تمليك الحراطين، بين مؤيد يرى واجب السلطان خلق جيش قوي حصين خالص الولاء ، وبين معارض للتمليك، يرى أن الأصل في الناس هو الحرية وأن شرط العبودية هو الإقرار، ومن المعارضين : الشيخ القاضي محمد العربي بردلة، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الميارة، الشيخ محمد المسناوي الدلائي ، محمد بن عبد الله المشاط، والشيخ عبد السلام بن حمدون جسوس[4].

إنّ عبد السلام جسوس يعدّ من العلماء البارزين في فاس ، وله رسالة شهيرة أعلن فيها بوضوح موقفه من قضية تمليك الحراطين ، إذ عارض ذلك معتبرا أنّ تأسيس هذا الجيش بهذه الطريقة مخالفة للشرع الإسلامي ، وقد تركّز الخلاف أساسا على جزئية شراء وإجبار الحراطين باعتبارها استرقاقا للأحرار. ويلاحظ أنّ الفقيه عبد السلام جسوس رحمه الله لم يراع حيثية الجندية في معارضته، وإنما راعى ناحية التملك، ولهذا كان موقفه شديدا وكانت معارضته حاسمة [5]،وحرّر فتوى في 29ربيع الأول 1120هـ/19جوان1708م عرضها في مجلس المولى إسماعيل بمكناس، إلّا أنّ هذا الأخير رفض أي رأي مخالف لقراره ، وأجبر القضاة والفقهاء على التوقيع على ديوان الحراطين وتوعّد الرافضين بالعقاب ،ومن الذين طالتهم هذه المحنة الشيخ عبد السلام جسوس الذي عاد بعد لقاء المولى إسماعيل مكبّلا وسُجن وأُهين وبيعت أملاكه، وقُبض على أبنائه، وسُلبت أموالهم ، وصار

---

[1]- فاطمة خليل القبلي:المرجع السابق،ج1،ص75.

[2]-لحسن أروي:" **العلامة أبو علي حسن اليوسي ومسيرته العلمية** "، في مجلة كان التاريخية ،ع15، 2012، ص109.

[3]- الحسن بن مسعود اليوسي: **محاضرات في الأدب واللغة** ، تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1982،ج1، ص31.

[4]- محمد العمراني: المرجع السابق، ص204.

[5]- محمد بن عبد العزيز الدباغ:" تنظيم جيش البخاري في عهد مولاي اسماعيل"،المرجع السابق، ص138.

يُطاف به في الأسواق وينادى من يُفدي هذا الأسير وأخيرا قُتل في سجن فاس في 25 ربيع الثاني 1121هـ/4جويلية 1709م [1].

وللحصول على تزكية مشروعه مع محمد بن عبد القادر الفاسي أعلى من قدره من خلال المراسلات التي أرسلها إليه، والتي جاء فيها: "ومن أجل هذا فلابد من نظركم فيما أجاب به الغير، وتصحيحكم لما تضمنته الأجوبة التي وردت من قبل القاضي بردلة وصاحبه ؛ إذ لايمكن الاعتماد على مجرد فتاويهما دون مطالعتكم "[2]. وقد اتخد الفاسي أسلوب المماطلة والتسويف ولم يرد عليه إلى أن توفي سنة 1116هـ/1704م[3].

ومما سبق يمكن القول:

– إن سيادة المذهب المالكي في الجزائر والمغرب، يعدّ أحد العوامل الهامة التي أدّت إلى تماسك شعوب البلدين ورواج الكتب والمصنفات خاصة شروحات أمهات الكتب ، ورواج الفتاوى الفقهية على مذهب الإمام مالك بين البلدين .

– إنّ وراء العلاقات الثقافية عوامل موروثة ومستجدة مشتركة بين البلدين ، أدّت إلى وحدة ثقافية منسجمة بين البلدين، سواء في الهياكل أو المنظومة التعليمية وتلاقح الإنتاج الفكري وتبادل الرحلات بين علماء البلدين ،وتنقل مصنفاتهم .

–على الرغم من التجزئة السياسية التي عانى منها البلدين إلا أنّ التواصل الثقافي ظل مستمرا ومتواصلا بين شعوبهما.

---

[1]– محمد بن عبد السلام الرباطي: المصدر السابق،ص83. ينظر: أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج7، ص94.

[2]– الحاج ساسيوي الفيلالي:" **العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى ، مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل نموذجا1672– 1727**"، في مجلة كان التاريخية ، ع15 ، دورية الكترونية ، مارس 2012، ص71.

[3]– المرجع نفسه، ص71.

الفصل الثاني:

الروابط الدينية والثقافية بين البلدين

- المبحث الأول : حركية العلماء بين الجزائر والمغرب الأقصى.

1- تواجد علماء المغرب الأقصى في الجزائر.

2- تواجد علماء الجزائر في المغرب الأقصى.

- المبحث الثاني: الرحلات العلمية بين علماء البلدين.

1- أهم الرحلات لعلماء الجزائر إلى المغرب الأقصى.

2- أهم الرحلات لعلماء المغرب الأقصى إلى الجزائر.

- المبحث الثالث : الطرق الصوفية ودورها في العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب.

1- أهم الطرق الصوفية المنتشرة في البلدين وعلاقتها بالسلطة الحاكمة.

2- دور طرق الصوفية في دعم التواصل الروحي بين البلدين.

الفصل الثاني:

الروابط الدينية والثقافية بين علماء الجزائر والمغرب

تنوعت وتعددت الرحلات بين الجزائر والمغرب بتنوع أهدافها ومقاصدها. وقد تميزت الرحلات المغربية بكثرة عددها مقارنة بالرحلات الجزائرية ، مستفيدة من الرحلات إلى الحج .

إنّ حركة هجرات وزيارات العلماء بين البلدين ، وإقامة بعضهم إقامة دائمة أو مؤقتة سواء في الجزائر أو المغرب لأسباب موضوعية ، سياسية وعلمية، ومساهمة كلا من علماء الجزائر في المغرب أو علماء المغرب في الجزائر ، فتولوا مناصب عديدة إلى جانب التدريس ، وأدّوا دورا هاما ،فقد تخرج على يديهم علماء من البلدين.

ومن الروابط الروحية بين البلدين التصوف الذي عرفت طرقه امتدادا للبلدين ، ومن خلال هذا الفصل سنحاول تسليط الضوء على حركية العلماء الجزائريين والمغاربة ، والتعرف على أهم الرحلات ، ثم معرفة الطرق الصوفية المنتشرة في البلدين والصلات الروحية بينهما .

المبحث الأول:

حركية العلماء بين الجزائر والمغرب الأقصى

عرفت منطقة بلاد المغارب خاصة الجزائر والمغرب تنقل رجال العلم ، رغم توتر العلاقات السياسية بين العثمانيين والعلويين ، إلا أنه لم تكن هناك حواجز بين العلماء الجزائريين والمغاربة ، وظل السكان أفرادا وجماعات يتنقلون بين البلدين ، خاصة بين حواضره العلمية ، حتى قيل " إنّ تنقل المثقفين والدارسين في المغرب والجزائر، كتنقل سكان الجزائر بين وهران وتلمسان وسكان المغرب بين فاس ومكناس"[1].

وكان تواجدهم يتم أحيانا بصفة مؤقتة أو دائمة، وذلك رغبة في طلب العلم وأخذ الإجازات ، أو الاستقرار، وتقلد مناصب في القضاء ، الإفتاء والخطابة ، ولكن في كلتا الحالتين ساهموا في تمتين العلاقات بين البلدين، وتجسيد عُمق التواصل الحضاري بين الجزائر والمغرب .

1- تواجد علماء المغرب الأقصى في الجزائر:

تنقل عدد كبير من علماء المغرب إلى الجزائر، فهي منطقة عبور إلى المشرق، خاصة أثناء الذهاب والإياب لأداء مناسك الحج، وكانت بيوت الله ودُور شيوخ العلم أماكن للالتقاء أهل العلم، أو لزيارة الأولياء والتبرك بهم،أومن أجل التحصيل العلمي والحصول على الإجازات ، أو بغية الحصول على وظائف ،كالتدريس والإفتاء، أو للقيام بمهمة سفارية رسمية. أو هروبا من المغرب في ظل عدم استقرار الأوضاع أواخر الدولة السعدية، وبداية الدولة العلوية، ماجعل عدة علماء يفرون من المغرب[2].

أ- تواجدهم من أجل مهمة سياسية :

كُلّفت بعض الشخصيات لأداء مهمة دبلوماسية خلال فترة التوتر بين سلطة البلدين ، منها إيفاد المولى إسماعيل سفارة إلى الجزائر ، تحت رئاسة ولده عبد الملك، وكان ذلك في شوال 1103هـ/ 1692م بعد موقعة المشارع، ضمت عددا من العلماء منهم :محمد الغساني [3] ، ومحمد الطيب بن

---

[1]- إبراهيم حركات: **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية** ،ط1، مطبعة الدار البيضاء، المغرب ، 1985، ص23.

[2]- أرزقي شويتام:" **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)**"، في مجلة الدراسات التاريخية ، ع13، جامعة الجزائر2، 2011، ص ص 89-90.

[3]- محمد الغساني الأندلسي: المصدر السابق، ص14.

محمد بن عبد القادر الفاسي (ت.1113هـ/1701م)[1] ، ورغم أنها كانت لمهمة دبلوماسية، إلا أنّ أعضاءها رجال علم ، فلم تخل من التواصل الثقافي ، فمحمد الطيب الفاسي التقى بالمفتي الحنفي مصطفى بن رمضان العنابي وأجازه[2].

– عبد الواحد بن أبي عناني(ت.1106هـ/1694م) ، والذي بعث به السلطان المغربي إلى حاكم الجزائر،والتقى بمجموعة من علمائها[3].

ب– الجزائر طريق الرحالة المغاربة إلى الحجاز ونشاطهم فيها :

اعتبرت الجزائر الممر البري لرحلات الحجيج المغاربة إلى الحجاز ، وفي هذه الفترة دوّن المغاربة رحلاتهم التي تمكّنا من خلالها التعرف على جوانب من نشاطهم الثقافي في الجزائر، خاصة خلال احتكاكهم بسكان مناطق العبور خاصة المناطق الصحراوية ، وكانوا في الغالب يمكثون فيها، ويزورون أضرحتها وأولياءها الصالحين ومكتباتها ومساجدها ، كما يُجيبون على النوازل التي يطرحها سكانها،ويُصحّحون بعض المفاهيم الدينية الخاطئة[4]. ما أدى إلى انتعاش الحركة الثقافية في المنطقة، وبذلك جسدت مفهوم التواصل الحضاري بين الجزائر والمغرب، ومن أهم الرحالة أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي (ت.1090هـ/1679م) ،الذي جمع بين العلوم العقلية والنقلية، وسافر إلى الحجاز سنة 1662م سالكا الطريق الصحراوي [5]. أثناء رحلته تحدّث فيها عن زيارته للأولياء الصالحين، ومنها زيارته في توات لقبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الراس، وزيارة ضريح النبي خالد ، وعن دور الزوايا في نشر العلم وزيارته لها، فذكر زاوية سيدي أحمد بن موسى، وسيدي عبد الله بن طمطم وزاوية الأخضري ، وتحدّث عن مكتبة ورقلة التي تتوفر على كتب هامة مثل موطأ

---

[1]– من علماء وخطباء فاس ولد سنة 1064هـ/1654م، تعلّم على يد والده وأبي سالم العياشي ، من مؤلفاته شرح مقدمة جده في الأصول ، فهرسة والده في رفع الأسانيد، ينظر: محمد بن مخلوف : **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، تعليق: عبد المجيد خيالي، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان،2003،ص329.

[2]–وصف محمد الفاسي العنابي في إجازته له بالفقيه النبيه، العلامة الداركة ،أبو الخير مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي، ينظر: أبو القاسم سعد الله : **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2009،ص ص 15-16.

[3]– محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس،المصدر السابق، ج1 ، ص 217. ينظر أيضا: محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني: المصدر السابق ، ج 5 ، ص 1831.

[4]– أرزقي شويتام :" العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية"، المرجع السابق، ص90.

[5]– المرجع نفسه، ص90.

مالك وصحيح البخاري ومختصر الرسالة[1]. وسجل لنا هذا الرحالة أنّ علماء يبتاعون ويبيعون الكتب،وهذا ما يزيد في انتشار عناوين الكتب ورواجها في المنطقة ، وذكر أنّه في طريق عودته من الحج نزل في عين ماضي ليبيع كتبا بها [2].

أما في قضية الفتاوى والنوازل ، فالعياشي تحدّث عن ورود نازلتين في الفقه، واحدة في الأحباس والأخرى في البيوع من رجل يدعى محمد بن محمد بن علي على الركب عند توقفه بإحدى قرى توات[3].كما تحدث عن لقائه،ومناقشة طلبة العلم له في بعض المسائل، ومنها كان عند نزول الركب بتقرت بواد ريغ عليهم محمد بن عبد الكريم، وهو طالب علم مستفسرا عن معنى حديث نبوي، وغيره من الطلبة الذين كانوا يتردّدون على العياشي ، كما كانت فرصة لتبادل الكتب، فقد أعطى العياشي كراسا من تأليفه لمحمد بن إبراهيم الذي أهداه بدوره مجموعة من الكتب[4].

ويبدو أنّ العياشي قد أخذ عن الفكون في رحلته الأولى سنة 1064هـ/1653م ثم أخذ عن ولده محمد الفكون الذي صادفه العياشي في حجته الثانية أميرا لركب الحج الجزائري مكان والده، فاستعار منه بعض كتب والده،وعكف على قراءتها والاستفادة منها[5].

وهناك رحالة مغربي آخر وهو أبو العباس أحمد الهشتوكي الجزولي (ت.1127هـ/1715م)، الذي ساهم في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى سكان منطقة بشار لجهلهم بالأحكام الشرعية، فيقول :" ..فقلنا يوم الجمعة في أجنتهم، إلى أن حان وقت الجمعة فدخلت أنا ومولانا عمر فصلينا في قصرهم الجمعة ، فوجدنا أكثرهم قاعدين في أزقتهم غير مبالين بصلاة الجمعة، فخاصمناهم خصاما شديدا وذكرنا أنهم عصاة أثموا على فعلهم إثما شديدا"[6].

وكان ركب الحج من أهم طرق التواصل بين الجزائر والمغرب، فقد ساهم الرحالة العلماء في ازدهار الحياة الثقافية في المنطقة الصحراوية، التي تحولت حواضرها إلى مركز إشعاع كما سنرى.

1- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية للبقاع الحجازية "ماء الموائد"،المصدر السابق،ج1،ص108.

2- المصدر نفسه ، ج2، ص546.

3- نفسه ، ج1، ص ص 81-83.

4- نفسه ، ص ص 120-121.

5- أبو القاسم سعد الله : عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص92.

6- أبو العباس أحمد بن محمد بن داود بن يعزى التنملي الهشتوكي : **هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام** ، مخطوط رقم : ق190، المكتبة الوطنية، الرباط ، المغرب ، ورقة97.

ج- هجرة العلماء لشؤون ثقافية أو لتولي المناصب :

تنقل عدد من العلماء إلى المغرب، فكانوا يتوافدون إلى الجزائر للإفادة والاستفادة من علمائها منهم من شغل مهنة التدريس أو القضاء، ومن ذلك:

- علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الذي استقر في مدينة الجزائر خلال الأربعينيات من القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي ، فقربه إليه الباشوات خاصة يوسف باشا، وبمدينة الجزائر كان خلال قدومه علماء منهم الشيخ سعيد قدورة والشيخ أحمد الزروق بن داود، ومجيء الأنصاري في الجزائر كان مكسبا لطلاب العلم[1].

- محمد الفاسي(ت.1116ه/1704م) الذي تصدر للتدريس في البادية ، وكان شاعرا وأديبا ، وانضم في قسنطينة إلى جماعة كانت تسهر الليالي، وتلهو بالطرب وشرب الدخان ؛ وقد شكّك الفكون شكك في علمه فقال : "لا يعرف معاني الألفاظ، ولا الصناعة الكسورية "[2] ، وكذلك محمد المغربي (ت.1088ه/1677م) وقيل إنّه "صاحب علم ومكارم أخلاق"[3].

- أبو عبد الله محمد بن زاكور الفاسي (ت.1120ه/1708م)، رحل إلى الجزائر في رحلة علمية من أجل الاستفادة من شيوخ الجزائر، والحصول على إجازات منهم ، وقد دون رحلته في كتاب سماه " نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان " ، وقد جمعت الرحلة بين الزيارة والفهرسة [4]، وأعطت لنا صورة حية ومفصّلة للحياة العلمية بالجزائر ، كما عرف بشيوخها الذين حصّل منهم على إجازات ، وألف قصائد مدح فيها شيوخ الجزائر، وفي طليعتهم أبو حفص عمر المنجلاتي ، ومحمد بن عبد المؤمن[5] ، محمد بن سعيد قدورة ،ومحمد بن خليفة[6].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 370-371.

[2]- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية ،المصدر السابق، ص61.

[3]- نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص198.

[4]- محمد ماكامان : المرجع السابق ، ص86.

[5]- محمد بن زاكور: **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان** ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011، ص ص42-44.

[6]- المصدر نفسه ،ص ص 70-73.

د- الهجرة القسرية:

غادر عدد من العلماء المغاربة بلدهم خوفا من بطش السلطة الحاكمة أو نفيا من قبل الحكام المغاربة لهم، كما حدث مع الدلائيين الذين نفاهم المولى الرشيد إلى تلمسان ، ورغم ذلك كان لهم نشاط ثقافي وعلمي ساهموا به في الجزائر، ونبغوا في كتابة القصائد الشعرية ،ونذكر على سبيل المثال:

- أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي(ت.1082هـ/1671م):

حاكم الزاوية الدلائية، كان عالما أخذ العلم عن والده، انتزع منه الحكم من قبل المولى الرشيد، رحل إلى تلمسان وأقام بها،إلى أن توفي ودفن بضريح الشيخ السنوسي[1]. ومن القصائد التي كتبها تعبيرا لشوقه لبلاد الدلاء " قصيدة التلمسانيات "، جاء فيها :

أَرِيحًا سَرَتْ بَيْنَ الحَدَائِقِ وَالنَّهْرِ مُعَنبرَةَ الأَذْيَالِ مِنْ نَفْحَةِ الزَّهْرِ
وَبَانَتْ بَوَادِي الغَدْرِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا وَللصُّبْحِ غَارَاتٌ عَلَى الأَنْجُمِ الزَّهْرِ[2].

- عبد الرحمان الجامعي الفاسي :

اضطر للذهاب إلى الجزائر،بعد فشل ثورة الأمير محمد العالم التي انتمى لها الجامعي ، وأُجبر على مُفارقة المغرب، والنزول بالجزائر سنة1119هـ/1707م[3]. وقد ساهم في التأريخ بشعره لفتح وهران، إذ شرح أرجوزة المفتي محمد الحلفاوي صاحب الأرجوزة قائلا:

وَسِرْ بِي إِلَى ذاك الرِّبَاطِ فَإِنَّهُ ذَخِيرَةُ سَاعٍ لِلْجِهَادِ وَزَائِرٍ[4].

تغنى الجامعي بمدينة الجزائر قائلا:

فَدَعْنِي مِنْ غَرْنَاطَة وَرُبوعِهَا وَشَنيلَ فَالحُسْنُ انْتهَى لِلْجَزَائِرِ
فَمَا تُفَضلُ الحَمْرَاءَ بَيْضَاءَ غَادَةً مُقْرَطَة بالبَدْر ذات غَدَائِرِ[5].

---

[1]- عبد الوهاب بن منصور: **سلسلة أعلام المغرب العربي**، ط1، المطبعة الملكية،الرباط، 1979،ج6، ص74.

[2]- محمد حجي: الزاوية الدلائية، المرجع السابق، ص 239. ينظر: الملحق الحادي عشر، ص388.

[3]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء:إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج1، ص236.

[4]- ينظر القصيدة كاملة : محمد بن ميمون ،المصدر السابق ، ص ص 187-196.ينظر: الملحق الثاني عشر،ص390.

[5]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج2، ص258.

كما التقى بالرماصي، وأُعجب بالشاعر المفتي ابن علي والعالم أحمد البوني[1]، الذي تتلمذ على يديه وأجازه، ثم رحل قبل سنة 1136 هـ/1723م إلى تونس، واستقر بها ودرّس بجامع الزيتونة[2].

2- تواجد العلماء الجزائريين في المغرب:

إنّ هجرة العلماء ليست وليدة هذه الفترة فحسب، بل إنّ تنقلاتهم بدأت منذ القدم، خاصة عند سوء الأوضاع الأمنية والتهديدات الخارجية المتمثلة في الاحتلال الإسباني خاصة في الفترة السابقة أي بداية خلال القرن 10هـ/16م ، فقد هجر واستوطن عدد كبير من العلماء المغرب ، وشغلوا عدة مناصب من تدريس وخطابة وإمامة وإفتاء ، وتخرج على يديهم عدد كبير من العلماء ، إضافة إلى طبيعة الحكم العثماني في الجزائر الذي لم يوفر الأجواء الملائمة للعلماء بما يطلبونه من أجواء الحرية والتشجيع المادي والمعنوي ، وتعرضهم للتهميش والإكراه والضغوط المختلفة ، كما كان للدافع الثقافي وهو الدافع الأسمى لتلك الهجرات من أجل مواصلة الدراسة وتحصيل العلوم[3]، خاصة أنّ المغرب يتوفر على جامع القرويين، مما جعل مدينة فاس في المرتبة الأولى لاستقطاب الجزائريين[4] . وسنحاول ذكر أهم العلماء الجزائريين الذين تواجدوا في المغرب وسبب تواجدهم في هذه الفترة .

أ- علماء هاجروا من بطش السلطة الحاكمة ومن تردي الأوضاع واستقروا في المغرب:

هاجر عدد من العلماء من الجزائر إلى المغرب هروبا من الأوضاع المزرية، وبسبب معاملة العثمانيين الجائرة منهم:

- أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني(ت. 1677/1088م):

أصله من هوارة منداس ، رحل تلمسان وكان نابغا في الشعر ،وقد نقم على العثمانيين ، فبالغ في هجائه لهم ؛كقوله :

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 443.

[2]- حسين خوجة: **ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان** ، تح: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975،ص255.

[3]- محمد أوجرتني : المرجع السابق ، ص ص 538-539.

[4]- كمال فيلالي: "**الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفقون علامة العصر 1580-1662م (988-1073هـ)**"، مختبر الدراسات والأبحاث السوسيولوجية التاريخية حول حركة الهجرة ، أعمال الملتقى العلمي الأول ماي 2008، جامعة منتوري قسنطينة ، مطبعة ألكسندر، جوان 2009، ص17 .

فَمَا دَبَّ فَوْقَ الأَرْضِ كَالتُّرْكِ مُجْرِمٌ وَلَا وَلَدَتْ حَوَّاءُ كَالتُّرْكِ إِنْسَانَا[1]

وذلك بعد تعرّضه وسكان تلمسان للاضطهاد والقمع من قبل القائد العثماني حسن في عهد الداي عثمان باشا 1060هـ/1650م، والأرجح أنه رحل إلى تافيلالت بالمغرب ، وكان على صلة وثيقة بمحمد بن الشريف العلوي ومدحه،ويقال إنّه أعطاه خمسة وعشرين رطلا من الذهب مكافأة له[2]، واشتغل بتدريس ولده المولى إسماعيل ، الذي أجزل له العطاء بعد توليه حكم المغرب.

– أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بابن كماد (ت. 1116هـ/1704م):

ينتمي إلى عائلة معروفة بالعلم في الجزائر ، تولى أفرادها القضاء والتدريس والإفتاء،وشهد عصره دخول العلماء في منافسة شديدة،فاختار أغلبهم الهجرة على الدخول في المنازعات الشخصية، ومنهم ابن كماد الذي توجه إلى فاس[3] ،وقد كانت له حظوة عند المولى إسماعيل ، وشغل كرسي البخاري بجامع القرويين[4]، تخرج على يديه عدد كبير من العلماء[5].

– محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت. 1102هـ/1691م):

ولد بالجزائر وأخذ العلم عن الشيخ سعيد قدورة ، ثم هاجر إلى المشرق ثم المغرب ومن شيوخه، في المغرب عبد القادر الفاسي، وأبو علي حسن اليوسي ، ذهب إلى فاس سنة 1083هـ ، وفد عند المولى إسماعيل الذي كان يكرمه و يجله[6] ، ومن تلاميذه في المغرب أحمد بن عبد القادر التستاوتي[7].

– أحمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني المغراوي (ت.1079هـ/1668م):

ولد بفاس وأصل أسرته من تلمسان، أخد العلم عن أبيه، وعن الشيخ عبد القادر الفاسي، وهو فقيه نحوي، درّس بجامع القرويين ، والخطبة بالمدرسة العنانية[8]. رحل مدينة فاس المغربية كغيره من علماء عصره الذين هاجروا إليها، وذلك لوجود جامع القرويين بها وسنذكرهم في المبحث الثاني.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص265.

[2]- المرجع نفسه، ج1، ص428.

[3]- نفسه، ص427.

[4]-محمد بن عزوز: **كرسي الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس**،ط1،دار بن حزم، بيروت،2003،ص43.

[5]- فوزية لزغم : المرجع السابق، ص227.

[6]- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف لرجال السلف، المصدر السابق، ج2، ص416. ينظر : محي الدين الطعمي : **تكملة جامع كرامات الأولياء**،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1971، ص386.

[7]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص427.

[8]- عزيز الخطيب وآخرون: **علماء فاس في اللغة والنحو**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان ، 2019، ص 13.

المبحث الثاني :

الرحلات ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى

عُرف المسلمون بحبهم للرحلات العلمية والدينية ،خاصة شعوب بلاد المغارب، فكانت الرحلة عاملا من عوامل الترابط بينها، ومظهرا من أهم مظاهر التواصل بين الجزائر والمغرب الأقصى،وقد تعدّدت أشكال الرحلة، ودوّن العديد من العلماء الرّحالة رحلاتهم التي تضمّنت معلومات قيّمة، يمكن توظيفها في عدّة مجالات، خاصة في الجانب التاريخي، فهي مصدر هام للدراسات التاريخية ، لما اشتملت عليه من المعارف و المعلومات، مثل العادات والتقاليد وأخبار المدن التي مرّ عليها الرحالة، والاتصال بالسكان والعلماء ،"فكانت بمثابة الشريط السينمائي يصور منظرا أو يلتقط حدثا"[1].

استطاعت هذه الرحلات رسم الجوانب الثقافية والفكرية والأدبية والروحية والتاريخية والجغرافية والسياسية، كما عملت على تلاقح الأفكار والثقافات خلال القرن11هـ/17م وبداية القرن 18م. فإلى أي مدى ساهمت الرحلات في توثيق وتطوير العلاقات الثقافية والعلمية بين المغرب الأقصى والجزائر؟ وما هي المكانة التي كان يحظى بها العلماء؟

1- مفهوم الرحلة وأنواعها:

أ - مفهوم الرحلة:

جاء في لسان العرب: "ارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا. ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل من قوم. رحل أي انتقل[2].

كما عرّف أحمد رمضان أحمد الرحلة ؛ بقوله :" من يرحل رحلا ورحيلا وترحالا، ورحله من بلده أخرجه منها ، وارتحل القوم انتقلوا، والراحلة الناقلة الصالحة لأن تركب ، و الرحل مركب للبعير أصغر من القتب ، والرحل أيضا ما يستصحبه المسافر من الأوعية جمعه رحال .والرُّحلة بضم الراء الجهة التي يقصدها المسافر ويقال مكة"[3].

[1]- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة ، المرجع السابق، ص8.

[2]- جمال الدين بن منظور: **لسان العرب**، ط3، دار صادر ، بيروت ،1994، مج 11،ص 278.

[3]-أحمد رمضان أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون**،ط1،دار البيان للطباعة والنشر، جدة، السعودية ،1985، ص7.

ب– أنواع الرحلة :

تنوعت الرحلات بتنوع أهدافها ومقاصدها، وتعدّدت بتعدّد الأسباب التي دفعت الناس للسفر، وقد يشترك أكثر من هدف في صياغة رحلة واحدة، ومن أنواع هذه الرحلات:

1– الرحلة الحجازية:

يعدّ الحج ركن من أركان الإسلام، فلهذا كانت الرحلة دافعا دينيا من أجل تأدية مناسك الحج والعمرة، كما أنه ملتقى الحجاج، ومناسبة للتعرف على الشعوب الإسلامية، ومجال لتبادل المعارف. تعد الرحلة المغاربية إلى الحجاز رافد من روافد التواصل بين أهل بلاد المغارب والمشرق الإسلامي، بل حتى بين سكان بلاد المغارب خاصة الجزائر والمغرب الأقصى، لاسيما في شقه الثقافي، فكانت الرحلات تزخر بالعلماء والأدباء الذين كانوا يشدّون الرحال لأداء مناسك الحج ؛ إذ كان الكثير منهم يستغل هذه الشعيرة، فيعرج على الشيوخ لأخذ العلوم منهم، في مختلف الحواضر الإسلامية التي يمرون بها[1]، وكذا الاطلاع على الاتجاهات العلمية و الفكرية عند علماء المدينة المنورة، والاحتكاك بالعلماء الذين جاءوا من بلاد الشرق الأقصى مثل علماء الهند والسند، والحصول على الإجازة العلمية[2]، فكان الحجاج يعودون، وقد أدوا فرضهم، ونهلوا من العلم، وتلقوا إجازات من العلماء الذين التقوا بهم في هذه المراكز العلمية[3]، وبما أنّ الجزائر كانت طريق المغاربة في رحلتهم إلى الحج سواء في رحلاتهم البحرية أو البرية. ويظهر من خلال مؤلفات الرحلات المغربية أنّ رحلتهم البحرية كانت عن طريق المسلك البحري من المدن الساحلية المغربية إلى ميناء مدينة الجزائر ، إلا أنّ الطريق البري كان المفضل للكثير من الحجاج خاصة المغاربة، رغم أنّه يستغرق مدة طويلة[4]، فقد سلكوا ثلاثة طرق

---

[1]– صافية كساس: "**الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية من وإلى المغرب العربي**"، في مجلة الممارسات اللغوية ، ع8 ،جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2011، ص 181.

[2]– محمد علي فهيم بيومي: **المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي**، ط1، دار القاهرة، مصر، 2006 ، ص15.

[3]– أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق، ص11.

[4]– يتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة وأربعة كيلومترات في الساعة الواحدة،وتقطع القافلة مابين خمسة وثلاثين وأربعين كيلومترا في اليوم، بمعدل عشر ساعات في اليوم، وإذا أراد رجال القافلة زيادة السرعة، فإنهم يستطيعون أن يقطعوا خمسة كيلومترات في الساعة،وهكذا تقطع القافلة خمسين كيلومترا في اليوم.ينظر:لطيفة بشاري:**التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين 13–16م**، تحت إشراف: موسى لقبال، معهد التاريخ،جامعة الجزائر،1987، ص 93.

برية ، فمنهم من انطلق من فاس ويعرف بالركب الفاسي ، وهناك من انطلق من سجلماسة، وعرف بالركب السجلماسي يخرج من سجلماسة إلى تافيلالت ، وهناك من انطلق من مراكش ويعرف بالركب المراكشي[1]. ونجد هناك اختلافا في سلك الطرقات بين الرحالة المغاربة استنادا إلى مؤلفاتهم .

وقد تنوعت المسالك البرية من المغرب إلى الحج مرورا بالجزائر، ومن هذه الطرق:

– طريق الواحات المغربية الجزائرية التونسية ، حيث تمر من فجيج ثم توات وورقلة والزاب والجريد وقابس وطرابلس.

– الطريق الصحراوية مرورا بدرعة ، وتوات ورقان إلى فزان وهي قليلة الاستعمال[2].

– الطريق الشمالية الشرقية، وتتخللها جبال وتلال، ويسلكها ركب الحج الفاسي، انطلاقا من فاس إلى تلمسان ثم مستغانم أو التوجه مباشرة إلى القلعة ثم الشلف، ثم يمر بمليانة ثم متيجة والبليدة ويدخل مدينة الجزائر، ثم يسلكون الطريق إلى قسنطينة، ومنها إلى مدينة الكاف التونسية ثم طرابلس[3].

والجدير بالذكر أنّ الركب الجزائري كان مستقلا عن الركب المغربي ، فنجد العياشي يقول : "وبعد أن خرجنا منها لقينا ركب الجزائر القافلين من الحجاز .."[4]. ويذكر كذلك أن الركب المراكشي كان يجدّ في السير أثناء السفر، خوفا من أن يلحق به الركب الجزائري فتكون هناك فتنة[5]، رغم أنّه في هذه الفترة لم يكن هناك تمييز بين المغاربة في المشرق، فسكان بلاد المغرب كلهم كان يطلق عليهم مغاربة ، حيث كان ينطلق الركب المصري، ثم الركب المغربي المتكون من ركب المغرب الأقصى وتونس والجزائر وطرابلس الغرب، فيتضاعف أعدادهم، ويؤلفون ركبا مغاربيا كبيرا [6].

---

[1]– مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني، المرجع السابق، ص 351.

[2]– محمد ماكامان : المرجع السابق، ص ص 146-147.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 ، ص407.

[4]– أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية للبقاع الحجازية "ماء الموائد"، المصدر السابق، ج1، ص133.

[5]– المصدر نفسه ، ج2، ص 496.

[6]– عواطف بنت محمد يوسف نواب: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر**،ط1، دارة الملك عبد العزيز ، السعودية، 2008، ص256.

وبوصولهم إلى الأراضي الجزائرية، ينفصل الحجاج الجزائريون والمغاربة كل حسب وجهته، والحجاج المغاربة وسكان الجزائر في الجنوب الغربي ينفصلون في الأغواط، ثم يقصدون واد الساورة وتوات وغيرهما. آملين تجديد العهد بالحج[1].

وقد فضّل الحجاج الجزائريين الطريق البحري على البري عكس المغاربة ، حيث تمر السفن بالإسكندرية ثم السويس إلى المدينة المنورة أو إلى ميناء جدة القريب من مكة ، أوبرية بحرية وذلك بالسير برا حتى ميناء الإسكندرية ثم الركوب بحرا[2]، كما كان هناك أمير الركب، ومن أهمهم في هذه الفترة محمد بن الفكون الذي التقى به العياشي في رحلته الثانية بطرابلس [3].

وكان الشيخ محمد بن أبي نعامة الكنتي أمير ركب الحج في منطقة توات سنة 1138هـ/ 1726م[4].

ومن مؤلفات الرحالة الحجازية للجزائريين في هذه الفترة ، والتي تعرضت جلها للضياع رحلة أحمد البوني المسماة " الروضة الشهية في الرحلة الحجازية "[5]، لكنها ضاعت .

وهناك أيضا رحلة عبد الرزاق بن حمادوش لأداء فريضة الحج سنة 1125هـ/1713م، بالرغم أنّه لم يحدد الغرض من تأليفه، والدافع إليه ولا خطته، ولا سبب اختيار العنوان ، إلا أنّ الأكيد هو أنّ الكتاب حصيلة لعدّة رحلات قام بها ابن حمادوش لعدّة بلدان مشرقا ومغربا، حيث تنقل كثيرا منذ العشرينات من عمره، والتي ابتدأها بأداء فريضة الحج ،كما رحل إلى المغرب الأقصى في عدة مناسبات، منها رحلاته سنة 1145 هـ/ 1732 م، وسنة 1156 هـ/ 1743 م ، لكن الجزء الأول الخاص بالرحلة إلى الحج ضاع ، وبقي الجزءان الآخران الخاص برحلته إلى المغرب الأقصى ، وقد سجل ملاحظاته وأحكامه ومشاهداته في ، الذي ألف كتابه " لسان المقال في النبأ عن النسب

1- ابن أبي محلي : ابن أبي محلي الفقيه الثائر، المصدر السابق، ص 129.

2- الحسين بن محمد الورتلاني:**الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** ، **تعليق: ابن مهنا القسنطيني**، ط5، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011، ج1، ص335.

3- عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ج2، ص514.

4- محمد باي بلعالم : **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات ومايربط توات من الجهات**،(د .ط)، دار هومة ، الجزائر، 2005، ج2، ص570.

5- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج2، ص390.

والحال"[1]. وهناك رحلة أبي العباس أحمد بن عمار (ت.1205هـ/1790م) الذي رحل مرتين إلى المشرق، وكتب رحلته سنة 1166هـ والمعنونة ب " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب "، وهي الأخرى ضاعت وبقي منها مقدمة مطبوعة[2].

وذِكر هذه التفاصيل لا للتعريف بركب الحج المغاربي ، بل للتطرق إلى المسالك والرحلات التي وصفها الرحالة الجزائريون والمغاربة المغاربة، والتي توضح لنا مدى التواصل الروحي بين الجزائر والمغرب ، باعتبار أنّ الجزائر هي المحطة الأولى لأركاب الحج المغربي.

وقد عرف أدب الرحلة الحجازية في بداية عهد الدولة العلوية نشاطا كبيرا ، حيث حرص هؤلاء الرحالة على تدوين تفاصيل رحلتهم، وتظهر فيها رغبتهم في أداء مناسك الحج، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، والتردد على أولياء الله الصالحين الأموات، أو الأحياء منهم، وما تضمنته الرحلة بدءا بتجهيز الركب والانطلاق، وأهم المسالك التي عبروها، وأوضاع المدن والقرى التي مروا بها، بالإضافة إلى تدوين ماشاهدوه من عادات وتقاليد فيها، وكذا ذكر من صادفهم من المتصوفة،والعلماء في طريقهم، وكثيرا ما اعتبرت الرحلة الحجازية من الرحلات الفهرسية، لما تضمنته من إجازة وترجمة للشيوخ [3].

وهناك عدة كتب ألفها المغاربة عن الرحلة الحجية ، إذ يذكر محمد الفاسي أنّها اختلفت عن كتب الرحالة السابقين التي كانت تقتصر على ذكر المسافات ووصف المراحل والاهتمام بالناحية الطبيعية الجغرافية، وبأخلاق الناس،أو مايسمى بأدب المسالك والممالك [4].

تعدّ الرحلات الحجازية من أهم مظاهر التواصل بين الحجاج المغاربة، خاصة بين حجاج الجزائر والمغرب من حيث الاحتكاك، والتعامل باعتبار أن الركب المغربي يمر من المغرب إلى الجزائر

---

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش: **لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال** ، تح: أبو القاسم سعد الله ،ط1، م و ك، الجزائر، 1983.

[2]- سميرة انساعد: **أدب الرحلات الحازية النثرية في الجزائر من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجري (القرن 17–19م**)،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير،معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر،السنة الجامعية:2000–2001، ص27.

[3]- شرف موسى:"**أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرقي والهلالي نماذجا**" ، في مجلة قضايا تاريخية ، ع 7، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة،2017، ص 84.

[4]- محمد الفاسي: "**الرحالة المغاربة وآثارهم**" ، في مجلة دعوة الحق، ع2، وزارة الأوقاف، المغرب،1958، ص11.

وتونس وطرابلس ثم مصر إلى الحجاز.وسنسرد لاحقا أهم الرحلات الحجية التي تواصلت مع المناطق الجزائرية.

2- الرحلة العلمية:

إنّ للرحلة العلمية دورا في الالتقاء بالعلماء، والاستفادة منهم، وحضور مجالس العلم والاطلاع على الكتب والمكتبات ، ومن ثم إثراء صاحبها بالمعارف، وتهذيب الطباع، وصقل الشخصية العلمية، وتوسيع المدارك الفكرية، بالإضافة إلى اكتساب مهارات التدريس، والحصول على إجازات متنوعة من العلماء،والالتقاء بالعلماء والأدباء، ومعرفة الصالحين وأقطاب الصوفية وزيارة الأضرحة والأولياء الصالحين ، ومثال ذلك رحلة ابن زاكور الفاسي للجزائر[1].

3- الرحلة الفهرسية :

يرتبط الكثير من أعمال الرحلة التي كتبها علماء المغرب، وماتشتمل عليه من حديث عن العلم والعلماء، ومجالس الدرس، مع التعريف بالشيوخ الذين التقى بهم، وأخذ عنهم شيئاً من هذه العلوم، والترجمة لهم، وذكر أحوالهم ومؤلفاتهم، وعرض نصوص الإجازات التي صدرت لهم أو منهم، وقد بدأ ظهور هذا النوع من الكتابات منذ القرن 7هـ/13م[2].

ومن الأوائل الذين بدأوا في كتابة الرحلة الفهرسية في بداية عهد الدولة العلوية وإدراج التراجم والتعاريف بالشيوخ، أبي سالم العياشي خلال رحلته خاصة من خلال كتابه " اقتفاء الأثر "[3]التي ترجم فيها العديد من العلماء الذين لقيهم في رحلاته الحجازية .

وبهذا فقد أحدثت الرحلة الفهرسية تحولا في مسيرة كتابة الرحلة في المغرب ، لكونها وعاء لحفظ النصوص العارضة من أجوبةٍ وفتاوٍ، ومقدمات كتب، ورسائل علمية وشخصية، وقصائد شعرية، ونصوص إجازات، ومؤلفات صغيرة، وغير ذلك[4].

---

[1]- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق، ص10.

[2]- عبد الله المرابط الترغي: **فهارس علماء المغرب من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان، 1999، ص134.

[3]- عبد الله العياشي: **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر فهرس أبي سالم العياشي** ، تح: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط، 1996.

[4]- عبد الله المرابط الترغي:"**الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الاسلامي**" ، في مجلة التاريخ العربي، ع29، أبو ظبي ، 2004 ، ص ص 351-352 .

4- الرحلة السفارية:

ظهر هذا النوع من الرحلة خلال القرن 10هـ/16م ،فكان السلاطين السعديون ومن بعدهم العلويون يعينون بعض المقربين لهم للقيام بمهمة سواء في البلدان الأجنبية أو الإسلامية [1] ، إذًا فالسفارة [2]دافعها سياسي،ويكون صاحبها مبعوثا رسميا ،هدفه السعي إلى الصلح والوساطة، وتحسين العلاقات بين البلدين وتبليغ المراسلات[3].

2- أهم الرحلات العلمية لعلماء المغرب الأقصى إلى الجزائر:

أ - رحلة أبي سالم عبد الله العياشي[4]:

يعدّ العياشي من علماء عصره بفضل غزارة علمه، وصفاء تصوفه ،ووفرة مؤلفاته[5]،وتعدد رحلاته داخل المغرب وخارجه ، فلم يترك عالما إلا قصده، ولا متصوفا إلا زاره ، وللعياشي ثلاث رحلات إلى الحج أولها كان سنة 1059هـ/1649م، وثانيها سنة 1064هـ/1653م ، أما الثالثة فهي التي كانت سنة 1072هـ/1661م ، فحرص على تدوين رحلته في كتاب سماه " ماء الموائد" ، وألحق بها فهرسته الثانية " تحفة الأخلاء بأسانيد مشايخ الأجلاء"[6].

---

[1]- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق، ص10.

[2]- ورد في تاج اللغة أنّ السفارة لغة :سفرت بين القوم ،أسفرت سفارة أي أصلحت بينهم ، والسفير هو المصلح بين القوم. ينظر: إسماعيل الجوهري: **معجم تاج اللغة وصحاح العربية** ،تح: أحمد عبد الغفور عطار،ط4، دار العلم للملايين، مصر، 1990، ج2، ص685.

[3]- محمد ماكامان : المرجع السابق ، ص343.

[4]- هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، ولد ليلة الخميس أواخر شعبان 1037هـ / ماي 1628م بقبيلة آيت عياش ،ثم نشأ بتزروفت، حيث أسس والده زاوية بها سنة 1044هـ/1634م ،وتتلمذ على يد محمد بن الناصر الدرعي، وبعد تولي الرشيد حكم المغرب فرض عليهم الاستقرار في فاس سنة 1082هـ/1671م ، فتتلمذ على يد عبد الرحمان بن القاضي وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الذي أجازه سنة 1063هـ/1653م ، توفي بالطاعون سنة 1090هـ/1679م . ينظر: محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر..، المصدر السابق، ص 325.ينظر أيضا: مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 17-18.

[5]- له عدة مؤلفات ففي الرحلة له الرحلة العياشية " ماء الموائد" ، وفي الفهارس" اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" ، وفي التصوف "تنبيه أهل الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية" إلى جانب أعمال أخرى في الفقه والنحو، ينظر، عبد الجواد السقاط: **"الزاوية المغربية في العصر السعدي"**، في مجلة دعوة الحق، ع264،المغرب،1981 ، ص80.

[6]- وهي مطبوعة تحت عنوان : **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**، تح : محمد الزاهي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

وتشكّل رحلة العياشي الكبرى " ماء الموائد" مصدرا هاما لتاريخ بلدان المغرب،وكذا المشرق في هذه الفترة ،وذلك بفضل تدقيقه وكتابته لأهم التفاصيل في رحلته الثالثة، مضيفا إليها ما شاهده في رحلتيه السابقتين [1].

فأبو سالم لم يألَ جهدا في سبيل جمع الفوائد والفرائد ، وفي هذا الصدد يقول:"...وقصدي من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علمٍ لاكتاب سمرٍ وفكاهةٍ، وإن وُجد الأمران فيها معا فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها سيما إن كان صاحب تكوين، وأمّا صاحب التكوين فلكلّ شيء عنده موقع ونفع"[2]

ومن خلال محاولة استخلاص بعض الجوانب من مظاهر التواصل الحضاري بين الجزائر والمغرب من رحلة العياشي، نجد أنّه سلك الطرق الصحراوية في طريقه للحج ذهابا وإيابا ، وفي رحلته الأخيرة انطلق من بلده بني عياش شمال سجلماسة ، وهي تافيلالت ، ودخل الأراضي الجزائرية، نحو الساورة مرورا ببني عباس ثم توات، ثم قورارة ثم المنيعة ثم واصل رحلته إلى ورقلة، وسوف وطرابلس أما في طريق العودة، فقد مرّ ببسكرة والأغواط وعين ماضي ثم بوسمغون وفجيج[3].

وفي مراحل رحلته الحجية، يصف لنا المناطق التي سلكها، وسكانها وأحوالها وعلماءها وأقطابها. وهنا سنذكر أهم تفاصيل رحلته في الصحراء الجزائرية، حيث يقول: "ولما وصلنا بني عباس وجه إلى سيدي إبراهيم السوسي، وكان معنا في الركب سؤال منظوم في ثلاثة أبيات، وحاصله أنه قال : هل يجوز للشاعر اللحن في القوافي أم لا؟ فاستهجنت هذا السؤال واستنكرت أن يكون صاحبه ممن له بضاعة من الأدب ماسة ، وعلمت أن قصده السؤال، عن ضرائر الشعر، وما يقع فيه مما هو بعيد عن منهج العربية ولا يجري على قواعدها. فأجبته بأبيات مضمنها أن اللحن لا يسوغ في شيء من الكلام نظمه ونثره، إلا أن النظم لما أضيق من النثر اغتفرت فيه أشياء كثيرة لا يغتفر مثلها في النثر ولا يسوغ". [4]

وكان ذلك في الجانب الأدبي الذي شهد ضعفا وانحطاطا في معظم حواضر بلاد المغارب .

---

[1]- شرف موسى:"أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز" ، المرجع السابق ص 83.

[2]- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد) ،المصدر السابق، ج1،ص4.

[3] – حفناوي بعلي : **الرحلات الحجازية المغاربية: المغاربة الأعلام في البلد الحرام** : دراسة نقدية ،ط1،دار اليازوري العلمية للنشر،الأردن، 2018،ص131.

[4]- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد)،المصدر السابق، ج1،ص36.

وعند دخوله إلى توات يذكر: "ولم نلق هناك أحدا ممن ينتسب إلى ولاية أو صلاح، ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل تجارة جل عيشهم التمر"[1].

والواقع أن مدة إقامته القصيرة وعدم زيارته لمنطقة توات كاملة، ليست كافية لإصدار حكم على سكانها، وعلى منطقتها بهذا الحكم، فقد مكث مدة لم تتجاوز ستة أيام، كما أنّ منطقة توات واسعة ومتشعبة ، زار فيها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح في قرى تسابيت[2].

وكان بعض من أهل توات انضموا إلى ركب الحج المغربي ورافقوهم إلى الحجاز ، ثم نزلوا بقرى الدغامشة ، قرب زاوية سيدي عبد الله بن طمطم ، وقد ذكر كرم ضيافته. وعند وصوله إلى المنيعة، ووصفها أنّها قلعة حصينة من حجر صلد في سفح جبل وبها آبار كثيرة ، وفيها كان ينزل سيدي أبو الحفص ابن الولي الصالح سيدي عبد القادر من أولاد سيد الشيخ[3].

وقد أُعجب العياشي بما شاهده من أمهات الكتب؛ ففي مكتبة ورقلة رأى نسخا من نوازل البرزلي، وموطأ الإمام مالك وصحيح البخاري، ومختصر الرسالة لأبي زيد القيرواني[4]،و التقى بأهل العلم فيها، وكانت هناك أسئلة فقهية منها اللطيفة والغريبة طُرحت على الركب المغربي[5].

ولكنّ العياشي ذكر لنا مستوى أهل العلم في جامع ورقلة: "....وكان دخولنا لمدينة ورقلا عشية الخميس، وأقمنا يوم الجمعة، وصلينا بجامع المالكية ، وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتّى كأنّها همهمة ، فكنت أتخوف أن لاتصح لنا معه الجمعة ..إن كانت صلاته كخطبته..، فنجى الله فأحسن في قراءة الفاتحة ، فما ضننا أنّ صلاتنا معه مجزئة، ودعا في خطبته للإمام المهدي ثم للسلطان الأعظم الخاقان الأفخم: محمد بن إبراهيم بن مراد ..."[6]

---

[1]- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد)،المصدر السابق، ج1،ص38.

[2]- المصدر نفسه،ج1، ص 38.

[3]- نفسه ، ص 67.

[4]- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق، ص30.

[5]- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، المصدر السابق،ج1، ص40.

[6]- المصدر نفسه ،ج1،ص70.

وهنا اتضح من خلال شهادة العياشي عن تفشي الجهل بالدين، وعدم الإهتمام باللغة العربية ، رغم أنّ المدينة كانت محطة للحجاج المغاربة، والواقع أنّ الوضع الثقافي المتردي في بعض الحواضر الجزائرية ذكره حتى علماء جزائريون خلال رحلتهم ومنهم الورثلاني واصفا مدينة بسكرة[1].

ومن العلماء الجزائريين الذين التقى بهم العياشي الشيخ عيسى الثعالبي الجزائري المقيم في مكة ، وأخذ عنه،حيث جمع العياشي سند عيسى الثعالبي وروى عنه، وحصل على إجازة ، كما سافر إلى الحج مع وفد جزائري يرأسه عبد الكريم الفكون ، فأخذ عنه مؤلفاته وطريقته[2].

أما في طريق عودته فقد وصف لنا مدينة بسكرة ، حيث وجد أكثر حوماتها خالية ، ومساجدها داثرة، والتقى بسيدي محمد الصالح الذي أكرمه واطلع على مكتبته، وما تكتنزه من كتب ومخطوطات[3]، ثم يذكر سيدي مخلوف، أنّهم أشراف فقراء، ثم وصوله إلى الأغواط، وبعدها بوسمغون ومنها إلى فجيج حيث افترق ركب الحج المراكشي والسجلماسي، وهنا تكمن القيمة العلمية للرحلة العياشية في احتوائها على الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، مما لا يدوّنه إلا الرحالة المدقّق والمعاين ، وقد اتبع هذه الطريقة من جاء بعد العياشي فصار كل ذي اختصاص يبحث عن المناسبات ليملأ رحلته بما يتعلّق باختصاصه.

ب- رحلة محمد بن المرابط الدلائي سنة 1069هـ/1659م:

ولد محمد الدلائي سنة 1021هـ/1612م، بحاضرة الدلاء الجديدة ، وقد نشأ في بيئة ثقافية وكان نموذجا لوالده في علمه وتصوفه وأدبه وشعره[4]، وقد اشتهر الدلائيون بتعلقهم بالحج والتقائهم بالعلماء، وحجّ مع والده سنة 1069هـ/1659م، وكانت طريقه من فاس برا إلى الجزائر، وقد نظم رحلته شعرا في قصيدة تتكون من مائة وستة وثلاثين بيتا، انطلاقا من باب الفتوح بفاس، فمدينة تازة، وعين مطهر وعين ماضي والأغواط ووادي سيدي خالد، ثم بلاد الزاب فبسكرة، ودخوله لتونس

[1]- قال: "ولما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولامُدرسا، سوى رجل واحد متى يقرأ لوحه وهو ملقى أمامه يقرأه على غير أدب ولااستقامة، وأخبرني بعض أصحابنا أنّه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري وحده.." ينظر: الحسين بن محمد الورتلاني:الرحلة الورثلانية، المصدر السابق،ص109.

[2]- حفناوي بعلي : المرجع السابق، ص129.

[3]- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، المصدر السابق ، ج 2، ص522.

[4]- محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر..، المصدر السابق، ص ص 307-308.ينظر:مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني، المرجع السابق، ص161.

توزر فقابس ثم طرابلس، ويستمر في رسم خريطة الحجاج عبر أبياته حتى وصوله للحرم الشريف ومدح الرسول والصحابة. وفي سنة 1089هـ/1679م توفي محمد المرابط الدلائي[1].

ج-رحلة الرافعي التطواني سنة 1096هـ/ 1684م:

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الرافعي ، اللخمي الأندلسي الأصل التطواني المنشأ، ولد سنة 1040هـ/1630م [2]، العلامة الفقيه المشارك الأديب، الشاعر[3]، له رسائل وأدعية وأذكار، ألّف الرحلة الحجازية التي تعرف ب "المعارج المرقية في الرحلة الشرقية"[4].

ومن خلال رحلته نجد اتصاله بالجزائر ، حيث حج سنة 1096هـ/ 1684م بحرا في سفينة عثمانية عن طريق البحر مليئة بالمخاطر، خاصة في ظل نشاط القرصنة، وكذا احتلال الإسبان لبعض الثغور المغربية والجزائرية ، حيث يذكر أنّه عند اقترابهم من مدينة وهران هاجمهم مركبان للإسبان فقاتلوهم، ولم ينجُ منهم إلا بهبوب الرياح ونزول الظلام[5].

ويذكر أنّه عندما نزل بالجزائر واجتمع بقاضيها محمد بن عبد المؤمن، ودفع له نسخة من رحلة ابن زاكور المسمّاة" نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان "، كما وصف مدينة الجزائر وقصورها وأبراجها [6]. ثم زار قبر الإمام عبد الحق الاشبيلي في بجاية [7]،ومنها غادرها في سفينة إلى جزيرة رودس فمصر فالحجاز .

وفي طريق عودته أبحر مع ولده من الإسكندرية في مصر إلى جزيرة مالطا ودخل الجزائر في 9جمادى الثانية 1097 /3 ماي 1686م ، ومكث فيها مدة ثم تابع طريقه إلى أن دخل تطوان[8].

---

[1]- محمد ماكامان: المرجع السابق، ص221.

[2]- عواطف بنت محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص60.

[3]- محمد حجي: **موسوعة أعلام المغرب** ،ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان، 1996، ج 8، ص1200.

[4]- توجد نسخة منها بخزانة الأستاذ محمد التطواني بتطوان ، وقدم ملخصها في كتابه وعلق على أسلوبها ينظر: محمد داوود: تاريخ تطوان: المرجع السابق، ج1، ص312.

[5]-مصطفى الغاشي:"**صورة الشرق من خلال"المعارج المرقية في الرحلة المشرقية للرافعي التطواني1096هـ/1684م**"، في مجلة الدارة ، ع1، السعودية، 1999، ص190.

[6]- محمد ماكامان: المرجع السابق، ص214، ينظر: خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج 1، ص240.

[7]- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة : **معلمة المغرب**،ط1، مطابع سلا، المغرب، 1989، ج12، ص4185.

[8]- محمد ماكامان: المرجع السابق، ص214.

وهنا نجد أنّ الرافعي قدم لنا صورة من صور التبادل الثقافي بين الجزائر والمغرب من خلال رحلته رغم العلاقات المتوترة في هذه الفترة.

د- رحلة الهشتوكي:

هو أحمد بن محمد بن داود الجزولي التملي نسبا ، والهشتوكي شهرة له، ولد سنة 1057هـ/ 1647م، ومنذ صغره اهتم بالعلم ولقاء العلماء سواء في سوس ودرعة أو في مراكش ، حيث قضى فترة طويلة في الزاوية الناصرية بدرعة، ثم الدلائية في الأطلس المتوسط[1]، ومن أبرز شيوخه نذكر: أبو عبد الله ابن ناصر الدرعي، الحسين الدرعي، أبو سالم العياشي، أبو علي اليوسي، وأحمد بن حمدان التلمساني، كما رحل إلى السودان[2]، وللهشتوكي رحلتان، فالأولى سنة 1096هـ/ 1684م سجل فيها وقائع رحلته سماها "هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، والوقوف بالمشاعر العظام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام"، ورحلته الثانية سنة 1119هـ/1707م مع ابن ناصر الدرعي. توفي أحمد الهشتوكي في جمادى الأولى سنة 1127هـ /1715م بدرعة، ودفن بزاوية تامكروت[3].

وسنفصّل القول عن رحلته الحجازية الأولى التي كانت سنة 1096هـ/ 1684م، وهي رحلة كبيرة أفاض الحديث واستطرد في ذكر ما يناسب كل موضوع، من إيراد النصوص والنقول والأوصاف وغيرها.

وذكر العديد من علماء الفترة في المغرب من شيوخه وغيرهم. وبخاصة في القضايا التي عايشها، كما ذكر طريق رحلته، يقول الهشتوكي معدّدا بعض نفائس خزانة عبد الجبار الفكيكي: "وزرنا صالحي فجيج وعلمائها: السيد عبد الجبار وأولاده وأصحابه، ودخلنا إلى خزانتهم العظيمة، وتبركنا بها، ورأينا فيها كتبا غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة، من جملتها اختصار تفسير القرطبي"[4].

---

[1]- مصطفى الغاشي: المرجع السابق ، ص ص 171-172.

[2]- عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج2 ، ص1102.

[3]- المصدر نفسه،ج2، ص1102.

[4]- محمد بوزيان بنعلي : **"من نوادر المخطوطات بخزانة عبد الجبار الفكيكي"** ، في مجلة دعوة الحق، ع 260، المغرب ، 1986، ص 64.

ثم سلك طريق الساورة ووصف قصور بشار ، وقد ذكر أنّه وصل يوم الجمعة ووجد أكثرهم قاعدين في أزقتهم غير مبالين بصلاة الجمعة، فنهاهم ونعتهم أنّهم عصاة ولهم إثم كبير[1]. ثم مر عن طريق بوسمغون وارباوات ثم الكراكدة، ثم وصل إلى الغاسول وعين ماضي، حيث استقبل أهلها الركب المغربي فرحين بقدومهم ، واستقبله الفقهاء وطلبتهم، وذكر أنّه كانت بينهم مسائل فقهية ونحوية، ومنهم من سأله عن قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

عن المقيمين هل هو منصوب أو مخفوض ، فأجابه الهشتوكي إنّه يجوز فيه الوجهان،والأصح هو النصب، فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره- والله ربنا أعلم- أمدح المقيمين[3] ، كما طلب منه أحد الطلاب العلم منْحه الإجازة في الأجرومية بعد أن قرأها له فأجازه الهشتوكي[4].

وقد أثنى وأشاد بحبهم للعلم قائلا: "... وبالجملة فما رأيت فيهم محمودا إلا سرورهم وفرحهم بالركب المحمدي أكثر من غيرهم ، وحبهم للعلم واشتغالهم به من قديم الزمان إلى الآن، وقد حذرني منهم شيخنا القاضي الأريب أبو مروان سيدي عبد المالك بن محمد التجمعتي أيده الله قائلا: إنّهم يسألون كل من مرّ من بلدهم، ممن وسم بالعلم، وذكر أنهم سألوه حين مر عليهم عن من فاتته صلاة الصبح أعواما هل يقرأ في كل صبح القنوت أم لا. قال: فأجبتهم: إنّه يقرؤه، فقال له: أين دليله في مختصر خليل؟ قال: فقلت لهم أين أنتم من قول الشيخ في بكورة السعد على نحوه مافاتته. قال فسلموا ..."[5] ، ثم اتجه نحو تاجموت، لكنه انحرف عنها مع الحجاج بعد أن حذره أهل عين ماضي بأنّ فيها نباتا يقتل الإبل يسمى الدرياس[6].

---

[1]- أبو العباس أحمد الهشتوكي : هداية الملك ...، المصدر السابق ، ورقة97.

[2]- سورة النساء، الآية 162.

[3] – عبد القادر نواري: " **مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين"** ، في مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج8 ، ع2، ورقلة ، الجزائر،2020، ص209 .

[4]- أبو العباس أحمد الهشتوكي : هداية الملك ...، المخطوط السابق ، ورقة120.

[5]- نفسه ، ورقة 122-123.

[6] – عبد القادر نواري: المرجع السابق ، ص 211.

كما كان له رحلة ثانية جاءت بعد ربع قرن من رحلته الأولى، برفقة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، ووفْد الزاوية الناصرية ومما جاء في مقدمتها:" فقد سرى في خاطري وسنح في جوانحي وفكري أن أقيد رحلتنا في هذا الكتاب المبارك إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة النبي عليه السلام وأهاليه وصحابته الكرام . وأذكر إن شاء الله من التقينا بهم من السادة العلماء الأعيان والصلحاء وما استفدنا منهم من المسائل العلمية ونحو ذلك "[1].

ويبدو أنّ رحلتا الهشتوكي بيّنت رغبته كغيره من الرحالة في الجمع بين الحج والتزود ولقاء العلماء، كما ساهم في تصحيح بعض المفاهيم والشعائر الدينية، التي استهان بها بعض السكان في بشار، واستصغروها لجهلهم الأحكام الشرعية، كما بيّنت اهتمام طلبة العلم في المناطق الجنوبية في الحصول على إجازات من شيوخ المغرب ، وحرصهم على التفقّه.

هـ- رحلة أحمد القادري[2] "نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس"سنة 1100هـ/ 1688م:

يعدّ أبو العباس أحمد القادري من أعلام فاس، ذهب إلى الحج سنة 1083هـ/1672م وفي أثناء عودته استهوته القاهرة وأقام بها سبع سنين، واستكمل معارفه وخبرته بالطريقة القادرية. ثم عاد إلى المغرب، وشارك في الجهاد ضد الإسبان[3].ثم عاوده الحنين لزيارة بيت الله الحرام، فحج سنة 1100هـ/1688م مع شيخه أبي العباس أحمد بن معن الأندلسي أحد مشايخ الصوفية،ودوّن أحمد القادري تفاصيل الرحلة الحجازية ، وسماها "نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس"[4].

تعدّ رحلة أحمد القادري الحجازية سجلًا دوّن فيه مُجريات رحلته مع شيخه ابن معن، وعَمّن لقيه من الرجال، أو من تبرّك به من العلماء أو الصلحاء، سواء أكانوا أحياء أم أمواتا.

---

[1]- محمد ماكامان: المرجع السابق ، ص224.

[2]- وُلد بفاس ودرس فيها ،ثم واصل مشواره التعليمي بالزاوية الدلائية على يد الحسن اليوسي،وصاهرهم، وبقي هناك إلى أن خرج مع الدلائيين بعد أن هزمهم الرشيد سنة 1079هـ/1668م ، فخرج إلى تادلة ثم فاس، أخذ العلم عن عبد القادر الفاسي وأحمد بن معن،له قصائد منها نظْم فيمن هاجر إلى الحبشة ، ومدائح في السادات الصديقية أهل مصر،وله رحلة نسمة الآس، كما لقي مشائخ المشرق والمغرب، وأخذ عنه ، توفي سنة 1133هـ/1720م ودفن قرب ضريح الشيخ أحمد اليمني خارج باب الفتوح. ينظر: حفناوي بعلي : المرجع السابق، ص149.ينظر: عواطف يوسف نواب: المرجع السابق، ص ص 66-67.

[3]- عبد الهادي التازي : مئة رحلة ، المرجع السابق،ص 265. ينظر أيضا: محمد ماكامان: المرجع السابق، ص225.

[4]- هي رحلة مخطوطة في ثلاث نسخ ،وهي اليوم مُحققة: **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس** ، تق وتح : المصطفى مدوحي، ط1،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب، 2020.

يهتم القادري ولو بصفة مختصرة بالحديث على مراحل الرحلة، ووصف طرقها ومسالكها، مستعملا السجع ، فكانت انطلاقة الرحلة من تازا ، وفي مسار رحلته ودخوله للجزائر يتحدث عن الطريق قبل الوصول إلى عَيْن ماضي: "ثم من الغد رحلنا وخلفنا العمائر والقرى، ودخلنا فسيح الظهرا، نسلك تلك المهامه الفيح، المكتسية بالحلفاء والشيح، لكن منظرها مليح، وهواها صحيح، وبها الوحش يستريح. فيها النعام والحمر والبقر والمهاة، وأنواع شتى من مصيد الحيوانات. ومن غدا بها، أورادها، يلائم طبعه هواها"، و نلاحظ أنّ أهل عين ماضي كانوا دائما يستقبلون الحجاج المغاربة بحفاوة ، فيذكر القادري : "فيبادر الناس إلى لقاء الشيخ، وإبداء الفرح بالسلام عليه، كما فعل أهل عين ماضي حين لقائهم بالركب والسلام على الشيخ والاحتفاء به، وبخاصة منهم الفقهاء وقاضي البلدة الذين طلبوا من الشيخ الدعاء الصالح لهم"[1].

وبعد زيارتهم وفي رحلة الإياب أدركهم الركب القسنطيني الذي ظل يرافقهم أيضا. وفي طرابلس التقوا بركب الحاج المغربي القادم من المغرب الذي كان فيه الحسن اليوسي.

والملاحظ أنّ رحلة "نسمة الآس" هي نص ثري، سواء ماتعلق بالجانب النثري أو الشعري، إذ تمكّن فيها أحمد القادري من تقديم تفاصيل مميزة عن رحلته خلال مروره بالأراضي الجزائرية.

و– رحلة أبي علي اليوسي (1101–1102هـ/1690–1691م):

هو أبو علي الحسن بن مسعود بن أحمد بن علي بن يوسف بن داوود بن بدر البوحديوي اليوسي، ولد سنة 1040هـ/1631م وسط قبيلة آيت يوسي ناحية الأطلس الشرقي[2]، نشأ في بيئة متواضعة، حفظ القرآن في سجلماسة، وقد عُرف بشغفه للعلم، فتنقل بين مختلف المدن المغربية، أخذ عن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، وعن عبد الملك التاجموعتي، وعبد القادر الفاسي[3]، عين أستاذا في تارودانت، ثم غادر إلى درعة، وبعدها توجه إلى الزاوية الدلائية ، صاهرهم ثم هاجر إلى فاس بعد تخريب الزاوية من قبل المولى الرشيد، ثم إلى تطوان، لكنّه أُرغم على الرحيل إلى مراكش، ليعود إلى الزاوية الدلائية مابين 1095هـ/1683م- 1100هـ/1688م. ثم إلى مكناسة، ثم اتجه إلى العرائش مع تلميذه ابن زاكور ،ثم عاد إلى فاس لكنه غادرها باتجاه الحجاز سنة1101هـ/

---

[1] – أحمد القادري: **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**،مخطوط الخزانة الحسينية، رقم 8787، 8 ب.

[2]– مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني، المرجع السابق ، ص180.

[3]– علال الفاسي: أبو علي اليوسي، المرجع السابق ، ص 20.

1690م ليعود سنة 1102هـ/1691م، والتحق بأسرته في تمزريت، وأقام بها وتوفي في نفس السنة[1].

كانت رحلته إلى الحج برفقة وفد رسمي مبعوث من طرف المولى إسماعيل، يضم الأمير المعتصم بن المولى إسماعيل وأخته الأميرة ست الملك[2]، وقد اتخذت الرحلة طريق البر، انطلقت من فاس يوم السبت 14 جمادى الثانية 1101هـ /24 مارس 1690م وكان الرجوع إلى تمزريت يوم الأحد 25 شوال 1102هـ/21 جويلية 1691م [3]، ومن خلال رحلته[4] ،و هي من إملائه وتأليف ابنه محمد العياشي بن حسن اليوسي ت 1119هـ/1708م ، وبما أنّه لم يمارس الكتابة مثل أبيه ، فجاءت صغيرة الحجم لكنها مفيدة ، وأسلوبه فيها متين وملاحظاته دقيقة[5]، احتوت على مواضيع هامة في الثقافة والعادات والسلوك، ووصف طرق القوافل، وحالتها الأمنية وانتشار الظلم ،ولم يستطع اليوسي مراجعة رحلته التي كتبها ابنه حيث توفي بعد عودته من الحج[6].

وقد اختلفت رحلة اليوسي عن أغلب الرحلات، فكان هدفه زيارة بيت الله وأداء فريضة الحج، ولم يكن هدفه التحصيل العلمي أو الحصول على إجازة ، فقد كان شيخا من شيوخ العلم، و له عدة تآليف[7]، ولم يغب عن الرحلة الحديث عن الجانب العلمي، ورصد مظاهر الاتصال الثقافي بين المغرب وغيره، إلا أن ذلك يبدو قليلا إذا ما قورن بما تعرفه رحلات المعاصرين لليوسي من الراحلين إلى المشرق من أمثال أبي سالم العياشي، وأبي العباس الهشتوكي، وأحمد بن ناصر وغيرهم.

---

[1]- مصطفى الغاشي:الرحلة المغربية والشرق العثماني، المرجع السابق، ص ص 181-182.

[2]- عبد الهادي التازي: **مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة** ، (د.ط)،مؤسسة الفرقان ،السعودية، 2005، ص238.

[3]- محمد العياشي بن الحسن اليوسي: **رحلة اليوسي (1101- 1102هـ/1690-1691م**) ، تح: أحمد الباهي،ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، مطبعة سوجيم، تونس، 2018، ص25.

[4]- توجد ثلاث نسخ مخطوطة، موجودة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1418، تتكون من 105 ورقات، وهناك رحلة مخطوطة في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1896، لكن هذه الرحلة حققت من قبل أحمد الباهي وقد اعتمدنا عليها ينظر: محمد العياشي بن الحسن اليوسي:المصدر نفسه، ينظر أيضا : عواطف بنت محمد يوسف النواب، المرجع السابق، ص75.

[5]- عبد الكبير العلوي المدغري: المرجع السابق، ص119.

[6]- محمد ماكامان: المرجع السابق ،ص212.

[7]- منها:" أدعية ورسائل "،" ديوان اليوسي"، " زهر الأكم في الأمثال والحكم"،"حاشية على مختصر السنوسي" ،" نيل الأماني في شرح التهاني"، "الكوكب الساطع في شرح الجوامع" و" سؤال وجواب في نعيم الجنة "، وغيرها من المؤلفات، ينظر: حفناوي بعلي : المرجع السابق، ص153.

وتحتوي الرحلة خلال ذكره لأهل عين ماضي أنّ جلهم من طلبة العلم، وهو ما ذكره أغلب الرحالة المغاربة، وما أكده اليوسي في رحلته، حيث قال: "...وأكثرهم طلبة يقرأون القرآن ويرغبون في ملاقاة أهل الصلاح ويسألون عن مسائل في القرءان والتجويد والتفخيم والترقيق وكيفية ذلك"[1]. وما جرى بينه وبين أهل قرية سيدي خالد من مناقشات . إذ سأله أهلها هل النبي خالد نبي مرسل أو نبي فقط؟ لكن اليوسي لم تكن له الإجابة فقال لهم سيدي الوالد: " لاعلم لنا به" [2] وبعد ذهابه إلى مصر اطلع على كتاب ذكر فيه مؤلفه النبي خالدا فقال :

شَهِدَتْ عَلىَ أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِن الله بَارِي النَّسْمِ

فَلَوْ مَدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَو وابن عَمِّ

ويُذكر أنّ مدفنه بإفريقية، لكن الروايات تذكر أنّ مدفن النبي خالد بن سنان العبسي والذي بُعث بين الرسول عيسى ومحمد عليهما السلام، وقبره في بلاد الزاب ببسكرة الذي أصبح من أهم المزارات[3].كما ذكر أنّه في بسكرة يوجد بها مسجد عظيم ولكنه خال من طلاب العلم ، فلم يجد بها من بينهم من يقرأ ولا يبرئ،ولا من يُضيف[4].

وفيما يخص الفكر الصوفي للمؤلف فهو من تلامذة محمد بن الناصر الدرعي (ت.1085هـ/ 1676م)، والذي أخذ عنه الطريقة الناصرية. لكنّ اليوسي لم يورد لنا خلال تنقلاته وزياراته للأضرحة والأولياء ماشاهده، إذا ما استثنينا ذكره لزيارة مقام عقبة بن نافع ، رغم ذكره مبيته بتاجموت وعين ماضي، فالأكيد أنه زار أولياءها وأضرحتها[5].

وتصف الرحلة صعوبة بعض المسالك ومنها الطريق من بسكرة إلى مقام سيدي عقبة، حيث أشار إلى شدة الأمطار وفيضان الأودية ووعورة التضاريس ، حتى عجزت الإبل عن المسير لأنّ أرضها

[1]-محمد العياشي بن الحسن اليوسي: رحلة اليوسي،المصدر السابق،ص76.

[2]- المصدر نفسه، ص80.

[3]- أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**،ط1، دار المعرفة للنشر، المغرب،1991،ص150.

[4]-محمد العياشي بن الحسن اليوسي: المصدر السابق، ص83.

[5]- المصدر نفسه، ص76.

سبخة،وصرح بأنّ أقبح ما في المرحلة كان بين وادي عبد المجيد ووادي سيدي خالد بسبب الأرض الخشنة الصلبة والعطش والخوف بسبب إغارة القبائل[1].

وشدّه حسن وجمال نساء بلدة عين ماضي "جمال نسائها مما لا يكاد يوجد في غيرها" ،وذكر خلال عودته من الحج سيادة الأمان بوجود عامل للمولى إسماعيل في عين ماضي[2].

وبالجملة، تبقى رحلة اليوسي من الرحلات الحجازية الواضحة، والمميزة بما تحمله من صور نشاطه في آخر مراحل حياته، فتنقل لنا أطوار رحلته الحجازية وظروفها، ووقائعها، ووصف مراحلها، وما مثّلته من ملامح الاتصال الثقافي بين المغرب والجزائر خاصة .

ز- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي "الرحلة الناصرية" 1121هـ/1709م :

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الحسين بن ناصر بن عمر الدرعي، ولد سنة 1057هـ/1647م بتمكروت،وتوفي فيها سنة 1128هـ/1716م ، نشأ في أحضان أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف[3]، فأقبل على العلم، وأخذ عن أبي سالم العياشي، فكان من العلماء الموسوعيين، متضلعا في التفسير والحديث والتصوف [4] ، تصدّر المشيخة الصوفية بتمكروت بعد مقتل والده ،فأقبل عليه الناس للأخذ عنه والاستفادة منه[5].

وكان له دور في نشر العلم سواء في المغرب أو المشرق، فقد حج أربع مرات، الأولى سنة 1076هـ/ 1665م مع والده ، والثانية سنة 1096هـ/1684م ، والثالثة سنة 1697م أما الرابعة فهي سنة1121هـ/ 1709م[6].

سجل وقائعها في رحلة بعنوان "الرحلة الناصرية إلى الديار النورانية"،ويصف فيها مراحل رحلته ؛ إذ كان دخوله للجزائر عبر منطقة فجيج ثم وصوله إلى عين الصفراء، وفيها التقى بأولاد سيدي أبي

---

[1]- محمد العياشي بن الحسن اليوسي:المصدر السابق، ص83.

[2]- المصدر نفسه ، ص 188.

[3]- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية**، تح: عبد الحفيظ الملوكي،ط1،دار السويدي ، الامارات العربية المتحدة، 2011،ج1، ص19.ينظر: محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر ...، المصدر السابق، ص365.

[4]- عواطف بنت محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص77.

[5]- محمد كنون : محمد كنون : **فوائد علمية وحقائق تاريخية من خلال الرحلة الناصرية لأحمد بن ناصر الدرعي**، أدب الرحلة والتواصل الحضاري ،سلسلة ندوات ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة المولى اسماعيل، مكناس،1993، ص355 .

[6]- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية، المصدر السابق، ص27.

دخيل،وانتقل إلى واحة العسول قرب الأبيض سيدي الشيخ ، وذكر نزوله في بوسمغون ، واستقبال الحاج الشيخ بن المرابط مفتاحى له وهو صاحب والده،وذكر أن تسمية بوسمغون نسبة للولي الصالح سيدي أبي سمغون [1].

وتوقفت قافلة الحجيج في عين ماضي التي ذكر أنّ أهلها أغلبهم من طلبة العلم[2]، حيث قال: "...وعين ماضي أهلها كلهم طلبة علم يقرؤون خليلا وكبيرهم سيدي أحمد الدهْصاء... وأولاده الثلاثة فقهاء: سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد وسيدي زرّوق، ومن فقهائهم: سيدي أبو الحفص،سيدي محمد بن عيسى... وسيدي عيسى بعكاز مؤدب الأطفال وغيرهم"[3].

وفي حجته سنة 1096هـ/1684م، طلب منه أهلها ترك كتاب والده الغنيمة فتركه لهم[4]، وقال في عين ماضي كذلك أنّ ماءها طيب بارد يخرج من سفح الجبل، وتلك المياه تزود الواحة والبساتين التي تحيط بها[5]. ثم ذكر أنّه صلى الضحى بمسجدهم العتيق، وأشار إلى أنّ أهلها ينتسبون إلى البيت النبوي الشريف[6]، كما ذكر أنّ أهلها ينكرون الزيارات والتبرك بأولياء الله الصالحين مستندين على الحديث الشريف : " إنّ الرحال لاتشد إلا إلى ثلاثة مساجد"[7].

ثم نزلوا تجموت ورحب بهم أهلها، وخرج إمامهم سيدي أحمد بن بركة وضيفهم ، وفي رحلته السابقة لم يمر بها خوفا على إبلهم من الدرياس، ومنها إلى مدينة الأغواط، وذكر التقاءه بفقهائها، ومنهم سيدي محمد بن كسيمة، سيدي أحمد بن إدريس، وسيدي محمد بن خليفة ، وسيدي الحاج عبد الرحمان الفجيجي، وسيدي إسماعيل العيناضي، وضيفهم أهلها[8]، واتجه مركب الحج نحو توزر واستمرت رحلتهم،ومما ذكره في طريق إيابه من الحج أنّ مركبهم مرّ بالزاب ببسكرة ،واستقبلهم سكانها بسكرة، ثم زيارتهم لسيدي عقبة، وسيدي خالد ووصولهم للغاسول في الخامس من شعبان،

[1]- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق،ص128.

[2]- حفناوي بعلي : الرحلات الحجازية المغاربية، المرجع السابق، ص134.

[3]- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق،ص130.

[4]- المصدر نفسه ، ص131.

[5]- حفناوي بعلي: الرحلات الحجازية المغاربية، المرجع السابق، ص134.

[6] -أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق ،ص131.

[7]- المصدر نفسه، ص ص 131-132.

[8]- نفسه ،ص132.

واستقبال أهلها لهم، ونزلوا بالهزة قرب مقام سيدي عطاالله وملاقاته بسيدي عبد الكريم التواتي، الذي كان يقرئ أولادهم ويُصلي بهم ثم تزوج عندهم [1]، ثم واصلوا طريقهم وفي بشار تسوقوا منها ووصلوا إلى القنادسة آخر محطة للوصول إلى المغرب[2].

ويلاحظ من خلال الرحلة زيارة العديد من الزوايا وأشياخ الطرق والمزارات والمساجد، وكان له الفضل في نشر تعاليم الطريقة الشاذلية ، والتمسك بالسنة النبوية ، ولقد ذاعت شهرته في مغربا ومشرقا،حيث أقبل الناس عليه لأخذ العهد وتلقي الأوراد[3].كما اهتم ركب الحج بقراءة القرآن أو مايعرف بالسلكة،ومن ذلك لقائهم بجماعة من أولاد سيدي طيفور بن عيسى البسطامي[4].

و نستشف من خلال نصوص الرحلة أنّ الحواضر الصحراوية كانت مركزا لتزود الحجاج المغاربة بالمؤن، فنشطت الحركة التجارية فيها، ورحلته جاءت متنوعة في ذكر المسالك وأحوال الناس ،معتمدا على الجانب التاريخي والسردي في رحلته، حيث بعد نزوله في سيدي عقبة، أطنب في ذكر تفاصيل قصة عقبة بن نافع الفهري[5].

ح- رحلة أبي عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الصميلي 1139ه / 1726م :

ولد سنة 1110ه/1698م،وينتمي إلى قبيلة شراقة "شراكة" شمال مدينة فاس ، درس بجامع القرويين قبل أن يرحل إلى الحجاز ، وذاع صيته في العلوم اللغوية والإسلامية،قصده طلبة العلم، رحل إلى المشرق سنة 1143ه[6]. توفي سنة 1170ه/1757م ،ترك مؤلفات منها رحلتين حجازيتين ، إلا أنّ الرحلة الثانية ضاعت، وبقيت الأولى التي كتبها سنة 1139ه/ 1726م وتوجد بمكتبة لبزيك بألمانيا مكتوبة بخط مشرقي تحت رقم vollers 746 [7] .

---

[1]- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق ،ص722.

[2]- المصدر نفسه،ص723.

[3]- محمد ماكمان: المرجع السابق، ص216.

[4]- -أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق ،ص721.

[5]- محمد كنون : فوائد علمية وحقائق تاريخية ، المرجع السابق ، ص 363.

[6]- خير الدين الزركلي: **الأعلام** ،ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002،ج6، ص ص 177-178،ينظر: ابن سودة المري:**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**،ط1، دار الفكر، بيروت، 1997، ص246.ينظر أيضا: آسية الهاشمي البلغيثي : **المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة**،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب، 1996،ج1، ص 42.

[7]- إلى جانب النسخة المخطوطة ، حققت الرحلة بعنوان :الرحلة الحجازية لأبي عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي (1170/1110ه)، تح: نور الدين شوبد،ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،2014،تحتوي على 687صفحة.

يذكر فيها تصميما لرحلته ، والعلماء الذين التقى بهم وكذلك صعوبات ركب الحج، والمخاطر التي يتعرض لها. وانطلاقة رحلته كانت مع الركب الفاسي، ووصف المناطق التي مر بها ،فدخل الجزائر، ووصل إلى المشرية،وزار قبر الشيخ محمد العمري الملقب بمولى الخلوة ، ثم إلى النخيلي" مخيليف"، أين يلتقي الركب الفاسي مع السجلماسي فوادي الطرفا ثم وادي الاشبور ثم عين ماضي حيث مدح جمال نسائها [1]، وفي وصف تاجموت قال: " قرية حافلة مازالت في جلاليب السعة والرفاهية رافلة، اشتملت على بساتين وجنان، وحدائق أحذقت السرور بكل جنان"[2].

كما تحدث عن استقبالهم في الأغواط وورود إليه جماعة من الطلبة وأورد مسائل علمية ، ثم يصف جفاف المنطقة ووعورتها من أول عبد المجيد إلى سيدي خالد، ثم دخولهم بسكرة وزيارة مسجدها والتقائه بتلاميذ ابن الناصر ثم مرورهم بسيدي عقبة ولكن لم يزوروه[3]، ثم يصور بطابعه الأدبي المشاهد التي شاهدها: "ولما نشرت الشمس زعفرانها على الربى، وفتت مسكها على الغيطان، وقربنا من وادي كبير ينحدر من جبل المصامدة ، يسمى وادي كشطان، فبتنا بين تلك الآكام" ثم تابعوا طريقهم إلى الحج باتجاه تونس[4].

نلاحظ من خلال رحلة ابن الطيب الشرقي تقدير طلاب العلم له، وتقديم معلومات وأوصاف عن جغرافية المنطقة وسكانها.

ط- سفارة الوزير الغساني:

في إطار الرحلات السفارية التي أرسلها المولى إسماعيل إلى الجزائر لعقد الهدنة مع أتراك الجزائر بعد هزيمته في موقعة المشارع ، فأرسلها في 27 شوال1103هـ /12 جويلية 1692م ، ووصلت إلى الجزائر في 9 من ذي الحجة 1103هـ/22 أوت 1692م. وتتألف من عدد من كبار الأعيان ، ومائة وعشرين فارسا على رأسهم ابنه المولى عبد الملك. والقاضي أبو عبد الله محمد الطيب الفاسي والكاتب محمد بن عبد الوهاب الغساني المدعو الوزير[5].

1- محمد الفاسي :" **أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي**" ، في مجلة المناهل ، ع6 ،الرباط، 1976، ص ص 91-92.

2- محمد ماكامان: المرجع السابق،ص238.

3- محمد الفاسي : أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي ، المرجع السابق، ص92.

4- محمد ماكامان: المرجع السابق،ص238.

5- محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر..،المصدر السابق،ص282، ينظر أيضا: محمد علي داهش: الدولة العثمانية والمغرب، المرجع السابق، ص80.

يقول الشيخ محمد الطيب الفاسي :" لما دخلت مدينة الجزائر كان ما أتحفني الله بلقائه من أعلامها الفقيه النبيه مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي ، فتذاكرت معه في فتوى علمية واستفدت منه فوائد سنية ، وذكرت له زوائد ودررا علقت بذهني مما سمعته من جهابذ علومهم وربطة، فحمله حسن نيته وأن استدعى مني إجازة في ذلك "[1].

فحملت هذه الرحلة السفارية جانب التواصل بين علماء البلدين ، في الاستزادة بالفتاوى العلمية والحصول على الإجازات .

ك – محمد بن زاكور الفاسي (ت.1120هـ/1708م):

من الرحلات العلمية المغربية إلى الجزائر رحلة أبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور، الذي وُلد بمدينة فاس، يُرجّح أن تاريخ ميلاده بعد1075هـ/1664 م[2]، حفظ القرآن والمتون العلمية، وكان يحضر مجالس بعض العلماء الكبار مثل عبد القادر الفاسي(ت.1091هـ/1680م) وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة سنة، كما حفظ عدّة تآليف منها مختصر خليل، وكافية ابن مالك ، فكان متنوع الثقافة في مختلف العلوم والفنون خاصة في اللغة والأدب[3].

كما حصل على عدة إجازات ،وتوفي يوم 20محرم 1120هـ/ 11أفريل1708م، وخلف خزانة علمية ثرية، شملت كتب التاريخ والتراجم، والحديث، والأصول، والطب، والتوقيت، والأدب والشعر، نذكر منها منها: "الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العلم"، "المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب" "معراج الوصول إلى سماوات الأصول"، "الحلة السيراء فيحديث البراء"، " الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض"وهو ديوان شعره مُحقق، "المعرب المبين بما تضمنه

1– أحمد بن سحنون: الثغر الجماني...،المصدر السابق،ص ص 75-76.

2– عبد الله كنون :**ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ط1،دار بن حزم، المغرب ، 2010، ج1، ص1268.

3– خير الدين الزركلي: الأعلام ، المصدر السابق، ج7، ينظر: عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج1، ص185. ينظر أيضا: بوشتى السكيوي: **ظاهرة الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول بين جهود الإحياء الثقافي والتأصيل المعرفي**،ط1،دار الأفاق المغربية، المغرب، 2015، ص399.

الأنيس المطرب وروضة النسرين"، "إيضاح المبهم من لامية العجم"، "عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام"، كما ألّف في مجال الطب[1].

لقد كان الرحلة دور كبير في تكوين شخصية ابن زاكور، فالرحلة شرط من شروط اكتمال شخصية العالم ، وقد أدرك ذلك فقال: "فإنّ الرحلة منة من الله ونحلة، تكسب الغليظ الطباع غاية الرقة والانطباع، وتعقب من كابد لها نصبا، علما غزيرا وأدبا .."[2].

ولم تقتصر رحلته على دواخل المغرب الأقصى، بتنقله إلى عدة مناطق كمراكش، سلا، العرائش، زرهون، مكناس وتطوان. بل تعداه إلى الجزائر. وسجل رحلته في كتاب سماه "نشر أزاهير البساتين فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان". وكانت رحلته عن طريق البحر من تطوان إلى الجزائر سنة 1093هـ/1683م وبقي إلى غاية رجب 1094هـ/1683م[3].

وقد سجل فيها أسماء المشايخ الذين أخذ عنهم، ونصوص إجازاتهم له، كما قدم وصفا للمناطق التي مرّ بها. وتعكس رحلته أهم مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب[4].

وقد وصف مدينة الجزائر وهجوم الأعداء عليها[5]: "وهي من بهجتها وموقعها قد غص بها كل عدو كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر ، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر"[6].

ووصف علماء الجزائر قائلا: "غرر أعلام ينجلي بهم الإظلام ، وشموس أئمة، تتفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أخبار هذه الأمة ، من رجال كالجبال وأحبار كالأقمار، طلعوا في بروج سعودها بدورا ألبسوها رواء ونورا، فاهتديت بأنوارهم السنية، إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنية ، ورتعتُ في رياض آدابهم فتمتعت ، ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت..."[7].

---

[1]- محمد بن قاسم بن زاكور: عنوان النفاسة في شرح الحماسة، المصدر السابق، ص ص 33-34.

[2]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان ، المصدر السابق، ص38.

[3]- عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب ، المرجع السابق، ص 1270.

[4]- صالح بوسَليم ، محمد الزين:" **ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**"، في مجلة الحوار المتوسطي ، ع 9و10، سيدي بلعباس، جويلية 2015، ص85.

[5]-قصد بن زاكور الحملات الفرنسية ضد مدينة الجزائر ، فقد كانت حملة الأميرال دوكين صفر 1094هـ/فيفري 1682م.

[6]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان ..، المصدر السابق،ص41.

[7]- المصدر نفسه، ص ص 40-41.

وقد أثنى ابن زاكور على العلماء الجزائريين ومكانتهم في الأمة حيث رَصف لنا عدّة تشبيهات تُؤكد أهميته ، وذكر مانَهله من علمهم الغزير.

ومن العلماء الذين أجازوه أبو حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري (ت. 1104هـ/ 1693م)[1]، وكان قد تجاوز الثمانين سنة، وقد حفظ عليه كتاب "جمع الجوامع" في أصول الفقه للسبكي ، وكتب ابن زاكور قصيدة يمدحه فيها :

إنَّ الإِمَامَ أبَا حَفْصِ الرّضىَ عُمَرَا أَضْحَى يُطَرِّزُ مَاحَكَى وَمَا ابتَكَرا
بَدْرُ الجَزائِرِ صَانَ الله بَهْجَتَهُ عَنْ أَنْ يَرَى بِخُسُوفِ البَدْرِ مُسْتَتِرَا[2]

عزم ابن زاكور على الرحيل فطلب منه الإجازة فأجازه[3] ،كما أخذ العلم عن محمد بن عبد المؤمن قاضي المالكية ت 1101هـ/1689م[4].

وكتب فيه مادحا:

البَحْرُ قَدْ أبْدَى سنى نَضْرَتَهُ فَهَامَتِ الأَعْيُنُ فِي بَهْجَتِهِ
قَدْ خَلَعَ الحُسنُ عليْهِ حَلى وَانتَظَمَ الإِبْدَاعُ فِي لبتِه
كَأنَّهُ والشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ شُعَاعَهَا الأنظَرِ فِي لُجَّتِهِ[5]

وقرأ عليه كتاب جمع الجوامع وأرجوزة الفرائض لإبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني (ت. 690هـ/1291م)، وقبل أن يغادر ابن زاكور طلب من محمد بن عبد المؤمن الإجازة فمنحها له[6]. كما أخذ عن أبي عبد الله محمد بن خليفة ،وهو من العلماء الذين درسوا بمصر ولقي العلامة ياسين الحمصي(ت.1061هـ/1651م) [7]، وقد استفاد منه ورغب في قراءة كتاب " مختصر سعد الدين

---

[1]- فقيه، من بجاية انتقل إلى مدينة الجزائر ، ودرس على يد علمائها ، ومن أساتذته: الشيخ علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري، الفقيه الأديب سعيد بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم . ينظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص318.

[2]- محمد بن زاكور : نشر أزاهر البستان ..، المصدر السابق، ص44.

[3]- المصدر نفسه ،ص45.

[4]- نفسه ، ص56.

[5]- نفسه، ص51.

[6]- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،المرجع السابق ، ص121.

[7]- محمد أمين المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ،(د.ط)، دار صادر، بيروت ، (د.ت) ، ج4، ص350.

على التلخيص " عليه ،لكن المنية أخذت شيخه و توفي قبل أن يقرأ عليه الكتاب ،ولم يحصل على الإجازة[1].

كما قصد ابن زاكور محمد بن سعيد قدورة (ت.1107هـ/ 1695م)[2] ،شيخ الفقه والحديث، وألحّ عليه في طلب الإجازة وكتب قصيدة يستعطفه ويمدحه :

قَدْ آنَ يُنْجِزُ الوَعْدَ الذي وَعَدَا مَنْ لاَ نرَى حَازِمًا قَدْ حَازَهُ أَحَدَا

وَمَنْ حَوَى العِلْمَ والمجْدَ الصُّرَاحَ مَعًا وَمَنْ رَوَى عَنْ أبِيهِ البِّر والرُّشْدَا

سُمِّي خَيْرَ الوَرَى مُفتْي الجَزَائِرِ مَن مِنْ بحْرِهِ اغْترَفَت أَخْبَارَهَا مَدَدَا[3]

فأجازه في أوائل رجب 1094هـ/1683م ، وكان آخر شيخ من الشيوخ الذين أجازوه في رحلته لمدينة الجزائر[4].

ل – رحلة عبد الرحمان بن عبد الله الجامعي الفاسي:

أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله الجامعي الفاسي ولد 1087هـ/1676م بفاس ،وتعلم فيها، أديب مغربي، مهتم بالتاريخ ،انتقل إلى تلمسان سنة 1119هـ/1707م ، ومنها إلى مدينة الجزائر سنة 1122هـ/1710م،فتونس سنة 1126هـ/1714م،درس بجامع الزيتونة، توفي سنة 1137هـ/ 1725م ، من أهم مؤلفاته :" شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران"، و"الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسنية "[5].

لعبد الرحمان الجامعي الفاسي رحلة سماها "التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق"، خصّ فيها الحديث عن شيوخه الذين لقيهم، وسميت الرحلة ليواقيت المشرق نسبة إلى رحلته للجزائر ثم تونس، حيث أن الأراضي التي تقع شرق المغرب الأقصى تعتبر مشرقا ، وتضمنت الرحلة العلماء

---

[1]– محمد بن زاكور: المصدر السابق ،ص73.

[2]– زاول خطة الإفتاء ثماني سنوات إلى أن أعدم الداي محمد بكداش ، للإطلاع أكثر ، ينظر: حسين بن رجب شاوش بن المفتي: تقييدات ابن المفتي، المصدر السابق ، ص101 .

[3]– محمد بن زاكور: المصدر السابق، ص70.

[4]– المصدر نفسه، ص71.

[5]– ابن سودة المري:المصدر السابق،ص379، ينظر:عبد الفتاح الصعيدي:**معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002**، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان ،2003، ج3، ص384، وينظر أيضا: عمر رضا كحالة : **معجم المؤلفين** ،ط1، ج2، مؤسسة الرسالة،سوريا، 1993،ص86.

الذين استفاد منهم في فاس، كما تضمنت رحلته للجزائر التي كانت رحلة اضطرارية، فقد كان الجامعي من المساندين للأمير محمد العالم الذي قتل بعد ثورته سنة 1118هـ/1706م ، فلجأ عبد الرحمان الجامعي للجزائر ، إذ قال في رحلته : " وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي ، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي ، لاجتماعي بها بالأديب الماهر ، الدال على وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر، أديب العلماء ، وعالم الأدباء، محي طريقة لسان الدين بن الخطيب ابن الإمام الخطيب ، ذي القدر العلي، أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن علي[1].. أبقى الله وجوده بالألطاف محفوفا، وبالنفحات الأدبية منقوحا متحوفا"[2].

ولقائه بابن علي ؛ باعتباره قاضي الحنفية أثناء إقامة الجامعي في مدينة الجزائر في حضرة الداي محمد بكداش ، وقد أثنى على شعره وتبادل الشعر معه، واعتبره مجدد طريقة ابن الخطيب[3].

ومن العلماء والأدباء الآخرين الذين عرفهم بمدينة الجزائر أو غيرها:محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني ناظم أرجوزة فتح مدينة وهران ، التي تتكون من اثنين وسبعين بيتا قام الجامعي بشرحها[4]؛ وقال عنه: مفتي الحضرة التلمسانية لهذا الزمن المشار إليه في البيان بالبنان،العالم العلم ، قلم اللسان ولسان القلم شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمدالحلفاوي التلمساني داراونسبا، المالكي مذهبا، أبقاه الله لتحقيق العلوم وإحياء الرسوم"[5]

والشيخ محمد مصطفى الرماصي القلعي (ت.1136هـ /1724م)[6]،حامل راية الفقه المالكي. الذي يقول عنه الجامعي:" كنت وفدت على العلامة الداركة الفهامة الدراية النقاد سراج التحقيق

---

[1]- هو محمد بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج" أبو عبد الله الشهير بابن علي ولد 1090هـ/1679م، وتوفي 1166هـ/1753م،شاعر أديب نشأ وتعلم بمدينة الجزائر ثم أصبح مفتي الحنفية، ينظر:عادل نويهض : المرجع السابق، ص241.

[2]-أحمد بن عمار: **نحلت اللبيب، بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، ط1، مطبعة فونتانا، الجزائر،1905، ص ص 81-82.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج2، ص300.

[4]- محمد بن ميمون : المصدر السابق،هامش رقم 1ص83.

[5]- عبد الرحمان الجامعي:**شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران**،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:2521، ورقة3.

[6]- هو مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي ، ويلقب بالقلعي نسبة إلى قلعة هوارة ، ولد بقرية رماصة بمستغانم في حدود سنة 1043هـ/1634م ، درس على يد والده، ثم انتقل إلى مدرسة مازونة،ومن شيوخه : محمد بن شارف المازوني وعبد الرحمان بن زيد التويجيني،انتقل إلى فاس ثم إلى مصر. ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف لرجال السلف، المصدر السابق، ج2، ص567.ينظر أيضا: خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج3، ص303، ينظر أيضا: الملحق الثالث عشر.

الوقاد منهل العلوم الأصفى أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى القلعي الرماصي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر، قرب غابة في رأس جبل، يأوي إليه ليلا ويظل بالنهار في داره ومسجده، يطالع كتبه ويقرئ طلبته"[1].

ومحمد بن ميمون صاحب كتاب"التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، حيث وضع شرح أرجوزة الحلفاوي[2] لمحمد عبد الرحمان الجامعي في كتابه " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية".أقام في تلمسان ،حيث كان بها أثناء الفتح الأول لوهران 1119هـ/1707م ،ومن شعره :

لما أرادَ اللهُ بالدِين جَلَا   عَنْ أرضٍ وهْران بني الكُفْر جَلَا.

بعد مقتل الداي محمد بكداش، رحل إلى بونة، وزار أبا العباس أحمد بن قاسم البوني الذي كان يُعرف بابن ساسي[3]. ومما جاء في ترجمة البوني ما أورده أبو زيد عبد الرحمان الجامعي الفاسي في رحلته نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية "، وكتاب " التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق"، حيث قال: " ولما دخلتها يعني بونة أممت دار الشيخ الرباني العالم العرفاني الذي بنيت هذه الرحلة المباركة على قواعد بركته أساسي أبي العباس أحمد بن الولي الصالح البر الناجح أبي عبد الله قاسم بن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المعروف بالساسي ، فوجدته طلق المحيا، وأنزلني بمنزل لإكرام أضيافه...، وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه، مع مشايخ بلده وولديه ...، وإن تآليفه بلغت ماينيف على المائة بين مختصر ومسهب، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب ، والعجب العجاب ، سألته الإجازة.."[4].

---

[1]- أحمد بن سحنون : المصدر السابق، ص30.ينظر: رابح خدوسي: المرجع السابق،ج2، ص61.

[2]- محمد أبو عبد الله بن أحمد الحلفاوي التلمساني، فقيه ، أديب، ناظم وعالم عصره ، متمكن في الفقه ونوازل الأحكام والتاريخ، اشتغل بالفتوى ، تولى الإفتاء ، والخطابة والوعظ والتدريس ، وقد أشاد بالداي محمد بكداش وحضر فتح وهران الأول سنة 1119هـ/1707م.ينظر: رابح خدوسي : المرجع نفسه، ص561.

[3]- أحمد بن قاسم بن محمد البوني: ولد أحمد البوني سنة 1650م وتوفي سنة 1726م، تنقل بين المدن الجزائرية مدرسا ومعلما ثم انتقل إلى تونس ومصر وأجاز بعض علمائها في الحديث، وصلت عدد مؤلفاته إلى أكثر من مئة كتاب أهمها:" التعريف بما للفقير من التواليف " ، رحلة حجازية مفقودة لحد الآن سماها " الروضة الشهية في الرحلة الحجازية "، ينظر: أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، تح: محمد لخضر بوبكر وسعيد دحماني، دار الوسام العربي، عنابة، 2011م، ص29 .

[4]- عبد الحي الكتاني:المصدر السابق، ج1 ، ص 236.

ويستشف من هذه الشهادة أنّ عبد الرحمان الجامعي الفاسي لما نزل بونة احتك بشيوخها وحضر مجالسهم العلمية ، طلب الإجازة من أحمد بن قاسم البوني.

ويلاحظ أن الجامعي قام بتسجيل مراحل رحلته، وعملية التنقل، منذ ركوبه البحر من الجزائر إلى حين نزوله ببونة، ومنها إلى تونس برا. كما قام بالتعريف برجال العلم والأدب ممن لقيهم في رحلته هاته.

وانطلاقا مما سبق، يمكن تصنيف هذه الرحلة ضمن الرحلات الفهرسية،لأنّها تمثل استمرار ما سجله المؤلف في الرحلة الأولى "التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق".

2- أهم الرحلات والهجرات العلمية لعلماء الجزائر إلى المغرب الأقصى:

إنّ رحلات وهجرات علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى، وإقامة بعضهم إقامة دائمة أو مؤقتة ومساهمتهم في الحركة العلمية ، إذ تولوا مناصب مثل التدريس والإفتاء ، كما تخرج على يديهم علماء مغاربة أجلاء، إلا أنّ أغلبهم في هذه الفترة لم يدونوا رحلاتهم ، ومن أهم الرحلات العلمية للمغرب التي كانت لطلب العلم أو للإقامة أو لهجرة إجبارية ، نذكر بعض العلماء أهمهم:

أ- هجرة سعيد قدورة (ت.1066هـ/1655م):

سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان قدورة ، سافر إلى تلمسان سنة 1012هـ/1603م وبقي ثلاث سنوات ، ثم سافر إلى المغرب الأقصى، ووصل إلى صحراء فجيج، و سجلماسة ، سنة 1015هـ/1606م ، وبقي فيها ثلاث سنوات،والتقى بالعالم المتصوف أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي ، وكانت بينهما أجوبة عن مسائل كثيرة [1].

ويقول الناصري إنّ سعيد قدورة ذهب إلى بن أبي محلي مع وفد تلمسان، والراشدية لتهنئته على دعوته وثورته [2]، ودخل مدينة فاس حيث مسجد القرويين، وأخذ عن علمائها ، و بقي هناك ، حيث لم يعد إلى مدينة الجزائر حتى سنة 1019هـ/1609م وتولى مهمة الإفتاء المالكي في الجامع الكبير مدة ثلاثا وثلاثين سنة إلى جانب التدريس والخطابة فيه[3].

---

[1]- فوزية لزغم: المرجع السابق، ص220.

[2]- أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج6، ص30.

[3] -عبد اللطيف الهرماسي: **المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر: دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي** ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018،ص87.

ب- محمد بن كماد بن أحمد القسنطيني (ت. 1116هـ/1704م) :

أبو عبد الله محمد بن أحمد الكماد القسنطيني من كبار العلماء ، عارف بالمنطق والحديث وعلم الكلام والفقه المالكي ، ولد ونشأ بقسنطينة، أخذ عن علمائها وعن علماء تلمسان،كما درس في زواوة عند محمد المقري ، و درس عند محمد بن سعيد قدورة في مدينة الجزائر.

وشهد عصره دخول العلماء في منافسة شديدة ، فاختار أغلبهم الهجرة على الدخول في المنازعات الشخصية[1]، فرحل إلى المغرب وحلّ بتطوان ،واشتاق إلى قاضيها فكتب له بن كماد مفاخرا:

لَهْفَ نَفْسِي عَلىَ كُسُوفِ شَمْسِ العُلَمَاءِ وَذِلَّةِ الغُرَبَاءِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلىَ زَمَانٍ عَبُوس قَمْطَرِيرَ ذِي قِسْمَةٍ ضِيزَاءَ[2]

ثمّ إلى مدينة فاس ، لوجود جامع القرويين بها واستقر بها،وقد أُعجب بكتابات أبي علي اليوسي، فأقبل عليه، لكن وجده منشغلا ،واكتسب محمد بن الكماد شهرة فائقة في فاس وقد تميز بملكة حفظه في الحديث والفقه وعلم الكلام، فكثر الازدحام عليه [3]. قال أحدهم عنه :" له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته "[4] ، كان له حظوة عند المولى إسماعيل، وارتفعت مرتبته، وشغل كرسي البخاري بجامع القرويين[5] ، ودرّس التفسير والفقه والحديث والبيان والمنطق ، فتخرج على يديه عدد كبير من علماء المغرب ،كمحمد بن عبد السلام البناني الذي ذكره في فهرسته،وإدريس بن محمد المنجرة الذي ترجم له في فهرسته ، والشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي[6]،والفقيه السجلماسي إبراهيم بن عبد الرحمان الملاحفي[7] ، كما درس عنده

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج1، ص427.

[2]- محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر ....، المصدر السابق، ص360.

[3]- المصدر نفسه ، ص360.

[4]-عمار هلال: **"العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين"**، في مجلة الدراسات التاريخية ، مج 6، ع9،جامعة الجزائر ، 1990، ص36.

[5]- محمد بن عزوز: مرجع السابق ، ص43.

[6]- ولد سنة 1090هـ/1679م بسجلماسة ، تلقى تعليمه الأولي فيها ، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن ابن كماد ، وأبي عبد الله محمد العربي بن أحمد بردلة ، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي، و محمد بن عبد القادر الفاسي وغيرهم ، توفي سنة 1136هـ/1743م ، من مؤلفاته "كشف اللَّبس عن المسائل الخمس"، "إنارة الأفهام بسماع ما قيل في دلالة العام"، "شرح المحلى على جمع الجوامع"، و"ردّ التشديد في مسألة التقليد". ينظر: محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص352.

[7]- فوزية لزغم: المرجع السابق، ص227.

محمد بن الشيخ أحمد المعروف بابن الحاج الفقيه (ت.1129هـ/1716م)[1].ومن مراسلاته بينه وبين تلميذه القادري، فقد أرسل القادري له قصيدة:

إِلىَ العَالِمِ النَّحْرِيرِ والحُجَّةِ التي رَوَى فَضْلَهَا عِزُّ السُّرَاةِ الجَمَاهِرِ
أَلَسْتَ الذي إِنْ عَزَّ فِي العِلْمِ مُشْكِلٌ تَلْقَاهُ فَهِمٌ مِنْكَ فِي زَيٍّ بَاتِرِ

فأجابه الكماد :

خَلِيلَيَّ عُجْ بِالرَّكْبِ عَنْ أُمِّ عَامِرِ وَعَرِّجْ عَلَىَ كُثْبَانِ نَجْدٍ وَحَاجِزٍ[2]

كما كتب قصيدة يمدح فيها شيخ محمد حاكم سوس ابن المولى إسماعيل جاء فيها:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رِسَالَةَ شَيِّقٍ إِلىَ عَالِمِ الأَعْلاَمِ صَدْرُ الأَكَابِرِ
إِلَى شَيْخِنَا أَسْمَى السَّمِيِّ مُحَمَّدِ أُحَمِّلُهَا هَوْجَ الرِّيَاحِ العَوَاطِرِ[3]

وقد ترك آثارا منها" الأجوبة الفقهية" ، توفي يوم الجمعة 4 محرم 1116هـ الموافق ل 9ماي 1704م ، ودفن بالقرب من ضريح سيدي أبي غالب وبنيت عليه قبة هناك [4].

ج- محمد بن عبد الكريم الجزائري(ت.1102هـ/1691م):

سبق التعريف به، وخلال رحلته إلى فاس 1083هـ/ 1672 م ،كان له أساتذة استفاد منهم وهم :عبد القادر الفاسي، وأبو علي حسن اليوسي[5] ، كما تتلمذ على يده علماء مغاربة منهم أبو عبد الله محمد المعروف بالصغير بن عبد الرحمان الفاسي (ت. 1134هـ/1721م)، الذي ذكر مشايخه الذين أجازوه في فهرسته "المنح البادية في الأسانيد العالية" ومنهم محمد بن عبد الكريم[6] .

د- سعيد المنداسي:

أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني، أصله من هوارة منداس ، انتقل إلى تلمسان لمواصلة دراسته وعاش فيها ، وأصبح على اطلاع باللغة والأدب والفقه ، امتلك ناصية الشعر فكان

---

[1]- محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، المصدر السابق، ج1، ص479.

[2]- محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: ارشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المرجع السابق، ص72.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان: إتحاف أعلام الناس ،المرجع السابق، ج4، ص78.

[4]- محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر ...، المصدر السابق،ص ص 360-361.ينظر: محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر ،المصدر السابق، ص293، محمد بن مخلوف : المصدر السابق، ج1، ص320.

[5]- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف لرجال السلف، المصدر السابق، ج2، ص416.

[6]- عبد الحي الكتاني :فهرس الفهارس، المصدر السابق،ج2، ص595.

ينظمه فصيحا وعاميا ملحونا[1] ، له ديوان جمعت فيه أشعاره[2]. غادر المنداسي تلمسان بعدما تعرض هو وسكان تلمسان للاضطهاد والقمع من قبل القائد التركي حسن في عهد الداي عثمان باشا 1060هـ/1650م[3]،وقد كتب في ذلك أبياتا يقول فيها:

أَمَنْ قَادِرٌ بِاللهِ يَحمِي تِلِمْسَانَا فَإِنَّ بها مِنْ قَوْمِ يَأْجُوجَ إِخْوَانَا

بَنَى السَدَّ ذُو القَرْنَيْنِ للنَّاسِ رَحمَةً فَيَالَيتَهُ مِنْ شَوْكَةِ التُّرْكِ هَنَانَا[4]

والأرجح أنّه رحل إلى تافيلالت بالمغرب ، وكان على صلة وثيقة بمحمد بن الشريف العلوي ومدحه جزل له بالعطاء[5]، وهذا ما أكدّه الناصري في كتابه : " أعطى الأديب المتقدم في صناعة الشعر المعرب والملحون أبا عثمان سعيدا التلمساني صاحب قصيدة العقيقة ، وغيرها نحوا من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه فيه ".[6] اشتغل المنداسي بتدريس ولده المولى إسماعيل ، الذي أكرمه بعد توليه حكم المغرب.ومنها قوله بالعامية مادحا المولى إسماعيل:

لَولا أنت بالله ماصلح فَسَاد الغَرب وأشْفيَتْ الجُروح بِالطب الشَافي

ولبراعته في نظم الشعر وتطرقه لمختلف المواضيع ، وجمعه بين الفصيح والعامي، وبين نظمه للقصير الذي لايتعدى بعض الأبيات، والقصائد الطويلة التي تجاوز عدد أبياتها ثلاثمائة بيت، فقد أثر في بناء القصيدة ، كما اتصل به عدد من الأدباء، ومن أصدقائه العالم أحمد الحلبي المقيم بالمغرب. ويقال أنه عاد إلى تلمسان ودفن فيها، والأرجح أنه دفن في سجلماسة سنة 1088هـ/1677م [7].

---

[1]- عادل نويهض: المرجع السابق، ص68.

[2]- ألّف المنداسي ديوانا ضخما في مختلف الأغراض ، ومن أهم قصائده المعروفة بالعقيقة ، مدح فيها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد شرحها أبو راس الناصري بسبعة شروح أشهرها " الدرة الأنيقة في شرح العقيقة"، ينظر: محمد بن رمضان شاوش: المصدر السابق، ص58.

[3]- يبدو أنّ أول اتصال بين المنداسي والعلويين المغاربة بعد هجومات محمد الشريف العلوي على تلمسان وثورة سكانها ضد قائد الحامية التركي ، فاضطر عدد كبير من سكانها للمغادرة ، إذ أنه لما وصلت حامية الأتراك إلى تلمسان ، وجدوا البلاد خالية ، حيث غادرها سكانها وتحصنوا بالجبال. ينظر: أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7،ص21.

[4]- سعيد المنداسي:**الديوان** ، تح : رابح بونار،ش .و .ن .ت ، الجزائر، 1976،ص87.

[5]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج1، ص428.

[6]-أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج6، ص21.

[7]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ..، المرجع السابق، ص ص 370-371.

هـ- أحمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني المغراوي:

ولد بفاس وأصل أسرته من تلمسان، أخذ العلم عن أبيه، وعن الشيخ عبد القادر الفاسي، وهو فقيه نحوي ،درّس بجامع القرويين ، والخطبة بالمدرسة العنانية، توفي ببلده عام 1079هـ/1668م [1].

و- رحلة عمر بن عبد القادر التينلاني:

وُلد أبو الحفص عمر بن عبد القادر سنة 1097هـ/1687م بقصر التينلان في توات، و نشأ بزاوية جده وقرأ بها القرآن، غادر توات قاصدا فاس سنة 1117هـ/1705م، من أجل طلب العلم، وعمره تسع عشرة سنة، فبوصوله إليها أقام بالمدرسة المصباحية، اشتغل بالقراءة، فبدأ أولا بالقرآن الكريم، وبعدما تفقه في كافة العلوم سواء في فاس أو مكناس، ودرس على يد علمائها، فأخذ أصول الفقه عن ابن مبارك، وعن محمد بن أحمد المسناوي، والفقه عن هذا الأخير والحسن بن رحال المعداني (ت .1140هـ /1728م)، وعن العربي بن أحمد بُردلة، وعن الفقيه محمد المشاط، والنحو عن محمد العربي بن مقلب (ت .1139هـ/ 1727م)، وعن أحمد السقاط، وعن مهدي بن عبد السلام، وعن إدريس المشاط(ت.1142هـ /1730م)، وعبد السلام الهروشي ومحمد بن حمدون بناني، وفي المنطق عن المسناوي، والحساب عن الفقيه سيد مسعود جموع (ت.1119هـ/1707 م) ، وأخذ علم العروض عن الفقيه محمد بن الطيب بن القاضي وغيرهم[2].

وخلال المدة الطويلة التي أقام بها في المغرب،تكّون على يد مشايخها، واشتغل بالتدريس بالمدرسة المصباحية التي كانت محل إقامته، وبجامع القرويين،فتعرض لمضايقات بسبب غيرة قاضي جامع القرويين علي بن عبد الواحد البوعناني[3].وبعد المضايقات عاد إلى توات، وتولى التدريس والقضاء مدة عشرين عاما إلى أن توفي سنة 1152هـ/1739م، ودفن بمجلسه الذي كان يدرس فيه بتينلان، لم يهتم بالتأليف، فقد شغله القضاء و التدريس وتسيير شؤون الزاوية، والسهر على توجيه الطلبة عن الكتابة، وترك كتابا واحدا هو الفهرسة، ذكر فيها شيوخه وما أخذه عنهم ، وله تقييدات على مواضع من المختصر، وله تقاريظ شعر ونثر [4].

---

[1]-عزيز الخطيب وآخرون:المرجع السابق، ص 13.

[2]- عبد الكريم طموز: المرجع السابق،ص ص 8-9.

[3]- المرجع نفسه: ص 50-51.

[4]- محفوظ بن ساعد بوكراع: **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار**، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2016، ص166.

ز- الشيخ سيدي عبد الرحمان المعروف بمعاذ التواتي(ت. 1104هـ/ 1693م) :

كان مشهوراً بالصلاح عند الكافة من أهل فاس ، ذا أحوال وكرامات، أحبّ الناس، واختلفوا حول موضع دفنه بعد وفاته، فحفِر له ثلاثة مقابر كل يبتغي البركة من وراء ذلك. وقد أشار إليه وإلى كراماته صاحب أرجوزة صلحاء فاس قائلاً :

كَذَا التواتي لَهُ الكَرَامَةَ مَنْ زَارَهُ نَالَ به مَرَامه[1]

ح- الشيخ علي بن أحمد بن محمد الفيرم بن البكاي الرقادي (ت. 1120هـ/1708م):

من أعلام الزاوية الرقادية الكنتية ، فقيه ومفسر، نشأ بتوات، ثم رحل إلى السودان والنيجر ومالي،كما رحل إلى فاس، وأخذ عن محمد المسناوي الدلائي، علي المعداني المكناسي، وأجازوه[2].

ط- الشيخ عبد السلام بن محمد الجعفري التواتي (ت. 1155/ هـ 1742م):

ينسب لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كان يبيع الكبريت قرب جامع القرويين بفاس فلازم الجلوس فيه، وكان يجلس له أقوام لاستماع معارفه، من المشهورين بعلمهم وتقواهم، وكانت بداية تحوله لطريق الصوفية، خلال زيارة مولاي التهامي الوزاني لفاس، فذهب إليه وتبرك به، ماجعل الشيخ عبد السلام يتحول إلى طريق الصوفية والتقرب إلى الله[3]، فاعتلى مراتب الطريق والولاية، فكان يقول عن الطريقة: "أولها فنون، ووسطها جنون، وآخرها قيل يكون وقيل لا يكون"[4].

ك – الشيخ الكوش التواتي الموري (ت.1165/ هـ 1752م):

من أهل توات، رحل إلى فاس ثم أخذ عن الشيخ مولاي الطيب الوزاني، ولزمه بوزان وسلك طريقه، وبعد فتح السلطان العثماني لجزيرة المورة[5]، التي استقر بها المسلمون وأرسلوا لمولاي الطيب رسالة طالبين منه مقدما للطريقة، فأرسل إليهم الكوش الذي استقر هناك إلى أن توفي بالطاعون[6].

---

[1]- أحمد بوسعيد: **توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة أدرار ، السنة الجامعية :2011-2012،ص 126.

[2]- عبد الحق حميش ، محفوظ بوكراع : **موسوعة تراجم علماء الجزائر**،ط.خ ، دار زمورة ، 2011، ص 535.

[3]- محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ، المصدرالسابق، ج1 ، ص 280.

[4]- محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، المرجع السابق ، ج 6 ، ص 2126.

[5]- فتحها العثمانيون ، ثم تنازل عنها مصطفى الثاني للبنادقة استنادا لمعاهدة كارلوفتش في 26جانفي 1699، ثم استرجعها السلطان أحمد الثالث سنة1130هـ/ 1718م .ينظر: محمد حجي ،المرجع نفسه،ج6، ص 2260.

[6]- نفسه،ج6، ص 2260.

المبحث الثالث:

الطرق الصوفية ودورها في العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب

1- أهم الطرق الصوفية المنتشرة في البلدين:

أ- التصوف في الجزائر:

إنّ نشاط حركة التصوف[1] في الجزائر خلال النصف الثاني للقرن 11هـ /17م والربع الأول من القرن 12هـ/18م ،ليس جديدا بوجود العثمانيين في الجزائر، فحركة التصوف بدأت قبل هذه الفترة بعدَّة قرون، فقد انتقلت من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي بداية القرن 6هـ/12م، على يد أبي الحسن الشاذلي(ت.656هـ/1258م)،وعبد السلام بن مشيش(ت.625هـ/ 1227م)[2]، ومن الأوائل الذين نشروا التصوف في الجزائر: الشيخ عبد السلام التونسي (ت.749هـ/1348 م)[3]، أبو مدين الغوث، ومن أبرز أقطابه: عبد الرحمان الثعالبي[4]، أحمد بن عبد الله الزواوي، إبراهيم التازي، الإمام السنوسي، ابن زكري، أحمد زروق (ت.899هـ/1493م).

1-هناك عدة تعريفات للتصوف ومنها تعريف ابن عجيبة الذي يقول بأنّه :"علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك ، أو تصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل ، أو غيبة الخلق في شهود الحق مع الرجوع إلى الأثر ، أوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة" ، فالتصوف هو التقرب إلى الله بعبادته ،والابتعاد عن ملذات الحياة، وهو الانتهاء بالنفس والأخلاق الإنسانية إلى درجة الفناء في الحضور الإلاهي، أو هو منهج سلوكي يعتمد على التقشف والتحلّي بالفضائل لتزكية النفس والارتقاء بالروح . ينظر: خالد التوزاني:**جماليات العجيب في الكتابات الصوفية رحلة ماء الموائد لأبي سالم العياشي(ت 1090هـ) أنموذجا**،ط1،منشورات مركز الأمام الجنيد للدراسات، الرباط ، 2015،ص53. ينظر أيضا: عبد الكريم بوصفصاف: **التصوف مفاهيمه وأبعاده**، الملتقى الدولي الحادي عشر لجامعة أدرار، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة ، جامعة أدرار،نوفمبر 2008 ، ص4.

2- عبد القادر صحراوي:**الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830م**،ط1، دار هومة، الجزائر، 2016،ص39.

3- محمد عبد السلام التونسي، أخذ العلم عن عمه عبد العزيز التونسي، ونزل بتلمسان ، وكان عالما وزاهدا من أكابر أولياء الله، دفن بجوار أبي مدين . ينظر: ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، 1908، ص123.

4- أبو زيد عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي، نسبة إلى قبيلة الثعالبة، ولد سنة 786هـ/1385م بيسر شرق مدينة الجزائر، نشأ وتعلم فيها ثم رحل إلى بجاية، ثم إلى المشرق ، ولما عاد إلى تونس أخذ عن علمائها سنة 819هـ/1419م ، ثم رجع إلى الجزائر بعد غياب دام عشرين سنة ، وتولى التدريس والقضاء فيها، توفي سنة 875هـ/1479م ، من أهم مؤلفاته الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآخرة، ينظر: مولاي بالحميسي: **أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي**،منشورات المجلس العلمي للإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، الجزائر، 2003، ص ص10-17.

ومع القرن 10هـ/16م وبداية العهد العثماني أحمد بن يوسف الملياني وغيرهم[1]. أين شاع فيها التصوف والطرق الصوفية أكثر من أي وقت آخر، تزامنا مع الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية، أين برز دور المتصوفة في الجهاد .

1- علاقة السلطة الحاكمة بالطرق الصوفية:

إنّ الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية التي عرفها المغرب الأوسط في ظل الضعف السياسي الذي عرفته الدولة الحفصية والزيانية . أدى إلى تطور الحركة الصوفية، التي تزعمت الجهاد ضد الهجمات المسيحية، وفي ظل هذه الظروف المزرية من ضعف السلطة الحاكمة، وسقوط أغلب المدن الساحلية. وبوصول العثمانيين إلى البحر المتوسط تقربوا من المرابطين؛ إذ أنّهم من خلال احتكاكهم بالسكان، أدركوا أهميتهم فهم يحظون باحترام السكان في حياتهم أو مماتهم ،الذين يضعون ثقتهم التامة بالمرابطين ، وأنّ الشقي هو الذي يعارضهم ، حيث يقتل من يسخر من المرابطين[2]. فظهر الإخوة عروج وخير الدين بالنسبة لسكان الجزائر وزعمائها المرابطين المحليين برجلي دين نزيهين ومستقلين من دون طموح دنيوي ظاهري ، فزار عروج وخير الدين أحمد بن القاضي الزواوي، كما ربطت عروج علاقات طيبة مع سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي أيد العثمانيين، وتحالف معهم على حساب الزيانيين[3]، وتقرب العثمانيون من الصوفيين والمرابطين عن طريق المصاهرة، منها زواج صالح رايس مع ابنة أمير كوكو، وتمكنه من تحرير بجاية بمساعدة القبائليين[4].

ومن أسباب تقارب العثمانيين والسكان، خاصة الطرق الصوفية هي مسألة الجهاد، ومساهمتهم في تحرير السواحل، وصد الهجمات الأوربية، ومحاولتهم تحرير وهران والمرسى الكبير من أيدي الإسبان. فالعثمانيون مارسوا نوعين من الجهاد : الجهاد البحري، والجهاد البري ضد الإسبان في وهران والمرسى الكبير[5]. كما قدس العثمانيون الطرق الصوفية ، فكان معظمهم من العامة الذين تجندوا في الجيش الإنكشاري من أتباع الطرق الصوفية خاصة البكداشية ، فكانوا يدينون لرجالها

[1]- عبد المنعم القاسمي الحسني: **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،2007، ص26.

[2]- حمدان خوجة : المصدر السابق، ص88.

[3]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص465.

[4] - عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص29.

[5]- أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق ،ج1، ص ص 197-198.

بالولاء، ويتبركون بهم فهنا نجد أنّ العثمانيين قد تأثروا بالطرق الصوفية وانتشرت بينهم، فلما يصل إلى الجزائر يجد مرابطين آخرين يزودونه بالبركات والدعوات[1]، وقد حصل الصوفيون على إجلال وتقدير من قبل السكان، والسلطة الحاكمة ومنها الإنكشارية، الذين لايتحركون للقيام بحملات عسكرية إلاّ بعد زيارة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وطلب بركته وحمايته[2].كما كان البحارة يتبركون بالأولياء، فعند خروجهم للجهاد البحري،يتوجه الرياس إلى الولي المفضل لديهم، فيطلب مشورته فيما عزم عليه، ويلتمس الدعاء، حيث يدخلون لزاوية والي دادة أو ضريح سيدي بتقة (أبو التقى) وغيرهما طالبين البركة والنصر[3]. وكان من عادة الولي أن يمنحه كبشا ليضحي به في البحر إن هاج البحر، ويمنح الرايس وليه هدايا ثمينة عند رجوعه، كما كان البحارة يطلقون عند إقلاعهم عدة طلقات مدفعية تحية لهم، وهم يكنون لهم احتراما كبيرا[4].

بالغ العثمانيون في تعظيم وتبجيل الصوفيين والتبرك بهم، إذ يستشيرونهم، ويُعلمونهم بالقضايا التي تخص الأيالة، مثل العلاقات الخارجية، والجهاد خاصة في المرحلة الأولى من حكمهم .وإنّ العامل الذي يربطهم بالأهالي والمرابطين خاصة هو الجهاد والعداء المشترك للمسيحيين، كما كان المرابطون سندا للعثمانيين في التصدي، والتغلب على تهديدات الأوربيين، فالزوايا ومن خلال نشاط الطرق الدينية كانت العامل الوحيد القادر على تجنيد الأتباع، وإثارة الحماس وتنظيم المقاومة، فبمجرد حدوث هجوم، فَصَيْحة واحدة من أحد المرابطين تكفي ليهب الناس لمواجهة العدو الأجنبي[5]، وخير دليل على مساعدة المرابطين، ماقام به المرابط سيدي بلاحة الذي قتله الإسبان سنة 1696/1098، فقد دعّم الجيش العثماني المتكون من 700 جندي بـ300 جندي في صراعهم ضد الإسبان في وهران[6]. وخلال تجهيز الداي محمد بكداش لجيشه لفتح وهران سنة 1708م كان

[1]- أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق ،ج1، ص459.

[2]- عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص133.

[3]- أحمد سعودي:" **علاقة القوى الروحية بالإدارة العثمانية في إيالة الجزائر 1519-1830م - المرابطون والطرق الصوفية أنموذجا- "**، في مجلة الدراسات الإسلامية، ع11، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، جوان 2018، ص499.

[4]- Pierre Dan: Op.Cit,p300.

[5]-رشيدة شدري معمر: المرجع السابق ، ص ص 88-89.

[6]- مصطفى بن واز، عبد الحفيظ حيمي: **علاقة الطرق الصوفية بالجزائر بالسلطة العثمانية بين المساندة والمعارضة**، في المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع1، جامعة وهران، جوان 2019، ص80.

رجال الدين، و الأئمة في المساجد يثيرون الحماس في قلوب الناس، ويدفعونهم للجهاد[1]. ويظهر هنا جانب التعلق بالأولياء وكراماتهم ، ومن الروايات التي شاعت قبيل فتح وهران الأول سنة 1708م على يد الداي محمد بكداش تقول أنّ الإمام الهواري الذي دعا على وهران، وتوعّدها عند مقتل ابنه، بدا في منام بعض الحرفيين ليلة الفتح، فقال لهم "اصنعوا لي تابوتا يكون على قبري بوهران، وصرح أنّه الإمام الهواري، فقال له النجار: يا سيدي إلى أن نفتحها، فردّ عليه قد فتحت هذه الليلة"[2].

وكان هناك تعاون بين المشيخات والإمارات مع السلطة العثمانية ، ومساعدتهم حتى في الشؤون الخارجية، منها أنّه في سنة 1130هـ/1718م غرقت سفينة في البحر المتوسط، ولم ينج منها إلا ثلاثة بحارة فرنسيين، وجهت الأمواج قاربهم نحو السواحل الجزائرية، فنزلوا فيما بين بجاية وجيجل وسلمهم السكان إلى أحد المرابطين المشهورين، فأواهم وبعث إلى الداي يخبره ، فنقلهم الداي إلى مدينة الجزائر، وسلمهم لقنصل فرنسا[3].كما استغل العثمانيون تأييد الطرق الصوفية خاصة القادرية لهم سياسيا لمواجهة حكام المغرب الأقصى المناوئين للوجود العثماني[4].

فالجمع بين المبادئ الصوفية والمطالب الدينية قد ساهم في استقرار العثمانيين بالجزائر.وبفضل المرابطين استطاعوا السيطرة على الجزائر، ولهذا تقربوا منهم حتى في المناطق البعيدة والصعبة، كمنطقة القبائل حيث إمارتا كوكو،وبني عباس التي استوطنت بهما العديد من العائلات المرابطية، عن طريق الهدايا والحبوس والإعفاء الضريبي. مقابل الاستعانة بهم في ضبط المناطق التي يسيطرون عليها، كوسطاء مع المتمردين ومن أجل فتح الحوار بين الطرفين[5].

كما عمل المرابطون على تأمين الطريق للحامية العسكرية، ففي منطقة الأوراس مثلا كان شيوخ زاوية ابن عباس يعملون على تأمين الطريق عبر مضيق وادي عبدي[6]، كما استعان العثمانيون بالمرابطين عند ثورة السكان، وتمردهم على الحكم المركزي من خلال الوساطة بين السلطة والرعية ،

---

[1]- بسام العسلي : **الجزائر والحملات الصليبية1547-1791**،ط2، دار النفائس،بيروت، 1986، ص21.

[2]-محمد غالم : "**تحرير وهران في 27 فبراير 1792 الحدث والرمز**" ، في مجلة انسانيات، ع79، وهران، 2018،ص20.

[3]-Laugier De Tassy:Op.Cit,pp137-138.

[4]- عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص103.

[5]-المرجع نفسه، ص455.

[6]- عبد الحكيم مرتاض: **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 924-1246هـ/1518-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،قسم التاريخ وعلم الأثار، السنة الجامعية : 2015-2016 ، ص286.

ولهذا تقرب العثمانيون من بعض العائلات ومنها :عائلة الفكون ،ونجحوا في استمالة الشيخ عبد الكريم الفكون من أجل تأكيد نفوذهم في المنطقة الذي أيدهم لدخول قسنطينة بعد المعارضة التي تعرضوا لها وانحياز تيار آخر للسلطة الحفصية سنة 975هـ/1567م، فساعدهم هذا التحالف على التوغل نحو الداخل ، والحصول على طاعة العديد من القبائل بالمناطق التلية، والتقدم تدريجيا نحو الجنوب الشرقي في بلاد الزاب[1]، وعائلة ابن الساسي ، ومنهم الشيخ الصوفي أحمد بن القاسم الساسي البوني حليف يوسف باشا في مواجهته لثورة ابن صخري[2].

والواقع أنّ هذه المساندة لم تكن بالمجان، إذ منحهم العثمانيون امتيازات كبيرة مقابل بقائهم بعيدين عن البحث عن المناصب السياسية، خاصة للزوايا القوية من حيث النفوذ والانتشار، فتخوف العثمانيون من انتشار نفوذ الصوفيين وأهميتهم في نظر الأهالي ، جعلتهم يسعون إلى تحويل سلطتهم الدينية، وشهرتهم لخدمة مصالحهم السياسية والاقتصادية خاصة في المناطق الريفية، وتقديم امتيازات كثيرة لهم[3].

وعلى سبيل المثال منح منصب أمير ركب الحج لبعض العائلات الصوفية، ومنه تعيين السيد أبي زيان حفيد أحمد بن يوسف الملياني أمير ركب الحجيج في النصف الثاني من القرن 17م ، إذ خرج إلى الحج سنة 1073-1074هـ/1662-1663م.والشيخ بن طيبة ابن سيدي بوزيان الذي خرج على ركب الحج سنة 1122هـ/1710م[4].

كما تولى آل الفكون منصب أمير ركب الحجيج ، وفي سنة 1048هـ/م1659 جدّد أبو الحسن علي باشا منح إمارة الحج لعبد الكريم الفكون، وجدّد إسماعيل بن خليل باشا بمنح الإمارة لابنه محمد بن عبد الكريم الفكون سنة 1663/1074م[5].

---

[1]- أحمد سعودي: المرجع السابق، ص503.

[2] - عبد القادر صحراوي : المرجع السابق، ص102.

[3]- المرجع نفسه، ص136.

[4]- فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925-1246هـ /1520-1830م** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2013-2014 ، ص451.

[5]-عبد الحكيم مرتاض:المرجع السابق ، ص284.

كما انتهج العثمانيون سياسة متأرجحة تجاه الزوايا بين قمع العصاة والمتمردين من روادها ، وتقديم الهدايا على المتعاطفين منهم مع الحكم العثماني ، بل أحيانا لدرجة المساومة. مما مكّنهم من بناء نظام قوي والبقاء ثلاثة قرون[1]. فالعثمانيون لم يريدوا أن يناصبوا العداء للمرابطين، وذلك خوفا على وجودهم، واستقرارهم في الجزائر[2].

وقد أولى الحكام العثمانيون عناية خاصة بالمرابطين، خاصة في المناسبات الدينية؛ كالأعياد والمولد النبوي الشريف ، و كان مشايخ الصوفية يبعثون لهم رسائل الشكر والثناء عليهم والدعاء لهم بالخير والبركة[3].وقد أحاط العثمانيون المرابطين بهالة من الاحترام والتقديس، فنالوا بذلك مباركتهم وتأييد الأهالي[4]، واستفاد المرابطون والطرق الصوفية من الامتيازات ما زاد من هيبتهم ونفوذهم، وقوّى سلطتهم الدينية والدنيوية ، وحصلوا على الامتيازات الأخلاقية ،والتي تشمل الزيارة التي يؤديها الحكام العثمانيون للشيوخ المتصوفين ، إلى جانب بناء المؤسسات الدينية المتمثلة في الزوايا[5].

كما خصّصت أنصبة لكثير من الأضرحة بالعاصمة وضواحيها، منها ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ووالي دادة، وسيدي منصور وسيدي عبد القادر وغيرها، وكان يحتفظ بالمقادير المخصصة للأضرحة في صندوق خاص بقصر الحكومة، وتبقى حتى يحل المولد النبوي الشريف ، فيتم توزيعها[6].

ومن مظاهر تقديس الأولياء تقديم النذور، والوعدات لهم وللمرابطين ،فإنّنا لانلْفى مدينة أو قرية إلّا وفيها زوايا وأضرحة، وأناسا يتبركون ويدعون ويزورون ويتقربون ، ويقدمون الهدايا ، يأتون من كل مكان ، فغرقت الجزائر في هذا العهد في التصوف والدروشة، وأصبح العلماء يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والخرقة والسبحة والمصافحة والأسودين التمر والماء ، وأصبح الحكام يظهرون كل الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا[7].

---

[1] - De Grammont: Op.Cit,p409.

[2]- أحمد سعودي: المرجع السابق، ص499.

[3]- عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص278.

[4]- عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص93.

[5]- المرجع نفسه، ص126.

[6]- عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص285.

[7]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص467.

إلى جانب ذلك ، عمل العثمانيون على تقديس الزوايا والأضرحة، التي كانتا بمثابة الملجأ المقدس فقد آوت حتى المتمردين والعصاة والمحكومين[1]، واحتمى فيهما حتى الحكام ومنها الداي الباشا حسين الذي تم تعويضه بالداي محمد بكداش سنة 1707م ،هرب مع أتباعه طالبا الأمان في ضريح الولي دادة ، فاقترح الداي على خليفة الزاوية طرده حتى لايدنس مرقد الزاوية، كما هرب الداي مصطفى سنة 1717م بعد انهزامه أمام التونسيين خوفا من بطش الإنكشارية إلى زاوية أولاد علي امبارك[2].

وكان السلطان العثماني مراد الثاني قد أصدر سابقا مرسوما في 1 ذي القعدة 979هـ/ 16 مارس1572م، أمر فيه بأن:" لا يدخل أحد من الولاة،و الحكام، و القادة، والأمراء الكرام، وغيرهم ممن في يده حكومة على الأنام،في الزوايا المكانية التي بأيدي الشيوخ، و تحت تصرفهم، المنتقلة إليهم من آبائهم و أجدادهم، ممن يتصرفون فيها كما تصرفوا من قبل، و لم يتعرض لهم أحد، و يكون كل منهم محميا"[3]. كما آمن الكثير من الحكام العثمانيين بالجزائر ببركة الأولياء والمتصوفة، ولهذا كانوا يفضّلون دفنهم بجوار مدافن الصالحين وذوي الكرامات تبركا بهم ، ومنهم الداي أحمد 1697م الذي دُفن قرب ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي[4].

كما اعتنى بعض الحكام العثمانيون بتأسيس وتجديد بعض الأضرحة ، فجدّد الداي أحمد سنة 1107هـ / 1696م ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي[5]، وأسّس الداي محمد بكداش زاوية خاصة بالأشراف عُرفت بزاوية الشرفاء سنة 1709/1121م ، نظرا للمكانة التي يحتلها آل البيت[6]. وصار للأولياء والصالحين شأن كبير وتأثير بالغ في حياة العامة والخاصة،سواء في حياتهم أو بعد مماتهم.

[1]- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق، المرجع السابق، ص152.

[2]- عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص ص 138- 139.

[3]-عبد الجليل التميمي: **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين** ، ط1، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1989، ص 102.

[4]-عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص455.

[5]- عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص279.

[6]- فوزية لزغم: الإجازات العلمية..،المرجع السابق،هامش ص63.

ويعتَبر بيار بوايي "أن الأتراك كانوا يدركون أن المرابطين كان لهم تأثير كبير على السكان مما حدا بهم إلى تجاوز كبائرهم وانحرافاتهم، حتى وإن مست بالنظام العام أو بالشرع الحنيف ، شريطة ألا يتهجموا مباشرة على السلطة القائمة ، وكانوا يستفيدون من غنائم البحر والقرصنة"[1].

وكانت الطرق الصوفية قوة ضاغطة على السلطة في جميع المجالات، ففي المجال الاقتصادي مثلا فقد سُيِّرَت الموانئ من قبل شيوخ الصوفية، فالسفن تبنيها جماعات التجار والملاحين أتباع الصوفية، ولكل ميناء مشيخة بحره، وتقسم مغانم البحر بين المشيخة والمجاهدين، كما أنّ التفاوض لفك الأسرى يكون أحيانا مع المشيخة[2].لكنّه وإن كانت شهرة هؤلاء المرابطين كبيرة فإنّهم لا يقومون بالدعوة الصوفية، ولذلك ليس لهم أوراد كالطرق الصوفية ولا أتباع منتظمون ولا دعاة[3].

2- أهم الطرق الصوفية في الجزائر:

لقد ظهرت عدّة طرق صوفية[4]في الجزائر خلال العهد العثماني، تأسّست العديد منها خارج الجزائر، ولكن معالمها وروحانياتها تجلّت داخلها، فكان لها العديد من المريدين والأتباع. ومن أهم الطرق الصوفية في الجزائر:

1- الطريقة القادرية:

تُنسب إلى سيدي عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني دفين بغداد (ت.561هـ/1166م)، وقد عاش في بغداد ، وتصدر للتدريس والإفتاء على المذهب الحنفي، واشتهر بالزهد والتقوى[5] ، وفدت إلى الجزائر خلال القرن9هـ/ 15م ، ومن المشايخ الذين نشروا الطريقة القادرية سيدي بومدين الغوث

---

[1] -Pierre Boyer:**Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles),** In:R.O.M.M,N1,1966,PP 11-12.

[2]- مصطفى بن واز، عبد الحفيظ حيمي: المرجع السابق، ص81.

[3]- العيد مسعود ،"**المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني** "، في مجلة سيرتا ، ع 10 ، 1988 ، ص9.

[4]- هناك اختلاف في تعريف الطرق الصوفية ، فقد عرّفها الشيخ عبد القادر الجيلاني إنّها السلوك الذي يوصل إلى رضا الله، والطريقة هي اعتراف بالولاء التام، والإيمان الكامل، والانقياد المطلق لشيخ الطريقة الذي هو من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين، والذي يستمد قدرته ونفوذه على أتباعه من القدرة الخارقة للطبيعة ،والإتيان بما يعجز عنه البشر عادة والاستمداد من العلم الديني ، ينظر: فيلالي مختار الطاهر :**نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي، باتنة، ط1، ص 64 .

[5]- أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط4،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1983،ج6،ص24.

(ت.594هـ /1198م)[1]، الذي التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في الحج، وصحبه وألبسه الخرقة، ثم رجع إلى بجاية واشتغل بالتدريس ، كما ساهم في نشرها إبراهيم بن سيدي عبد القادر الجيلاني ، الذي جاء من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقل إلى الجزائر،واستقر في الأوراس، وأسّس الزاوية القادرية ببلدة منعة [2]، بالإضافة إلى الجهود التي قام بها الشيخ عبد السلام بن مشيش (ت. 626هـ/ 1228م)[3]، واتسع مجالها ووصلت إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، لكن في الحقيقة هناك خلاف في مسألة أنّ جد الأمير عبد القادر هو أول من أدخل القادرية إلى الجزائر، لأنه وحسب أبي القاسم سعد الله، وعلى الرغم من ذكره أول من أدخل هذه الطريقة، إلا أنّه في حديث له يقول: "... والواقع أنّ فروع هذه الطريقة كانت موجودة من قبل في مختلف المدن، ولها زوايا وأضرحة، وقباب ومساجد في الجزائر وتلمسان وقسنطينة وبجاية وغيرها، ولها أوقاف كثيرة كانت ترسل مع الحجاج إلى الزاوية الأم ببغداد"[4].

نلحظ أنّ أتباع الطريقة القادرية كانوا موجودين قبل بداية الحكم العثماني في الجزائر ، إذ يرجع وجودهم إلى عهد الدولة الموحدية ودليل ذلك المناطق التي انتشرت فيها زواياها وأضرحتها.

2- الطريقة الشاذلية:

مؤسّسها في المغرب هو أبو الحسن الشاذلي[5]، تاريخ ظهورها سنة 668هـ/1258م [1]، وكان لتعاليمه أثر كبير في الجزائر، ونكاد نجزم أن معظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن

---

[1]- هو شعيب بن أحمد بن جعفر بن شعيب الأنصاري البجائي ، كنيته أبو مدين ، ولد بالأندلس سنة 492هـ/1098م ، انتقل إلى فاس ،ودرس فيها ثم انتقل إلى المشرق، والتقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني ، ثم عاد لبجاية ،كما شارك في تحرير القدس من الصليبيين، وقطعت يده اليمنى ، وهي مدفونة هناك بمقام يسمى "أبا مدين"، ذاع صيته ونشر الطريقة القادرية مشرقا ومغربا، توفي ودفن في العباد بتلمسان.ينظر: عبد الحليم محمود: **أبو مدين الغوث**،(د.ط)، دار المعارف، القاهرة،1985،ص53.

[2]- صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**،ط1، دار البراق، بيروت ، 2002، ص146

[3]- هو عبد السلام بن مشيش العلمي ولد 559هـ/1163م في المغرب ، عالم متصوف تلميذ أبي مدين ، وأستاذ المتصوف أبي الحسن الشاذلي، ينظر: محمد بن محمد المهدي التمسماني: **الإمام مولاي عبد السلام بن مشيش** ، سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2016،ص 5.

[4]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج4، ص 43.

[5]- ولد بالمغرب الأقصى في بلدة غمارة قرب سبتة سنة 593هـ/1197م ، حج وجال في المشرق ثم عاد إلى المغرب ، ومن شيوخه عبد السلام بن مشيش ، ثم غادر إلى تونس وأخذ عن علمائها واستقر ببلدة شاذلة ، ثم رحل إلى الإسكندرية، وفي طريقه إلى الحج توفي سنة 656هـ/1258م.ينظر: صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص149.

8هـ/14م،تتصل بتعاليم الطريقة الشاذلية، ويمكننا أن نعد الشيخ واضح ومحمد الهواري وإبراهيم التازي ومحمد بن يوسف السنوسي،وعبد الرحمان الثعالبي وأحمد الملياني وغيرهم من أتباع الطريقة الشاذلية[2]. ومن فروعها:

3– الطريقة الزروقية:

أسّسها في ليبيا السيد أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق ، درس التصوف وعلوما أخرى على كثير من شيوخ المغرب الأقصى والجزائر والمشرق، ومن شيوخه في المشرق أحمد الحضرمي، ومن الجزائر: عبد الرحمان الثعالبي، ويحي العيدلي ،والحافظ التنسي [3] ، وقد أدخل أحمد زروق الطريقة إلى بجاية خلال عام 892هـ/1487م،وجمع العديد من الأصحاب والمريدين ، ونسب إليه منهم عبد العزيز القسنطيني ، وطاهر بن زيان القسنطيني ، والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي[4].

4– الطريقة اليوسفية:

تنسب إلى أحمد بن يوسف الراشدي الملياني(ت. 934هـ/1527م) [5]، تتلمذ على يد أحمد زروق في بجاية،وكان له صيت واسع، هو من الأولياء الصالحين ،وبعد وفاته نظم طريقته علي بن عبد الله الفيلالي السجلماسي[6]. من تلامذته أحمد بن موسى الحسني الكرزازي ، أحمد بن مبارك الراشدي الذين نشروا طريقته[7].

---

[1]–يحي بوعزيز:" **الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية"**، في مجلة الحضارة الإسلامية،مج2، ع2،وهران،1996، ص203.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج1، ص 461-462.

[3]– الطاهر بونابي:" **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط"**، في مجلة حوليات التراث، ع2، منشورات جامعة مستغانم، الجزائر، 2004 ، ص43.

[4]– علي فهمي خشيم: **أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة** ، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص167.

[5]–هو الشيخ الولي الصالح القطب الزاهد العارف العالم أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا، الملياني دارا، ولد في منتصف القرن 15م بإقليم وهران ، عاصر سقوط غرناطة ، و احتلال الاسبان لأجزاء من بلاد المغرب ، و وصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ،كان من أعيان مشايخ المغرب وعظمائها ، توفي يوم 24صفر 931هـ / 18نوفمبر1524م. ينظر :أبو القاسم محمد الحفناوي :**تعريف الخلف برجال السلف**، تق :محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ج1، ص 355.

[6]–الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص35.

[7]– عبد الكريم بليل:**التصوف والطرق الصوفية**،ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان ، 2018،ص142.

5- الطريقة الشيخية:

نسبة إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر بن محمد[1] (ت.1615/1023م)، المكنى بسيد الشيخ، وهي فرع من الطريقة الشاذلية[2].

قام الشيخ المذكور بإنشاء زاويته سنة988هـ/1580م في منطقة الأبيض سيد الشيخ[3]،وحثّ أبناءه على اتباع تعاليم الطريقة الشاذلية ، فذاع صيتها وأصبح لزاويتها مكانة مرموقة ،إلى جانب اكتسابها شهرة دينية ودنيوية [4].

6- الطريقة الكرزازية:

ظهرت الطريقة الكرزازية في الجنوب الغربي ؛ نسبة إلى مؤسّسها الشيخ أحمد بن موسى الحسني الكرزازي، ولد سنة 907 هـ/1501م، توفي سنة 1016هـ/ 1608م بكرزاز نواحي بشار[5]، رحل إلى فاس وتعلّم على يد عبد القادر الفاسي، وأخذ التصوف عن شيخيه أحمد بن يوسف الملياني، وأحمد بن عبد الرحمن السهيلي، وكان هذا الأخير مُقدّما للشاذلية ، وتسمى هذه الطريقة الأحمدية أحيانا [6].

7- الطريقة الطيبية:

تأسّست الطريقة الطيبية في وزان بالمغرب الأقصى على يد الصوفي الشيخ عبد الله بن ابراهيم الوزاني المعروف بالشريف الوزاني(ت.1089هـ/1678م)، واستمدت أصولها من الطريقة الشاذلية [7]. استمدت الطريقة أصولها من الطريقة الشاذلية، وانتقلت مبادؤها إلى الجزائر على غرار الطرق الصوفية

---

[1]-ويرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق، وقد نزحوا من المدينة المنورة إلى مصرثم إلى تونس، ثم إلى الجزائر في عهد زعيمهم سيدي معمر بن سليمان العالية ،الذي أقام بالمنطقة الواقعة في نواحي عرباوة في إقليم بني عامر،ثم خلف سيدي معمر سيدي سليمان بن أبي سماحة.ثم ظهر بعده حفيده سيدي عبد القادر بن محمد.ينظر:

Louis Rinn:**Marabouts et Khoun**,libraire,1884,p351.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص103.

[3]- الطيب بن إبراهيم:**إمارة أولاد سيدي الشيخ (1580م-1881م) مع خلاصة لتاريخ المنطقة مند عهد ماقبل الرومان إلى الوصول العربي الهلالي لها)**،ط1 ،دار الصبحي،غرداية ،الجزائر،ص110.

[4]-مبخوث بوداوية: **دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيد الشيخ**،في مجلة المواقف، ع خ، معسكر،2008، ص352.

[5]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص88.

[6]- علي فهمي خشيم: المرجع السابق، ص177.

[7]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص515.

الأخرى ، وذلك في عدّة أقاليم في القطاع الغربي ،خاصة في عهد ابنه محمد بن عبد الله الشريف، وأصبح لها فروع، ومقدّمون في المغرب والجزائر. وجاء بعده ابنه الثاني ثم أخوه الطيب الذي ظل على الزاوية من سنة(1127 -1181هـ/1715-1767م)، وأصبحت تعرف بالطيبية نسبة إليه[1].

وعرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا في المغرب والجزائر وتونس وليبياوموريتانيا، ويعتبر الجنوب الجزائري من أكثر المناطق احتضانا لهذه الطريقة ولها العديد من الأتباع والمريدين في قصور توات بالجنوب الغربي للجزائر[2].

8- الطريقة الحنصالية:

نسبة إلى مؤسّسها سعيد بن يوسف الحنصالي (ت.1114هـ/1702م)،من المغرب الأقصى في القرن11هـ/17م ،وقد أدخل الطريقة إلى الجزائر عن طريق تلميذه سعدون الفرجيوي ، الذي أصبح مقدم الطريقة وخلفه في ذلك معمر الذي يوجد قبره في التلاغمة بميلة، وانتشرت الطريقة في الشرق الجزائري[3].

9- الطريقة الزيانية:

أسّسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي(ت.1145هـ/1733م)، عُرف بالقندوسي نسبة إلى القنادسة ، أخذ مبادئ الطريقة الشاذلية عن شيخه مبارك بن عزي السجلماسي، وبوفاة شيخه رحل إلى فاس ،ودرس فيها على يد كبار العلماء منهم الشيخ أحمد حبيب اللمطي ، الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وعبد السلام جسوس، فدرس الفقه والنحو وأصول الحديث والتصوف ،ولما ظهرت عليه كرامات ، أرغم على مغادرة البلاد والعودة إلى القنادسة وأسس طريقته الزيانية فيها سنة 1097هـ/1686م ،وأصبح قِبلة للمريدين[4]،ويتصل الزيانيون كذلك في سندهم بالشيخ الجزولي عن طريق سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، أبي بكر المجاطي الدلائي وعبد

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص88.

[2]- صالح بوسليم ، محمد الزين: " **حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين12-13هـ/18-19م**"، في مجلة الحوار المتوسطي،مج4، ع1، جامعة سيدي بلعباس،2013،ص45.

[3]- أحمد مريوش: المرجع السابق،ص 108.

[4]- صلاح مؤيد العقبي:المرجع السابق، ص ص207-209.

العزيز التباع ، وكذلك أخذ عن الزروقية ، فمنه نستنتج أن الطريقة الزيانية كانت زروقية جزولية شاذلية[1].

أ- حركة التصوف وانتشار الطرق الصوفية في المغرب:

انتعشت حركة التصوف في المغرب بشكل كبير مع نهاية القرن 9هـ/15م وبداية القرن 10هـ/16 م؛أي بعد هزيمة المسلمين بالأندلس، وامتداد أطماع الإيبيريين إلى الثغور المغربية. وضعف كيان السلطة المركزية أواخر العهد المريني والوطاسي، ذلك أن المغرب في هذه الفترة عرف تغييرات، بدأت باحتلال السواحل المغربية على امتدادالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي من طرف البرتغاليين والإسبان، ما جعل الحركة الصوفية تنمو وتزدهر، وتولت مهمة الدفاع ، وانتظموا في شكل رباطات، من أجل الجهاد على المستوى الرسمي أو الشعبي، فقامت بالدعوة إلى الجهاد والتعبئة العامة، إذ وجد نداء الصوفية استجابة واسعة لدى فئات المجتمع ، ثم تحولت للعمل السياسي كان لها دور في نشوء قوى سياسية بزعامة الزوايا ،بل إن العديد من الطرق والزوايا كانت نواة لقيام دول بالمغرب، كالدولة السعدية مثلا، حيث يرجع الفضل في مبايعة القائم بأمر الله أول السلاطين السعديين إلى شيوخ الزوايا. كما أن بعضا منها شارفت على الوصول إلى حكم المغرب خاصة الدلائية والسملالية[2].

ورغم تطلعها للحكم لكن كان لها دور بطولي في الجهاد خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م[3].

1- العلاقة بين السلطة العلوية والقوى الدينية:

تزامن صعود نجم العلويين في سماء المغرب خلال منتصف القرن 17م مع نشأة عدد من الزوايا الصوفية، وانتعاش زوايا أخرى وتطورها، ومن أشهر تلك الزوايا: الزاوية الدلائية، الزاوية الناصرية، الزاوية الفاسية،الزاوية الوزانية، الزاوية الريسونية، الزاوية الشرقاوية والزاوية العياشية وغيرها. وما صاحب ذلك من صراعات بين السلطة الفكرية،والسلطة السياسية ومحاولات الاحتواء ،والتدجين أو المهادنة

---

[1]- صلاح مؤيد العقبي:المرجع السابق، ص212.

[2]- قاسم الحادك : "**الزوايا والطرق الصوفية في المغرب: من خدمة المخزن وتكريس شرعيته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته**"، في مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، مج 1، ع1، جامعة الوادي، 2013،ص61.

[3]- للإطلاع أكثر حول دور التصوف وشيوخ الطرق الصوفية في الجهاد ضد المحتل ، ينظر: نفيسة الذهبي:"**الزوايا المغربية في القرن 11هـ/17م قراءة تركيبية**"، في مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ع 13،الرباط ، 2005، ص ص 47-48.

والتعنيف في علاقة المتصوف بالفقيه والسلاطين[1]،ومع ظهور السلطة العلوية عملت على إلغاء كل سلطة تنازعهم في الحكم،خاصة دور الزوايا في استنهاض الهمم، للدفاع عن البلاد بعد تسليم العرائش للإسبان،وقد عملت الزوايا على مقاومة الاحتلال الأجنبي والولوج إلى الحياة السياسية[2].

وهكذا أضحت قوة مؤثرة في المجتمع ، وهذا مادفع الدولة العلوية في بداياتها خاصة في عهد المولى إسماعيل الذي أولى عناية للزوايا، ومن بينها الزاوية الدلائية التي عمل المولى الرشيد على تخريبها، وقد تحسر الكثير من العلماء والأدباء عليها، حيث ذكر عبد الله كنون :" لو لم يقض عليها مولاي رشيد ذلك القضاء المبرم لكان للمعارف اليوم بالمغرب ، وخصوصا القبائل شأن غير هذا الشأن "[3].

ولما جاء المولى إسماعيل، حاول أن يخلق نوعا من التوازن في سياسته بإقامة علاقة وفاق بينه وبين معظم الزوايا، مستفيدا من تأثيرها الروحي على المناطق الموجودة بها، فعمل على استقطاب الزوايا ذات النفوذ الواسع منها، خاصة في المناطق الحساسة محاولا إفراغها من قوتها وحركيتها[4].

ولكي تكون كل الزوايا تحت مراقبته، ويحرمها من عمقها الاستراتيجي والعسكري ، ويستطيع التحكم في كل تحركاتها الداخلية والخارجية،جعل مقرها الرئيسي في فاس، ما أدى إلى إضعاف نفوذها نتيجة بعدها عن قاعدتها المحلية أساس قوتها،فإبعادها عن الجبل وسجنها داخل الحاضرة، ما أدى إلى تشتت قواتها، و أثر سلبا على مجريات تطوراتها السياسية[5].

ورغم أنّه كان يحتاجها لطابعها الديني ، لم يحاول المولى إسماعيل اقتلاع مؤسسة الزاوية من جذورها. بل أراد انتهاج استراتيجية غايتها أن تؤدي على المدى البعيد إلى الشروط المادية لتواجد الزاوية دون المساس بشرعية هذا التواجد [6].

رغم ذلك، فقد تميزت سياسة المولى إسماعيل بالمرونة، إذ لم يلجأ إلى السلاح لقمع الزوايا والطرق الدينية إلا مضطرا، بينما عمل على توظيفه هذه الزوايا بعد تدجينها لبسط نفوذه على

[1]- محمد ضريف: **مؤسسة الزوايا بالمغرب**، ط1، منشورات المجلة المغربية ، المغرب، 1992، ص133.
[2]- عبد الجواد السقاط : "مدخل الى قصيدة المديح في العصر السعدي وبداية العلوي"، المرجع السابق،ص182.
[3]-عبد كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط2، دار الكتاب، لبنان، 1960، ج1، ص274.
[4]- قاسم الحادك: المرجع السابق، ص63.
[5]- محمد ضريف:المرجع السابق، ص133.
[6]- المرجع نفسه، ص133.

القبائل.فهم حجر الزاوية للنظام القانوني للقبائل ، لذلك فقد أعطى امتيازات لبعض الزوايا منها زاوية القناطرة في منطقة القصر، واستفادتهم من الزكوات والأعشار[1].

أما الزاوية الوزانية، فقد انخرطت في المخزن المغربي، وحصلت بدورها على امتيازات كما دعا شيخ الزاوية محمد (ت.1120هـ/1708م) وبعدها ابنه التهامي(ت.1127هـ/1715م) القبائل لطاعة السلطان ،وقد كان المولى إسماعيل يتدخل في مشيخة الزاوية حيث أعفى التهامي وعين مكانه أخاه الطيب(ت.1181هـ/1767م)[2].

أمّا الزاوية الريسونية بتازروت، فقد خصّها برعايته وعطفه وحمايته، وتوعد من يخرق عليهم الأمن والنظام من أعوان السلطة بالعقوبة اللازمة [3]،و حظيت الزاوية الفاسية [4]بتعاطف من سلطة المخزن دون أن تتخلى عن نشاطها الديني ،كماحظي الشيخ عبد القادر الفاسي بتقدير المولى اسماعيل ، وقد التقى به سنة 1091هـ/1680م في مكناس، وأكرمه وأطلق سراح المساجين من أنصاره، ووسع زاوية القلقليين بفاس التي عمرتها أسرة عبد القادر الفاسي[5].

هذا بالنسبة للزوايا التي اتخذت كواسطة في التعامل والتخاطب مع الرعايا ،إلا أنّ هناك زوايا سعى المولى إسماعيل القضاء عليها، وهي التي سلكت طريق المعارضة فحطمت على يد المخزن الإسماعيلي، وذلك من أجل إفراغها من قوتها وحركيتها [6].

---

[1]- إدريس أبو إدريس:" **علاقة الدولة المركزية بالزوايا(دولة أحمد المنصور السعدي والمولى إسماعيل العلوي نموذجا)**"، في مجلة أمل، ع19-20 ،مطبعة النجاح الجديدة، المغرب،2000،ص92.

[2]- البشير أبرزاق: **شمال غرب المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل (1082-1139هـ / 1672-1727م)**، ط1، مؤسسة آفاق، المغرب،2017، ص ص 90-91.

[3]- حيث أصدر ظهير في 8 صفر1099هـ/14ديسمبر1687م.ينظر: محمد العمراني : المرجع السابق ، ص213.

[4]- تأسست الزاوية الفاسية على يد الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي أحد رجال سلسلة الطريقة الدرقاوية، المتوفى سنة 1013هـ/1604م ، وهو تلميذ سيدي عبد الرحمان المجذوب المتوفى سنة 976هـ/1568م ،وقد تخرج من هذه الزاوية وعلى يد أبنائها علماء أجلاء ورجال كبار، وكان للسّادة الفاسيين من المجد العلمي واليد البطولى في التصوف وعلومه . ينظر: عبد الجواد سقاط :" الزاوية المغربية في العصر السعدي"،المرجع السابق،ص78.

[5]- إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق، ج3، ص558.

[6]- أحمد الوارث: **الأزمة في المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل العلوي ومحاولة تأسيس طبائع جديدة للملك**، في مجلة التاريخ العربي ،ع18،أبو ظبي، 2001،ص59.

وكمثال ذلك ، نجد الزاوية الدلائية التي خُربت على يد الرشيد ، ورغم سماح المولى إسماعيل لمحمد الدلائي الدخول من تلمسان سنة 1089هـ/1674م لفاس، وذلك خوفا من تحالفه مع الأتراك ، إلا أنّ ابنه أحمد الدلائي جمع جيشا من ملوية ،وحارب السلطان في مواقع مختلفة. وفي هذا الصدد يرى عبد العزيز بن عبد الله في كتابه (معلمة التصوف) أنّ ملوك المغرب لم يشنوا حربا على التصوف، وإنّما قاوموا الأدعياء ،والدجالين وغلاة المتصوفة[1] .

كما أنّ هناك طوائف منحرفة اختلقت بدعا غريبة وبعيدة عن تعاليم الدين الاسلامي، منها طريقة العكاكزة التي حكم عليها العلماء بالزندقة، إلا المجاصي قاضي فاس الذي أفتى فيهم بِردّتهم واستتابتهم، وهي الفتوى التي عمل بها مولاي الرشيد ، فقام بسجنهم ثم أطلق سراحهم بعد تحقق توبتهم سنة 1080هـ/1670م[2]. وبتولي المولى إسماعيل وبعد شكوى العالم الحسن اليوسي ضد هذه الطائفة ، قام بغزو العكاكزة سنة 1102هـ/1691م ، فنكبهم وخرب أنشطتهم في تادلة وزمور ، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم ، وقتل ثلاثة وستين منهم[3].

كما شنّ حروبا بنفسه على زاوية آل أمهاوش وأحنصالة المتحصنين بجبال الأطلس ، وبناء عدة قصبات حولهم لاحتواء خطرهم وبذلك استطاع السلطان وضع حد لتجاوزاتهم ومراقبتهم . بينما فضلت بعض الزوايا الحياد، وأحيانا المقاطعة، وعدم الخوف من السلطان ،منها الزاوية التمكروتية الناصرية[4].

– الاهتمام بالأضرحة:

يعدّ المغرب من بين أكبر البلدان الإسلامية احتضانا لظاهرة الأضرحة والمزارات، فهو بلد المائة ألف ولي ، فلا تكاد تجد تلا ولا سهلا ولا هضبة ولا قرية ولا مقبرة و لامدينة إلا وقد شيّد فيها ضريح أو مزار؛بقصد التبرك والدعاء ، فقد أنشأ الحكام أهم الأضرحة، منها ضريح مولاي إدريس

1– عبد العزيز بنعبد الله: **معلمة التصوف الإسلامي من خلال رجالاته**،ط1،دار نشر المعرفة، المغرب، 2001،ج2،ص98.

2– محمد العمراني: المرجع السابق،ص217، ينظر:عبد الله نجمي: **التصوف والبدعة بالمغرب**: **طائفة العكاكزة خلال القرنين 16–17م** ،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط ،2000، ص ص 325-326.

3– محمد العمراني، المرجع نفسه، ص 217.

4– إدريس أبو إدريس: المرجع السابق ،ص94.

الأزهر بفاس، وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش ، وأضرحة الرجال السبعة بمراكش .وكان القصد من إنشائها للتبرك[1].

وقد عمل المولى إسماعيل على تجديد ضريح القنادي سيدي يوسف، وضريح أحمد الشبلي، وعبد الله القصري ، وأسّس الضريح الإدريسي عام 1110هـ/1698م فقامت حوله مدينة زرهون، غير أنّ هذه الأضرحة لم تكن في ذلك العهد أكثر من مساجد تقام فيها الصلوات ويُرتل فيها القرآن والأذكار والدعوات [2].

2- أهم الطرق الصوفية في المغرب :

وبالعودة إلى أصل الطرق الصوفية ، تتجمع أسانيد الطرق الصوفية المغربية عند الجنيد للتفرع بعد ذلك، إذ لا نكاد نجد طريقة لا تتصل بها إلا نادرا، وحتى في هذه الحالة غالبا ما تتوفر هذه الطريقة على سند ثان يوصلها إلى الجنيد (ت.297 هـ/910م).وتفسر هذه الظاهرة بحرص الطرق على أن تكون سائرة على نهج السنة المحمدية [3]، لأنّ غاية التصوف في المغرب، التحلي بالأخلاق المحمدية؛ والتصوف الذي دعا إليه الجنيد، تصوف أخلاقي ذوقي.

وقد انتقل التصوف من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي بداية القرن 6هـ/12م، على يد ابن العربي(ت.543هـ/ 1148م)،وصولا إلى الشيخ أبي مدين شعيب الغوث(ت. 594هـ/ 1197م)، ثم عبد السلام بن مشيش (ت.625هـ/1227م)،ثمّ أبي الحسن الشاذلي(ت. 656هـ/ 1258م). وقد تمكنت الطريقة الشاذلية خلال القرن الرابع عشر الميلادي من تحقيق انتشار غير مسبوق، بحيث أنّ المتصوفة كانوا يجتهدون للانتساب إليها، حتى صار يقال بعدها: "إنّ الطريقة الشاذلية نسخت سائر الطرق كما نسخت الملة المحمدية سائر الملل"[4]. لكن هذه الطريقة لم تسلم

[1]- محمد العمراني : المرجع السابق، ص219.

[2]- محمد ظريف: المرجع السابق، ص84.

[3]- بنيت طريقة أبي القاسم الجنيد بن محمد الزجاج ،على متابعة السنة، مراقبة الباطن، اختيار الصحو دون السكر، ورياضة النفس بالخلوة. وشروطها كما وضعها الجنيد ثمانية : دوام الوضوء – الخلوة – نية الاختلاء – المداومة على الذكر – دوام الصوم – ترك الخاطر – دوام ربط القلب بالشيخ – دوام الرضا بقضاء الله وترك الاعتراض على الله وعلى الشيخ، ينظر: حسن جلاب:الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبع رجال ، المرجع السابق،ص82.

[4]-عبد القادر الفاسي، أحمد بن محمد بناني: **ثلاث فهارس**، تصحيح وتعليق: عبد الرحمان سعيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،2004، ص46.

من تحريف مضامينها بعد ذلك، فكثير ممن انتسبوا إليها، جاؤوها بغرض الحصول على مكاسب، لا بغاية التصوف.

- الطريقة الجزولية:

بدأ دور الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن سليمان الجزولي(ت.870هـ/ 1465م)[1]، الذي أسّس الطريقة الجزولية ،حيث انتقل إلى مدينة فاس لطلب العلم،ثم سافر إلى المشرق للاتصال بالعلماء والشيوخ المربين، وتحدد الروايات المدة التي قضاها في سياحته بسبع سنوات، طاف فيها مدن الحجاز ومصر، ومدينة القدس وأخذ بالأزهر عن عبد العزيز العجمي. ثم عاد إلى المغرب وحلّ بفاس من جديد، والتقى بالإمام زروق الذي أرشده للشيخ أبي عبد الله محمد أمغار الصغير بتيط، وتتلمذ على يديه الطريقة الشاذلية[2].

وقد كان الجازولي من أكابر مشايخ الصوفية في المغرب في القرن9هـ/15م[3]،ومعلمة من معالم التصوف المغربي الإسلامي،فهو مجدد الطريقة الشاذلية، بتأسيسه الطريقة الجازولية[4]،وإلى جانب الطريقة الجازولية،انتشرت الطريقة الزروقية في المغرب، ورغم هجرة الشيخ أحمد زروق الفاسي (ت.899هـ/1493م) من مسقط رأسه بفاس إلا أن ذلك لم يمنع من اجتذاب عدد من الأتباع الذين نشروا الطريقة فيما بعد ومنهم :

أبو القاسم الزرهوني، إبراهيم الزرهوني ،عبد الملك بن سعيد، أبو القاسم المغراوي، محمد موسى بن أيوب، محمد السرسوري، محمد السلاوي وعبد الله المدغري[5]؛ فالشيخان الجازولي، وأحمد زروق

---

[1]- ولد سيدي محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الجزولي بجزولة في إقليم سوس بالمغرب سنة 807 هـ/1404 م ، تعلم فيها ثم انتقل إلى فاس ليدرس بجامع القرويين ، ثم رحل قرب أزمور، ومكث عند شيخه أبي عبد الله أمغار ، ثم رابط بآسفي للجهاد ثم رحل إلى جنوب المغرب،من مؤلفاته : عقيدة الجزولية، كتاب الزُهد ، من كلام الشيخ الجزولي، الحزب الكبير، ينظر: محمد بن سليمان الجزولي:**دلائل الخيرات في ذكر الصلاة على النبي المختار**،دار الكتب العلمية، لبنان ،2017،ص ص 4-5.

[2]- محمد العربي أبو حامد : **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن** ، تح الشريف محمد حمزة بن علي الكتّاني ، منشورات رابطة أبي المحاسن،(د.ت) ، ص 256، ينظر أيضا: أبو زيد عبد الرحمن الفاسي: **الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات** ، تح: هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الكتب العلمية، لبنان،2010، ص9.

[3]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص137.

[4]- حسن جلاب: المرجع السابق، ص83.

[5]- علي فهمي خشيم ،المرجع السابق، ص167.

الفاسي حملا مشعل إصلاح التصوف المغربي.فظهرت عدّة طرق صوفية أغلبها كان منتشرا أيضا في الجزائر ، وسنعرض أهم الطرق التابعة للطريقة الجازولية والزروقية:

1- الطريقة التباعية :

نسبة إلى عبد العزيز بن عبد الحق الحرار التباع (ت.914هـ/1509م) تلميذ الجزولي ، وكان له مريدون فأخذوا عنه ، وكانت له كرامات[1].

2- الطريقة الغزوانية:

نسبة إلى عبد الله الغزناوي (ت. 932هـ/1526م)، من رجال القرن 10هـ/16م ، درس بفاس ولحق بمراكش ، وأخذ الطريقة عن التباع[2].

3- الطريقة العيساوية:

فرقة صوفية مغربية ، أسّسها سيدي محمد بن عيسى العربي ولد في فاس سنة 872هـ/1468م وتوفي982هـ/1574م ودفن بمكناس، أصلها يعود إلى سيدي محمد بن سليمان الجزولي تشتهر باستعمالها للمدائح والآلات الموسيقية أو مايُعرف بالموسيقى العيساوية[3].

4- الطريقة الشرقاوية:

نسبة للشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الشرقي(ت.1010هـ/1601م)، الذي نشأ في أسرة توارثت التصوف ، ووالده درس على يد عبد العزيز التباع كبير شيوخ الطريقة الجازولية الشاذلية، والشيخ عبد الله الغزواني ، وأسّس والده زاويته على ضفة أم الربيع قرب تادلا. فوجد الشرقاوي الطريقة الصوفية والمشيخة مهيأة بين يديه ، فكل أجداده أسّسوا زوايا ولهم مزارات [4]، ثم رحل ودرس على يد شيوخ فاس ومراكش، ثم أسس زاويته في منطقة أبي الجعد سنة 1009هـ/1600م ، التي بنيت على الطريقة الجازولية الشاذلية[5].

---

[1]-عبد العزيز بنعبد الله:معلمة التصوف، المرجع السابق،ج2، ص100.

[2]- عبد الله التليدي: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**،ط4،دار الأمان، الرباط ، 2003، ص102.

[3]- بوعلام عبد العالي: **الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**، في مجلة الواحات، جامعة غرداية، ع15، 2011، ص466.

[4]- أحمد بوكاري: **الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد – إشعاعها الديني والعلمي** ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985، ج1، ص13.

[5]- المرجع نفسه، ص19.

5-الطريقة الفاسية:

تأسّست الزاوية الفاسية على يد الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي أحد رجال سلسلة الطريقة الدرقاوية،(ت.1013هـ/1604م)،وهو تلميذ سيدي عبد الرحمان المجذوب (ت.976هـ/ 1568م)،وقد تخرج من هذه الزاوية وعلى أبنائها علماء أجلاء ورجال كبار، وكان للسادة الفاسيين من المجد العلمي واليد البطولى في التصوف وعلومه[1].

5- الطريقة الناصرية:

تأسست على يد محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر(ت.1085هـ/ 1674م)، أسس هذه الزاوية أولا الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري بمنطقة تامكروت، ثم استقر بها بعد الشيخ عبد الله بن حسين الرقي الشاذلي، فقصده الشيخ محمد بن ناصر ، للأخذ عنه سنة 1040هـ/1631م[2]، وبعد وفاة الشيخ عبد الله الرقي، تصدّر سيدي محمد بن ناصر لرئاسة الزاوية واستقل بها. وأقبل على تدريس العلم بها للطلبة، ومن تلامذته الشيخ اليوسي ، وكانت هذه الزاوية ذات صبغة علمية محافظة ، لم تتخذ أورادا وأحزابا خاصة بها. ولم تهدف إلى ثورة أو إلى انقلاب[3].

6- الطريقة الوزانية:

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها مولاي عبد الله الشريف الوزاني (ت.1089هـ/1678م). الذي أسس الزاوية الوزانية، التي أصبحت مركزا علميا وخزانة علمية مهمة، حتى أن الشيخ الرهوني ألف حاشيته التي تعتبر عمدة الفقهاء والقضاء والمفتين من خزانتها[4]،وبعد وفاته خلفه ابنه سيدي محمد (ت.1120هـ/1708م)، ثم ابنه التهامي بن محمد (ت. 1127هـ/1715م) ، ثم أخوه مولاي الطيب ،فأصبحت تعرف بالطريقة الوزانية الطيبية[5].

---

[1]- عبد الجواد سقاط : "الزاوية المغربية في العصر السعدي"،المرجع السابق،ص78.

[2]- محمد المنصور:**المغرب قبل الاستعمار- المجتمع والدولة والدين(1792-1822)** ، تر: محمد حبيدة،ط1،المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص ص 266-267.

[3]- محمد حجي:الزاوية الدلائية ، المرجع السابق ، ص ص57-58.

[4]- محمد علي بن الصديق:"**إطلالة على التصوف المغربي وتاريخه3**"،في مجلة دعوة الحق، ع289، الرباط، 1991،ص125.

[5]- عبد العزيز بنعبد الله: معلمة التصوف، المرجع السابق، ج2، ص17.

2- دور الطرق الصوفية في دعم التواصل الروحي بين البلدين :

تعدّ الرابطة الروحية والدينية قديمة بين الجزائر والمغرب ، لأنّ شعوب البلدين تميزت بطبيعتها الروحية، فوجدت في التصوف البيئة المناسبة لنموه وتطوره، لم يكن لينتعش لولا تلك السمة التي ميزت شخصيتهم في الحنين إلى كل ماهو روحي يقربها من الله، ويؤنس وحشتها ،كما أنّ بُعدها عن أرض الرسالات ومهبط الوحي ، جعلهم يبدعون في التصوف ، تعويضا عن ذلك البعد الجغرافي، الذي ضمّ أنواع الذكر وقصائد مدح النبي [1] ،وهناك مقوله سائدة مفادها: "إذا كانت بلاد المشرق هي بلاد الرسل والأنبياء، فإن بلاد المغرب هي أرض الصالحين والأولياء".

هذه المقولة لم تولد من فراغ فلها مبرراتها وشواهدها الواقعية، والمتمثلة أساسا في الزوايا والرباطات والأضرحة التي تؤرخ لأولياء الله الصالحين في بلاد المغارب، وقد أشار ابن قنفذ إلى أنّ أرض المغرب تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ[2].

واحتل التصوف مكانة مرموقة، وتميّز في بلاد المغرب بالتصوف السني، فالطرق الصوفية لا تعترف بالحدود السياسية بين الدول والشعوب ولا بالمقومات وهي أوسع مجالا من الوطنية الضيقة ، فقد ساهمت في توحيد سكان بلاد المغارب[3].

وازدهر التصوف مع نهاية الدولة الموحدية، وانتشر أكثر بعد ضعف الدولة الزيانية في الجزائر والمرينية في المغرب، فقد تولى المتصوفة مهمة الدفاع عن الأراضي الإسلامية وحمايتها من الخطر الإسباني والبرتغالي[4].

كما حظيت الطرق الصوفية بمكانة خاصة لدى الجزائريين والمغاربة، وساهمت في توطيد العلاقات الروحية والثقافية بين سكانهما ، فالعديد من الطرق الصوفية ظهرت في المغرب ووجدت لها مريدون وأتباع في الجزائر ،كما هناك طرق صوفية ظهرت في الجزائر وكان لها أتباع ومريدين في المغرب مثل الطريقة اليوسفية .

---

[1]- خالد التوزاني: جماليات العجيب،المرجع السابق، ص61.

[2]- أحمد بن قنفد : **أنيس الفقير وعز الحقير** ،ط1، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، المغرب،1965، ص63.

[3]- ولد أحمد عبد القادر:"**ظاهرة الطرقية وأثرها الاجتماعي والديني في الجزائر خلال العهد العثماني**"، في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج6 ، ع15، سبتمبر 2018، ص69.

[4]- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص90.

ومن الطرق الواسعة الانتشار في الجزائر والمغرب الطريقة القادرية ، ومن الذين نشروها في المغرب والجزائر هو أبو مدين شعيب دفين تلمسان 594هـ/1198م ، والدارس في مدينة فاس، فقد أخذ العلم عن ابن حرزهم ، والفقيه أبي الحسن بن غالب [1]، ودرس عند أبي يعزى المغربي الذي وجهه إلى حياة الزهد والتصوف، كما أنّ أبا الحسن الشاذلي تلميذ عبد السلام بن مشيش ، ورغم هجرته إلى المشرق ، إلا أنه ظهرت عدّة طرق صوفية في المغرب والجزائر شاذلية الأصل[2]، ومنها الشيخية والطيبية والزيانية وغيرها من الطرق التي تتفرع من أصل واحد .

أ- انتشار الطرق الصوفية المغربية في الجزائر :

لقي التصوف في منتصف القرن17م وبداية القرن 18 م إقبالا واسعا في أواسط العلماء ، وانتشرت الطرق الصوفية التي تأسّست في المغرب وانتقلت بعد ذلك إلى الجزائر ، لأنّ الملاحظ أنّ الطرق وُلدت في المغرب ثم دخلت للجزائر في شكل فروع[3]،و ذلك بفضل الحجاج الذين ساهموا في التعريف بها ونقلها أو بفضل الرحلات العلمية ، أو بحكم القرب الجغرافي بين البلدين ، خاصة الجهة الغربية للجزائر. وكان رجال التصوف أكثر تأثيرا فيها ،أين ظلوا على اتصال مع الطرق الصوفية في المغرب ، ونورد بعض الأمثلة لتنقّل الطرق الصوفية المغربية في الجزائر :

- انتشار الطريقة الزروقية ، وقد تبناها بعض العلماء من خلال احتكاكهم بعلماء المغرب ، إذ في رحلة الحج سنة 1064هـ/1653م عندما كان عبد الكريم الفكون أميرا للحج عرض عليه العياشي الانخراط في سلك الطريقة الزروقية التي كان من أتباعها[4].

- انتشار الطريقة العيساوية ، التي أسّسها محمد الهادي بن عيسى السفياني(ت.933هـ/1527م) [1] في مكناس هي فرع من الطريقة الزروقية ، وكان لها مريدون في الجزائر، وأسّست فيها عدّة زوايا في عين تموشنت،وتلمسان،ومستغانم وبشار[2]، وقدّمت مختلف أنواع المساعدة والعون للفقراء والمحرومين[3].

---

[1]-عبد الحميد حميدو التلمساني : **السعادة الأبدية لأبي مدين شعيب فخر الديار التلمسانية**،ط1 ، المطبعة الجديدة ، فاس، 1935، ص ص 39-40.

[2]- عبد الباقي مفتاح: **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه،** ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2009، ص13.

[3]- أبو القاسم سعد الله : **على خطى المسلمين: حراك في التناقض**،ط1،عالم المعرفة، الجزائر،2009 ، ص200.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص523.

– انتشار الطريقة الطيبية الوزانية في عهد عبد الله الشريف(ت.1089هـ/1678م) ، والذي درس في تطوان ويبدو أنه من خلال تبادل الزيارات بين علماء المغاربة، ومنهم ابن زاكور الجزائر الذي زار تطوان ، وقد تسربت تعاليم الطريقة الطيبية إلى الغرب الجزائري خاصة في المناطق الجبلية والونشريس وبعض المدن مثل مستغانم[4]. وكان لها أتباع ومريدون في العديد من قصور توات بالجنوب الغربي للجزائر، يوظبون على أذكارها وأورادها[5] ،كما كانت للزاوية الوزانية مساعٍ حميدة بين الجزائر والمغرب في إطار العلاقات بين الجزائر والمغرب [6].

– كان للطريقة الناصرية تأثير صوفي كبير على الجزائريين، سواء بدراستهم في الزوايا التي تنتسب إليها، والتتلمذ على يد شيوخها، أو بمرور زعمائها في الجزائر، ومنهم أحمد بن ناصر ،وهو ابن مؤسس الطريقة الناصرية وله أتباع في كل البلدان الإسلامية خاصة الجزائر. ومن خلال رحلته إلى الحج ساهم في نشر طريقته الناصرية ، كما تلقى رسالة من أهل تلمسان من أجل إدراك الطريقة الناصرية.

"وأن يدلهم على طريق الحق، فأجابهم: "... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته : فإني أحمد الله إليكم، الله الذي لاإله إلا هو... ومخالفة الهوى وشهود المنة ، وهذه سيرة أشياخنا، وأما أمر الرزق فلاتهتموا به فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وليكن اهتمامكم إلى مايقربكم إلى ربكم...، وأما

---

[1]– عاليان الجالودي: فقيقي محمد الكبير:"**العلاقات الثقافية بين مصر وبلدان المغرب من خلال رحلات المغاربة في القرنين السابق عشر والثامن عشرالميلاديين**"،التحولات الفكرية في العالم الإسلامي: أعلام، وكتب، وحركات، وأفكار من القرن،،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن ،2014، ص634.

[2]– عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص41.

[3]– صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق ، ص256 ، ينظر أيضا: عبد العزيز عموري:"**المضمون الاجتماعي في الكرامة الصوفية، كرامات شيخ الزاوية العيساوية نموذجا**"، في مجلة مؤمنون بلاحدود ، مؤسسة دراسات وأبحاث، المغرب، ديسمبر2013، ص 2.

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص516.

[5]– صالح بوسليم ،محمد الزين: " حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية"، المرجع السابق،ص45.

[6]– بنعيسى النية،عياشي قبوسي: المرجع السابق،ص285.

السبحة والضيافة والخرقة فليس عندنا فيها رواية، وإنما طريقتنا الذكر ، فإن رغبتم في السلسلة ، فصححوا التوبة بشروطها" [1].

ويعود له الفضل في نشر تعاليم الطريقة الشاذلية الناصرية والتمسك بالسنة النبوية ، ولقد ذاعت شهرته في المغرب والجزائر وحتى للحجاز ، حيث أقبل الناس عليه لأخذ العهد وتلقي الأوراد[2]، و كان له دور في حلّ الخلافات بين القبائل المتناحرة بين أولاد سليمان وأولاد موسى وأولاد بقي في قصر بو سمغون ، التي كانت تستجيب لوساطته وتعتز بمشيخته الصوفية[3].

– انتشار الطريقة الحنصالية التي أسّسها سعيد بن يوسف الحنصالي(ت.1114هـ/1702م) في المغرب الأقصى ، وحمل طريقته إلى الجزائر تلميذه سعدون الفرجيوي حوالي سنة 1727م ، وقد أصبح مقدّما لشيخه في ميلة [4].

ب– انتشار الطرق الصوفية الجزائرية في المغرب:

مع بداية انتشار التصوف في بلاد المغارب ، وازدياد إقبال سكان الجزائر والمغرب على الطرق الصوفية،ومع دخول الطريقة القادرية بفضل أبي مدين شعيب إلى الجزائر ،الذي استقر في بجاية في نشر تعاليم الطريقة القادرية [5]. وكان له أتباع من المغرب ساهموا في نشر الطريقة فيها ، ثم الطريقة الزروقية على يد أحمد بن عيسى البرنوسي الفاسي (ت.899هـ /1494م) ، فهو مغربي لكنه استقر في بجاية ، وانتشرت طريقته في الوسط والشرق مثل المدية ، البويرة ، أم البواقي والتي انبثقت عنها عدة طرق صوفية في الجزائر والمغرب.

–انتشار الطريقة اليوسفية التي تنسب إلى أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني(ت.931هـ/ 1524م) ، درس في زاوية العيدلي في بجاية، على يد أحمد بن عيسى البرنوسي الفاسي[6].

[1]–البشير عمارة:**التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن (11هـ–17م)**،كلية الآداب والحضارة الإسلامية، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية:2013–2014،ص 105.

[2]– محمد ماكامان: المرجع السابق، ص216.

[3]– المرجع نفسه، ص 303.

[4]– أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ج2، ص86.

[5]– صلاح مؤيد العقبي : المرجع السابق، ص ص 145–146.

[6]– عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق،ص35.

وكان للطريقة اليوسفية أتباع ومريدون في قبائل الشراقة شرق المغرب، ومن أتباعه محمد بن عبد الرحمان السهلي (ت.936هـ/1530م) والشيخ محمد المهدي الفاسي (ت. 1109هـ/1698م)[1]، فساهمت الطريقة اليوسفية في ظهور طرق صوفية مغربية، ومنها الطريقة السهلية، كما انتسبت له زورا طريقة خارجة عن تعاليمها هي طريقة العكاكزة أو الشرّاقية[2].

ومن الطرق الصوفية التي ظهرت في الجنوب الغربي الجزائري خلال القرن11هـ /17م، واكتسبت أتباعا في الجزائر والمغرب:

– الطريقة الكرزازية:

التي نشأت بالجنوب الغربي الجزائري نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز (ت.1016هـ/1608م) ، وكان قد أخذ تعاليم الطريقة الشاذلية عن محمد بن عبد الرحمان السهلي (ت.990هـ/1582م) عن الملياني عن زروق[3].وكان مركزها في كرزاز[4]

– الطريقة الشيخية:

التي انبثقت عن الطريقة الشاذلية،مؤسّسها عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة البكري المعروف بسيد الشيخ(ت.1025هـ/1616م) درس على يد أحمد بن موسى الكرزازي، ثم تابع دراسته في فكيك على يد عبد الجبار الفكيكي . وقد أخذ الطريقة الصوفية عن محمد بن عبد الرحمان السهلي عن أحمد بن يوسف الراشدي الملياني عن أحمد زروق،وكان لسيد الشيخ مقدمون في الجزائر، تلمسان، غرداية، توات وغيرها. كما انتشرت الطريقة الشيخية في المغرب و كان له مقدّمون في فاس ومراكش[5]. ومن أبنائه سيدي أبوحفص الذي أفنى عمره في التردد على الحجاز، حيث حج

---

[1]– عمر بن قايد : **التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة العثمانية 1519–1830م مقاربة اجتماعية ثقافية**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة غرداية، السنة الجامعية: 2016-2017،ص235.

[2]– محمد إدريس الطيب: **المدرسة الزروقية الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة**، ط2، كتاب ناشرون، بيروت ، 2019، ص304.

[3]– عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص837.

[4]– تقع مدينة كرزاز في جنوب قرى بني عباس، وهي طريق القوافل التجارية بين الشمال وإقليم توات، وهي إحدى دوائر ولاية بشار في الجنوب الغربي للجزائر.

[5]–عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق، ص ص 38-39.

مع أبي سالم العياشي حجتين الحجة الأولى 1059هـ/1649م ،والثانية سنة 1065هـ/ 1655م ، الذي قال عنه :" خصوصا ولده سيدي أبوحفص له هدي وسمت حسن وتنسك مثابر على فعل الخيرات، من جهاد وحج، فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين"[1].

– الطريقة الزيانية:

تأسست في الجنوب الغربي الجزائري، فبعد التكوين الذي لقيه شيخ الطريقة الزيانية محمد بن أبي زيان (ت.1145هـ/1733م) عن طريق شيوخ المغرب في سجلماسة مبارك بن عزي العنبري (ت.1090هـ/1679م)[2]،وفي درعة عن أحمد بن الناصر الدرعي وفي فاس وأخذ تعاليم الطريقة الشاذلية وبعودته إلى القنادسة أسس الزاوية الزيانية [3]، وكانت له كرامات، وأصبح قطبا من أهل التصوف ، وجاءه الزوار من كل مكان خاصة من المغرب ،فقد جاءه عبد الرحمان الكرزازي شيخ الطريقة الكرزازية بالقرب من بني عباس، ونصح الناس بزيارته سواء من أهل بشار أو من المغاربة[4].

– زيارات الأولياء والأضرحة:

لعلّ الكرامات التي عايشها الإنسان في الولي ولامسها أثناء حياته، هي التي دفعته إلى تقديسه، مثل تحويل شيء إلى شيء آخر مطلوب،أو التنبؤ بالمستقبل،الحوار مع الجن،الحوار مع الموتى، وغيرها من الظواهر الخارقة للعادة،هذه الكرامات جعلت من الناس يتعلقون بهم ويزورونهم ويتبنون طريقتهم ، وقد شهدت كل من الجزائر والمغرب تبادل زيارات الأولياء والأضرحة للتبرك بهم . وعُرف سكان بلاد المغارب بمعتقدات عتيقة تدور حول تقديس ما بعد الموت وإعلاء الأضرحة.

وباعتبار الجزائر طريق عبور للحج للمغاربة ، فلم تكن الزيارات للعلماء فقط، بل تمثلت في زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء الصالحين ، وفي كتب الرحلات نجد تشوق ورغبة المغاربة في زيارة الأضرحة والصالحين ، ففي رحلة العياشي التي يظهر فيها العياشي صوفيا سنيا ،حرص خلال رحلته أيضا على زيارة الأضرحة والتبرك بالمقامات، والوقوف عند الزوايا والرباطات، وذكر أخبار المتصوفة والزهاد والعباد، مع ذكر كراماتهم ومأثوراتهم، والتأكيد على مكانتهم الروحية والاجتماعية.

---

[1]– أبو سالم العياشي:الرحلة العياشية (ماء الموائد)، المصدر السابق، ج1 ، ص67.

[2]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 504-505. ينظر:عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق،ص22.

[3]– محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني ،المصدر سابق ، ج 6، ص 2261.

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص505.

كما زار العياشي عند ووصوله لبشار زاوية أحمد بن موسى ، وفي توات زار ضريح محمد بن الصالح ، المعروف بعريان الرأس، و زاوية سيدي عبد الله بن طمطم . وفي مدينة المنيعة ذكر مقام الولي الصالح سيد الحاج بحوص. وفي طريق عودته توقف عند العديد من المزارات والأضرحة التي كانت محطة زيارة وتبجيل ضريح " سيدي عقبة " ببسكرة، وزار قبر الشيخ الصالح سيدي بوطيب نصير[1] .

كما زار قبر النبي خالد بن سنان ، وبوقوفه على قبره قال أبياتا من الشعر:

يَانَبِيّ الإِلَهِ يَابنَ سِنَانَ   خَالِدَ جِدْ لخَائِفٍ بِأَمَانِ
مُذنِبٌ يطْلُبُ السَّمَاحَ   وَيرْجُو نَفْحَةً تُطْلِقُ الأَسِيرَ العَانِي
قَدْ أَنَاخَ ببَابِكُم مُسْتَجِيرا   بِجانبِكَ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
وَقَصَدْتُكَ مَادِحًا بِنِظَامِ   مثْلَ زَهْرِ الرّبَا وَنَظْمِ جُمَانِ[2].

زيارة العلامة إدريس بن محمد المنجرة الذي جاء للزاوية الزيانية سنة 1136هـ/1723م، خلال رحلته إلى الحج، حيث ذكر في مؤلفه "عذب الموارد في رفع الأسانيد" لقاءه بالشيخ محمد بن بوزيان إذ يقول: "لقيته ببلده، واستفدت منه،ولقنني وواعدني، وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر، وكاتبني ووقعت بيني وبينه أشياء لاتُفشى"[3].

كما زار أحمد بن ناصر الدرعي عدة أماكن منها ذكره في طريق إيابه من الحج لضريح سيدي عبد الرحمان الأخضري ، وزيارة سيدي خالد وسيدي عقبة ، وقبة الولي الصالح حسن الكوفي[4].

أمّا في الغرب الجزائري، وبالضبط في تلمسان أين يوجد ضريح سيدي أبي مدين الغوث ، الذي يعدّ من أهم معالمها الأثرية ،وله مكانة عظيمة في قلوب سكان تلمسان الذين يعتزون به ، وكان مقصد الحجاج المغاربة[5].

1- صالح بوسليم ، عمر بن قايد:" **الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية** " ، في مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 7، ع21، ورقلة، 2015، ص270.

2- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية "ماء الموائد"، المصدر السابق، ج1، ص84.

3- محمد بن القاسم القندوسي:المصدر السابق، ص70.

4- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية، المصدر السابق، ص158.

5 – ففي رحلة العبدري إلى الحج سنة 750هـ، قال حين توقف بتلمسان :"...وبظاهرها في سَنَد الجبل موضع يُعرف بالعُبّاد، وهو مدفن الصالحين وأهل الخير، وبه مزارات كثيرة ،ومن أعظمها وأشهرها ، قبر الشيخ الصالح القُدوة فرْد زمانه أبي مدين..". ينظر: محمد العبدري:**رحلة العبدري**،تح: علي إبراهيم كردي،ط2،دار سعد الدين،سوريا،2005، ص ص 48-49.

ومن المغاربة الذين زاروا ضريحه أحمد بن أحمد الدلائي (ت.1091هـ/1680م) ، وله قصيدة أورد فيها تعلقه بتلمسان وقطبها أبي مدين شعيب جاء فيها:

وَلِمَ لاَ وَلِيَ فِيهَا إِمَامٌ مُعَظَّمٌ   أَبُو مَدْيَن قُطْبُ المشَايِخِ وَالعَصْرِ

إِمَامٌ لَهُ فِي حَضْرَةِ القُدْسِ مَقْعَدٌ   يُنَزَّه هُنَاكَ عَن زَيْدٍ وَعَنْ عَمْرُو

وقد كان الناس يقومون بزيارة الأولياء والأضرحة للتبرك بهم، ويلجأون إليهم في أوقات الشدة والمحن من أجل التبرك، وطلب الحماية والاستشفاء.فقد كان متداولا ذلك بين الحجاج المغاربة كذلك، ويذكر الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي (ت.1091هـ/1680م) في فهرسته متحدّثا عن بركة الأولياء ،فيقول:" وما دخلنا لبلد قط إلا أحبنا صلحاؤها،وأكرمونا وأطعمونا وسقونا ، وما نزلنا ببيداء معطشة إلا وجدنا فيها غديرا بفضل الله وبركة الأشياخ"[1].

ومن الأضرحة التي كانت محط زيارة لدى المغاربة، ضريح عبد الرحمان الثعالبي حامي مدينة الجزائر، الذي بنيت قبته سنة 1108هـ /1697م ، ولكن قبره كان يزار قبل ذلك، فهو مبجل لدى سكان الجزائر بل حتى لدى سكان بلاد المغارب ، وهو من المزارات الكبرى في المدينة[2].ونجد عبد الرحمان الجامعي، كان يزور الأولياء الصالحين لمدينة الجزائر، حيث قال:" وأولياؤها المشهورون بها المتبرك بزيارتهم، وأنا أتبرك بعدتهم إن شاء الله"[3].

-وجود ضريح سيدي علي الفاسي في مدينة الجزائر، واسمه يدل على أنّه من مدينة فاس المغربية ، وكان محط تقدير وزيارة وتبرك من طرف سكان مدينة الجزائر[4].

-كما تعدّدت زيارات الجزائريين لأضرحة المتصوفة المغاربة ، ومن المزارات قبر الشيخ أبي يعزى ، وقد راجت معتقدات بالبركة التي سيحصلون عليها إن زار قبر الشيخ أبي يعزى بالمغرب الأقصى ، ووضع

[1]- محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني، المصدر سابق، ج4، ص1.ينظر: شهرزاد بوترعة: **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، تخصص: التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، السنة الجامعية: 2014-2015 ، ص84.

[2]- ياسين بوتريعة : المرجع السابق، ص 35.

[3]-أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف لرجال السلف، المصدر السابق، ج2،ص412.

[4]- عبد القادر نور الدين: المرجع السابق، ص204.

شيئا على تابوته، وطلب شيئا من الدنيا والآخرة، أعطاه الله ماسأل [1] ، ومن الجزائريين الذين زاروا الأولياء الصالحين في المغرب ، محمد بن أبي زيان الذي زار قبور أساتذته أحمد بن الناصر الدرعي، ومبارك بن عزي العنبري[2].

ومن نماذج حضور شخصيات صوفية مغربية في الجزائر، هو تواجد علي خنجل بمدينة بونة الذي تحدث الفكون عن زيارته، منتقدا الطرب والطقوس التي أقيمت بحضور بعض العلماء والأشراف من مدينة بونة[3].

كما أدّت الصوفية دورا في الدبلوماسية الجزائرية المغربية ، فشيوخ الصوفية كانوا الوسيط بين الأتراك العثمانيين في الجزائر، والعلويين في المغرب الأقصى ، فقد أرسل المولى إسماعيل ابنه عبد الملك سنة 1693م إلى الجزائر ، واستقبل من طرف شيوخ الصوفية ، قبل التوجه إلى الديوان لإبرام اتفاق السلم بين الجزائر والمغرب[4].

---

[1]-محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ ،ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان ،1988، ج2،ص368.

[2]- عبد القادر بوباية: **الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي**، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة ، الجامعة الإفريقية أحمد دراية ، أدرار، 9-10-11نوفمبر2008،ص523.

[3]- عبد الكريم الفكون:منشور الهداية، المصدر السابق، ص166. ينظر: أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص485.

[4]- عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص124.

ومما سبق يمكن القول:

- للرحلات دور هام في التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى، وذلك من خلال تمتين الروابط الثقافية، وتبادل الأفكار والآراء حول الفتاوى والكتب، مما زاد في تفعيل التبادل الثقافي بين البلدين .

- كان التواصل الثقافي شائعا بين دول المغارب خاصة بين الجزائر والمغرب ، فهناك الكثير من العلماء ممن قدم إلى الجزائر والعكس ، مما يوحي بوجود تقارب ثقافي تجاوز المشاكل السياسية بين البلدين .

- قامت الطرق الصوفية بدور الوسيط في العلاقة بين الحكام والسكان، فكانت أحد دعائم الحكم العثماني في الجزائر ، والعلوي في المغرب الأقصى.

- كان المغرب الأقصى بالنسبة للجزائر المؤثر في انتشار الطرق الصوفية، ومنها الشاذلية التي كان لها أتباع في الجزائر وفي المغرب .

- ترك العديد من المتصوفة الجزائريين والمغاربة رصيدا صوفيا، فقد نقل متصوفة الجزائر إلى المغرب طريقتهم وأورادهم، وتركوا موريدين لهم.

- للصوفيين دور كبير في تثبيت الوجود العثماني ، فهم الذين تولوا جذب الناس نحو العثمانيين، وهم من ساعدهم على أخذ الحكم، رغم الصعوبات الجادة و الكبيرة التي واجهتهم، فعملوا على مساعدة العثمانيين في أداء مهامهم وربط صلات مباشرة بالسكان ليسهل التعامل بين الطرفين، وإطفاء الفتن.

الفصل الثالث:

انعكاسات العلاقات الثقافية على التراث الحضاري المشترك بين البلدين

- المبحث الأول : منح الإجازات بين علماء البلدين

1- إجازات الجزائريين للمغاربة.

2- إجازات المغاربة للجزائريين .

- المبحث الثاني :انتقال المصنفات وإقامة المناظرات بين علماء البلدين

1- انتقال المصنفات .

2- إقامة المناظرات.

- المبحث الثالث : تبادل الرسائل والفتاوى:

1-تبادل الرسائل.

2- تبادل الفتاوى .

الفصل الثالث:

انعكاسات العلاقات الثقافية على التراث الحضاري المشترك بين البلدين

لعلّ من أبرز نتائج مظاهر الصلات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى ، والتي كان مُحرّكها في الغالب العلماء هي منح الإجازات لطلبة العلم، وحرصهم على التنقل ومكابدة السفر من أجل الحصول عليها، وكثرة التآليف في شتى الميادين، خاصة في العلوم الشرعية وانتقال المصنفات، كما أخذ العلماء عن بعضهم، وامتلأت كتب الفهارس بالمرويات عن الشيوخ والمؤلفات التي استفادوا منها، بالإضافة إلى وجود المحاورات والمناظرات بين علماء البلدين و تبادل الرسائل والفتاوى.

وسنحاول من خلال هذا الفصل التركيز مانتج عن التواصل الثقافي بين البلدين من إجازات وتبادل مصنفات ورسائل وفتاوٍ .

المبحث الأول:

الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى

تعدّ الإجازات العلمية مظهرا من مظاهر التواصل الثقافي بين علماء وطلبة الجزائر والمغرب الأقصى ، فكانت الرحلة للقاء العلماء والتزود من علمهم، وخبرتهم لتُتوج بالحصول على إجازة ، التي تعد شهادة كفاءة أو تأهيل يمنحها الشيخ للطالب ، ويستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها ، ولأهميتها اهتم طلبة العلم بالحصول عليها من العلماء المشهورين[1]، ولا تمنح الإجازة إلا بعد القراءة على الشيخ وملازمته أياما وشهورا، بل أحيانا سنوات، كما تمنح بالمراسلة والسماع[2] ، والإجازة العلمية بمفهوم هذا العصر هي بمثابة الشهادة التي يمنحها الطالب، حيث تتوج نهاية مشواره مع التحصيل .ومن بين الإجازات المتبادلة بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى، سنحدد بعضا منها خلال هذه الفترة:

1- منح علماء الجزائر إجازات لعلماء وطلبة عِلم المغرب الأقصى:

كان لعلماء المغرب الأقصى نشاط كبير في الجزائر؛ نتيجة الظروف السياسية بالمغرب واللجوء إلى الجزائر ، ولمكانة بعض العلماء الجزائريين وتمكّنهم وشهرتهم ، إضافة إلى كَوْن الجزائر هي طريق حجاج المغاربة، سواء عبر الطريق البري أو البحري ، ماجعلهم ينزلون بالمدن الجزائرية ويتصلون بعلمائها[3]. أو حصولهم على الإجازات من العلماء الجزائريين في المغرب ، ومن إجازة علماء الجزائريين لعلماء المغرب الأقصى:

- إجازة سعيد قدورة[4] لعدد من العلماء المغاربة،كمحمد بن سليمان الروداني،الذي نزل بمدينة الجزائر أثناء رحلته إلى المشرق، وذكر شيخه سعيد قدورة في كتابه الفهرست المعنون ب "صلة الخلف بموصول السلف" وقال فيه:"شيخنا شيخ الإسلام، وصدر أئمة الأنام أبي عثمان سعيد بن إبراهيم

[1]- ليلى غويني: المرجع السابق، ص215.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص ص 39-40.

[3]- فوزية لزغم: الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية،المرجع السابق، ص171.

[4]- ولد سعيد قدورة بتونس سنة 979هـ/1571م ، انتقل إلى الجزائر ودرس على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم المطماطي ، سافر إلى الحج مع أستاذه أبي علي أبهلول المجاجي سنة 993هـ/1585م ، كما سافر إلى المغرب ،وفي سنة 1028هـ/1618م تولى التدريس وعيّن مفتيا للمالكية حتى وفاته سنة 1066هـ/1656م .ينظر:حسين بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي، المصدر السابق، ص95.ينظر أيضا:محمد أوجرتني : المرجع السابق ، ص ص 246-249.

الجزائري الشهير بقدورة"[1]،ومن الذين درسوا على يدهمحمد بن عبد الرحمان الصيني التازي(ت. 1115هـ/1703م)، الملقب ب " سر الزمان وآية العرفان "[2].

ولسعيد قدورة سند في رواية الموطأ الإمام مالك رضي الله عنه ، وقد علّق العلامة "صالح الفلاني" على هذا السند بقوله: "وفي هذا السند مع علوه لطائف اتصاله بالسماع، وكون رجاله كلهم مالكيون ، وفقهاء، ومصنفين، وكونهم مغاربة"[3].

– إجازة عيسى الثعالبي للعياشي ، فقد لقيه للمرة الثانية في مكة سنة 1073هـ/1663م ، بعدما لقيه المرة الأولى في القاهرة سنة 1065هـ/1654م ، فأجازه ، وفي مكة طلب منه الإجازة ،ومن مشايخ مكة الاجازة له ولأهل بيته ومرافقيه، ولجمع من مشايخ العلم بالمغرب، وأجاز أحمد بن العربي ابن الحاج الفاسي[4] ،والشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي[5]، والشيخ أحمد بن سعيد الدلائي ، الذي حصل على الإجازة، بعدما عدّد فيها أساتذته الذين أخذ عنهم الحديث في مصر مثل الحسن بن علي الجوهري [6] ، وأجاز محمد بن سنة المغربي[7]، والشيخ عبد الله محمد البوحسني المغربي بعد قراءته لمنظومة في العقيدة لأحمد المقري " إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة "[8] .

– إجازة عبد الكريم الفكون للعياشي، وفي إجازته يقول العياشي:"... صحبته إلى المشرق ، وترددت إليه مرارا لزيارته والتماس بركاته وطلب الدعاء منه ، فلما كنا بمدينة طرابلس طلبت منه أن أقرأ عليه

---

[1]-محمد بن سليمان الرُّودان:**صلة الخلف بموصول السلف**،تح:محمد حجي،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988، ص21.

[2]– محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني ، المصدر سابق ، ج 5 ، ص 18.

[3]– محمد أوجرتني: المرجع السابق، ص251.

[4]– قاضي فاس ، ولد سنة 1040هـ/1631م ، وحج سنة 1078هـ/1668م، وتوفي سنة 1109هـ/1698م، ويبدو أنّ إجازة الثعالبي له كانت مكاتبة له أرسلها مع صديقه العياشي، ولما حج التقى بعيسى الثعالبي فأجازه ، ينظر: عبد الحي الكتاني: المرجع السابق، ص ص117- 118.

[5] – محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني، المصدر السابق، ج3، ص ص 151-152.

[6]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص56.

[7]– ولد 1042هـ-1102هـ /1593م وتوفي 1102هـ ، تنقل في مختلف أرجاء المغرب من فاس ومراكش ، كما سافر إلى توات وشنقيط والسودان ، وأجازه الإمام محمد بن أحمد التنبكتي . ينظر: عبد الحي الكتاني:المرجع نفسه،ج2،ص1026.

[8]– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** ، تح : محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ، لبنان، 1981، ص160.

شيئا في الحديث والتصوف ....ولكن مرادك الانتساب إلينا فأنت منا وإلينا "[1]. كما أجازه عاشور القسنطيني الذي لقيه في طرابلس الغرب خلال عودته من الحج سنة 1073هـ/1662م[2].

- إجازة عبد العزيز التواتي للعياشي:

كما أنّ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي[3] في رحلته إلى الحجاز، التقى بالعياشي في الطائف وقال عنه إنه شيخ القراء بمسجدها الكبير، ووصفه بأنه الشيخ الذي لايشاركه في تحقيق فن القراءة بأرض الحجاز غيره [4]، وقد أجازه بعد أن قرأ عليه ،وسمع منه بعض سور القرآن[5].

- إجازه عاشور بن عيسى القسنطيني للعياشي:

لقيه بطرابلس الغرب ، فطلب منه الإجازة له ولأصحابه ، وقال له مادحا:

للشَّيْخِ عَاشُورَ الإِمَامِ الأَمْجَدِ حَاوِي الكَمَالاَتِ التقي الأَرْشَدِ
مُدَّت يَدِي لتَنَالَ كُلَّ فَضِيلَةٍ عِلْمًا وَذَوْقًا مِنْ إمَامٍ مُرْشِدِ[6]

كما أجاز عاشور القسنطيني محمد بن عبد القادر الفاسي.[7] فأجازه هو وأصحابه لفظا، واعتذر عن عدم كتابة الإجازة لضيق الوقت[8]، وأجاز أحمد بن العربي بن الحاج الفاسي[9].

- إجازة أبي حفص المانجلاتي لابن زاكور في الفقه بعد أن حفظ عليه جمع الجوامع للسبكي 1094هـ /1683م[10]، وإجازته لمحمد بن سنة المغربي[11].

---

[1]- أبو سالم العياشي: اقتفاء الأثر،المصدر السابق، ص164.

[2]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد ،المصدر السابق، ج2، ص382.ينظر أيضا: محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ج1، ص448.

[3]- من تيجورارن التي اعتبرها العياشي أرض مغربي،متزوج من امراة من الطائف. ينظر:حفناوي بعلي: المرجع السابق، ص153.

[4]- المرجع نفسه، ص153.

[5]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد ،المصدر السابق، ج2،ص121.

[6]- المصدر نفسه، ج2، ص382.ينظر أيضا: محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ج1، ص449.

[7]- محمد القادري: نشر المثاني ، المصدر السابق، ج3، ص 151.

[8]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد، المرجع السابق، ج2، ص382

[9]- عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ص 118.

[10]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان، المصدر السابق، ص45.

[11]- محمد المختار ولد أباه: **تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب** ،ط1،المنظمة الإسلامية، إيسيسكو، 2010، ص549.

- إجازة محمد بن سعيد قدورة لابن زاكور الذي درس عنده الحديث والفقه والتصوف، وقرأ عليه " الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، وأبوابا من صحيح البخاري ، فتأخر عليه في منحه الإجازة ، ثمّ كتب له شعرا يستعطفه، فأجازه إجازة مطلقة في رجب 1094هـ/جوان1683م[1]، كما أجاز محمد بن سنة المغربي[2].

- إجازة محمد بن عبد المؤمن لابن زاكور بعدما قرأ عليه كتاب "جمع الجوامع" و "أرجوزة بن التلمساني في الفرائض[3]، كما أجاز محمد بن سنة المغربي[4].

- إجازة عبد الكريم الجزائري لمحمد بن سنة المغربي [5]، ولعبد الله محمد المعروف بالصغير بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت.1134هـ/1721م)، حيث ذكر مشايخه الذين أجازوه في فهرسته "المنح البادية في الأسانيد العالية"[6].

- إجازة محمد بن كماد القسنطيني لعدد من العلماء الذين درسوا عنده في المغرب، منهم: محمد بن عبد السلام البناني الذي ذكره في فهرسته، وإدريس بن محمد المنجرة الذي ترجم له في فهرسته وقال عنه: "لم تر عيناي مثله"[7]، والشيخ أحمد بن مبارك الذي أجازه[8]، والفقيه السجلماسي إبراهيم بن عبد الرحمان الملاحفي (ت. 1130هـ/1718)[9]، كما درس عنده محمد بن الشيخ أحمد المعروف بابن الحاج الفقيه (ت. 1129هـ/1717م)[10].

- إجازة أحمد البوني لعبد الرحمان الجامعي الفاسي الذي زاره ببونه وحضر مجالس دروسه[11].

---

[1]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان، المصدر السابق، ص ص 38-39 .

[2]- محمد المختار ولد أباه: المرجع السابق، ص549.

[3]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان، المصدر السابق، ص55.

[4]- محمد المختار ولد أباه: المرجع السابق، ص549.

[5]- عبد الحي الكتاني: المصدر نفسه، ج2، ص1027.

[6]- المصدر نفسه، ص595.

[7]- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني : سلوة الأنفاس،المصدر السابق، ج2، ص34.

[8]- فوزية لزغم:الاجازات العلمية، المرجع السابق، ص227، ينظر: محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1 ، ص352.

[9]- المرجع نفسه، ص227.

[10]- محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، المصدر السابق، ج1، ص479.

[11]- عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج1، ص236.

- إجازة ابن حمدان التلمساني للهشتوكي، وقد ذكر صاحب فهرس الفهارس أنّه من أساتذة الهشتوكي[1]، الذي ذكره في فهرسته "قرى العجلان في إجازة الأحبة والإخوان" سنة 1110هـ/1698م [2].

يظهر جليا أنّ طلبة و علماء المغرب، قد استفادوا من علماء الجزائر،وحصلوا على إجازات سواء داخل الأراضي الجزائرية خلال الرحلات العلمية أو السفارية، أو من خلال رحلتهم إلى الحجاز أين كان ملتقى للعلماء الجزائريين والمغاربة.

2- إجازات المغاربة للجزائريين:

نتج عن الصلات الثقافية بين علماء الجزائر والمغرب، وهجرة العديد من العلماء الجزائريين نحو الحواضر المغربية أين كانت قِبلة لهم تولوا فيها مناصب هامة في الإفتاء والتدريس، تحصّل العلماء الجزائريون على الإجازات من علماء المغرب أثناء لقائهم بهم في الجزائر، أو خارجها في الحواضر العربية ، ومنها:

- إجازات علي بن عبد الواحد الأنصاري :

لعلّ مجيء الشيخ الأنصاري واستقراره في الجزائر كان مكسبا لطلاب العلم[3]. ومن الذين درسوا عنده وأجازهم: عيسى الثعالبي، الذي كانت تربطه به علاقة مصاهرة، فقد تزوج ابنته، ورغم طلاقه منها ظلت علاقة التلميذ بشيخه إلى أن رحل إلى المشرق، وقد أجازه عدّة مرات[4].كما تتلمذ على يديه أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمان المانجلاتي (ت. 1104هـ/1693م) ، فقد ذكر لابن زاكور أنه لازم الأنصاري أربع عشرة سنة ليلا ونهارا[5]، كما درّس و أجاز يحي الشاوي ،وكذا الشاعر محمد بن علي القويجلي (ت.1080هـ/1699م)، الذي نظم فيه أبياتا قال فيها :

يَا مُغْنِمًا وَهَبَ الجَزِيلَ لمنْ مَنْ بَابُهُ يَرْجُو نَدَى المثرِي

---

[1]- عبد الحي الكتاني: المصدر السابق،ج2، ص1103.

[2]- عبد الله المرابط الترغي: **فهارس علماء المغرب من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان، 1999، ص622.

[3]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص 370-371.

[4]-محمد أمين المحبي: المصدر السابق، ج3، ص240.

[5]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان..، المصدر السابق، ص9.

إنَّا جَمَعْنَا مِنْ مَذَاهِبِكُمْ فَأَجِزْ   جُرِيتَ بِأَعْظَمِ الأَجِيرِ[1]

وطلب الإجازة منه قائلا:

عِدِينِي بِوَصْلٍ وامِطْلي بِإجَازَةٍ   فَوَعْدٌ جَمِيلٌ مِنْكَ لاَشَكَّ يَصْدُقُ[2]

– إجازة عبد القادر الفاسي [3] :

أجاز الفاسي العلامة عيسى الثعالبي ، وقد حصل عليها بطلب من تلميذه أبو سالم العياشي لشيخه عبد القادر الفاسي سنة 1076هـ/1665م ، فكتبها له ولده الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي إجازة ، وهي فهرسة في حوالي كراستين[4].

– إجازة الشيخ محمد الطيب الفاسي:

أجاز محمد الطيب الفاسي المفتي الحنفي مصطفى بن رمضان العنابي[5] خلال زيارته لمدينة الجزائر أثناء رحلته السفارية سنة 1103هـ/ 1692 م، فتباحث معه في مسائل علمية واستجازه فأجازه. يقول الشيخ محمد الطيب الفاسي :" لما دخلت مدينة الجزائر كان ما أتحفني الله بلقائه من أعلامها الفقيه النبيه مصطفى ابن رمضان الحنفي الشهير بالعنابي ، فتذاكرت معه في فتوى علمية واستفدت منه فوائد سنية ، وذكرت له زوائد ودررا علقت بذهني، مما سمعته من جهابذ علومهم مرضية، فحمله حسن نيته ، وخلوص طويته، وأن استدعى مني إجازة في ذلك وغيره "[6].وتبلغ الأرجوزة التي أجازه بها حوالي سبعين بيتا، جاء فيها:

---

[1]– أحمد بن عمار: **أشعار جزائرية** ، تح:أبو القاسم سعد الله، ط1، م. و .ك، الجزائر، 1988، ص122.

[2]–المصدر نفسه، ص113.

[3]– هو أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي ، ولد سنة 1007هـ /1599م بالقصر، تعلم على يد والده، ثم انتقل إلى فاس سنة 1025هـ/1616م ، درس فيها ثم تولى التدريس ، لقب بالحافظ والمتحدث والفقيه الأصولي النحوي ، توفي سنة 1091هـ/1667م ، من كتبه التي جمعها ابنه الأجوبة الصغرى ،النوازل الكبرى، عقيدة أهل الإيمان ، ينظر: محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، المصدر السابق، ج1، ص ص 314-315، ينظر أيضا: خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص41.

[4]– عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص767.

[5] –ولد بعنابة وتنقل إلى مدينة الجزائر ، من كبار فقهاء الحنفية، توفي سنة 1130هـ/1718م ، ومن تآليفه: أرجوزة الفرائض، الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبة والتزويج ، ينظر: أبو القاسم سعد الله : رائد التجديد الاسلامي.. ، المرجع السابق، ص ص 24-25.

[6]– أحمد بن سحنون : الثغر الجماني ،المصدر السابق، ص ص 75-76.

أَقُولُ مُجِيبًا مُفْصِحًا بلِسَاني أَجَزْتُ الفَقِيهَ مُصْطَفى التُّركُمَانِي[1]

– إجازة محمد بن سليمان الروداني[2]:

أجاز الروداني العلامة أحمد بن قاسم البوني ، الذي أجازه وذكره في فهرسته " صلة الخلف بموصول السلف "[3]، وقد ذكر البوني :" وقرأت بعضه عليه وحضرته أيضا في سنن النسائي الصغرى ...بمكة المشرفة سنة 1092هـ/1681م إجازة. "[4]

– إجازة أبي عبد الله محمد بن الموفق الجلالي [5] : الذي رحل إلى فاس ، حيث أجازه بعض علمائها، منهم الشيخ محمد جسوس (ت.1182هـ/ 1768م)،و الشيخ التاودي بن سودة (ت.1209هـ/ 1795م)،والشيخ محمد البناني ، والشيخ عبد الله السوسي، الشيخ عمر السوسي ومولاي بن عبد الرحمان إدريس[6].

– إجازة أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن القاسم بن توزينت (ت.1118هـ/1706م) [7] من قِبل الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد الحسني المغربي الشهير بالمجوب؛ وهو نزيل مكة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : رائد التجديد الإسلامي...، المرجع السابق، ص25.

[2]- محمد بن سليمان المغربي الرُّوداني، ولد بتارودانت سنة 1037هـ/1627م ، ثم رحل لسجلماسة ثم مراكش لطلب العلم ، ثم وصل إلى الجزائر وأقام بها مدة وقرأ على سيدي قدورة وغيره، توفي سنة 1094هـ/1683م ودفن بقاسيون في الشام ، ومن أهم مؤلفاته: صلة الخلف بموصول السلف ، جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، ينظر: محمد بن الحسن الدمشقي :قلائد الدرر على نتيجة النظر، ص148، محمد الصغير الافراني: صفوة من انتشر ، المصدر السابق، ص331.

[3]- عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص427.

[4]- أحمد البوني: **ثبت البوني أحمد بن قاسم البوني**، تح: محمد شايب شريف، ط1، دار المقتبس،بيروت، 2017، ص47.

[5]- محمد بن عبد الله بن الموفق بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد المشهور بأبي جلال،ولد بمعسكر، ويعد من أبرز العلماء ، تلقى علمه على يد علماء فاس، ورجع من هناك غزير العلم ، ذهب إلى الحج ، والتقى بعلماء المغرب والمشرق، تخرج على يديه أحمد بن سحنون الراشدي، لمزيد من المعلومات يُنظر: عبد الباقي مفتاح : المرجع السابق، ص 191.

[6]- ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، (د.ط) ،م .و. ك ، الجزائر، 1980، ج4، ص151.

[7]- ولد بتلمسان ودرس بها، ثم رحل إلى الحجاز، ودمشق، والمغرب وأخذ من علمائها التصوف والحديث وعلم القراءات ، توفي في معركة ضد الإسبان حينما أغارت على مدينة وهران وذلك سنة 1118هـ/1706م ، ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني توزينت: **تقييد على قراءة الامام نافع من رواية قالون وورش** ، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ط1، دار بن حزم، بيروت، 2009، ص9.

المشرفة، حيث قرأ عليه محمد بن توزينت من أول إحياء علوم الدين للإمام الغزالي إلى باب العلم، وكتاب الحج، والصوم من كتاب الفتوحات المكية[1].

– إجازات محمد بن عبد الله أيوب الملقب بالمنور التلمساني (ت. 1172هـ/1758م)، الذي رحل إلى فاس سنة 1133هـ/ 1720م حيث حصل على عدة إجازات من العلماء المغاربة، ومن الذين أجازوه: الشيخ أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي، وأبي عبد الله المسناوي (ت.1136هـ/1724م)[2]، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري الفاسي ، والشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحاج،والشيخ محمد بن حمدون بناني،والقاضي محمد العربي بن أحمد بُردلة (ت. 1133هـ/1720م)[3]، والشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن المعطي الشرقاوي، و الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي، الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي[4].

– إجازة محمد بن علي الشريف الجعدي من طرف محمد بن عبد الرحمان الفاسي للشيخ ، الذي نزل بفاس سنة 1133هـ/1720م ، وحصل على الإجازة بعد أن قرأ له فهرسته المنح البادية في الأسانيد العالية، ثم سمع منه أحاديث منها، حديث الضيافة وحديث الرحمة المسلسل بالأولية، وأعطاه السبحة

---

[1]– محمد بن أحمد التلمساني توزينت: المصدر السابق، ص9.

[2]– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي ، عالم من علماء المغرب ،ولد بالزاوية الدلائية سنة 1072هـ/1662م ،نشأ وأقام بفاس ومن شيوخه : محمد بن عبد القادر الفاسي ، الحسن بن مسعود اليوسي ، التجموعتي، ابن كماد ، وأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري ، تولى منصب الإفتاء ، من مؤلفاته : نسب الأدارسة الجوطيين ، نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق ينظر :محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية، المصدر السابق، ص ص 333-334 ، ينظر محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر، المصدر السابق، ص 327.

[3]– ولد بفاس سنة 1042هـ/1632 م، من شيوخه: عبد القادر الفاسي، محمد بن عبد القادر الفاسي ، وأبي العباس بن حمدون المزوار الفاسي، وأبي عبد الله بن سودة، تولى منصب قضاء فاس، والإفتاء ،وشغل منصب خطيب جامع القرويين ، ترك مجموعة مؤلفات منها : الأجوبة ، رسالة إلى المولى إسماعيل في مسألة الحراطين ، تقييد في صلحاء مدينة فاس، ومسألة في علم الكلام وفلسفته، ينظر: محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق،ص 332، ينظر أيضا: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري:المصدر السابق، ص42.

[4]– عبد الحي الكتاني: المصدر السابق، ج2، ص570.

وصافحه وألبسه الخرقة، وأعطاه أوائل الكتب الستة: الموطأ، جامع الترميذي، سنن ابن ماجة، مسند الدرامي ،الشفا للقاضي عياض، و مفتاح الشفا لوالده عبد الرحمان الفاسي، فقرأها عليه[1].

– إجازة عبد الرزاق بن حمادوش :

ومن الذين أخذ عنهم ابن حمادوش وأجازوه من المغاربة : أبو مدين بن الحسن المكناسي (ت.1123هـ/1711م)، والشيخ محمد بن أحمد المسناوي الدلائي (ت.1136هـ/1723م)، كما أجازه عبد الملك التجموعتي، وأحمد بن ناصر الدرعي وغيرهم[2].

– إجازة عمر بن عبد القادر التنلاني الذي رحل إلى فاس ، وأخذ عن علمائها، فأجازه الشيخ محمد ابن أحمد بن مبارك السجلماسي[3]، وأجازه إجازة عامة أبو علي سيدي الحسن بن رحال المعداني(ت. 1140هـ/1727م)[4].

2 – مجالات التأليف المشتركة للجزائريين والمغاربة وتبادل المصّنفات:

تميزت هذه الفترة بكثرة التأليف وتنوع المواضيع التي تناولها العلماء الجزائريون والمغاربة ، بالإضافة إلى إقبال حكام الجزائر والسلاطين العلويين وعامة الناس وخاصتهم على اقتناء الكتب ، التي تنقلت عن طريق رحلات الحج أين يتم فيها شراء الكتب أو تبادلها [5] ، أو عن طريق إقامة علمائها [6]، أو

---

[1]–محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص486، ينظر:عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق،ج2، ص598.ينظر أيضا: فوزية لزغم: المرجع السابق، ص235.

[2]– عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال.. ، المصدر السابق، ص ص 50-55. ينظر أيضا: عمر بن قايد: التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى...، المرجع السابق، ص255.

[3]– فرج محمود فرج:**إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**،ط1،الجزائر، د.م.ج،الجزائر،2007، ص89.ينظر: فوزية لزغم : المرجع السابق، ص252.

[4]– الحسن بن رحال بن أحمد التدلاوي، عالم وفقيه مغربي ، يعرف بصاعقة العلوم ، ولي قضاء فاس ثم مكناس، من مؤلفاته : شرح مختصر الخليل وحاشية على شرح الخرشي، ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام ، المصدر السابق،ج2، ص 170.

[5]–وكانت المصنفات المغربية تصل إلى الجزائر عن طريق رحلة الحج ، فنجد أنّ ابن الناصر الدرعي في حجته سنة 1096هـ/ 1684م، حينما وصل إلى عين ماضي طلب منه أهلها ترك كتاب والده "غنيمة العبد المنيب فى التوسل بالصلاة على النبى الحبيب" فتركها لهم لينسخوها.ينظر: أحمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية،المصدر السابق، ص131.

[6]– ومنهم علي بن عبد الواحد السجلماسي، مغربي استقر بمدينة الجزائر وتولى التدريس والإفتاء، وترك كتبا عديدة منها :تفسير القرآن، المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية، اليواقيت الثمينة، مسالك الوصول إلى مدارك الأصول، وأرجوزات كثيرة منها " الدرة المنيفة" أرجوزة في السيرة النبوية، و"جامعة الأسرار" نظم بها قواعد الإسلام الخمس ، وكانت متاحة لتلاميذه وغيرهم الذين استفادوا منها ومنهم يحي الشاوي، عيسى الثعالبي وسعيد قدورة. خير الدين الزركلي: الأعلام ، المصدر السابق،ج4،ص75.

الاستعارة من أجل نسخها ، فنشط العلماء وتلاميذتهم في نسخ الكتب ، مما أدى إلى وفرتها وتنوع مواضيعها منها كتب النحو والتفسير والحديث والتوحيد والسير والعقائد وأصول الفقه وفروعه والتصوف واللغة والأدب والعلوم والمنطق في مكتبات وخزانات الجزائر والمغرب .

ومن المؤلفات الأصيلة التي اعتمد عليها الجزائريون والمغاربة وتنقلت بينهما ، ففي التفسير مثلا اعتمدوا موطأ مالك وصحيح البخاري، جامع البيان للإمام الطبري،وفي الفقه مدونة سحنون والواضحة لعبد المالك بن سعيد ، والتبصرة للخمي، ومختصر خليل بن إسحاق الجندي المالكي ، أما في اللغة فنجد التركيز على ألفية ابن مالك ومصنفات سيباويه، وكتاب الجمل للزجاجي ،وذلك من أجل فهم واستيعاب العلوم الدينية[1].

ولعلّ كل هذا، دفع علماء الجزائر والمغرب بالكتابة سواء بكتابة كتب مستقلة في مواضيع مختلفة، خاصة المواضيع الجديدة على المجتمع الجزائري أو بوضع شروح وحواشٍ وتعاليق لأمهات الكتب، أو لكتب معاصريهم ، كما شمل التأليف الفهارس والرحلات والتراجم والرسائل . وحتى في العلوم العقلية، فاهتموا بالمنطق والرياضيات والحساب والعلوم والطب والكيمياء والفلك.

أ- العلوم الشرعية:

اهتم العلماء في الجزائر بالكتابة في العلوم الشرعية، وما تتضمنه من علم الكلام " التوحيد"، علم التفسير، علم الحديث، علم القراءات والنصوص القرآنية ، السيرة النبوية والفقه . وقد كثرت الكتابات في هذا الجانب، لكنّها تفتقر للتجديد فكثرة التأليف فيها يعود إلى اهتمامهم بالقرآن والحديث اللذين هما مصدر التشريع الإسلامي، وكان لابد من التجديد والثورة على التقليد والتكرار والحفظ، لكنّها كانت قليلة جدا، فكثيرا ما حكم على المجددين بالزندقة والتكفير، ونذكر بعض النماذج التي ألفت في هذه الفترة، واستفاد منها أهل الجزائر والمغرب الأقصى بحكم الرحلات العلمية بين البلدين منها :

---

[1]- محمد أوجرتني :المرجع السابق، ص419.

1- علم الكلام:

علم الكلام[1] أو علم التوحيد الذي يعتبر من أهم العلوم الإسلامية وأشدها حساسية ، وكانت العقيدة السائدة لدى الجزائريين والمغاربة هي عقيدة الأشعري، عقيدة التوحيد التي ارتضاها أهل السنة والجماعة[2]، ويدل على عمق انتمائهما للأمة الإسلامية،حرصهما على وحدة الأمة العقائدية ، فانتعشت الكتابات الكلامية في الجزائر والمغرب، مثل ماكتبه علماء الجزائر قبل القرن11هـ/ 17م، لكن ظل المغاربة يأخذون عنهم ويضيفون الشروح والتعليقات ،ومن أهم مصنفات الجزائريين المعتمدة لدى المغاربة في علم الكلام و التي عرفت انتشارا لدى علماء المغرب الأقصى :

- مصّنفات محمد بن يوسف السنوسي:

ولقد عمد علماء المغرب إلى إضافة شروح وتعليقات عليها ، والاعتماد عليها في التدريس، ونالوا من خلالها الإجازات العلمية سواء في مؤلفه " العقيدة الكبرى" أو" العقيدة الصغرى" ، ف"العقيدة الكبرى" والتي تسمى " عقيدة أهل التوحيد المخرجة بفضل الله تعالى من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد " وقام السنوسي بشرحها في كتاب تحت عنوان " عمدة أهل التوقيف والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" [3].

ومن علماء المغرب الذين شرحوا " الكبرى" عبد العزيز الرسموكي[4] الذي ألف كتابا "واسطة عقد الفرائد في شرح كبرى العقائد " ، وألف عمر بن عبد الله الفاسي (ت.1188هـ/1706م)كتابا سماه " طلائع البشرى فيمايتعلق بشرح العقيدة الكبرى" ، وأبو علي اليوسي في مؤلفه "حواشي

---

[1]- هو علم يبحث في التعريف بذات الله تعالى، وصفاته الإلهية، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام. ينظر: علي بن محمد الجرجاني:**التعريفات**،ط1، دار القلم، بيروت، 1984، ص485.

[2]- عبد الله معصر:"العقيدة الأشعرية بالمغرب"، المرجع السابق، ص85.

[3]–محمد بن يوسف السنوسي: **أم البراهين للامام عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ويليها شرح أم البراهين لتلميذ السنوسي محمد بن عمر الملالي التلمساني**، تح: خالد الزهري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2017، ص9.

[4]– أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الرسموكي(ت.1065هـ/1655م) :مدرس ثم قاضي إليغ. مات غرقا. له مؤلفات منها: كافية النهوض في صناعة العروض، شرح الخزرجية، شرح كبرى السنوسي.ينظر: عزيز الخطيب والحسين زروق: **معجم البلاغيين والعروضيين بالمغرب الأقصى** ، ط1، دار الأمان ، الرباط ، المغرب، 2019، ص142.

اليوسي على الكبرى،" وله عنوان آخر وهو" حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي "[1]، كما شرحها ودرسها علماء آخرون ، منهم أحمد السلاسي (ت.1065هـ/1655م) .وعلي العكاري المراكشي (ت.1118هـ/1706م).وذكر اليوسي في فهرسته أنه قرأ على الفقيه أبي عبد الله محمد المزوار المراكشي (ت. 1065هـ/1655م) مختصر السنوسي [2].أما كتابه "صغرى الصغرى" والذي يُعرف ب "أم البراهين". ومن العلماء الذين اهتموا بشرحها وتدريسها:

عبد الرحمان الفاسي [3] في مؤلفه " نظم على الصغرى " ، عيسى السكتاني(ت.1062هـ/ 1652م)"حاشية على الصغرى"[4] ودرسها علماء آخرون ، منهم أبو البركات الفاسي (ت.1091هـ/1681م). كما حرص العلماء الجزائريون في هذه الفترة على دراسة صغرى السنوسي، كمصطفى الرماصي(ت.1724/1137م) الذي ألّف كتاب "حاشية على أم البراهين" وألف كتابا في التوحيد بعنوان "كفاية المريد في شرح عقيدة أهل التوحيد".

كما ألّف يحي الشاوي [5] " حاشية على أم البراهين العقيدة الصغرى للسنوسي". وله مؤلف في التوحيد سماه " قرة العين في جمع البين"[6].

---

[1]- الحسن بن مسعود اليوسي: **حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي**، المسماة، عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد ، تق.تح: حميد حماني اليوسي، ط1، مطبعة دار الفرقان ، المغرب ، 2008. ج2.

[2]-أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي: **فهرسة اليوسي**، تح: زكريا الخثيري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009، ص58.

[3]- أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري ، ولد بفاس سنة 1040هـ/1631م، وتابع فيها دراسته تحت إشراف والده. فبعد أن حفظ القرآن الكريم، وهو في السابعة من عمره ،وجوده بالقراءات السبع، وتابع دروس عدد كبير من علماء المغاربة، كما أجازه علماء المشارقة ، توفي سنة 1096هـ/1685م تاركا مؤلفات كثيرة، منها: النوازل الكبرى،فتاوى عبد القادر الفاسي،الأجوبة الحسان في الإمامة والسلطان.ينظر:محمد الأخضر: المرجع السابق،ص114.

[4]- محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر ...، المصدر السابق، ص207.

[5]- يعد الشيخ أبو زكريا يحي بن الفقيه محمد بن محمد النايلي الشاوي الملياني الذي وُلدسنة 1030هـ/1621م، وتوفي سنة1096هـ/1685م ، من أهم علماء الجزائر ، نشأ بمليانة ثم انتقل لمدينة الجزائر، ودرس على يد أبي عثمان سعيد قدورة، وعبد الواحد الأنصاري السجلماسي ، والواقع أن العديد من المصادر أغفلت رحلته للمغرب، فمن خلال دراسته في تلمسان ، فمن الأرجح أنه زار فاس، خاصة وأنّ الشاوي عرف بحبه للسفر من أجل العلم ، كما ذكر أنه لما حارب المشعوذين واتهمهم بالفجور والزندقة، ذكر أنه رأى منهم ذلك بفاس،رحل إلى المشرق سنة 1074هـ/1663م وبقي هناك حتى توفي سنة 1096هـ/1684م.ينظر: محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ،المصدر السابق، ج4، ص486.

[6]- عباس بوطبل: **دراسة توصيفية لمخطوطة "توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد " تأليف الشيخ يحي الشاوي الجزائري**، في المجلة الجزائرية للمخطوطات ، ع11، 2014، الجزائر ، ص143.

و الملاحظ أن مصنفات السنوسي في علم الكلام قد تبوأت مكانة كبيرة لدى العلماء المسلمين عامة، والجزائريين والمغاربة خاصة ، الذين ألفوا فيها العديد من الشروحات والحواشي، وهذا مايدلّ على قيمة المؤلَّف الجزائري .

2- علم التفسير:

لا شك أن الدراسات القرآنية التي تجعل من القرآن الكريم مادتها الأولية، تعطيه الصدارة على غيره من الدراسات ، فكان علم التفسير من أجَلّ العلوم، ولهذا تضافرت في هذه الفترة جهود العلماء الجزائريين والمغاربة لتدريسه والتأليف فيه، من أجل ترسيخ معاني القرآن الكريم ،وتكفل بتدريس التفسير علماء بارزون ، ومن أهم الذين عنوا بهذا الميدان في الجزائر والمغرب :

- مصنفات الشيخ عبد الرحمان الثعالبي: من مؤلفاته التي وصلت إلى المغرب الأقصى، كتابه في تفسير القرآن الكريم " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وقد اعتمد عليه الروداني[1] ، كتاب " زاد المسافرين وغاية الموردين في تفسير القرآن بسنة سيد المرسلين وماثبت من أقوال المهتدين" لعلي بن أحمد بن محمد بن الفيرم بن البكاي الرقادي (ت.1120هـ/1708م) .

ومن أشهر العلماء الذين اشتهروا في التفسير أحمد بن قاسم البوني، فقد ألف كتبا عديدة منها: "نظم الاختلاف في البسملة وأنها آية من كل سورة أم لا" و كتاب " التيسير في إسنادها في كتب جمع من التفاسير" ، وذكر الحفناوي أن للبوني نظما " نظم في إسناده لخمسة وعشرين تفسيرا "[2].

وفي المغرب نشط اليوسي في مجالس التفسير، وكان كثيرا مايبقى في تفسير السورة الواحدة ثلاثة أشهر أو أكثر، وترك كناشة تعرف ب" كناشة اليوسي" ، جمع فيها فوائد في التفسير تتناول آيات متفرقة ، وألف كتابا تضمن حقيقة التفسير، وموضوعه وغايته سماه " القانون في مبادئ العلوم"[3].

3- علم الحديث:

من مؤلفات الحديث لدى علماء الجزائر والمغرب، والتي انتقلت بينهما ، واستفاد منها علماؤهما وطلبتهما:

---

[1]-صالح بسالم: التواصل الثقافي..، المرجع السابق، ص60.

[2]- محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص516.

[3]- عبد الكبير العلوي المدغري: الفقيه أبو علي اليوسي، المرجع السابق، ص ص203-205.

- مصّنفات أحمد بن محمد بن زكري[1]:

أقبل عليها علماء وطلبة المغرب الأقصى بعد مصنفات السنوسي ، ومن أهم العلماء المغاربة الذين اهتموا بتراث ابن زكري تأليفا وتدريسا:محمد الهشتوكي (ت.1098هـ/1688م)،الذي درس موجز ابن زكري في الحديث،وعيسى السكتاني (ت. 1062هـ/ 1652م)كان يدرس محصل المقاصد بالقرويين[2].

- مصّنفات أحمد بن قنفذ القسنطيني (ت. 810هـ/1407م) [3]:

ومنها كتاب" شرف الطالب في أسنى المطالب "، وهو شرح لمنظومة أبي العباس أحمد بن فرج الإشبيلي في مصطلح الحديث ، وقد اهتم علماء المغرب وطلبتها بكتب ابن قنفذ التي نقلوها إلى المغرب.

4- علم القراءات:

اتبع غالبية سكان المغرب الإسلامي قراءة نافع[4] برواية ورش[5] ، وهي من القراءات المتواترة التي حظيت بالقبول، وكان لها الانتشار الواسع عند المغاربة والأندلسيين لما عرفت به هذه القراءة من الصحة والشهرة ، ولما عرف به صاحبها من الإمامة و الأتباع، حتى قال الإمام مالك :

---

[1]- ولد بمدينة تلمسان ما بين عامي 820هـ/1417م،توفي أبوه، وتركه يتيما صغيرا، فكفلته أمه، وتعلم الحياكة ، فرآه العلامة ابن زاغو، فأعجبه ذكاؤه، و تكفل بدراسته، إلى أن نبغ واشتهر ، توفي 899هـ/1493م ، من مؤلفاته:" معلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب" في مصطلح الحديث" ،" محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد" نظم في علم الكلام"، " بغية الطالب شرح عقيدة ابن الحاجب"،"غاية المرام شرح مقدمة الإمام" "مسائل القضاء والفتيا ".ينظر:عادل نويهض:المرجع السابق،ص59.

[2]- أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي: فهرسة اليوسي ، المصدر السابق، ص58.

[3]- ولد بقسنطينة سنة 740هـ/1340م، باحث، له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض،تولى القضاء بالجزائر، ثم رحل إلى المغرب الأقصى، فأقام بها ثماني عشرة سنة ، توفي 810هـ/1407م ، من مؤلفاته:"شرح الطالب في أسنى المطالب "، "تيسير المطالب في تعديل الكواكب"، "بغية الفارض من الحساب والفرائض"، " سراج الثقات في علم الأوقات" و "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية "و"أنس الفقير وعز الحقير".ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر،المرجع السابق،ص268.

[4]- هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم ، أصله من أصبهان، أحد القراء السبعة ، ولد سنة 70هـ /689م بالمدينة المنورة ، أخذ عن سبعين من التابعين منهم : أبو جعفر، شيبة بن نصاح ، عبد الرحمان بن هرمز وغيرهم ، أمّ الناس في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ستين عاما ، وتوفي سنة 169هـ/785م ، ينظر ترجمته كاملة : عبد الوهاب بن وهبان: أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار، ط1، دار بن حزم ، بيروت،2004، ص ص 53-64.

[5]- أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ، وانتهت إليه رئاسة الاقراء في زمانه، كان ثقة ،حسن الصوت، (ت.179هـ/795م).ينظر: سعيد أعراب: **القراء والقراءات بالمغرب**،ط1،دار الغرب الاسلامي،لبنان، 1990، ص24.

" قراءة نافع سُنّة "، ومن ثم اهتم علماء الجزائر والمغرب بعلم القراءات، فدرسوه في مساجدهم ومدارسهم وزواياهم، كما ألّفوا فيه الكتب نثراً ونظما ، فنظروا في ضوابطه وأصوله وقواعده وخصائصه، بالإضافة إلى التأليف في فن التوجيه والوقف وفن الرسم ،وغيرها من الفنون المرتبطة بعلم القراءات، رغم قلة التأليف نسبيا في موضوع القراءات، ورسم القرآن الكريم ، مقارنة مع العلوم الأخرى كالفقه والتصوف والتفسير وغيرها[1].

ومن أشهر المقرئين الذين وفدوا من المغرب إلى الجزائر، الشيخ محمد بن مزيان التواتي، الذي دخل قسنطينة، وبها انتشر علمه وأقبلت عليه الطلبة، وانتفعوا به وكثر بحثه،حتى أصبح يلقب بسيبويه زمانه، فقد ذكر تلميذه عبد الكريم الفكون أنه ذهب إلى زواوة لتعلم القراءات السبع، و مكث فيها مدة عام لتعلم القراءات والتمكن منها [2].

ومن أشهر أساتذة القراءات بزواوة أواخر القرن الحادي عشر، وأوائل القرن الثاني عشر :محمد بن صولة[3].

وفي المغرب برع قراء جزائريون درّسوا فيها، كما درّس قراء مغاربة ترعرعوا في الجزائر، كأحمد بن حمدان التلمساني الجرجاني [4].

وقد أشاد به الحضيكي بقوله: "...، العالم المشهور، كان رحمه الله تعالى إماما في الحديث وعلومه، أستاذا مقرئا مجودا، فقيها مشاركا في الفنون كلها، له معرفة جيدة بالقراءات وعلومها"[5] .

سنحاول إدراج أهم المؤلفات التي كتبها العلماء الجزائريون أو المغاربة في علم القراءات وكانت منتشرة بين أيدي علمائها بحكم تنقل العلماء والمصنفات بين البلدين :

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج2، ص21.

[2]- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية،المصدر السابق، ص58.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص21.

[4]- حمد بن حمدان بن محمد بن علي بن سالم التلمساني الجرجاني، ينتمي إلى الأسرة الدلائية التي أبعدت إلى ، إلى أن سمح لها السلطان المولى إسماعيل بالعودة إلى فاس ، فعاد سنة 1085هـ/1674م ،وتصدر التدريس بها ،وهو متخصص في علم القراءات. ينظر: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي :**الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تق.تح :فاطمة نافع،ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت لبنان،2008، ص 298.

[5]- محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، تق.تح: أحمد بومزكو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2006، ج 1، ص82 .

-كتاب "سربال الردة في من جعل السبعين لرواة الإقراء عدة" لعبد الكريم الفكون(ت. 1073هـ/ 1663م) ، وهو تأليف غني بالآراء والنقول، عالج فيه أنواع القراءات ورواتها [1].

- مؤلفات في علم القراءات للشيخ عبد السلام بن محمد المطغري التلمساني، الذي وفد إلى سجلماسة بالمغرب ،ودرس على يد أبي زيد عبد الرحمان الولالي ، ثم نزل بفاس، ودرس على يد أبي العلاء إدريس المنجرة ، منها: " تكميل المنافع في الطرق العشرية"، ومنها " الهدية المرضية في الطرق العشرية " "روض الزهر في الطرق العشر " " نهج الهداية في اختلاف القراء في الوقف والوصل "[2].

- كتاب " تقييد في القراءات " لمحمد بن توزينت التلمساني (ت. 1118هـ/1706م) ، وقد ذكره أبو راس ناصري في كتابه "عجائب الأسفار"، مستشهدا في فتح وهران الأول ، وهو من مشاهير القراء ، وكتاب " الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء " لأحمد بن ثابت التلمساني (ت. 1152/ 1739م) من المؤلفين في القراءات، وتلميذ لمحمد بن توزينت التلمساني ، كما درس على يد شيوخ المغرب والحرمين، ترقى في معارف القراءات وقوانينها[3].

- كتاب " الفجر الساطع على الدرر اللوامع "، وكتاب أجوبة على أسئلة في مراتب المد" " الإيضاح لما ينبهم على الورى في قراءة عالم أم القرى"، " أرجوزة في اختلاف نافع وابن كثير في الوقف " " القول الفصل في اختلاف السبعة في الوقف و الوصل " وغيرها من الكتب لأبي زيد عبد الرحمان ابن القاضي الفاسي(ت. 1082هـ/1671م)[4].

- مؤلفات:"أجوبة في القراءات"، "رمز قراءات الأيمة السبعة المشهورين " لأبي المكارم الرضي بن عبد الرحمان السوسي التادلي(ت .1113هـ/1701م)وهو عالم في القراءات له [5].

-كتاب "الروض الجامع في شرح الدرر اللوامع" لأبي سرحان بن جموع (ت .1119هـ/1707م)[1].

---

[1]-أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،المرجع السابق،ج2، ص147.

[2]- عبد الهادي حميتو : **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش ، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، 2003، ج4، ص 117.ينظر أيضا : عمر بن قايد: التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى...، المرجع السابق ، ص 176.

[3]- رابح خدوسي وآخرون: المرجع السابق، ج1، ص 536.

[4]- هو أبو زيد المكناسي الأصل ، ولد سنة 999هـ/1590م بفاس ونشأ فيها ، من شيوخه أبو المحاسن يوسف الفاسي ومحمد الصغير المستغانمي ، ينظر: محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق،ج1،ص312، ينظر أيضا: محمد بن الطيب القادري : التقاط الدرر..، المصدر السابق،ص188.

[5]- سعيد اعراب : المرجع السابق، ص ص 114-115.

- كتاب " رسالة التوابث المذكور في فضل قراءة القرآن "[2] لأحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت. 1156هـ/1743م).

كتاب" رسالة في التجويد " المنظومة الدالية في تخفيف الهمزة لحمزة وهشام في الوقف " [3]لمحمد بن المبارك بن أحمد المغراوي السرغيني الفاسي(ت. 1681/1092م) ، وكتاب " نزهة الناظر والسامع، في إتقان الأداء والأرداف للجامع " لأبي العلاء إدريس بن محمد المنجرة (ت.1137 هـ/1724م)، من الشيوخ البارزين في علم القراءات ، وقد اتسعت شهرته حتى تجاوزت حدود المغرب، وفي هذا الصدد يقول بعضهم : " لا نرى من سوس الأقصى إلى طرابلس ونواحيها، إلاّ من قرأ عليه أو على أحد تلاميذه، حتى أن من لم يقرأ عليه أو بطريقته، لا يعد قارئا "[4].

والمقرئ المجوّد محمد المدرّع، الذي أخذ العلم عن عبد السلام جسّوس وبن كماد القسنطيني، والفقيه المقرئ أحمد بن عبد الله الإبراهيمي الهشتوكي (ت.1724/1135م) ، والفقيه المقرئ محمد بن عبد الرحمان بن زكري الفاسي(ت. 1144هـ/1731م)[5] . وغيرهم من القراء الذين برزوا في هذه الفترة.

5- الفقه:

ساد الفقه المالكي بين الجزائر والمغرب، ومنه كانت تُستنبط الأحكام الشرعية، إلاّ أن الجزائر قد عرفت وجود مذاهب أخرى إلى جانبه، منها المذهب الحنفي (مذهب الحكام العثمانيين)والمذهب الأباضي لأقلية في وادي ميزاب. ولكن ظل المذهب المالكي هو مذهب الأغلبية، وشكّل أحد آليات

---

[1]- ولد سنة 1050هـ/1640م. بمدينة فاس ؛ نشأ و درس بها ، من شيوخه :أبو زيد عبد الرحمن بن قاسم الفاسي ، محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي ، عبد القادر بن علي الفاسي ، محمد بن عبد القادر الفاسي ، ينظر : محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر... ، المصدر السابق ، ص297.

[2]- أحمد بن مبارك السجلماسي: **رسالة التوابث المذكور في فضل قراءة القرآن** ، تح: محمد بن عبد الله دامي، ط1، دار بن حزم، المغرب، 2014.

[3]- التهامي الراجي الهاشمي: "**دالية بن عبد الله السجلماسي المغراوي**"، في مجلة دعوة الحق، ع272، المغرب،1988، ص56.

[4]- عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس والأثبات، المصدر السابق، ج2، ص 568.

[5]- محمد بن أحمد ححود التمسماني: **تراجم قراء المغرب الأقصى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين،** ط1،دار الحديث الكتانية،المغرب،2013،ص103.

التواصل، وميدان البحث والتخابر بين فقهاء البلدين، وازداد الإقبال عليه درسا وتأليفا، والتي كانت أغلبها شرحا وتعليقا لأمهات كتب المذهب المالكي:

ومن الكتب التي راجت في المغرب في الفقه تلك التي ألفها سعيد قدورة " حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل" ، و"شرح خطبة مختصر خليل في الفقه "[1] وسندا في رواية موطأ الإمام مالك[2] ،وقد أخذ محمد بن سليمان الروداني(ت. 1094هـ/1683م)عن شيخه سعيد قدورة هو " تقريب الدلالة في شرح الرسالة " الرسالة يقصد بها رسالة أبي زيد القيرواني في الفقه ، وألف كتاب " جمع الفوائد لجامع الأصول ومجمع الزوائد" .

ومن شروحات الرسالة " الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني" لأحمد بن غنيم بن سالم النفزاوي(ت.1126هـ/1714م) [3]، ومن الشروح التي كتبها الفقهاء الجزائريون لكتاب " فقه العبادات " عرف ب" مختصر الأخضري" لعبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد عامر الأخضري (ت.954هـ/1545م) ، ومنها ماكتبه أحمد بن محمد بن محمد عبد الكريم الفكون الحفيد سماه " الدرر على المختصر".

وألّف مصطفى الرماصي " حاشية على شرح التتائي لمختصر خليل " [4] ،كما ألف محمد بن عبد الله الدلائي " مختصر شرح التتائي على مختصر خليل" .

وعن كتاب جمع الجوامع للسبكي كتب في المغرب أبو علي اليوسي في الفقه كتاب " البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع في أصول الفقه "و" أجوبة الحسن اليوسي في الصلاة " .

ومن مظاهر التجديد تأليف كتب عن ظواهر جديدة سَرت في المجتمع الإسلامي، ومنها الدخان،ومن أهم المؤلفات التي أُلفت فيه ولاقت رواجا في المغرب الأقصى، كتاب عبد الكريم الفكون (ت. 1073هـ/1663م)، عن تحريم الدخان بعنوان: "محدد السنان في نحور إخوان الدخان "

---

[1]- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص69.

[2]- السند في رواية الحديث، معناه اتصال الفقيه سماعا ومشاهدة بفقيه سابق له أخذ منه رواية الموطأ وهذا الأخير أخذها عن فقيه سابق حتى تتصل الرواية بمالك بن أنس صاحب الموطأ ، ينظر أورجنتي : المرجع السابق ، ص251.

[3]- عمر بن سعيد الفوتي: **سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الشيخ عمر الفوتي وأحمد بن أحمد الماسني**،دراسة وتح: الهادي المبروك الدالي،مطير سعد غيث، ط1، دار حميثرا، القاهرة، 2017، هامش ص73.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص69.

الذي استعاره منه العياشي وقام بتلخيصه[1]،وأما كتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية"، والذي ضم فيه العلماء والصلحاء وغيرهم ممّن يدّعون العلم[2].

كما ظهر في المذهب المالكي نوع آخر من التأليف يهدف إلى اختصار المذهب بطريقة النظم مثل منظومة عبد الواحد بن عاشر(ت.1041هـ/1631م) ، أو ما يُعرف بالشعر التعليمي الخاص بفقه العبادات في المذهب. وأهم شرح لهذه المنظومة هو "الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين": للعلامة محمد بن أحمد ميارة الفاسي(ت.1072هـ/1661م) ، وقد اختصر المؤلف هذا الشرح الكبير إلى مختصر صغير، وكلاهما معتمد في المذهب ، منظومة العمل الفاسي لأبي زيد عبد الرحمان الفاسي. أرجوزة أبي علي اليوسي[3] ، كما أنّ للمنظومة شروحا أخرى مثل شرح العلامة العبّادي المغربي(ت. 1138 هـ/1725م) .

ب- اللغة والأدب:

اهتم العلماء الجزائريون والمغاربة بدراسة وتدريس كتب النحو مثل الأجرومية، وكتاب سيبويه، و"تخليص المفتاح" للخطيب القزويني، وألفية ابن مالك ، فكتبوا لها مختصرات وشروحا ،كما برعوا في نظم الشعر ، ومن نماذج المؤلفات في الجزائر والمغرب :"التسهيل لابن مالك في النحو" ليحي الشاوي، وفي المغرب كتب أبو عبد الله المرابطي الدلائي ت 1089هـ/1678م " نتائج التحصيل" في أربعة أجزاء شرح فيه "تسهيل الفوائد لابن مالك "[4].

ومن علماء الجزائر الذين برعوا في النحو عبد الكريم الفكون،الذي ألّف عدة كتب، نذكر منها: " شرح على أرجوزة المكودي في التصريف " يشرح فيها أرجوزة العالم اللغوي المغربي أبي زيد عبد الرحمان المكودي الفاسي (ت.807هـ/1404م) ، وقد استفاد منها أبو سالم العياشي ، وذكر أنّ شرحه هذا أوسع نقلا، وأكثر بحثا،وأتم تحريرا من شرح أبي عبد الله المرابط الدلائي ، يعرف هذا الشرح ب "فتح اللطيف للبسط والتعريف في علم التصريف" ، وألف كتاب " فتح المولى في شرح شواهد

[1]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد، المصدر السابق،ج2، ص498.

[2]- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج2، ص124.

[3]- محمد جوهار: **المختصرات الفقهية في المذهب المالكي من القرن الثالث إلى القرن السابع** ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه ، دار الحديث الحسنية،المغرب،السنة الجامعية: 2005، ص780.

[4]- حسن جلاب:"**من مظاهر رعاية ملوك الدولة العلوية للعلم والعلماء: عناية السلطانين المولى الرشيد والمولى إسماعيل بالأديب الصوفي محمد المرابط الدلائي** " ، في مجلة دعوة الحق ، ع 303، المغرب، 1994، ص79.

الشريف بن يعلى"، وهو الكتاب الذي رصد فيه منتخبات الشواهد الشعرية التي وظفها الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني الفاسي المعروف بابن يعلى (ت.723هـ/1323م) في كتابه "الدرة النحوية في شرح معاني الأجرومية" ، كما ألف الفكون "شرح لامية الجمل النحوية" للمجراد السلاوي (ت. 778 هـ/1376م)[1].

وألف سعيد قدورة كتاب " رفع الأيادي على تصنيف المرادي في النحو"، و" شرح المنظومة الخزرجية في العروض " وهي شرح لكتاب " الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية " للخزرجي المعروف بأبي الجيش المغربي ، كما ألف بركات بن باديس شرح على متن الخزرجية[2].

ومن مؤلفات أبي سالم العياشي في النحو، والتي أخذها منه خلال رحلته إلى الحج المفتي سيدي محمد بن إبراهيم بتقرت كراسه الذي جمع فيه معاني لو الشرطية ، "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"[3]، كتاب " الارتضاء في الفرق بين الضاء والظاء" ألفه محمد بن بدوي المعسكري سنة 1127هـ/1715م ، وهو تلخيص لكتاب " الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاء" لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي[4].

1- الشعر الجزائري في المغرب:

لقد كتب الشعراء الجزائريون قصائد في المغرب،منها ماقيل في مدح السلطان المغربي المولى إسماعيل لأبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني، الذي رحل من تلمسان إلى المغرب ، وعاش في كنف السلطان المغربي ، حيث قال فيه مادحا :

وَ تْرَاكَمْ غَيْمْ الرِّيَاسَة بَعْدْ الصَّحْوْ   وَ جْرَى بِينْ اهْلْ الْخْدِيعَة خَيْطْ نْحِيلْ
وَ تْهَلْهَلْ غَزْلْ الْمْوَدَّة بَعْدْ السَّدْوْ   خَلَّطْ مَنْسَجْ حَضْرَةْ الْبِيضَاء تَخْبِيلْ
حَتَّى لاَحْ شْعَاعْ شَمْسَكْ بَانْ الضَّوْ   وَ تبَسَّمْ لَلْغَرْبْ الاَقْصَى وَجْهْ جْمِيلْ[5]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص160.
[2]- المرجع نفسه، ج2، ص171.
[3]- أبو سالم العياشي: اقتفاء الاثر،المصدر السابق، ص32.
[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص166.
[5]- محمد قاضي: **الكنز المكنون في الشعر الملحون** ،تق: أحمد أمين دلاي،مركز البحث في الأنتروبولوجيا والدراسات الاجتماعية والثقافية بوهران ، الجزائر، 2007، ص54.

وقال أيضا:

لَوْلاَ أنْتَ باللهِ مَاصَلَحَ فَسَادُ الغَرْبِ وَأشفِيتِ الجُروحُ بالطِّبِ الشَّافِي
واللهِ أَحَد مَاشْرَبْ مِنُّو صَافِي

وقد برع في نظم الشعر، وكتب في أغراض مختلفة وجمع بين الفصيح والملحون[1].

وفي قصيدة أوصى فيها المولى إسماعيل :

يَا دَاخَلْ بَحْرْ الرِّيَاسَة الاَمْرْ كْبِيرْ حَصَّنْ فُلْكَكْ فَى الْوَسَعْ الاَمْوَاجْ غْوَالْ
لاَ يَطْمَا جَفْنَكْ مْعَ الْغَفْلَة تَكْسِيرْ وَ تْغَشِّيكْ عْبُوبْ الاَيَّامْ بْالاَهْوَالْ
اَخْتَارْ لْنَفْسَكْ ابْطَالْ عْلِيكْ تْدِيرْ تُوجَدْهُمْ عَنْدْ الْكْرِيهَة رُوسْ جْبَالْ[2]

وفي شعره الملحون يشتكي المنداسي للمولى اسماعيل بعد أن وقعت الفرقة بينهما بسبب الوشاة قائلا :

عَشْر سْنِين نَتبْعِكْ وَأنْتَ شير جيتك مَاتفقه مْعَ الجُلاَّس مقالُ
واليَوْمَ توَلَيْتَ وَأنَا صِرْتُ حَقِير وبَيْنَ أمْثَالي عِندَكُم حَتىّ نجْهَالْ[3]

ولسعيد المنداسي قصيدة "غاب بديع الزمان" التي مدح فيها عبد العزيز المغراوي :

هُوَ عَبْدْ الْعْزِيزْ قَامُوسْ الْفُنُونْ مَنْ لاَ حَاطْ بْشَرْحْ مَعْنَاهْ نْوَامَسْ
غَاصْ الْبَحْرْ الْعْرِيضْ وَ الْغِيرْ عْجَزْ دُونْ وَ اسْتَخْرَجْ مَنْ فْرَايَدْ الدَّرّْ نْفَايَسْ[4]

2- الشعر المغربي في الجزائر:

ومن الشعراء الذين نظموا قصائد لمدح علماء الجزائر:

أ-أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن الواحد بن زاكور الفاسي(ت1075هـ/1708م):

نستحضر بعضا من أشعاره التي مدح فيها علماء الجزائر الذين تتلمذ على يديهم،واستعرضهم في كتابه "نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان"، ومنها قصيدته في مفتي الجزائر محمد بن سعيد بن إبراهيم جاء في بدايتها:

1- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع السابق، ص ص 370-371.
2-محمد قاضي: المرجع السابق،ص54.
3- المرجع نفسه، ص41.
4- نفسه، ص57.

قد آن أَنْ يُنجِزَ الوَعْدَ الذِي وَعَدَا　　مَن لاَ نَرَى حَازِمًا قَدْ حَازَهُ أَحَدَا

وَمَنْ حَوَى العِلْمَ والمجْدَ الصراح مَعا　　وَمَنْ رَوَى عَنْ أَبِيه البِرّ والرَشَدَا

سُمّي خَيرُ الوَرَى مُفْتِي الجَزَائِرِ مَنْ　　بَحْرِهِ اغترفَت أَخْبَارَهَا مَدَدَا[1]

وكتب في مدح عمر المانجلاتي قائلا :

حَيَّ عَلَى الأُنْسِ أَن طيْفُ الهُمُومِ سَرَى　　وسلّ نفْسَكَ وانهَجْ نَهْجَ مَنْ صَبرَا

وَلاَ تُصْغِ لِدَوَاعِي البَثِّ إِنْ صَدَحَتْ　　إِنَّ دَوَاعِيه تَسْتَجْلِب الضَرَرَا[2]

من القضايا الجزائرية التي حركت قريحة الشعراء المغاربة قضية وهران سواء قبل فتحها أو بعد تحريرها من الإسبان ، تحريضا على الجهاد أو في التهنئة بالنصر، ومن هؤلاء الشعراء :

ب- عبد الواحد البوعناني الفاسي[3] :

نظم قصيدة تتضمن أربعين بيتا مهنئا المولى إسماعيل بفتح العرائش سنة 1100هـ/1688م ، ومذكرا إياه بضرورة فتح وهران وماجاء فيها :

ووَهْرَانُ تُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ　　مَتَى يَأْتِنِي الإِمَامُ مَتَى يَزُورُ

مَتَى يَأْتِي وَيَفْتَحُهَا سَرِيعًا　　وَيَلْحَقُ أَهْلُهَا مِنْهُ الثُّبُورُ

فَيَهْزِمُكُمْ ويُقنِصُكُم وَيُسْبِي　　وَسَيْفُ الحَقِّ في يَدِهِ يَنُورُ[4]

كما كتب أبو حامد العربي بن عبد السلام الفيلالي في كتابه "الدرة المكنونة الغالية في وصف الدولة العلوية العالية "[5] ، يحرض فيها المولى إسماعيل على فتح وهران قائلا:

مَلِيكٌ تَصَدَّى للصَّليبِ وَحِزبِهِ　　فَعَطَّلَ أَصْنَانَ الخَبَائِثِ وَالكُفْرِ

لَهُ الفَتْحُ فِي كُلِّ المعَاقِلِ آيةٌ　　فَإِنَّ رِيَاحَ النَّصرِ قُدَامَةٌ تَسْرِي

---

[1]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان، المصدر السابق، ص70.

[2]- المصدر نفسه، ص42.

[3]- عبد الواحد بن محمد البوعناني ، فقيه ، أديب ، ومدرس وخطيب بجامع القرويين ، تولى الإفتاء والقضاء توفي 1106هـ/ 1694م. ينظر: عزيز الخطيب وآخرون : المرجع السابق ،ص74،ينظر أيضا: عبد السلام بن سودة : المصدر السابق، ص 99.

[4]- عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف، المرجع السابق، ص420، ينظر: أحمد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، المرجع السابق، ج7، ص 74.

[5]- كان حيا سنة 1212هـ/1797م ، دفين طيبة ، وكتابه لايزال مخطوطا توجد نسخة منه بالخزانة الزيدانية ،تحت رقم 1022. ينظر : محمد مختار السوسي: **إيليغ قديما وحديثا**،ط1، الطبعة الملكية ، الرباط ، 1966، ص106.

بِهِ زَلزلَتَ أَرضُ الجزائِرِ خِيفَةً كَمَا اهتَزَّت الأَهْرَام بالرُّعْبِ مِنْ مِصْرَ
يَجُرُّ إِلى وَهْرَانَ جَيْشًا عَرَمْرَمًا تَضِيقُ به الهَيمَاءُ في هَوجَلِ قَفْرِ
تَصِيرُ لَهُ فيئًا دِيَارًا وَأَهْلَهَا وَيُرْهِقُهَا ذُلاًّ عَلىَ الرَّغْمِ والقَهْرِ[1]

وعندما تم فتح وهران عام 1119هـ/1708م ، أشاد الشعر المغربي بهذا الفتح الذي قوض أركان الشرك بهذه الربوع، ونشر لواء الإسلام فيها، كقصيدة عبد الرحمن الجامعي الفاسي ، وفها يتغنى بهذا الفتح فيقول:

فَيَا حَادِيَ الرَّسَائِلِ مُسْفِرَاتٍ بِفتْحِ الثَّغْرِ مُسْتَحْلِي الوُرُودِ
يُحِقُّكَ إن وَرَدْتَ عَلَيْهِ قَبْل مبَاسِمُهُ عَنِ الصَبّ البَعِيدِ
وَقُلْ وَهْرَانُ يُهنِيكَ اتفكَاكُ وَإِنْقَاذٌ مِنَ الأَسْرِ الشَّدِيدِ
لَكَ البُشْرَى وَللإِسْلاَمِ أُخْرى بمَنْعِكَ مِنْ يَدِ الكُفْرِ العَنِيدِ[2]

كما كانت هناك أعمال مشتركة بين الجزائريين والمغاربة، فقد طلب مفتي تلمسان محمد بن أحمد الحلفاوي من عبد الرحمان الجامعي الفاسي شرح أرجوزته التي تحتوي على اثنين وسبعين بيتا، وقد انتقد الجامعي الحلفاوي في أنه لم يورد فصلا للسلطان العثماني أحمد الثالث الذي حكم في الفترة الممتدة من (1115هـ-1149هـ/ 1703-1730م)، الذي تم الفتح في عهده ، فوضع عبد الرحمان الجامعي أبياتا أثنى فيها على العثمانيين وشرحها[3]، كما استشهد بالشعر الملحون والشعر الموزون الذي قيل في هذه المناسبة، لأن الجامعي لم يحضر المعارك بنفسه ومن الذين أخذ عنهم أحمد الفيلالي الذي ألف في تاريخ فتح وهران، وجمع بين الشعر الموزون والملحون[4].

ج- المنطق :

يعدّ إنتاج المغاربة والجزائريين في علم المنطق في هذه الفترة قليلا، حيث اكتفوا بشروح لماكتبه علماء القرن 9هـ/15م أمثال السنوسي، وذلك لصعوبة هذا العلم وطغيان علم التصوف، واكتفاء

---

[1]- عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف، المرجع السابق، ص416.

[2]- عبد الجواد السقاط:" **الحضور المغاربي في الشعر المغربي شباب متجدد**"، في مجلة دعوة الحق، ع275، المغرب، 1989، ص67.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص ص 336-337، ينظر: محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص ص 249-259.

[4]- المرجع نفسه ،ج2، ص337.

الباحثين بعلوم الباطن؛ إذ أنّ المنطق هو من علوم الظاهر، التي تؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة ، وظلت قيمته مجهولة أو معدومة [1] .

ومن العلماء الجزائريين والمغاربة الذين اهتموا به ،سعيد قدورة وعبد الكريم الفكون اللذين وضعا شروحا لكتاب عبد الرحمان الأخضري في المنطق "السلم المرونق" [2]، ولمختصر السنوسي في المنطق أهمية بالغة ، حيث تنقل كتابه إلى المغرب ، ودرس في جامع القرويين وألفت فيه شروح، منها حاشية على مختصر السنوسي لعمر الفاسي(ت.1188هـ/1774م)، وتمتاز بالدقة والمقارنات، وكذا كتاب "نفائس الدرر في حواشي المختصر" للحسن بن مسعود اليوسي (ت.1102هـ/1691م)، ويتضمن مقارنات للسنوسي مع غيره، كما أضاف ما أغفله السنوسي من مادة القياس[3].

ووضع عبد الله بن خليفة شرحا له[4] . أما العلماء المغاربة فقد أخذوا عن مؤلف شرح المنطق للسنوسي التلمساني، فألف أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي (ت.1716/1128م) كتاب " لوامع النظر في تحقيق معاني المختصر"، وقد اعتمد فيه على شرح السنوسي وأضاف إليه شروحه ، ألف " شرح المقاصد " [5] ، وألّف أحمد بن محمد الهشتوكي (ت.1715/1127م) كتاب " الفتح القدسي على مختصر السنوسي"[6] ، ولأبي سالم العياشي سند مختصر السنوسي[7] ، كما أن أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني الرجراجي (ت. 1062هـ/1652م) تخصّص في تدريسه، وله كتاب "حاشية السكتاني على شرح أم البراهين للسنوسي"[8] .

د- كتب الفهارس :

ازداد إقبال العلماء الجزائريين والمغاربة على التأليف، خاصة في كتابة الفهرسة ، حيث وضعوا فهارس للتعريف بشيوخهم، وتدوين ما أخذوه عنهم من علوم وأسانيد ومرويات ، فكتابة الفهارس

[1]-زهراء النظام : المرجع السابق، ص432.

[2]- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ج2، ص 149.

[3]-اسعيد عليوان: **محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق**،دار الكتاب الثقافي،الأردن،2009 ، ص137.

[4]- محمد بن زاكور: أزاهر البستان ..، المصدر السابق، ص72.

[5]- عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي ،المرجع السابق، ص 375.

[6]- عبد الله محمد الحبشي: **جامع الشروح والحواشي**، ط2، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي ، 2004، ج3، ص1883.

[7]- عبد الله العلوي: **أبو سالم العياشي – المتصوف الأديب: من أعلام الفكر والأدب في فجر الدولة العلوية**، ط1، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب، 1998،ص131.

[8]- محمد الصغير الإفراني: صفوة من انتشر ...، المصدر السابق، ص206.

تتبع ثلاث طرق :اعتماد المرويات والتركيز عليها، أو على ذِكر الشيوخ والتعريف بهم ، أو الاعتماد على المرويات من جهة وعلى الشيوخ من جهة ثانية[1]. وسنذكر أهم كتب الفهرسة لدى علماء الجزائر والمغرب ، وذكر من أخذ عنهم لدى الجزائريين والمغاربة:

1- فهارس علماء الجزائر :

اعتمد العديد من الجزائريين في فهارسهم على ذكر مروياتهم وشيوخهم المغاربة، الذين أخذوا عنهم خلال رحلاتهم إلى المغرب أو بلقائهم لهم ، ومن أهمّها نذكر:

- فهرسة عيسى الثعالبي(ت. 1080هـ/1669م) :

وتحتوي على فهرسة شيوخه ومروياتهم ، ولما التقى بتلميذه العياشي وثق به، وكلفه بوضع مقدمة لفهرسته، واختار لها عنوان " كنز الرواية المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع"، فأضاف العياشي إلى المقدمة قصيدة دالية في مدح شيخه الثعالبي[2] ، وذكر شيوخه ومنهم عبد الواحد السجلماسي[3].

- فهرسة أحمد البوني (ت.1139/1727م):

له كتاب هام، وهو بمثابة فهرسة لشيوخه سماه "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة "، حيث ذكر شيوخه المغاربة في الفصل الأول،كما عرّف بهم في كتاب "التعريف بما للفقير من التواليف" [4].

- فهرسة عبد الرزاق بن حمادوش:

ومن مؤلفات الرحالة نجد رحلة عبد الرزاق بن حمادوش المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحال "، وقد ذكر فيها العديد العلماء الذين لقيهم وأجازوه .

2- فهارس علماء المغرب:

لقد أنتج المغاربة في هذه الفترة العديد من كتب الفهارس، ذاكرين شيوخهم ومن أجازوهم من العلماء الجزائريين ومروياتهم من المصنفات الجزائرية ،نذكر منها :

- فهرسة عبد القادر الفاسي(ت.1091هـ/1680م): كتبها ابنه عبد الرحمان الفاسي ، ومن المؤلفات التي أخذها عن الجزائريين ، مثل فقه اللغة للثعالبي ، وقرأ على جماعة من الشيوخ منهم أبي

---

[1]- حسين بن محمد بن الناصر الدرعي: **فهرس بن الناصر الدرعي،** تح: أحمد السعيدي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2005 ،ص47.

[2]- أبو سالم العياشي: إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، المصدر السابق، ص33.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق،ج2، ص58.

[4]- عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج1، 237.

العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، كما أخذ في المنطق على الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن محمد المري الشريف التلمساني[1].

- فهرسة عبد الرحمان التمنارتي (ت.1060هـ/1650م) [2]:

المسماة بـ "الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة"،هي فهرسة تعج بتراجم الفقهاء و الأدباء الذين أخذ عنهم التمنارتي، ومن الشيوخ الجزائريين الذين أخذ عنهم وأجازوه :أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد، خطيب الجامع الأعظم بتارودانت [3] ، ومن مؤلفات العلماء الجزائريين التي قرأها على شيوخه : ففي التصوف قرأ "العلوم الفاخرة " للثعالبي ، وفي الفقه "عقائد السنوسي " و" محصل المقاصد" لابن زكري ، ومقدمة السنوسي في المنطق[4].

- فهرسة اليوسي(ت. 1102هـ/1691م):

ومن المؤلفات التي قرأها عن شيوخه كتاب "محصل المقاصد"لابن زكري ، عقائد الإمام السنوسي[5] ، فكتب اليوسي شروحا لعقائد السنوسي .

- فهرسة العميري (ت.1178هـ/1764م) [6]: ذكر العميري شيوخه منهم عبد القادر بن شقرون (ت.1140هـ/1728م) الذي درس عليه ألفية ابن مالك والأجرومية ، وقد كان له دور بارز في صنع شخصيته الأدبية والثقافية[7]، كما أخذ عن مؤلفات السنوسي " الكبرى"[8].

1- عبد القادر الفاسي: **فهرسة عبد القادر الفاسي وتسمى بالاجازة الكبرى، ومعها إجازة عبد القادر الفاسي لأبي سالم العياشي ، وتسمى بالاجازة الصغرى**، تح: محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم ، لبنان، 2003، ص ص 18-19.

2- ولد أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المعافري الجزولي التمنارتي ، سنة 974هـ/ 1545م في تمنارت بالأطلس الصغير ، ثم رحل ليتعلم في تارودانت. ينظر: أبو زيد عبد الرحمان التمنارتي: **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تح: اليزيد الراضي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص13.

3- عبد الحي الكتاني: المرجع السابق، ج2، ص923.

4- أبو زيد عبد الرحمان التمنارتي: المصدر السابق، ص24.

5-أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي: **فهرسة اليوسي**، المصدر السابق، ص57.

6 - أبو القاسم بن سعيد بن أبي القاسم العميري الجابري التادلي ، ولد بفاس سنة 1103 هـ /1692م، نشأ بمكناسة بعد تولي والده القضاء فيها ، درس على يد والده وعلى يد شيوخ مكناس ، تولى القضاء والطب واشتغل بالتدريس والقضاء والتأليف.ينظر عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب ، المرجع السابق، ص377.

7- أحمد دجوغ: **فهرسة العميري**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامع محمد الخامس ، الرباط، 2004، ص 50.

8- المرجع نفسه، ص116.

– فهرسة أبي سالم العياشي(ت.1090هـ/1679م) :

ألف العياشي كتبا عديدة، منها فهرسته الكبرى " اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر"، وفهرسته الصغرى " إتحاف الأخلاء بأسانيد الأجلاء "،ذكر فيها شيوخه ومن الشيوخ الجزائريين : أبو عيسى الثعالبي [1]، عبد الكريم الفكون [2].

– فهرسة محمد بن عبد السلام البناني(ت. 1163هـ/1750م) [3]:

وله فهرسة وضع فيها تلاميذه الذين أجازهم وشيوخه، ومن شيوخه أبي سالم العياشي ، اليوسي وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي [4] وابن كماد القسنطيني الذي كان يُدرس في جامع القرويين في فاس[5].

- فهرسة حسين بن الناصر الدرعي(ت.1091هـ/1680م)[6]:

من المرويات التي ذكرها في فهرسته أحواله ومقروءاته وشيوخه ، ومن المصنفات التي درسها عقائد محمد بن يوسف السنوسي ،كغيره من علماء المغرب[7].

– فهرسة إدريس بن منجرة (ت. 1137هـ/1737م) :

سماها " عذب المواريد في رفع الأسانيد"[8]، وضمها شيوخه الذين قسمهم إلى قسمين:شيوخ التعلم، وشيوخ البركة والانتفاع من العلماء المشارقة والمغاربة [1] ، ومن علماء الجزائر الذين أجازوه ابن كماد القسنطيني ، ومن الأولياء الذين زارهم محمد بن بو زيان[2].

---

[1]– أبو سالم العياشي: اقتفاء الأثر، المصدر سابق، ص166.

[2]– المصدر نفسه ، ص163.

[3]– هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بنّاني،ولد بفاس 1083هـ/1672م،أخذ تكوينه العلمي على يد شيوخ المغرب ،ثم درّس بالأزهر الشريف، ثم رجع إلى المغرب ، وتخرج على يديه مجموعة من العلماء،من تآليفه "الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا"، "شرح لامية الزقاقو"فهرسة". ينظر: سليمان الحوات: **السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر**، دراسة وتح:حسن بلحبيب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2019، ص490 .

[4]– محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية،المصدر السابق، ج1، ص644.

[5] – المصدر نفسه، ص 479.

[6]–نشأ وترعرع في تامكروت، ودرس على يد والده وأخيه محمد بن ناصر ، حج سنة 1063هـ/1653م وأخذ عن علماء مصر، توفي سنة 1091هـ ، من مؤلفاته فهرسته ، ينظر: عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب،المرجع السابق، ص653.

[7]–حسين بن محمد الدرعي: فهرس بن الناصر الدرعي، المصدر السابق، ص18.

[8]– محمد حجي: موسوعة أعلام المغرب،المرجع السابق، ص 3495.

-فهرسة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي(ت1134هـ/1722م) [3]:

حظيت فهرسته الموسومة ب"المنح البادية في الأسانيد العالية" بمكانة عالية ، حتى قال فيها صاحب دليل مؤرخ المغرب "أم الفهارس المغربية "، وقد جمع في فهرسته شيوخه وأعلام التصوف ، ومن الشيوخ الذين أجازوه محمد بن عبد الكريم الجزائري[4].

هـ- النوازل :

شكّلت القضايا الدينية حيّزا هاما من الاهتمام المشترك بين علماء البلدين ، واعتماد شعوبها على المذهب المالكي ، حيث كثرت التآليف حول العلوم الشرعية، من تفسير، وحديث، وفقه مستندين على المذهب المالكي للإجابة على النوازل والفتاوى .

النوازل هو تعبير شاع في بلاد المغارب، مقابل مصطلحي الفتاوى والمسائل اللذين يطلقان في بلاد المشرق الإسلامي، غير أنّ النوازل تختص بالحدوث والوقوع ، فهي أضبط في التعبير من الفتوى التي تشمل سؤال الناس عن الأحكام الشرعية ، سواء حدثت أم لم تحدث. فالنوازل التي يؤلفها الفقيه ليجيب فيها عن قضايا العبادات أو المبادلات أو حتى السياسة، كما تتبع المسار التاريخ الاجتماعي للشعوب الإسلامية بصدق وموضوعية، لأن النوازل ألصق بحياة الناس الاجتماعية، ومرآة عاكسة لقضاياهم، وشاملة لكل أصناف المجتمع، من علماء وفقهاء وعامة . فهي تصور لنا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية[5].

وأهم ما تميزت به العلوم الشرعية التقليد والحفظ ، فالفقهاء قلما اجتهدوا واستقلوا بآرائهم، بل كانوا يقلدون سابقيهم، ومن الكتب التي اعتمدوا عليها صحيح البخاري، و أمهات الكتب في الفقه المالكي وهي المدونة، موطأ الامام مالك ، ومختصر الرسالة لأبي زيد القيرواني، شرح ابن ناجي على المدونة، كتاب سحنون بن سعيد التنوخي، التبصرة للخمي، التهذيب لعبد الحق الأشبيلي، مختصر

---

[1]- عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب، المرجع السابق ، ص 193.

[2]- عبد الله الحمادي: المرجع السابق، ص70.

[3]- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ولد ونشأ بفاس سنة 1058هـ/1648م ، في أسرة اشتهرت في بلاد المغرب شرقا وغربا بغزارة العلم، وصلاح الأخلاق، وكثرة الشيوخ.ينظر: محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص333.

[4]- عبد الحي الكتاني:فهرس الفهارس، المصدر السابق،ج2، ص ص 595-596.

[5]- محمد أوجرتني: المرجع السابق، ص428.

خليل، شروح المختصر كشرح الموّاق، كتاب التوضيح في شرح مختصر بن حاجب لخليل بن إسحاق الجندي ، شرح التلقين للامام حبر المازري (ت. 536هـ/1142م) ، المختصر الفقهي الكبير لابن عرفة الورغمي (ت.803هـ/1401م)، وكتاب الدخيرة في فروع المالكية لشهاب الدين القرافي(ت.684هـ/1285م) ، وكتاب "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" لمحمد بن جزي الكلبي (ت.741هـ/1340م) كما اعتمدوا على كتب أخرى منها سراج المريدين لابن العربي، ومنهاج العابدين للغزالي، كما اعتمدوا على عدة كتب[1] إلا أن هناك علماء حاولوا التجديد ، وذلك بسبب مستجدات العصر ومحدثاته التي كانت تحرك همم الفقهاء للاجتهاد والافتاء، وهو مابعث حيوية علمية عند المغاربة[2].

وقد ألفت بين البلدين العديد من النوازل كانت مرجعا للفتوى عند المغاربة والجزائريين سواء قبل منتصف القرن السابع عشر ميلادي أو خلال فترة الدراسة.

1- نوازل علماء الجزائر:

من النوازل الهامة التي اعتمد عليها الجزائريون والمغاربة نوازل مازونة لأبي زكريا المازوني، ومؤلف "المعيار لأحمد الونشريسي التلمساني، وكتاب" الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة". أما النوازل التي أُلفت بعد النصف الثاني من القرن 17 م، واستند عليها عامة الناس وخاصتهم في بلاد الجزائر والمغرب ، منها كتاب النوازل لمحمد بن عبد الكريم الفكون، وقد تميز كتابه بالوصف الدقيق للواقع الاجتماعي والاقتصادي لبايلك الشرق، من خلال الأسئلة والأجوبة الفقهية التي ذكر فيها علماء ونوازل القرنين 16و17م [3].

ومن الفقهاء الجزائريين الذين نشطوا في المغرب ابن كماد القسنطيني الذي كان يجيب على الأسئلة الفقهية، والتي جمعت في كتاب " الأجوبة الفقهية"، فقد ترك أجوبة على نوازل كثيرة في

[1]-عبد القادر باجي: **"دراسة مخطوط – الأجوبة الفقهية للكماد القسنطيني-1116هـ/1704م"**، في مجلة المعيار، مج 17، ع34،جامعة باتنة،2013،ص9.

[2]- حاج بنيرد: **قضايا التأليف عند المغاربة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين /الرابع عشر والثامن عشر الميلاديين**، عاليان جالودي: التحولات الفكرية في العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص527.

[3]- بلخوص الدراجي: **جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل بن الفكون خلال القرنين 10-11هـ/16-17م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم تاريخ ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2012، ص35.

التفسير والفقه والحديث والمعاملات، وذكر القادري في نشر المثاني: "له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة ، دالة على مهارته واتساع ملكته" [1].

وقد وجد في منطقة توات علماء جالوا في أرض المغرب، أو تتلمذوا على شيوخ تلقوا تكوينهم في فاس، منهم عبد الرحمان الجنتوري (ت.1160هـ/1747م) الذي ألف نوازل الجنتوري، واستفاد منها طلبة المغرب والجزائر.

2- نوازل علماء المغرب:

ألّف علماء المغرب عدة نوازل في هذه الفترة، نذكر منها :

- "الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية" لمحمد بن محمد بن ناصر الدرعي التمكروتي(ت. 1085هـ/1674م) التي جمعها تلميذه محمد بن أبي القاسم الصنهاجي. تحتوي على مسائل في العبادات والمعاملات والعقيدة والتصوف.
- نوازل المجاصي لأبي عبد الله محمد بن الحسن المغراوي الفاسي(ت. 1103هـ/1692م)[2].
- "نوازل المسناوي" لمحمد بن المهدي المسناوي البكري (ت.1136 هـ / 1724 م) مطبوعة على الحجر بفاس سنة 1345هـ.
- نوازل المنبهي لمحمد بن علي المنبهي (ت. 1133هـ/1721م) جمعها تلميذه علي بن بلقاسم بن أحمد البورسعيدي[3].
- "نوازل بُردلة " لمحمد العربي بن أحمد الأندلسي الفاسي(ت.1133هـ/1721م)وهو قاضي الجماعة بفاس ، جمع النوازل فى حياته أحمد بن أحمد الخياطي الدكالي[4].
- نوازل العباسي وهو أبو العباس أحمد ابن محمد بن محمد بن سعيد العباسي السملالي السوسي (ت. 1152هـ/1739م)، جمعها تلميذه أحمد بن إبراهيم بن يعقوب السملالي وطبعت على الحجر بفاس فى جزئين .

---

[1]- محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني ،المصدر السابق، ج2، ص174.

[2]-أبوعيسى سيدي المهدي الوزاني: **النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية**، تح: محمد السيد عثمان، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2014، ج1،ص99.

[3]- مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 4500.

[4]- أبوعيسى سيدي المهدي الوزاني: المصدر السابق ، ص100.

– كتاب الأجوبة الفقهية لعيسى بن عبد الرحمان بن مهدي الرجراجي السكتاني(ت.1062هـ/ 1651 م)

– نوازل محمد بن الحسن المجاسي (ت. 1103 هـ /1691م) قاضي فاس ، طبعت نوازله على الحجر بفاس.

و– العلوم العقلية:

اهتم علماء الجزائر والمغرب بالعلوم العقلية ، وخصصوا لها جزءا من تآليفهم ، إلا أنّها لم ترق إلى مستوى العلوم النقلية ، فنجد المؤلفات التي ألفت في ميدان الطب والحساب والفلك ، معلوماتها تراكمية غابت عنها روح الإبداع و الابتكار ، وكادت أن تختفي الكتابة في علوم الملاحة و الكيمياء، وقد ذكر الطبيب شو (Shaw) في رحلته، أنّ العلماء في الجزائر كانوا لايعرفون إلا قليلا من الحساب، وأن أسرار الأعداد والحروف استعملت لغرض السحر وجلب الحظ[1].كما كانوا يعتقدون أنّ علم الكيمياء من العلوم المذمومة، فهو من علوم اللامعقول، وقد ذكر شو: إنّ علم الكيمياء لم يعد في الجزائر سوى ماء الورد بعد أن كان المسلمون متفوقين في العلوم .

وقد ألّف علماء البلدين عدّة مؤلفات في هذه الفترة ، فمن علماء الجزائر نذكر منهم :

– عبد الرحمان الأخضري التي ألّف نظما فيه خمسمائة بيت في علم الحساب والفرائض وهو "الدرة البيضاء" ،وفي الفلك ألف نظم "السراج"[2]، والذي كتب فيه العلماء الجزائريون والمغاربة شروحا ، ففي فترة القرن 11هـ/17م وبداية القرن 12هـ/ 18م.

– عثمان بن سحنون الراشدي الونشريسي [3] ألّف " شرح على السراج" ، كما ويوجد شرح لمؤلف مجهول " شرح الرضى على نهاية مايرتضى"، ناسخه هو محمد بن أحمد الملقب بمحفوظ الزواوي[4].

ومن العلماء الذين اهتموا بعلوم الفلك والرياضيات،ابن حمادوش الذي أوردها نظما في حل أحد الألغاز [1]وأطوالها، قد كتب رسالة عن آلة التوقيت منظومة في علم الميقات، وشرحها.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ،ج2، ص ص 401–402.

[2]–المرجع نفسه، ج2، ص406.

[3]– سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي فقيه فاضل، تفقه بمليانة ومدينة الجزائر. قال صاحب "تعريف الخلف :"وهو دفين بني وعزان ،قبيلة بنواحي ونشريس، وقبره مشهور له "شرح على السراج "منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضري في علم الفلك، ينظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص345.

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج2، ص407.

ومن علماء المغرب نذكر منهم:

– محمد بن سليمان الروداني (ت .1094هـ/1683م) الذي كان دائم الترحال ، واستقر في الحجاز ثم بلاد الشام ، تضلع في علم الفلك، اخترع آلة نافعة في علم التوقيت [2]، لم يسبقه إليها أحد، وهي الإسطرلاب الكروي: وهو عبارة عن كرة مستديرة الشكل، منعمة الصقل بالبياض المموه بدهن الكتان[3]، ومن مؤلفاته " منظومة في علم الميقات " بيّن فيه كيفية استعمال الكرة التي سماها النافعة على الآلة الجامعة سماه[4].

– محمد بن سعيد المرغتي السوسي (ت. 1089هـ/1678م)، ومن تآليفه في علم التوقيت، "الممتع في شرح المقنع" و" الممتع في شرح المقنع في علم أبي مقرع " . واستفاد منه علماء البلدين[5].

– أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت.1096هـ/1684م) ، أحد أعلام الرياضيات في المغرب ألف كتبا عديدة، نذكر منها :" الأقنوم في مبادئ العلوم"، الذي يعد دائرة معارف العصر[6]، " المختار في حساب الغبار"، " قلائد العسجد في علم العدد "و"النتائج الحسية في المعالم الهندسية"، "وكشف الحجاب في علم الإسطرلاب".

– أحمد بن سليمان الرسموكي الجزولي (ت.1133هـ/1721م) عالم بالفرائض والفلك، من مؤلفاته: "إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة" ، وكتاب "كشف الحجاب" وهو مخطوط شرح به رجزا الفرائض والحساب لإبراهيم السملالي[7].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج2، ص407.

[2]– أول من أدخل إلى المغرب آلة من هذا النوع هو أبوسالم العياشي، أهداها إليه الروداني عند لقائه في الحجاز، واستعملها بعد ذلك ابن عبد الله العياشي في الزاوية الحمزوية لتحقيق القِبلة وتصحيح محراب مسجدها،ينظر: أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية(ماء الموائد)، المصدر السابق،ج2،ص30.

[3]– قدري حافظ طوقان : **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**،ط1،(د.د.ن)،مصر،1941 ، ص119.

[4]–عبد الله كنون : النبوغ المغربي ،المرجع السابق،ص285.

[5]– عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق ، ص ص 554-555.

[6]– عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، المرجع السابق ،ص 285.

[7]–عبد الحميد محيي الدين :" **رواد المغرب في العلوم البحتة 1**"، في مجلة دعوة الحق، ع286 ،المغرب، 1991،ص 103.

2- المناظرات والمُحاورات بين علماء البلدين:

تعدّ المناظرات العلمية مظهرا من مظاهر العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى ، ساهمت في إثراء الحركة الثقافية والتواصل العلمي والفكري بين البلدين، وساعدت على امتزاج عناصر المجتمع باحتكاك الفقهاء والأدباء، وامتد تأثيرها إلى مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، نظرا لتنوع مواضيعها ، وتعدّد المسائل التي يناقشونها ، وكانت المجالس العلمية تقام في المساجد والزوايا وفي بيوت كبار الأعيان؛ إذ يتبادل العلماء وجهات النظر حول المسائل العلمية والدينية التي تهم الأمة الإسلامية [1] ، وقد قدمت الرحلات الحجازية مناظرات عديدة بين علماء الجزائر والمغرب سواء فيهما أو في المشرق [2].

ومن القضايا التي كانت مجالا للمناظرات ، قضية الجهاد لطرد الإسبان من الأراضي المغربية ومن الجزائر في كل من وهران والمرسى الكبير ، فقد ألفت شروح وحواشٍ في مواضع الجهاد لكتب ابن الحاجب ومختصر خليل ، وحثّ السلطة على الجهاد ، وقد أرسل اليوسي رسالة للمولى إسماعيل للحديث عن إهمال الثغور المغربية، والغفلة عنها،وعجز السكان عن الدفاع عن أنفسهم ، وحث السلطان على الاهتمام بأمرها وإمداد أهلها بالخيل والسلاح[3].

ومن جهة أخرى ألّف ابن أبي محلي قصيدة يستنهض فيها همم الأتراك من أجل تحرير وهران جاء فيها :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنّي قَبَائِلَ عَامِرٍ   وَلاسِيمَا مَنْ قَدْ ثَوَى تَحْتَ كَافِرٍ
وَكُلُّ كمّي مِنْ صَنَادِيدِ رَاشِدٍ   بِتيجَانَهَا مَعَ رَأْسِهَا عَبْدُ قَادِرٍ[4]

[1]- ليلى غويني : **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية : 2010-2011، ص102.

[2]- سعاد لبصير: "**التفاعل الثقافي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم في بلاد المشرق خلال العهد العثماني**"، في مجلة قضايا تاريخية ، ع8،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة،الجزائر،2017، ص106.

[3]-لحسن اليوبي: **الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1998 ، ص 187.

[4]-أحمد بن أبي محلي: ابن أبي محلي الفقيه الثائر ..،المصدر السابق،ص86.

- مناظرة بين أبي سالم العياشي، وعلماء وطلبة المناطق الصحراوية ، فلما نزل العياشي إلى أوقروت بالقرب من زاوية سيدي محمد بن صالح الأنصاري الخزرجي الشامي التقى بالفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر الأكرتي ، الذي طرح على العياشي سؤالين حول نازلة في الأحباس، وأخرى في البيوع [1]، كما تناقش العياشي في بسكرة مع الشيخ أحمد بن مبارك التواتي(ت.1060هـ/1650م) من أولاد سيدي ناجي في بعض المسائل، خاصة حول وباء الطاعون بين المكوث في البلد أو الفرار منه، وذلك سنة 1059هـ/1649م [2]، ولما نزل بمدينة تقرت التقى محمد بن عبد الكريم التواتي الذي طرح عليه عدة أسئلة فقهية ، وكذلك بعض طلبة تقرت[3].

- مناظرة بين أبي عبد الله محمد بن راشد الزواوي، وشيخه أبي عبد الله التواتي، وقد جرت المناظرة في علم النحو بمدينة قسنطينة بحضور عبد الكريم الفكون[4].

- مناظرة بين عبد الكريم الفكون ومحمد الفاسي الذي نزل بقسنطينة ، فكانت بينهما مراجعات فقهية حول عقائد السنوسي وشارح الحوفي[5].

- مناظرة بين محمد بن عبد الكريم الفكون (ت.1114هـ /1702م) وأبي عبد الله التواتي ، وقد ترك الأول كتابا في النوازل يحتوي على 350 مسألة فقهية، من بينها تسع مسائل أجاب عليها التواتي.

- من القضايا التي شغلت العلماء المسلمين خاصة الجزائريين والمغاربة ، نذكر منها :

- قضية القهوة والدخان:

ألفوا في مسألتي شرب القهوة والدخان ، وتناقشوا حول تحليلهما أوتحريمهما.وتجدر الإشارة إلى أنّ الدخان قد راج في القرن 11هـ/17م، ولم يقتصر على عامة الناس فقط بل حتى العلماء والفقهاء ومنهم ابن أبي محلي الذي كان أول من نقل التبغ إلى الحجاز خلال رحلته إلى المشرق سنة 1031هـ/1621م[6]، وقد تأثر العلماء الذين حللوا الدخان بفتاوى علي الأجهوري الذي ألف

---

[1]- أبو سالم العياشي : الرحلة العياشية(ماء الموائد)،المصدر السابق، ج1، ص40.

[2]- المصدر نفسه،ج2،ص 170.

[3]- نفسه ، ج1، ص ص 74-75.

[4]- عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ، المصدر السابق، ص ص107-109.

[5]- أبو القاسم سعد الله: شيخ الاسلام ، المرجع السابق،ص61.

[6]- عبد العزيز بنعبد الله: **الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ**، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط ، المغرب،2001، ص48.

كتاب "غاية التبيان لحل شرب مالايغيب العقل من الدخان"،وهو من الفقهاء الذين أدمنوا شرب الدخان[1].

وقد كتب عبد الكريم الفكون مُؤلف "محدد السنان في نحور إخوان الدخان"، اعتمد في تحريمه للدخان على أبيات السوسي الذي قال:

فَاتقُوا مولَاكُم ولْتَصِلُوا قُرْبَاكُم ولَاتمِيلُو للبغَا ولاتمُصُوا التَبْغَا[2]

كما اعترض على فتاوى علي الأجهوري، وابن محلي في تحليل الدخان، فقد حرّمه،وكانت فتواه محطّ إعجاب الكثير من المغاربة ومنهم أبي سالم العياشي الذي نقل تلخيص كتاب الفكون في كتابه الرحلة العياشية[3].

ونجد أنّ هناك من العلماء المغاربة من حرمه والبعض اكتفى بالنهي عن شربه منهم : الشيخ محمد بن ناصر الدرعي ، ففي أجوبته:" اتفقت كلمة علماء الظاهر أهل البصائر ، وجميع أهل العلم الباطن على تحريمه، لم يتكلم فيه بالحلال إلّا أهل الهوى ، ولايشربه إلّا المهتوفون ، ومن يشرب التبغ أو يشم الشم ، فليس له عندنا شيء" [4] وفي النوازل الصغرى للوزاني "إنّ الشيخ سيدي محمد العربي التلمساني ،كان لايأذن في قراءة دلائل الخيرات إلا لمن كان غير شارب للدخان"[5].

– سماع الموسيقى :

أنكر بعض العلماء ومنهم الشيخ عبد الكريم الفكون لجوء بعض أهل التصوف إلى استعمال الموسيقى في الحضرة والإنشاد،والذي ترافقهما الآلات الموسيقية والرقص ، حيث ذكر أن عالم عنابة الشيخ محمد الساسي استعمل ذلك حين وفد إليه أحد متصوفة المغرب يدعى علي خنجل ، حيث رفعه محمد الساسي على كتفيه مغنيا، وخرج الجميع نساء ورجالا لتوديعه[6].ولكن هناك من أكدّ على

---

[1]– لحسن اليوبي : المرجع السابق، ص 329.

[2]– عبد الكريم بن محمد الفكون : **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**، مخطوط بالمكتبة الملكية، الرباط، رقم:6929، ورقة11.

[3]– سليمان الصيد: **نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار**،(د.ط)، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2007، ص30.

[4]– أحمد بن الناصر الدرعي:**الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية** ، مخطوط الخزانة الحسينية ، رقم 123 ، نُسخ في موقع جامعة الملك آل سعود،ورقة62.

[5]– أبو عبد الله محمد الوزاني العمراني الحسني : **النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية** ، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، 19992، ج1، ص346.

[6]– عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ، المصدر السابق، ص166.

جواز سماع الموسيقى عند الصوفيين، ومنهم أبو مدين وأبو القاسم الجموعي وأبو الحسن الشاذلي[1]، ومن الفقهاء المغاربة الذين أنكروا استعمال الموسيقى للمتصوفة العياشي الذي رأى أنّ إقبالهم على السماع بالأشعار والألحان والدفوف والمزمار ماهو إلّا اتباع للشيطان ونبذ للسنة[2].

وقد أنكر أبو عبد الله المجاصي في نوازله ذلك، وخلص إلى أن الذكر فيها أولى من القصائد والأزجال[3].

– وقد تدخل العلماء لإطفاء نار الفتن السياسية الداخلية والخارجية ، فشاركوا في المفاوضات والمعاهدات بين الجزائر والمغرب، ومن ذلك، نجد إيفاد علماء الجزائر للسلطان محمد بن الشريف بسجلماسة سنة 1064هـ/1654م بالتوقف على إثارة الفتنة في الجزائر [4]، وأثناء الرحلة السفارية بعد معركة المشارع سنة1103هـ/ 1692م، فالعلماء كانوا يقومون بإصلاح ذات البين، سواء بين العامة أو بين حكام البلدين .

– كما أثارت قضية وجود اليهود في الجزائر والمغرب مسائل العلماء ، الذين سخطوا على اليهود ،وقد أسهم محمد بن أحمد القسنطيني الجزائري في المغرب في قضية تتعلق باليهود بإبطال دعواهم ، حيث استظهر اليهود المغاربة برسم تاريخي يعطيه حقوقا كانت لهم من زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعده ، وكانت قد أثارت ضجة بين العلماء هناك، فالشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي نفى عنهم تلك الحقوق، بينما وافق عليها البعض[5].

– مسائل الاجتهاد :

من العلماء الذين ناقشوا القضايا الفقهية، سواء في المواريث أو الأوقاف والفرائض وغيرها ، نذكر منهم : الشيخ بن كماد العالم الجزائري في المغرب، الذي كان يجيب على الأسئلة الموجهة إليه و المتعلقة بالتفسير، الحديث والفقه ، وقد جمعت في كتاب" أجوبة على نوازل فقهية" [6]،ومنها ماتعلق

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج2، ص438.

[2]– لحسن اليوبي : المرجع السابق،ص397.

[3]– المرجع نفسه ، ص397.

[4]– أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق،ج7، ص26.

[5]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج1، ص ص 447-448.

[6]– جمعها حفيده الذي انتدب من طرف السلطان العلوي محمد بن عبد الله ، نظرا لأهميتها وحتى لاتضيع مع مرور الزمن .ينظر: عبد القادر الباجي: دراسة مخطوط للأجوبة الفقية ...، المرجع السابق، ص6.

بالجهاد، وقد وضعها في عناوين منها النية في الجهاد مع طلب الأجرة، والخروج لأجلها لا إثم فيه[1]. ونجد قضية السدل والقبض أثناء الصلاة التي ناقشها عدّة علماء، منهم محمد بن أحمد المسناوي الدلائي [2] الذي أخذ عن السنوسي في كتابه" شفا الصدر"، والذي جاء فيه :" لم يزل مالك يقبض حتى لقي الله تعالى" [3]. وألّف المسناوي كتابه " نصرة القبض و الرد على من أنكر مشروعيته في صلاة الفرض"، قد استدل هو وغيره من المغاربة على وجوب السدل بدل القبض في الصلاة.

[1]- عبد القادر الباجي: دراسة مخطوط للأجوبة الفقية ...، المرجع السابق، ص9.

[2]- ولد في تادلا سنة 1072هـ/1661م ، ونشأ في الزاوية الدلائية ثم انتقل إلى فاس ، ودرس على يد أبي علي الحسن اليوسي، وابن كماد وغيرهم ،تصدر التدريس بفاس ، وكان خطيبا بالمدرسة العنانية ثم تولى الإفتاء، توفي سنة 1136هـ/1724م ، ومن مؤلفاته: "نتيجة التحقيق في أهل النسب الوثيق"، "القول الكاشف في صحة الاستنابة في الوظائف" و"صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة"، ينظر:محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، المصدر السابق،ج1، ص ص333-334، ينظر أيضا:محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني، المصدر السابق، ج2، ص124.

[3]- محمد بن أبي مدين : **الصوارم والأسنة في الذب عن السنة**،ط1، دار الكتب العلمية،لبنان،1987، ص48.

المبحث الثالث :

تبادل الفتاوى والرسائل بين علماء البلدين

أفرزت الصلات الثقافية بين علماء الجزائر والمغرب، خلال رحلاتهم أو لقاءاتهم ،مجموعة من تبادل الفتاوى بين علماء البلدين، وكذا تبادل المراسلات سواء الإخوانية أو الديوانية .

1- تبادل الفتاوى بين علماء البلدين :

أ- الفتاوى والمسائل الفقهية بين علماء البلدين:

شكّلت القضايا الدينية حيّزا هاما من الاهتمام المشترك بين الجزائر والمغرب الأقصى، واعتمادهما على المذهب المالكي للإجابة على النوازل والفتاوى.والتي تناولت عدة قضايا سواء قضايا مكررة أو قضايا مستجدة على المجتمع الجزائري والمغربي، ونذكر على سبيل المثال:

- قضية شرب الدخان والحشيشة:

فقد كثرت واختلفت المؤلفات في قضية شرب الدخان،وأغلب المشارقة أباحوه وعموم المغاربة حرموه منهم الفكون[1]، فالدخان لايغيب العقل والمفسد هو ماغيب العقل والحواس، وبما أنّ الدخان مُفسد فهو حرام [2].كما حرّمه الحفناوي من خلال رسالة كتبها في تحريمه[3].

- شرب القهوة والشاي:

ومن المشروبات التي دخلت للمغرب خلال هذه الفترة على عهد المولى إسماعيل الشاي، والذي أرسل له مع مجموعة من الهدايا من قبل المبعوثين الأوربيين، وكان دخوله للمغرب عن طريق التجار الانجليز، وانتشر شربه في المغرب والجزائر[4]، لكن هذا الانتشار في هذه الفترة ظل محدودا.

أما عن شرب البن، فكان أغلب العلماء المشارقة يُبيحونه،ومنهم جمال الدين القاسمي الدمشقي: "وقال العلامة الخليلي في فتاويه، وأما القهوة فخلاصة القول فيها إنها من الجائز تناوله، المباح شربه كسائر المباحات مثل اللبن والعسل ونحوهما..."[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج1،ص522.

[2]- محمد بن عبد الكريم الفقون:**كتاب نوازل قسنطينة للشيخ محمد بن عبد الكريم الفقون المتوفي سنة 1114هـ/ 1702م** ،تح.تق: هواري تواتي ، عائشة بلعابيد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، 2018 ، ص107.

[3]- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1،ص55.

[4]- عبد الحق المريني : **"الشاي في الأدب المغربي"** ،في سلسلة شراع ، ع57،المغرب ،جوان1999،ص8.

[5]- جمال الدين القاسيمي الدمشقي، **رسالة في الشاي والقهوة والدخان**،ط1، مطبعة الصداقة، سوريا،1914، ص 18.

وكان أول ظهورها باليمن على يد الصوفية ، واستباحوا شربها، لأنّها تُنشط وتُعين، على السهر والذكر، وقد أدخلها العثمانيون إلى الجزائر، ومن ثمّ دخلت إلى المغرب عن طريق هجرات الجزائريين[1]، ولما سئل الإمام اليوسي عن القهوة، هل هي مباحة أو حرام؟ لتعاطي الناس لشربها في المحافل، فأجاب بقوله: "ولا أقول لكم فيها إلا ماقال الإمام البكري المصري حين قيل له ما تقول في هذه القهوة قال:

أَلَا قُل لِأَصْحَابِي عَن القَهْوة انْتَهوُا وَلَا تَجْلسُوا بِمَوْضِع هِي فِيه
فَلَيْسَت بمكْرُوه ولَا بمُحَرَم ولَكِن غَذتْ شَراب كُلّ سَفِيه[2].

أما صوفية المغرب، فقد استحسنوا شرب القهوة، كأحمد بن الناصر الدرعي، لأنّها تعينهم على السهر في العبادة، ويستعين بها الطلبة في المطالعة الليلية ، ولكنّهم يستنكرونها إذا صَعُب الابتعاد عنها حيث تتحول إلى بلية تلحق الضرر بشاربها[3].

ويظهر أنّ الدخان والقهوة من الموضوعات التي تناولها العلماء بالرأي، حلالا أو حراما، وأخذت حيزا كبيرا من وقتهم ومناقشاتهم، إلا أنّهم لم يستطيعوا منعها نهائيا.

ب- فتاوى العبادات والمعاملات:

وهي من أهم القضايا التي طرحت على العلماء المغاربة وهم في طريقهم إلى الحج ، الذي كان له دور في تصحيح بعض المفاهيم الدينية والإجابة عن الكثير من المسائل الفقهية خلال مرورهم على مناطق الجزائر،ففي الفقه نجد أن غالبية المسائل الفقهية التي طرحت على العلماء ارتبطت بالأحوال الشخصية وأمور الأسرة، خاصة في كتب الرحلات التي رصدت لنا عدّة تساؤلات وأجوبة بين سكان الجزائر والرحالة المغاربة، نذكر منها :

1- قضايا البيوع والأحباس:

عند نزول ركب العياشي بالقرب من زاوية سيدي محمد بن عمر بن محمد بن صالح الأنصاري في أوقروت ، لقي رجلا اسمه سيدي محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر، وسأله سؤالين ، سؤالا في البيوع مفاده إذا اشترى رجلا من آخر ستة أجزاء من ماء عين، جلبت من بعيد بالفقاقير ، وثمانية

---

[1]- كريمة حموش: "**من المحضور إلى العادة، مشروبات في تاريخ المغرب بين الحلية والحرمة**"، في مجلة مؤمنون بلاحدود، مؤسسة للدراسات والأبحاث، المغرب ، جوان2014، ص 2.

[2]- فاطمة خليل القبلي: رسائل أبي الحسن... ،المرجع السابق، ج2، ص414.

[3]-محمد كنون : فوائد علمية وحقائق تاريخية من خلال الرحلة الناصرية ..، المرجع السابق، ص ص 356-357.

أجزاء من عين أخرى، والعينان مختلفتان في القلة والكثرة والبعد والقرب ، ثم إن هذا المشتري باع من آخر أجزاء معلومة العدد من كلتا العينين كخمسة مثلا ، ولم يعين ما لكل عين من الأجزاء ، فأجابه العياشي بفساد هذا البيع للجهل بالمثمون ، إذ لايدري ماله من العين المرغوب فيها وماله من الأخرى. وقد سأل خصمه القاضي سيدي أحمد الخطيب ، وأضاف للسؤال أن الماءين يجتمعان في بركة حتى يصيرا ماء واحدا ، ثم بعد ذلك يجزؤ أجزاء، فأجابه بصحة البيع، لأنّ الماء بعد اجتماعه في ذلك المحل صار معلوم القدر[1].

كما سُئل العياشي أنّه من عادات سكان الجنوب في الجزائر. إذا نشزت امراة وطلقها زوجها ، يأتي بشهود يسترعيهم، ويقول لهم :اشهدوا أنّي ماطلقت زوجتي إلا كي أكسر من سورتها وشدتها ، فمتى أرادت التزوج أستظهر ذلك الرسم، فلا يتزوجها أحد حتى ترجع إليه[2].

يذكر أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي أنه سئل بالقنادسة "عن زوجة غائب قامت في غيبته بحق النفقة، فباع لها الحاكم أصله بعد ثبوت جميع الموجبات، ثم قدم الزوج فأثبت أنه ترك لها النفقة. فهل له نقض البيع أم لا؟. فأجبت: إنّه ليس له ذلك، وإنما له أخذ ثمنه من قبضه، لما صدر به البرزلي ونقله الحطاب، وقال مثله للخمي من: أن المدين إذا بيع أصله في غيبته لقضاء دينه، ثم قدم فأثبت البراءة منه، أن البيع لا ينقض، وإنما يرجع بالثمن على من قبضه. وقد أشار إلى ذلك ابن عاصم في ذي الغيبة المتوسطة بقوله والله تعالى أعلم"[3].

ومن أسئلة العبادات سئل أبو العباس الهلالي السجلماسي ، عمن يقول في رفعه من الركوع بعد التحميد "حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه " هل يبطل صلاته ، فأجاب بعدم البطلان، وأنّ فيه أجرا عظيما[4].

ومن الأسئلة الفقهية بين السكان وعلماء المغاربة الذين كانوا في طريقهم إلى الحج مسألة عدم اغتسال النساء من الحيض والجنابة خوفا من الماء، حيث يقول الناصري:"...إنّ نساءهن لايغتسلن من جنابة، ولا من حيض، ولانفاس، وكلمناهم على ذلك أيضا، ولُمناهم، فاستعذروا بأنّ ذلك يضر

[1]- أبو سالم العياشي : الرحلة العياشية(ماء الموائد)،المصدر السابق، ج1، ص40.

[2]- المصدر نفسه ،ج1، ص43.

[3]- أبو العباس الهلالي السجلماسي: **الرحلة، التوجيه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، دراسة وتح: محمد بوزيان بنعلي، ط1، مطبعة الجسور، وجدة،المغرب، 2012، ص ص 8-13.

[4]- المصدر نفسه،ص13.

بهن في أرحامهن ، على أن جماعة ممن يوثق به من أصحابنا قالوا: رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط الساقية الجارية بماء بارد، فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ..."[1]، كما أنّ الدرعي ساهم في إصلاح بين الأعراش في بوسمغون بين ثلاث قبائل ، فَطُلب منه التصالح فيما بينهم ، فاستجابوا لذلك ، وأمرهم بكتابة تعهد بذلك ،ولم يغادر المنطقة إلا بعد استتاب الصلح بينهم[2].

2 – تبادل الرسائل بين علماء البلدين:

احتلت الرسائل حيّزًا كبيرًا من اهتمام الأدباء والعلماء في البلدين، فهي من أحمد أهم مظاهر التواصل الثقافي وتعميق الروابط بين علماء الجزائر والمغرب ، ففي هذه الفترة نجد أن الكثير من العلماء المغاربة قد ربطوا صلات ثقافية مع علماء الجزائر عن طريق المراسلة،ولم تقتصر على الرسائل الإخوانية فحسب، بل تعدتها إلى الرسائل الديوانية، إلّا أنّها قليلة مقارنة بالرسائل الاخوانية ، وهي متعددة الأغراض من رسائل أدبية ودينية ومن أهم المراسلات بين علماء البلدين :

1– الرسائل الاخوانية:

هي الرسائل المتبادلة سواء بين علماء المغرب وعلماء الجزائر ، أو بين طلبة وعلماء البلدين ، وتدور حول قضايا شخصية ، وجدانية واجتماعية ، وقد تنوعت بين الإجازات ، المدح. فهي رسائل تعبر عمّا يختلج في النفوس من أحاسيس و مشاعر جياشة تكون موجهة للأهل أو الأصدقاء أو الأقارب"و هذا النّوع هو الأقرب إلى الأدب و إيحاءاته اللفظّية والأسلوبّية[3].

ومن موضوعاته: الشكر والشّوق و العتاب و التّهنئة و الّشكوى و المدح والهجاء ، و يمكن أن يلحق به الّرسائل الوعظّية و الّرسائل الّدينّية الجدلية "[4]. وقد تعدّدت مواضيعها بين علماء البلدين حاملة في طياتها روابط روحية صادقة منها :

أ– الرسائل الأدبية :

تناقش بعض الأمور التي تخص الأدب بصفة عامة من مدح ، وتبادل للقصائد، ومن أمثلة ذلك نذكر على سبيل المثال لاالحصر:

---

[1]- أحمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية،المصدر السابق،ص131.

[2]– محمد ماكامان : المرجع السابق، ص303.

[3]–محمد يونس عبد العال : **في النثر العربي**،ط1، مكتبة لبنان، بيروت ،لبنان، 1996،ص 162.

[4]– المرجع نفسه،ص 162.

– رسالة أحمد سليمان الداودي التلمساني النسب الحجازي المولد، عاد إلى تلمسان ثم إلى المغرب، دخل فاس التي كانت تحت حكم الدلائيين، وحين عزم على الرحيل أواخر شعبان1069هـ/ 1658 م، كتب قصيدة شعرية للأمير الدلائي الحاج محمد بن أبي بكر يمدحه فيها ومن أبياتها :

أَيَا سَيّدَ القَوْمِ حَانَ ارْتِحَالُنَا   ولابْنِ السَّبِيلِ فِي خِبَايكَ مَطْمَعُ

حِمْلٌ وَلاَ حِمْلاَنٌ إِلاَّ بحَمْلِكُمْ   عَدِيمٌ ولاَعُدْوَانُ لَكِنْ سُمَيْدَعُ [1]

وحين اطلع الأمير الدلائي على القصيدة ، أرسل له ثلاثين مثقالا وثيابا رفيعة ، وكتب إليه أحمد بن عبد الله الدلائي رسالة جاء فيها: " ... وبعد، فإنّي تأملت هذه الحديقة الغناء، والخريدة الحسناء، فرأيت منها ماتغار منه الجهابذة الأيقاظ ، ورمقت به عرائس الملحون والموزون، تجلى على منصة الألفاظ ...، فله سبقت عبد الحميد وابن العميد ولو بلحظة لما خطأ طرسا ولا سمعا للقلم جريا ، أو قنينا للازم بيته جلسا ، قد صاغت شهب البيان أحسن صياغة ، وطرزت بوشنتي الفصاحة أعطاف رداء البلاغة " [2].

وقد أشاد الأمير بصاحب القصيدة وجعله في مرتبة أفضل من الكاتب عبد الحميد وابن العميد، وهما من أعمدة الكتابة عند العرب ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على مكانة الشاعر الداودي التلمساني من جهة ، وعلى الذائقة الشعرية للأمير الدلائي

ب– الألغاز :

تعدّ الألغاز نوعا من الرياضة الأدبية يمارسها الفقهاء والشعراء ، وكان الملغز يعبر عن حادثة بالبيت أو بمجموعة من الأبيات[3]، وهي وسيلة من وسائل التفقه في الدين ، فقد لجأ إليه الفقهاء من باب الترويح عن عبء النصوص الفقهية، وانتشرت ثقافة تعاطي الألغاز خلال القرن11هـ/ 17م، وصار هذا الأسلوب شائعا بين العلماء و الفقهاء واللغويين والنحويين[4]، ويعدّ التلغيز تجديدا عرفه وتحكم به علماء البلدين.

ج– رسائل التعزية :

---

[1]–عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي ،المرجع السابق، ج6، ص45.

[2]– المرجع نفسه، ج6، ص49.

[3]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص286.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج3 ، ص174.

ومنها رسالة تعزية في وفاة ابن الفقيه أحمد بن عبد القادر التستاوتي من قِبل الشيخ محمد بن الكماد القسنطيني سنة 1105هـ/1694م، جاء فيها :" وقد كان يؤنسنا ويشنف أسماعنا ويشاركنا في حلونا ومرنا ، ويخفف عنا مانزل بنا ، وينشدنا من نبات فكره مايطرب الجنان ومن محفوظاته مايزيح الأحزان"[1].

د-رسائل الصوفية:

وتعرف بالكتابات السنية ، وتتم بتبادل الكتابات بين رجال الصوفية والطرقية ، وبأغراض مختلفة من مدح ، ثناء، شوق ، نصح وطلب الدعاء ، ولم تكن نثرية فقط بل أضافوا لها الشعر [2]، ومن نماذج هذه الرسائل نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- رسالة من أهل تلمسان إلى محمد بن الناصر الدرعي من أجل إدراك الطريقة الناصرية " وأن يدلّهم على طريق الحق ، فأجابهم : "... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته : فإني أحمد الله إليكم ، الله الذي لاإله إلا هو...ومخالفة الهوى وشهود المنة ، وهذه سيرة أشياخنا، وأما أمر الرزق، فلاتهتموا به فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وليكن اهتمامكم إلى مايقربكم إلى ربكم ...، وأما السبحة والضيافة والخرقة فليس عندنا فيها رواية، وإنما طريقتنا الذكر ، فإن رغبتم في السلسلة ، فصححوا التوبة بشروطها"[3].

- رسالة من أهل الجزائر إلى " محمد بن أبي بكر الدلائي" طالبين منه تحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني، جاء فيها : "والله الله سيدي جعل إنقاذ هذا الغرب في صفيحة أعمالكم ، شمروا سيدي عن ساعد الاجتهاد ، وأذنوا في الناس بالجهاد ..."[4].

هـ- رسائل التقريظ:

وقد كتب الإفراني عن كتاب " فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف " لعبد الكريم الفكون قائلا :" أنّه غاية الإتقان معنى وإعرابا"[5]. أما العياشي فقد كتب عنه :" وهو مجلد

---

[1]- أحمد الطريبق:**الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل(الرسائل- الشعر)**، (د.ط)، مطبعة سليكي إخوان،المغرب، 2008، ج1، ص ص 164-165.

[2]- الطاهر بونابي:المرجع السابق، ص 22.

[3]- البشير عمارة:المرجع السابق ،ص 105.

[4]- أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني:المصدر السابق، ص ص 20-21.

[5]- محمد الصغير الإفراني : صفوة من انتشر...، المصدر السابق ، ص251.

أجاد فيه غاية الإجادة، وأحسن كل الإحسان، وأعطى النقل والبحث في حقهما، ولم يمهل شيئا مما يقتضيه حق الشروح"[1].

و-رسائل الإجازة:

هي رسائل متبادلة بين الطلبة وشيوخهم من أجل الحصول على الإجازة ، وقد كان الطلبة يحرصون على أخذ الاجازات ، ومن ذلك ابن زاكور الذي لازم شيوخ الجزائر، وطلب منهم الحصول على الإجازات كتتلمُذه على يد أبي عبد الله محمد بن خليفة (ت. 1094هـ/1683م) في الجامع الأعظم بالجزائر، والذي قال عنه: " فوعدني بالإسعاد في رغبتي، والإسعاف في طلبتي حين يختم تفسير القرآن المجيد وكان من ذلك غير بعيد " [2].

ز- الرسائل العلمية:

كان لعلماء الجزائر والمغرب حوار مستمر بينهما عن طريق الرسائل، فيتناقلون ما جَدَّ عالمي العلم و الصداقة، وفي عالم التأليف ومشاغل الحياة،ومن ذلك :

- المراسلات بين أبي سالم العياشي وشيخه أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان بن جلال: فقد كان العياشي يرسل رسائل إلى شيخه ، وعن إنجازاته وكتاباته ومنها إرساله لكتابه الجديد " إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب " فأعجب به ابن جلال [3].

ومن القصائد التي كتبها في شيخه ابن جلال :

ومن بعده الشيخ ابن جلال الذي   غدا في سماء المجد تاج الأهلة
سُلَالَةُ أَهْلِ الفَضْلِ وَالدّين وَارِثٌ   مَقَامُهُمْ فِي كُلِّ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ[4]

- مراسلة أبي سالم العياشي لشيخه عيسى الثعالبي[5]:

فَحِرفَتُهُ التَّقوَى وَصَنْعَتُهُ النَّدَى   وَمَكْسَبُهُ التَّفْوِيضُ خَيرُ المكَاسِبِ.
فَهُوَ الفَذُّ فِي كُلِّ العُلوُمِ وَإنّهُ   لأَفْضَلُ مَنْ مُدَّتْ لَهُ كَفُّ رَاغِبِ .

---

[1]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد، المصدر السابق، ج2، ص ص498-499.
[2]- محمد بن زاكور: نشر أزاهر البستان، المصدر السابق ، ص 74.
[3]- صالح بسالم: التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب، المرجع السابق، ص 75.
[4]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد ، المصدر السابق،ج1، ص102.
[5]- المصدر نفسه،ج2، ص 129.

رَئِيسُ المَعَالِي نُخْبَةُ الدَّهْرِ مَاجِدٌ وَعِقْدُ لآلِي الحَمْدِ تَاجُ المَوَاكِبِ[1]

رد عليه الثعالبي برسالة : "الحمد لله، يقول كاتب الأحرف المسمى نفسه آخرا أن صاحبنا الأديب البليغ الناظم الناثر ريحانة الآداب، وواسطة الأحساب سيدي.. العياشي ، وصل الله إكرامه، وبلغه من محمود القصائد مرامه ، خاطب العبد الفقير بقصيدة متمكنة الأعجاز والصدور، مسبوقة بأسجاع متناسقة،ولاتناسق القلائد في النحور على الصدور، فجرى قم فكري الفاتر وذهني القاصر، شاكر لفضله بهذه الأبيات المتأخرة عن مباراة الصاحب الأرضي البائنة عن صوب مقاعد البلاغة إن لم تنظر بعين المسامحة والإغضاء "[2].

– مراسلات سعيد قدورة لطلبة المغرب بعد زيارته للمغرب وعودته للجزائر، ظلّت العلاقة بينه وبين طلبته في المغرب، فكانت بينهم مراسلات.

– مراسلات بين ابن كماد القسنطيني إلى الشيخ أحمد بن عبد القادر التستاوتي ، ومنها رسالة يرد فيها عن طلبه بشأن بعض الكتب فيقول:" ...وأما شرح الجلاب فغريب جدا ، لم نره عند أحمد ، ولا في خزانة جامع القرويين، ولا خزانة الأندلس، ونحن إن شاء الله نبحث لكم عنه ولاتنسانا من صالح دعائكم..."[3].

2- الرسائل الديوانية:

تُنسب إلى الديوان، ويقال لها أحيانا الرسائل السلطانية، وهي التي كانت تصدر عن ديوان ملكي أو أميري أو ديوان الرئاسة، ولم يكن يرقى إلى منصب الكتابة لدى الخلفاء والملوك إلا كبار الأدباء والشعراء وأصبحت تعرف بالرسائل الرسمية[4].

ومن الرسائل التي كانت بين الجزائر والمغرب:

الرسالة التي أرسلها الباشا عثمان إلى السلطان المغربي محمد بن الشريف صاحب سجلماسة سنة 1064هـ/1653م كتبها محجوب الحضري، وتضمنت عتابه على إثارة سكان تلمسان وندرومة [5]،

[1]- عبد الله بن نصر العلوي: ص271.ينظر: صالح بسالم : التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب، المرجع السابق، ص 75.

[2]- أبو سالم العياشي: ماء الموائد ، ج 2، ص 130.

[3]- أحمد الطريبق أحمد : **الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي 1045-1127هـ الحياة – الكتابة- الخطاب**،ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،2003، ج2، ص 479.

[4]- فهد خليل زايد: الأساليب العصرية في تدريس اللغة العربية، ص209.

[5]- صالح عباد: المرجع السابق، ص125.

وقد سبقنا ذكر هذه الرسالة في الباب الأول في حديثنا عن العلاقات الدبوماسية بين البلدين ، وقد اعتمدت الرسالة على النثر المسجوع ،كما ذكر أبو القاسم سعد الله : "أُنظر إلى هذا التصنع في العبارات وطول الجمل، وكثرة الإضافات، وتصيد الألفاظ الناشزة"[1].

ومن أمثلة هذه الرسائل :

" سلام عليكم مارصع الجفان سموت البحور ، ولمح الجواهر الحسان على أزهار رياض النحور، ورحمة الله تعالى وبركاته ، ما أساغت محضر الجلال ذكاته ، فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة الظاعن والمقيم والزائر ، رباط الجريد ، مدينة الجزائر ، صان الله من البر والبحر عرضها ، وأقر من زعازع العواصف أرضها ،إلماعا لكم ، معادن الرياسة ، وفرسان الغابة ، والعيافة والفراسة ، فضلا عن سماء صحا من الغيم والقتام جوه ، وضحى نشرت عليه الوديقة وشيها ففشا ضوه"[2].

" إننا قد شيعنا نحوكم أربع صحاب ، تشرق بمجالستهم الخواطر والرحاب ، الفقيه الوجيه سيدي عبد الله بن عبد الغفار النفزي،والسيد الأبر محمد بن عبد الله الحضري المزغناوي المغراوي ، واثنين من اركان ديواننا وقواعد إيواننا ، أتراك سيوط ، وغاية غرضنا منكم جميل الجواب بما هو أصفى وأصدق جواب" [3] ، وبالاطلاع والمقارنة بين رسالة الجزائر والرد المغربي عليها، يلاحظ أن الرسالة المغربية أجمل أسلوبا وأسلس عبارة، مما يدل على أن الكتابة الديوانية في الجزائر عندئذ أضعف منها في المغرب.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 2، ص 193.

[2]- أحمد بن خالد الناصري:الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،المصدر السابق، ج7، ص 22.

[3]- عثر عليها أبو القاسم سعد الله، هذه الرسالة في المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 4485مجموع ، وهي في ثلاث ورقات من الحجم الصغير، وبعدها يأتي الرد المغربي ، وأوردها الناصري السلاوي في كتابه" الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى" ، ينظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 2، ص 193.

ومما تقدّم ،يمكن القول:

– سعي العلماء الجزائريين والمغاربة من أجل الحصول على الإجازات العلمية ،فتبادلوها بينهم، حيث منح العديد من العلماء الجزائريين إجازات للمغاربة، وهذا دليل على المستوى العلمي العالي الذي كان يتمتع به علماء الجزائر ، رغم عدم وجود جامعات بالمقارنة مع المغرب وتونس مثل القرويين والزيتونة.

– تبادل ومساهمة الرسائل في التواصل التواصل الثقافي بين البلدين، و تمتين أواصر التواصل الثقافي بين علماء البلدين ، وقد ضمّت مواضيع مختلفة.

– دور انتقال المصنفات بين البلدين في تعزيز التواصل الثقافي بين البلدين من خلال رصد الجانب الثقافي للجزائر والمغرب،و الملاحظ أنه لا يوجد تباين بينهما . فقد كان الاهتمام بالعلوم الشرعية هو الغالب، مع وجود علوم أخرى كالنحو والمنطق والعلوم العقلية. فلقد ساهمت المصنفات العلمية وخاصة كتب النوازل في رسم الحياة الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية للبلدين فهي مرآة عاكسة للتواصل بين البلدين.

– مساهمة العلماء في التواصل الثقافي بين البلدين بفضل ما ألّفوه من كتب انتقلت بينهما ،ضف إلى ذلك ماشغله العلماء الجزائريون من مناصب هامة في الإفتاء والتدريس .

– إنّ تبادل الفتاوى بين البلدين أسهم في دراسة العلاقات الثقافية بين البلدين، والتعرف على واقعهما الاجتماعي والثقافي .


الخاتمة

توصّلت في ختام هذه الدراسة إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات، يمكن حصرها في المجالين الآتيين:

- في المجال السياسي:

- تُؤكّد الدراسة أنّ هناك العديد من العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية بين البلدين، فهناك عوامل موروثة وأخرى مستجدة أدت إلى صراع وتنافر بين الحكام العثمانيين في الجزائر،والعلويين في المغرب.

- عمل السلاطين العلويون على التوسع على حساب الأراضي الجزائرية ،خاصة مدينة تلمسان والتي كانت نقطة مستهدفة لدى المغاربة ، الذين تخوفوا من امتداد سيطرة العثمانيين على المغرب الأقصى في إطار توسعات الدولة العثمانية في بلاد المغارب ، وإن لم يكن هدفها التوسّع على حساب الأراضي المغربية ، وإنما كانت حروبهم على المغرب ردة فعل على توسّعاته آنذاك في الأقاليم الغربية والجنوبية من الجزائر.

- شن الحكام المغاربة، منذ بداية الدولة العلوية عدّة حملات عسكرية على الجزائر وجر القبائل الحدودية لمساندتها ضد الجزائر، مما حتم على هذه الأخيرة ضبط حدودها مع المغرب، والتي عرفت عدم استقرار في هذه الفترة بين واد ملوية وتافنة. وقد اعتمدت الجزائر والمغرب على الحدود الطبيعية قبل وبعد مجيء العثمانيين ، حيث كان واد ملوية حدا فاصلا ، ليتغير مع بداية الدولة العلوية إلى واد التافنة إذ تمّ عقد عدّة اتفاقيات صلح بغرض تحديد الحدود الفاصلة بين البلدين .

- قيام عدّة مشاريع تحالف بين المغرب وتونس، وفي بعض الأحيان بين المغرب ودول غرب أوربا المتوسطية، خاصة فرنسا من أجل التوسّع على حساب أراضي الجزائر، وكسر شوكة الحكام العثمانيين فيها، لكن رغم محاولة الدول الأوربية التدخل في الصراع بين الجزائر والمغرب، إلا أنّ الجزائريين والمغاربة لم يتحالفوا معها ضد بعضهم البعض ، كما تواصل السلاطين العلويون في المغرب مع السلاطين العثمانيين الذين حاولوا فض النزاع بين الجزائر والمغرب.

- رغم مظاهر التنافر والعلاقات بين البلدين التي اتسمت أحيانا بالسلم الحذر ، إلا أنّ مسألة الجهاد البحري كانت في معزل عن ذلك الصراع ، فقد استعملت موانئ سلا وتطوان بالمغرب لخدمة مصالح البحارة الجزائريين ، وكذلك الأمر بالنسبة لموانئ الجزائر ،التي استعملت لخدمة مصالح السلاويين والتطوانيين، حيث كانوا يقفون صفا واحدا في مناوأة الأعداء المسيحيين. ولهذا سعت الدول الأوربية شل هذا التعاون وتقويضه، لكن العمل المشترك استمر نابعا من مبدأ :"أُنصر أخاك ظالما أومظلوما".

- تبيّن من خلال البحث الاهتمام المغربي بتحرير وهران ، فقد ناشد شعراء المغرب السلطان العثماني لتحريرها من الاسبان ،إلاّ أنّ السلطان العثماني وحكام الجزائر اعتبروا ذلك شأنا داخليا، رافضين تدخل المغرب في ذلك ،فحرص الداي محمد بكداش والباي مصطفى بوشلاغم على تحرير وهران والمرسى الكبير وتمّ فتحها سنة 1708م.

- أما في المجال الثقافي:

- بدأت الصلات الثقافية بين البلدين في فترة مبكرة، فقد تعود إلى فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغارب، وظلت هذه الصلات تزداد عمقاً واستمر تواصلها.

- لاحظت من خلال البحث استمرارية التواصل الثقافي بين البلدين رغم العلاقات السياسية العدائية بينهما، والتي تميزت بالنزاعات الحدودية ، وبرز هذا التواصل من خلال تنقل علماء البلدين دون حواجز وحدود تمنع تواصلهم. فقد تزايد اهتمام العلماء الجزائريين والمغاربة، من أجل الحصول على الإجازات العلمية، فتبادلوها بينهم، وازدادت رحلاتهم البينية، ولقاءاتهم حتى خارج بلديهما خاصة في الحجاز وطريقها، أين حصلوا على عدة إجازات، كما حصلوا عليها خلال اللقاءات السياسية. ومنح العديد من العلماء الجزائريين إجازات للمغاربة، وهذا دليل على المستوى العلمي العالي الذي كان يتمتع به علماء الجزائر رغم عدم وجود جامعات، كما هو الشأن بالنسبة للمغرب وتونس من خلال توفرهما على جامع القرويين والزيتونة. كما حصلوا على الإجازات خلال لقاءاتهم خارج بلديهما.

- يبدو أن العلاقات الثقافية بين البلدين لم تتأثر بالعلاقات السياسية المتوترة في معظم الأحيان بين البلدين، بل استمر التواصل الثقافي في مجراه السابق الذي اتسم بالعفوية، والذي تجلى في حرية الانتقال من بلد إلى آخر للعلماء وطلبة العلم في جميع الظروف، للأخذ أو العطاء، أو للغرضين معا.

- كانت هناك عدّة عوامل شجّعت على زيادة التواصل الثقافي، وعمّقت الصلات بين علماء البلدين، الذين فتحوا المجال لتلقي التيارات الفكرية والثقافية المتنوعة.

- إنّ العلماء الذين كانوا يقومون برحلاتهم العلمية إلى الجزائر أو المغرب لم يكونوا خاضعين لأي نوع من الوصايا أو التأثيرات ، وإنما كانوا يقومون بهذه الرحلات بهدف الدراسة والتحصيل وتبادل الآراء والأفكار، ومن ثم العودة إلى بلادهم لنشر ما تلقوه من معارف وعلوم، والقيام بدورهم الثقافي والتعليمي المنوط بهم.

– تأكّد من خلال الدراسة اهتمام الحكام العثمانيين في الجزائر والعلويين في المغرب بالعلم والعلماء، وعلى رأسهم الداي محمد بكداش في الجزائر، أما في المغرب فكان المولى الرشيد ومن بعده المولى إسماعيل اللذان ساهما في ازدهار الحياة الثقافية.

– بيّنت الدراسة مساهمة علماء الجزائر والمغرب في مد جسور الصلات الثقافية والفكرية وتكوين نخبتها عبر الحواضر المغربية الجزائرية. فكانت الحواضر الجزائرية معبرا للطلاب والعلماء والحجاج المغاربة إلى المشرق. أما الحواضر المغربية فكانت محطة للعلماء وطلبة العلم القادمين من الجزائر.

– ساهمت هجرات العلماء بين البلدين في تحقيق التواصل الثقافي، سواء من خلال تنقل مؤلفاتهم ورصيدهم المعرفي، أو من خلال المناصب التي تولوها؛ كالإفتاء والتدريس والقضاء والإمامة والخطابة، إذ استطاع عدد من علماء الجزائر تولي مناصب الإفتاء والتدريس، وخاصة في جامع القرويين وغيره، كما نالوا حظوة ومكانة لدى السلاطين المغاربة وذلك بفضل كفاءتهم. لكن في المقابل نجد أنّ استقرار العلماء المغاربة في الجزائر كان قليلا ولم يحصلوا على وظائف هامة فيها، وربما يرجع ذلك إلى الاختلاف المذهبي بينهم وبين الحكام العثمانيين الحنفيين.

– شكّلت رحلات الحج إحدى أهم قنوات الاتصال بين مناطق العالم الإسلامي ؛ وهي بالنسبة لطلاب العلم رحلة علمية؛ينفعون وينتفعون منها ، ولما كان معظم سكان بلاد المغارب يفضلون الحج عبر المسالك البرية ؛ فكان عليهم عبور الأراضي الجزائرية ، وكان الجزائريون يستفيدون من علم المغاربة في طريق الذهاب ومن نسخ المخطوطات التي تحصل عليها المغاربة في طريق الإياب، وهكذا كان يتم لعلماء الجزائر الاطلاع على نتاج العلوم المشرقية والمغربية. وقد اشتهرت بعض الأسر الجزائرية بكونها أُسرا علمية ؛ حيث كانت تحرص على استضافة العلماء من الحجاج المغاربة، ومن أشهر هذه الأسر، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أسرة الفكون بمدينة قسنطينة، وأسرة آل قدورة بمدينة الجزائر، والأسرة الفلانية والأسرة الكنتية بتوات، وأسرة آل الجوزي بقورارة ...الخ، وقد أثرت هذه الأسر في المجتمع الجزائري ، وتخرج منها القضاة ورجال الإفتا ، ولم يقتصر الأمر على قوافل الحجاج فقط؛وإنما تعداه إلى قوافل التجارة التي أدّت دوراً مهما في إحداث التبادل الحضاري بين الجزائر والمغرب.

– تميزت العلاقات الثقافية بين البلدين بالمتانة والتواصل وعدم الانقطاع؛ مقارنة بالعلاقات السياسية التي تميزت بالنزاعات الحدودية.

– لقد أدّت سيادة المذهب السني المالكي في البلدين سيادة مطلقة على ما سواهما إلى تماسك شعوبهما، وزيادة رواج الكتب والمصنّفات، خاصة شروحات أمهات الكتب، وانتشار الفتاوى الفقهية على مذهب الإمام مالك في الحواضر العلمية بالبلدين، خاصة ما تعلق بكتب النوازل الفقهية .

– حرية تنقل علماء البلدين بين المراكز الثقافية، سواء الساحلية أو الداخلية أو حتى الصحراوية، ومن أهم الحواضر التي كانت قِبلة لعلماء المغرب مدينة الجزائر لكونها العاصمة، خاصة بعد فقدان تلمسان لمكانتها، وكذا تنقلهم إلى قسنطينة، ومازونة، والحواضر الصحراوية؛ كتوات، وڤورارة، وورقلة (وارجلان)، وتقرت، وبسكرة...الخ، التي كانت منطقة عبور للحجاج المغاربة. أما في المغرب فأهم حاضرة كانت فاس، منارة العلم ومقر جامع القرويين الذي كان قِبلة لطلاب العلم كما تنقل العلماء الجزائريون إلى مراكز أخرى؛ كتطوان، ومكناس، وتارودانت، وسجلماسة.

– تُعدُّ كتب الرحلات مصدراً مهماً جعلنا نتعرف على جوانب متعدّدة للبلدين ،بالإضافة إلى كونها وصفا للمناطق والمسالك، فقد كانت عنصرا من عناصر التزوّد بالعلوم والمعارف، وتتمثل أهمية الرحلات في كونها مظهرا من مظاهر التواصل الحضاري بين الجزائر والمغرب، إذ ساهمت في تمتين الروابط الثقافية ،وتبادل الأفكار والآراء حول الفتاوى والكتب والمراسلات التي تختص بالقضايا العلمية والأسئلة فيها أو الأجوبة عنها، مما زاد في تفعيل التبادل الثقافي بين البلدين، واستقصاء العادات، واحتضان قوافل الحجيج ومرافقتها، ومن ثمّ التعايش والتصاهر أحيانا بين سكان البلدين.

– ساهم القرب الجغرافي في تسهيل حركة هجرة العلماء ، إذ تنقل عدد من سكان تلمسان الى المغرب، خاصة خلال توتر العلاقة بين حكام العثمانيين وسكان تلمسان، أما العلماء المغاربة فقد كانوا يتخذون من الجزائر طريقا للحج بحرا وبرا. وبعضهم يأتي إليها في مهمات دبلوماسية، أو طلبا للإجازة أو هروبا من المشاكل السياسية.

–يُعد التصوف ظاهرة مميزة في الجزائر والمغرب، فكان المغرب الأقصى بالنسبة للجزائر المؤثر في انتشار الطرق الصوفية،ومنها القادرية والشاذلية،ولكل واحدة أتباعها ومريدوها في أوساطهما ، وقد ترك العديد من المتصوفة الجزائريون والمغاربة رصيدا صوفيا،حيث نقل متصوفة الجزائر إلى المغرب طريقتهم وتركوا أتباعا لهم.ولهذا فإنّ الطرق الصوفية ربطت بين سكانها ربطا قويا، وساهمت في توطيد العلاقات بين البلدين. لكنّها من جهة أخرى نشرت أفكارا ومعتقدات غريبة ما أدى إلى الانحطاط الفكري.

– عدم وجود تباين في الجانب الثقافي بالبلدين. فمن خلال الوقوف على المصادر والمراجع، تبيّن لي أنّ اهتمام العلماء وطلبة العلم قد انصبّ على العلوم الدينية بالدرجة الأولى، مع الاهتمام بعلوم أخرى؛ كالنحو والمنطق والعلوم.

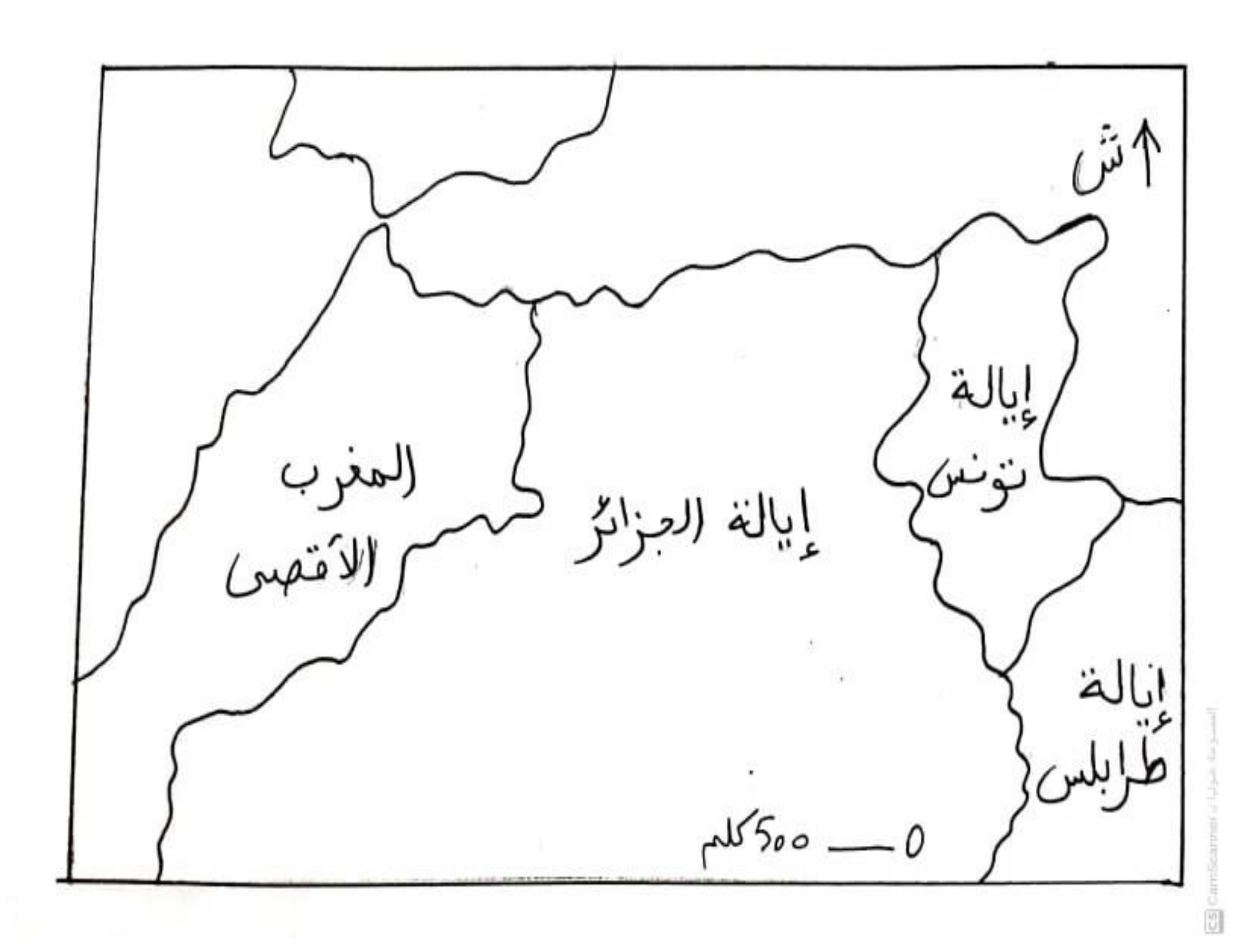
– لعل من أبرز مظاهر التواصل الثقافي تبادل الرسائل بين علماء البلدين، والتي تُعد صورة ساهمت في تمتين أواصر الترابط الثقافي بين البلدين، وقد تعدّدت مواضيع المراسلات بينهما، والتي كان لها دور كبير في معرفة الوضع السياسي والثقافي وحتى الاجتماعي للبلدين. كما تمّ تعزيز التواصل الثقافي بين البلدين من خلال انتقال المصنّفات فيما بينهما، خاصة المتعلقة بالعلوم الشرعية والمنطق، وعدّة شروح وحواشٍ لمؤلفات ومصنّفات، خاصة ما تعلق بكتب المنطق.

وفي الأخير، فإنّه يمكن القول إنّ ما توصّلت إليه في هذه الدراسة من ملاحظات واستنتاجات لا يضع حدا لدراسة العلاقات الجزائرية المغربية في الفترة المدروسة، بل يجب تدعيمها بدراسات أخرى. ولعل باحثين آخرين يوفون حقه من الدراسة والتعمّق أكثر بما يعثرون عليه من وثائق جديدة.

الملاحق

الملحق الأول:

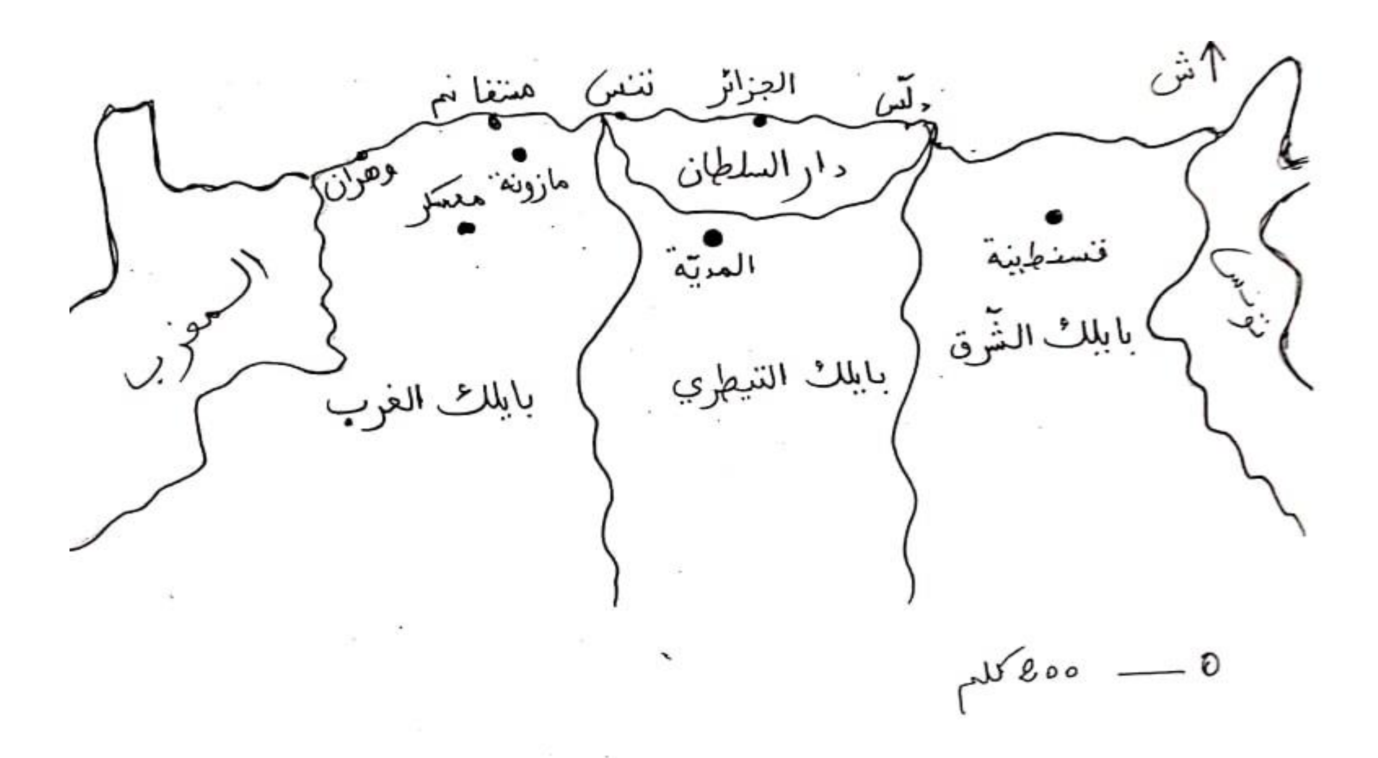
خريطة بلاد المغارب خلال العهد العثماني[1]



[1]– من إعداد الطالبة.

الملحق الثاني:

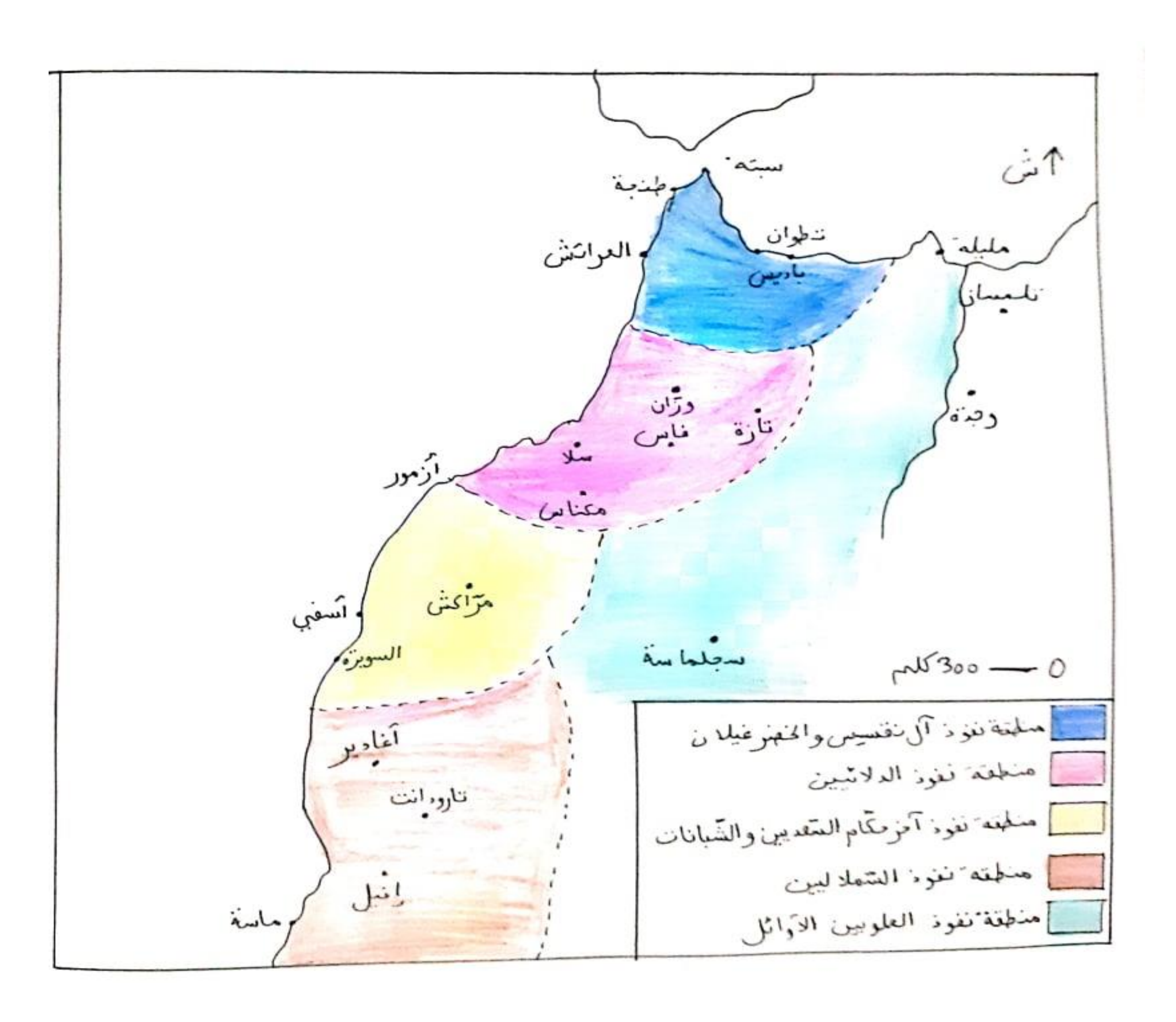
خريطة التقسيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني[1]



[1]– من إعداد الطالبة.

الملحق الثالث:

خريطة المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م[1]

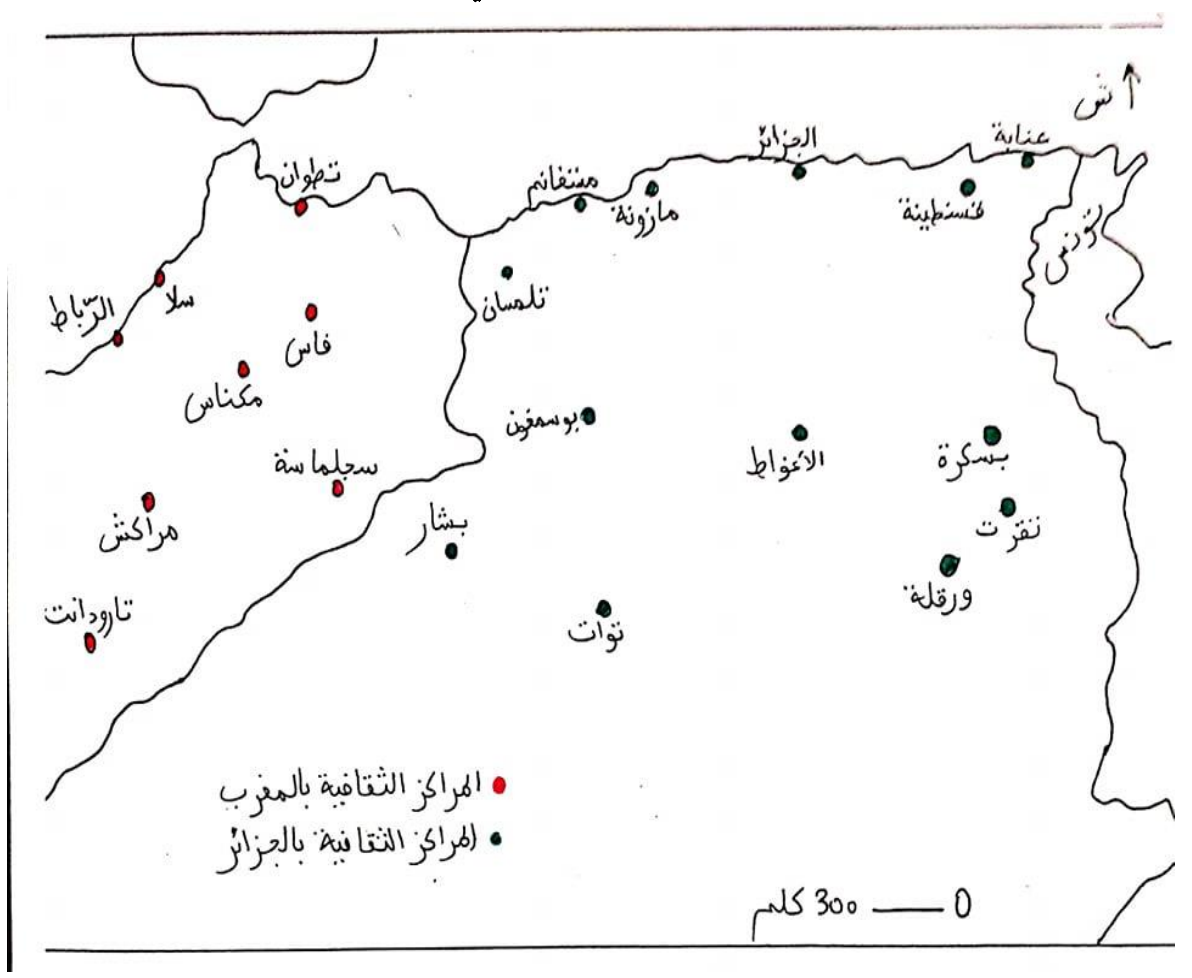


---

[1] – من إعداد الطالبة.

الملحق الرابع:

خريطة تمثل مراكز التبادل الثقافي بين البلدين [1]

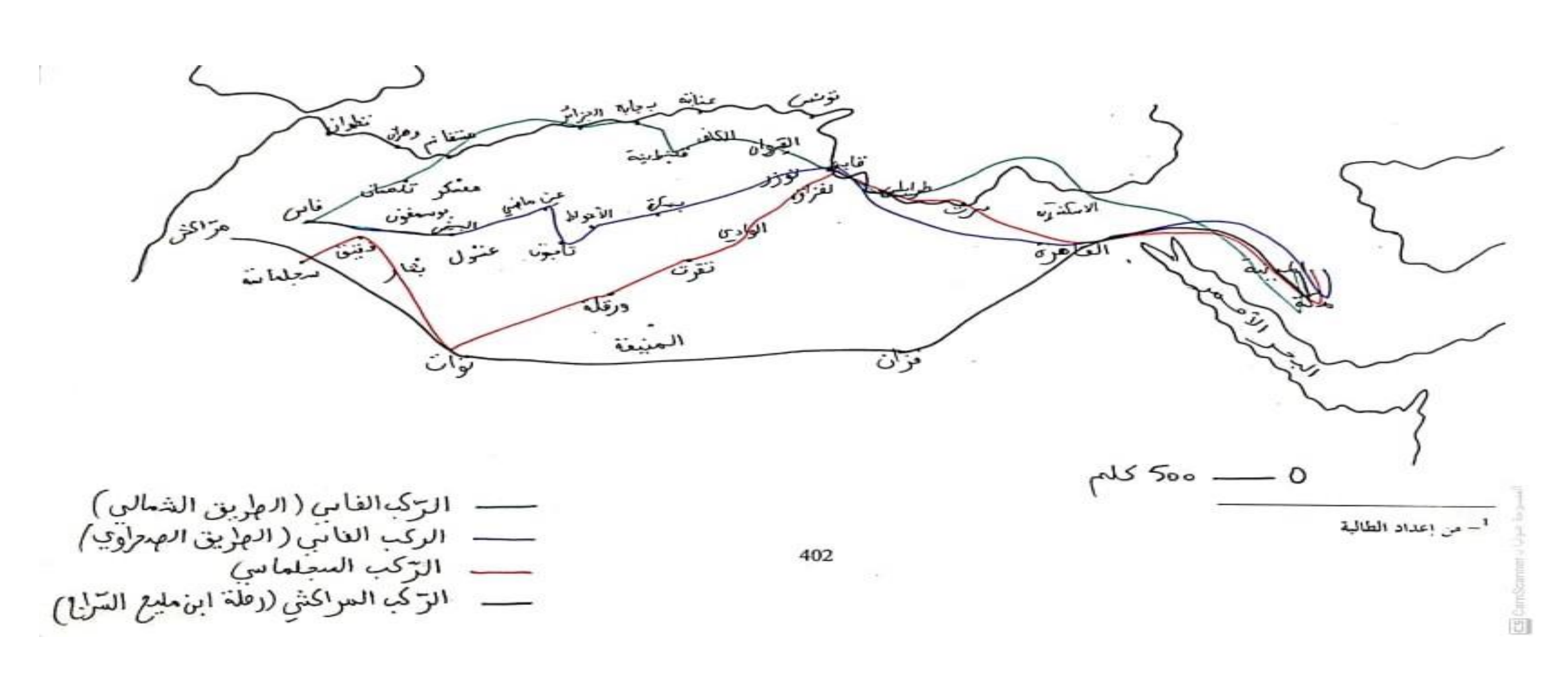


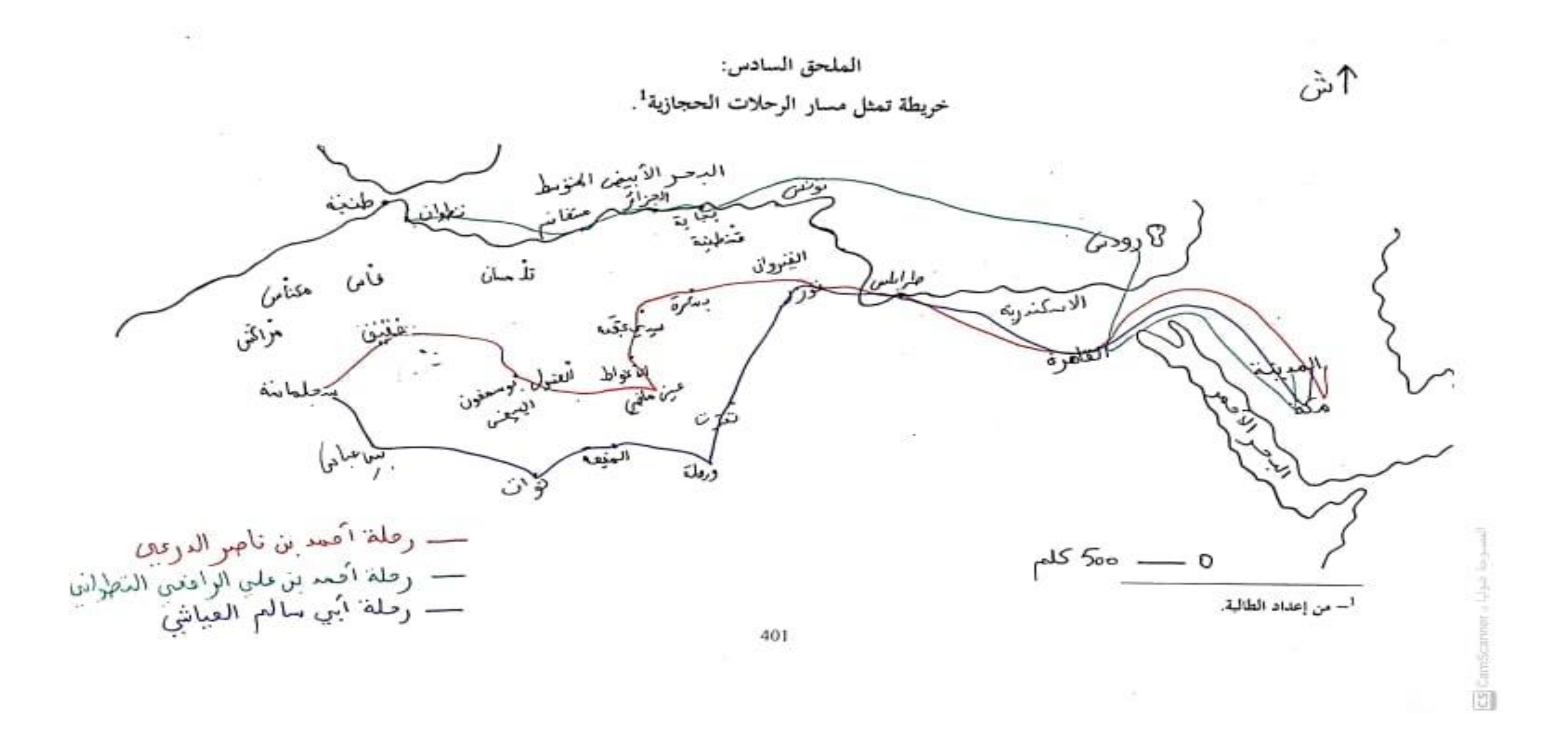
---

[1] – من إعداد الطالبة.

الملحق الخامس:

خريطة تمثل سير ركب الحج





الملحق السادس:
خريطة تمثل مسار الرحلات الحجازية[1].
ش
البحر الأبيض المتوسط
طنجة
تطوان
مستغانم
الجزائر
بجاية
قسنطينة
تونس
رودس
القيروان
طرابلس
الاسكندرية
القاهرة
المدينة
مكة
البحر الأحمر
فاس
مكناس
مراكش
تلمسان
سجلماسة
فقيق
العقول
بوسمغون
الأغواط
عين ماضي
بسكرة
تقرت
ورقلة
المنيعة
توات
رحلة أحمد بن ناصر الدرعي
رحلة أحمد بن علي الرافعي التطواني
رحلة أبي سالم العياشي
0 — 500 كلم
1- من إعداد الطالبة.
401

الملحق السابع:

- مراسلة عثمان باشا حاكم الجزائر للمولى محمد بن الشريف العلوي 1جوان 1654م لوقف هجماته ووضع الحدود بين الجزائر والمغرب[1]:

"... فخرقت على الإيالة العثمانية جِلْبَاب صونها الْجَدِيد من وَجدّة الأبلق إِلَى حُدُود الجريد فشوشت علينا أَخْلَاق أخلاط الْأَعْرَاب إِلَى أَن تعوقوا علينا فِي أَرْفق الْآرَاب وشننت الْغَارة الشعواء على بني يَعْقُوب فحسمت رسمهم على العقيب والعرقوب وغادرت جماهرهم تسْعَى على عِيَالهمْ الزياني والموزونة فِي أسواق مستغانم وديار مازونه وجررت ذيل المذلة على أَطْرَاف الغاسول والأغواط...."

"نَحن جئْنَاك لتعمل مَعنا شَرِيعَة جدك وتقف عِنْد حدك فَمَا كَانَ جدك يحارب الْمُسلمين وَلَا يَأْمر بِنَهْب الْمُسْتَضْعَفِينَ فَإِن كَانَ غرضك فِي الْجِهَاد فرابط على الْكفَّار الَّذين هم مَعَك فِي وسط الْبِلَاد وَإِن كَانَ غرضك فِي الِاسْتِيلَاء على دولة آل عُثْمَان فابرز إِلَيْهَا واستعن بالرحيم الرَّحْمَن فَلَا يكن عَلَيْك فِي ذَلِك ملام فَهَذَا مَا جِئْنَا لَهُ وَالسَّلَام وَأما إيقاد نَار الْفِتْنَة بَين الْعباد فَلَيْسَ من شيم أهل الْبَيْت الأمجاد وَلَا يخفى عَلَيْك أَن مَا تَفْعَلهُ حرَام لَا يجوز فِي مَذْهَب من مَذَاهِب الْمُسلمين وَلَا قانون من قوانين الأعجام وَهَذَانِ فقيهان من عُلَمَاء الجزائر قد جَاءَا إِلَيْك حَتَّى يسمعا مِنْك مَا تَقوله وَيحكم الله بَيْننَا وَبَيْنك وَرَسُوله فقد تعطلت تجارتنا وأجفلت عَن وطننا رعيتنا فَمَا جوابك عِنْد الله فِي هَذَا الَّذِي تَفْعَلهُ فِي بِلَادنَا وَأَنت ابْن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَعَ أَنه لم يعجزنا أَن نفعله نَحن فِي بِلَادكُمْ ورعيتكم على أننا محمولون على الظُّلم والجور عنْدكُمْ لَكِن تأبى ذَلِك همة سلطاننا "

فَلَمَّا سمع الْمولى مُحَمَّد كَلَامهم أثر فِيهِ وعظهم وداخلته القشعريرة وعلاه سُلْطَان الْحق فأذعن لَهُ وَقَالَ :" وَالله مَا أوقعنا فِي هَذَا الْمَحْذُور إِلَّا شياطين الْعَرَب انتصروا بِنَا على أعدائهم وأوقعونا فِي مَعْصِيّة الله وأبلغناهم غرضهم فَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه وَإِنِّي أعَاهد الله تَعَالَى لَا أعرض بعد هَذَا الْيَوْم لبلادكم وَلَا لرعيتكم بِسوء وَإِنِّي أُعْطِيكُم ذمَّة الله وَذمَّة رَسُوله لَا قطعت وَادي تافنا إِلَى ناحيتكم إِلَّا فِيمَا يُرْضِي الله وَرَسُوله وَكتب لَهُم بذلك عهدا إِلَى صَاحب الجزائر وقنع بِمَا فتح الله عَلَيْهِ من سجلماسة ودرعة وأعمالهما وَلم يعد يَغْزُو الشرق وَلَا توجه إِلَيْهِ بعد ذَلِك"

[1]- أحمد بن خالد الناصري:الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، ص ص 22-25.

الملحق الثامن:

رسالة السلطان العثماني أحمد الثالث للمولى إسماعيل بشأن أيالة الجزائر والجهاد ضد المسيحيين[1]:

" ...إعلمْ أيُّها السيّدُ المولَى أنّا قبل أن يصلَ إلينا كتابكم الأسْما، وخطابكم الأنْما، كنا لا نعرف ماهم عليه أهل الجزائر، ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيْتموهُ لنا، و لاعرفنا ما صار عندهم ولا ماهم عليه، وبالجملة أهلُ الجزائر ماهمْ على شيء لكونهم أخلاطَ النّاس، فيهم الأصلي وفيهم البراني وفيهم من لا خلاقَ له، ولم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب، وكلّ هذا لا يخفانا قبل، نعرفه ونتحقّقه منهم، وقد بلغنا أنّهم خرجوا من البلاد بمحلّتهِم وأرادوا الشرّ معك، وأنّا لا نرضى منهم ذلك، وهذه الذخائر والأموال والخزائنُ التي خبّرتنا بها قطعا خبّر بها غيرك، والآن إن شاء الله نردّ لهم البال، ونشتغلُ بهم ولا نتركهم في حيّز الإهمال، وتلك الخرجةُ التي خرجوا لبلادك نطلبُ من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم فيها لوجهنا، وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة نمحي جرّتهم وهذا زمان ما جاءنا سفرانا وأخبارهم، والآن حيث أيقظتنا إن راجعوا عن سوء فعلهم فذاك المنى والمراد، وإن تمادوا على غيّهم وأساؤوا في جانبك ولو بكلمة أعلمنا ونحن نفوّض لك فهم تنتقم منهم بيدك وتفعل فيهم ما أردت . ومسألة أخرى، وإذا احتجت إليهم لغزو وأدرت أخذ بلد من بلاد النّصارى وأرسلت إليهم فإنّهم يكونون منقادين للخدمة بين يديك كما تحب وترضى أن تقضي غرضك وتتمّ حاجتك في الجهاد ومرادك، فإن ساعدوك على ذلك فتبارك الله، وإن لم يساعدوك فاكتب لنا وترى وما نفعل بهم، وأنا كما تعلم ما غفلت عنهم إلا لأجل الجهاد، ووقوفهم في ذلك الباب في تلك البلاد، ومن هذا الحين إن شاء الله نعود نبعث إليهم في كلّ سنة باشا جديدا وقاضيا كذلك يطّلعان عليهم، ولا يغيّبان خبرهم عنّا حتى لا يغيب عنّا شأن من شؤون ولا أمر من أمورهم، ولا نغفل عنهم بعد هذا، فجزاك الله عنّا خيرا حيث نبّهتنا وأيقظتنا لفعلهم، ولاشكّ أنّ فيهم البعض يلزمهم التّعزيرُ في الشّرع، وإنّا نغفل عنهم لما ذكرنا لك من أمور الجهاد، وإنّا نعرف ونتحقّق أن لا قدرة لهم على الوقوف أمامك، ولا يطيقون ملاقاتك، ولكن إذا أنت حركت إليهم وقصدت مضرّتهم فإنّك تعطلهم عن الجهاد شرعا، وإذا هم فعلوا ما يغيظك أو ما لا يليق بك فينبغي بفضلك وحلمك وجودك أن تتجاوز عنهم، ولا تحافيهم بسوء فعلهم لأجل الجهاد، وماغفلنا عنهم نحن إلا لأجله .

[1]- محمد الصغير الإفراني: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، المصدر السابق،ص ص 136-140.

وبعدما يصل كتابنا هذا إليك وتطالعنا وتفهم ما فيه تعرف ما نحن عليه من الجد والاجتهاد، وأنّا متمادون بحمد الله سبحانه على الجهاد من عهد الآباء والأجداد، رحمهم الله، وأنت أعزّك الله إذا كان النّصارى قريبا منك لا تغفل عنهم ولا عن جهادهم، ولا تنم أبدا عن قتالهم، قال الله تعالى (تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)، وقال تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)، وقال تعالى (وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمه، وكان الله غفورا رحيما)، إلى غير ذلك من الآي الشريفة الكريمة الواردة بالتحريض، والأمر بجهاد الكفّار أمر واجب، ونحن والحمد لله ما لنا اشتغال ولا استغرقنا ليلنا ونهارنا إلا في جهاد العدو الكافر، ونجرّ إلى أعداء الدين الجيوش والعساكر، وحيثما توجّهنا والحمد لله نقطع كلمة الكفر ونقيم الدين والأذان، في جميع الأقطار والأوطان، وحيثما تلحق يدنا يزول الأذى والفساد من الأرض بتأييد الله ومعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وننتقم من عدو الله الكافر حيثما كان، والجهة التي نقبل عليها ونتوجّه بحول الله وقوته إليها ولم يعطوا للطاعة يدا نخرب مملكتهم، ونجدب أفئدتهم، وأنت إذا كان النصارى حذاءك وبقرب لا تبطل الجهاد أبدا، والله يرزقك تأييدا، وينصرك عليهم نصرا عزيزا طويلا مديدا.وكان تحريره آخر جمادى الأخيرة عام سبعة وثلاثين وإحدى عشرة مئة بدار السلطنة العلية قسنطينية سالمة محمية.

الملحق التاسع:

رسالة المولى إسماعيل إلى فليب الخامس ملك إسبانيا يطلب منه تحرير أسير جزائري في اسبانيا "محمد بوصوفة"[1] .

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل
إلى فليب الخامس ملك إسبانيا
يطلب منه فيها تحرير أسير جزائري

الحمدُ لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم
لا ربَّ غيرُه ، ولا معبودَ بالحقِّ سواه

عن الأمر العليّ بالله تعالى المؤيدي المنصوري السلطاني الإمامي العلوي

(الطابع السلطاني بداخله)
(إسماعيل بن الشريف الحسني أيّده الله)
(وبدائرته إنما يريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرجْس أهل البيت ويُطهركم تطهيرا)

أيده الله ونصره ، وظفر بيُمْنه جنوده وعساكره ءامين ، يارب العالمين

إلى طاغية قشتاله ، الِيُون ، راغون ، نباره ، ميورقة ، منورقة ، الأندلسية العليا والسفلا وغيرها فليب كِينُطْ (1)

[1]- محمد الصغير الإفراني:روضة التعريف...،المصدر السابق،ص ص130-131.

سلامٌ على من اتبع الهدى

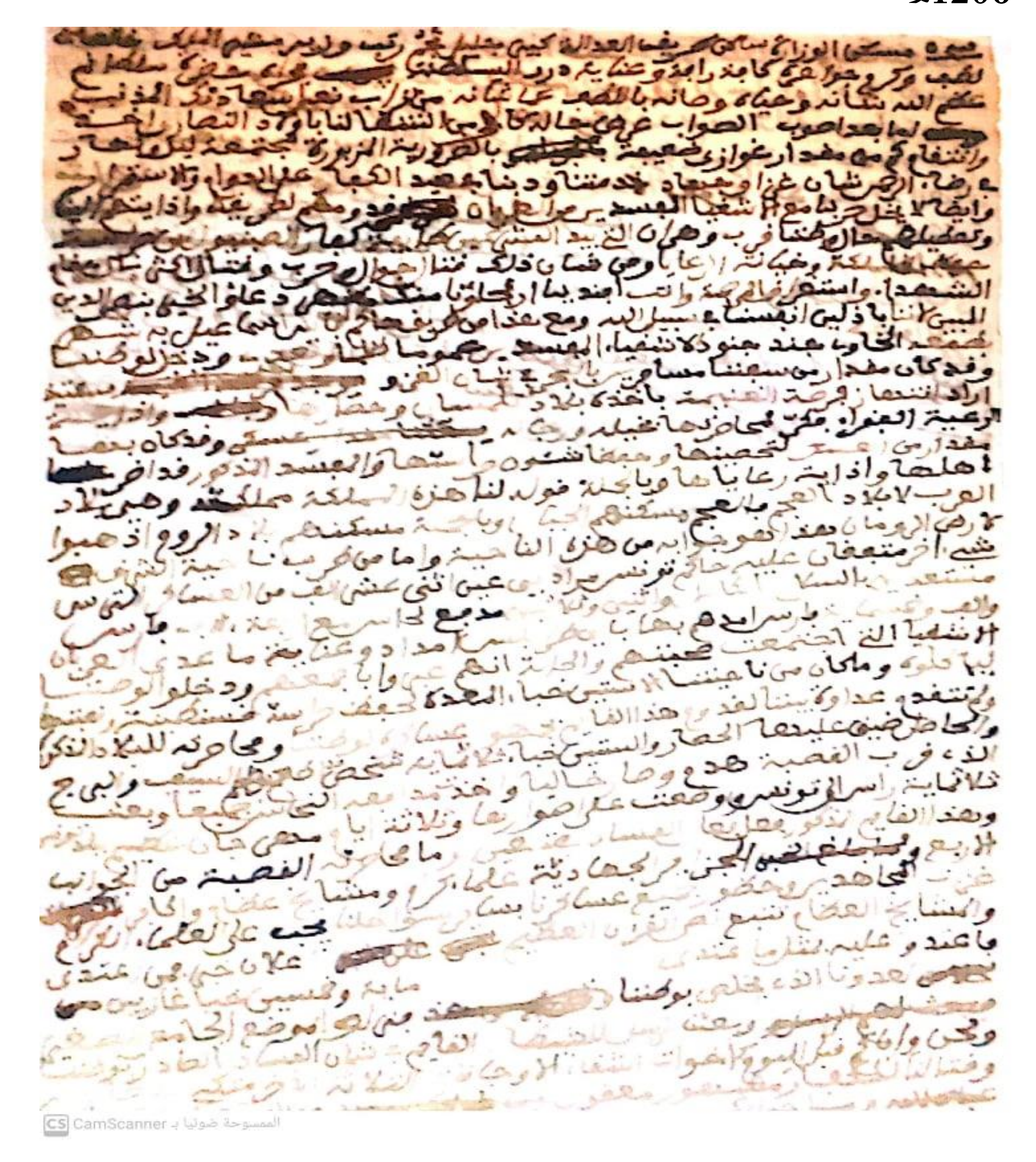
أما بعدُ فقدْ وردَ لمقامنا العليّ بالله رجلٌ مسكينٌ من أهل جزائر مزغنّة، وتلاقيْنا معه في يوم عيدنا المباركِ القريب من التاريخ ، وذكر لنا بأنّ ولدَه اسمُه مُحمد بن صوفه أسير عندك في إيالتك إسبانية ، وهو الآن في الغراب المسمّى قبّاطنه واستحْيَيْنا منه لكِبَرِ سنِّه ولغُربته في بلادنا وقصده إلينا ، فنادَيْنا على النصارى الفرايلية (2) الاسبنيول الذين عندنا ، وتكلّمنا معهم في شأن ولد هذا الرجل المذكور ، فقالوا لنا إنهم لا قدرة لهم على تسريحه إلا بإذنك وبمشورتك ، فلذالك كتبْنا لك هذا الكتاب الكريم أسماهُ اللهُ لِتُسرحه لنا بعد أن عيَّنّا نصرانياً واحداً من جنس الإسبَنيول اسمُه منويل ابانيس ووجّهناه لمدينة تطوان يجلس بها إلى أن يقدم المسلمُ الأسيرُ محمد بن صوفه المذكور ونسرحه حتّى هو بحَوْل الله وقُوته ، وكذالك نقْضوْا لك جميع ما يعرض لك من الأغراض الجائزات في إيالتنا المباركة إن شاءَ اللهُ تعالى بتوْفيقِه ، وقد سرَّحْنا قبل اليوم واحداً من النصارى الفرايلية كان أسيرا عندنا أطلقْناه في يد النصارى الفرايلية وأوفوْا في فدائه معنا ، وكانوا يطلبون منا فداءَ بعض النصارى الأسارى ، واليوم رأيناهم قصروا في ذالك ولم يمُدُّوا أيديهم في الكلام فيهم معنا ، فأظنُّهم لا إذن لهم من قبلك ، فإذا أعطيْتَهم الإذن فما نعملُ لهم إلا غرضَهم على عادتِنا المباركة معهُم

والسلامُ على من اتبع الهُدى

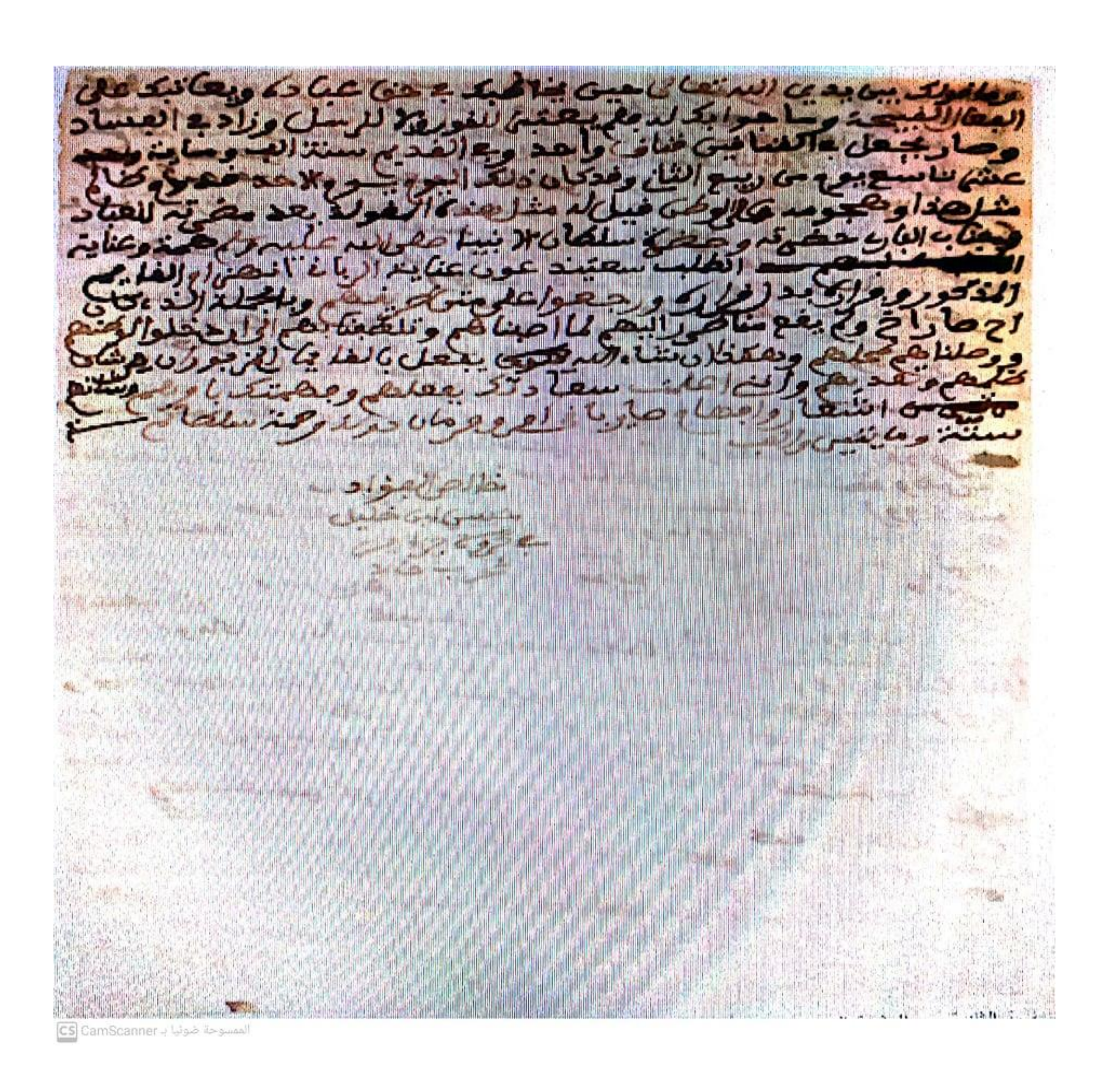
وكُتب في السادس والعشرين من ربيع الأول النبوي المفضّل الشريف عام ثمانية وعشرين ومائة وألف

الملحق العاشر:

وثيقة تتضمن أخبار الاتفاق المغربي التونسي للهجوم على أتراك الجزائر، مؤرخة سنة 1206هـ[1]



[1]-الوثيقة رقم:53، الملف الأول، المجموعة 3205،قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، مؤرخة عام 1206هـ/ 1791م، نقلا عن: موسى شرف: **علاقات المغرب الأقصى بالدولة العثمانية وإيالاتها العربية في المشرق والمغرب (1171-1265هـ/1757-1848م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،جامعة الجزائر،السنة الجامعية:2015-2016، ص ص 374-375.



وصل كتابك بين يدي [illegible] بما [illegible] عباده [illegible] على
البقاء [illegible] وصار جوابك له [illegible] للرسل وزاد في الفساد
وصار يجعل [illegible] واحد [illegible] القديم سنة الف ومائتين [illegible]
عشر تاسع [illegible] ربيع الثاني [illegible] الاحد [illegible]
مثل هذا [illegible] على الوطن قيل له مثل هذه [illegible] بعد [illegible] للعباد
[illegible] حضرته [illegible] سلطان الا نبينا صلى الله عليه وسلم [illegible] وعناية
[redacted] الطالب [illegible] عون [illegible] الرباط [illegible] الغلام
المذكورين [illegible] ورجعوا [illegible] وبالجملة الذي [illegible]
[illegible] ولم يقع [illegible] لما اصابهم [illegible]
ووصلنا [illegible] يجعل [illegible]
[illegible]
[illegible]
سنة [illegible]

خادم [illegible]
[illegible] بن خليل
[illegible]

- الوثيقة بخط مقروء[1]:

مسكن الوزارة ساكن طريق العدالة كبير جليل فخم كافة راحة وعناية رتب وزير مشير المليك خالصات لطف وكرم وجواهر درر السلطنة (غير واضحة) مجراه حضرة سلطانم(كذا)عظم االله شأنه وحياة وصانه باللطف عما شانه من تراب نعل سعادتكم المذنب(غير واضحة) أما بعد أصوب الصواب عرض خالد كافي من اشتغالنا بأولاد النصارى أخذ وانتقام كم مقدار غوازي ضعيفة (كذا) (غير واضحة) بالضرورة المزبوزة مجتمعة ليل ونهار(كذا) في رضا الرحمان غز أو جهاد خدمتنا ودبنا في صيد الكفار(كذا) على الدوام والاستمرار وأيضا لا يخل حربنا مع الأشقياء المفسدين من العربان (غير واضحة) قدومهم لطريقناواذايتهم إلينا (كذا) وتعطيلهم حال وطننا قرب وهران التي بيد المشركين طايفة كفار الصبنيول(كذا) من حراسة حفظ المملكة وخيانة الرعايا ومن شأن ذلك قتال جوال وحرب وقتال أكثر نال مقال الشهداء(كذا) واستغراق المرحمة وأنت أفندينا رجاؤنا منكم مظهر دعا وي الخير بنصر الدين المبين لأننا باذلين أنفسنا في سبيل الله(كذا) ومع هذا من طريق حاكم فاس إسماعيل به شهر بطمعه الخاوي (كذا) جند جنوده الأشقياء المفسدين عموما ظلما وتعدى ودخل لوطننا وقد كان مقدار من سفننا مسافرين بالبحر في شان الغزو(غير واضحة) مستعدين أراد انتهاز فرصة الغنيمة بأخذه بلاد تلمسان وحصارها(غير واضحة) وإذاية الرعية الفقراء(كذا) فكر لمحاصرتها بخيله ورجاله(غير واضحة) وقد كان بها مقدار من العسكر لتحصينها وحفظا شؤون حراستها(كذا) والمفسد المذكور قد أضر(غير واضحة) أهلها وإذاية رعاياها وبالجملة قول لنا هذه المملكة مملكته وهي بلاد العرب لا بلاد العجم فالعجم مسكنهم الجبال وبالجملة مسكنهم بلاد الروم اذهبوا لأرض الرومان هذا هو جوابه من هذه الناحية وأما من طرف ناحية الشرف(غير واضحة) شيء آخر متفقان عليه حاكم تونس مراد باي عين اثنى عشر ألف من العساكر التي هي مستعدين بالسلاح الكامل واثني وثلاثين مدفع نحاس مع أربعة آلاف فارس وألف وخمسمائة فارس أمدهم بها باي طرابلس إمداد وعناية ما عدى العربان الأشقياء التي اجتمعت صحبتهم(كذا) والحالة أنهم عبروا بأجمعهم ودخلوا لوطننا ليأكلوه (كذا) وما الستين خباء المعدة لحفظ حراسة قسنطينة وقصبتها ولم تتقدم عداوة بيننا لقدوم هذا القائم بجمهور عساكره لوطننا ومحاصرته للبلاد المذكورة (كذا) والحاصل ضيق عليها الحصار والستين خباء، ثلاثمائة شخص قد (غير

[1]- موسى شرف: علاقات المغرب الأقصى بالدولة العثمانية ...، المرجع السابق، ص ص 375.

واضحة) السيف والبرج الذي قرب القصبة هدم وصار خاليا وأخذت مدافعه النحاس جميعا وبعث ثلاثمائة رأس إلى تونس ووضعت على أسوارها وثلاثة أيام مهرجان عظيم ببلد تونس وهذا القائم المذكور فعل فعال الفساد في تسعين يوما محاصرته القصبة من الجوانب الأربع (كذا) ولما بلغ الخبر الجزائر الجهادية علماء كرام ومشايخ عظام وأكابر (غير واضحة) غزاة المجاهدين وحضور جميع عساكرنا بسائر سواحلنا (كذا) يجب على العلماء الكرام والمشايخ العظام تتبع نص القرآن العظيم (غير واضحة) إعلان خبر فمن اعتدى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى (فراغ) مائة وخمسين خباء غازيين (غير واضحة) لعدونا الذي يخلص بوطننا (غير واضحة) فنزلوا بموضع الجامع الصغير (غير واضحة) وبعث الرسل للشيطان القائم في شأن الفساد الصادر منه بوطننا ونحن وإياكم قبل هذا اليوم كأخوات أشقاء الأوجاقات الثلاثة الآخر منكم على صاحبه (كذا) وقتالنا للكفار مشهور معقول (غير واضحة) وما حدا بكم وما قولكم بين يدي االله تعالى حين يخاطبكم في حق عباده ويعاتبكم على الفعال القبيحة وما جوابكم له فلم يعتبر للقول ولا للرسل وزاد في الفساد وصار يجعل في القناقين قناق (كذا) واحد وفي القديم سنة ألف ومائة وإحدى عشر تاسع يوم ربيع الثاني قدوم ظا لم مثل هذا وقد كان ذلك يوم الأحد وهجومه على الوطن قيل له مثل هذه المقولة بعد مضرته للعباد وجناب الباري حضرته وحضرة سلطان الأنبياء صلى االله عليه وسلم همة وعناية (غير واضحة) الطلب سعيه عون عناية الربانية انهزام القائم المذكور وفراره بدل قراره ورجعوا على متن طريقهم وبالجملة الذي كان أخ وصار أخ ولم يقع منا ضرر إليهم لما أصبناهم وتلطفنا بهم إلى أن دخلوا لوطن هم ووصلناهم محلهم وهكذا إن شاء االله يفعل بالقائمان المزبوران من شأن ظلمهم وتعديهم وأنني أعلمت سعادتكم بفعلهم وفهمتكم بأمرهم وشأنهم (غير واضحة) إشعار وإفهام صاير باقي أمر وفرمان دولة وهمة سلطانهم (كذا).سنة ستة ومائتين وألف.

خالص فؤاد حسين ابن خليل في محروسة جزائر غرب حالا (كذا)

الملحق الحادي عشر:

قصيدة عبد الرحمان الجامعي الفاسي مهنئا الداي محمد بكداش[1].

لقد فتكت بالقلب فتك البواتر	عيون الّباء الآنسات الجآذر
وقدت بقد السّمهري حشاشتي	ففاضت عيوني بالّما ومحاجري
رعى الله ظبيا قد رعى حبّ مهجتي	ولم يرع في نجد عرارا وحاجر
ومازلت أرعاه ويحسب أنني	أخون له عهدا فيصبح هاجري
ويهر إحساني إليها إساءة	وبالعكس ما يبديه يبدو لناظري
بذا حكم الحسن البديع له ولي	وماحاكم الحسن البديع بجائر
وإنّي وإن أبذلت عذري في الهوى	فما عاذلي فيما أروم بعاذري
أيحسن عذل في ظباء عيونها	ظبي شرعت في فتك الأسود الخوادر
تهزّ قدودا دعوص كأنّها	بنود تثنت في جنود الجزائر
جهود بها الإسلام عزّ مناله	على كلّ جبّار عنيد منافر
حموا بالصّفاح البيض من كلّ عابث	حماه فلم يعبث بها كفّ فاجر
فكم كسروا ثغرا به كانت العدا	تبسم في وجه من الدين كاشر
فيا حاديي الأضغان حث براكب	يؤمّ حماهم رغبة في الدّخائر
وسر بي إلى ذلك الرّباط فإنّه	ذخيرة ساع للجهاد وزائر
وإنك مهما جئته جئت روضة	مؤرجة أرجاؤها بالأزاهر
ديار بني عثمان– حيث تألفت	ضباب ونور–مستقرّ للمسافر
بلاد برأس الغرب تاج مكلّل	وخلخال سوق الشّرق غير ضوامر
بدت بمنصّات الزّمان كأنّها	عروس تجلّت في أعالي المنابر
وقد قلّدت من بحرها بموشح	وصيغت لها الأمواج خلخال حاسر
ولاح بها باب الجزيرة مثلما	تبسّم ثغر في وجوه البشائر
كان مجاز البحر معصم غادة	تحلى سوارا واكتسى بجواهر

[1]–محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق،ص ص 187–192.

ولله أبراج بشواطىء بحرها تحاكي النجوم الزّهر في عين خازر
كأنّ الرّياض الخضر محدقة بها ذوائب أصداع الوجوه النّواضر
غصون وأنهار وتلك لهذه تحنّ فتحنو لاستلام الغزائر
فتبدو وقد حاك النّسيم برودها نصال رماح في زرود مشاجر
والله ما ضمّته من كلّ منر حلاوته ما مرّ تلفى بخاطر
فدعني من غرناطة وربوعها وشنيل فالحسن انتهى للجزائر
فما تفصل الحيراء بياضء غادة مقرطفة بالبدر ذات غدائر
ومن لربوع بالجمال وقد غدت كخطّ زبور في قديم الدّفاتر
وهذي ربوع حاطها بإحاطة مؤلّفة من ستره خير ساتر
وما ألف شنيل ككف " محمد " سليل "علي " ذي الأكف المواطر
جرى وجرى البحر المحيط فكان ذا أجاجا وما أجراه حلو العناصر
فلو خضبت كفّاه شيب جديبة من الأرض شبت بعد شيب الظّفائر
ولو قابل البدر لمنير بوجهه لما زال يحكي السّر عند السّرائر
ولو شاء إغناء الورى عن شموسها بشمس الحجى لم تفتقر للظهائر

الملحق الثاني عشر:

قصيدة أحمد الدلائي التي كتبها بمنفاه بتلمسان[1]

أريحا سِرْتُ بين الحَدَائِقِ وَالنَّهْرِ مُعنبرة الأَذْيَالِ مِن نَفْحَةِ الزَّهْرِ
وَبَانَتْ بَوَادِي الغَدْرِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا وَللصُّبْحِ غَارَاتٌ عَلىَ النَّجْمِ الزَّهْرِ
وَزَارَتْ رِيَاضُ الحُزْنِ وَالطَّلُّ قَدْ غَدَا يُقَلِّدُهَا عَقْدًا نَفِيسًا مِنَ الدُرِّ
وَمَرَّتْ عَلَى أَكْنَافِ دارين فانتنت تُفَاوِحُ عُرْفَ المِسْكِ وَالعَنْبَرِ الشَّحَرِ
إِذَا مِلْتَ نَحْوَ الغَرْبِ يَوْمًا فَبَلِّغِي تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إِلىَ ابْنِ عُمَرِ
خَلِيلَيَّ وَمَنْ صَافَيْتُهُ الوِدُّ فِي الهَوَى وَأَرْعَى لَهُ فِي السِّرِّ عَهْدِي وَفِي الجَهْرِ
وَأَهْتَاجُ شَوْقًا إِنْ سَرَى الرَّكْبُ نَحْوَهُم وَأَهْفُو كَمَا تَهْفُو الحَمَائِمُ للوَكْرِ
وَقُصِّي عَلَيْهِ مَا لقِيتُ مِنَ النَّوَى غَدَاةَ اسْتقلُّوا وَالرَّكَابُ بِهِمْ تَسْرِي
وَأنّي عَلَى العَهْدِ القَدِيمِ لَثَابِتٌ وَحَاشَى لِعَهْدِي أَنْ يَحُولَ إِلَى غَدْرِ
وَفَرْطُ اشْتِيَاقِي نَحْوَهُ وَتَذَكرِي لأَيَّامِنَا التِي غَدَتْ غُرَّةُ الدَّهْرِ
زَمَانُ الصِّبَا إِذ عَيشُنَا الغضُّ رَائِقُ يَرِفُّ رَفِيفَ الزَّهْرِ فِي عقب القطرِ
وَإِذْ نَحْنُ فِي ظِلٍّ مِنَ العزّ وَارِفُ وَغُصْنُ الصِّبَا يَهْتَزُّ فِي حُلَلٍ خُضر
وَقُولِي لَهُ لاَ تَنْسَ مَا كَان بَيْنَنَا فَحِفْظُ عُهُودِ الوِدِّ مِنْ شِيَمِ الحُرِّ
وَعَرِّجْ عَلىَ رَبْعِ الدِّلاَءِ وَحَيِّهِ تَحِيَّةَ مَشْبُوبِ الجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
يَمِينًا لَقَدْ خَلَّفْتُمُونِي بَعْدِكُمُ أَخًا وَلَهُ حيران فِي مُهِمَّة قَفْرِ
كَئِيبًا كَأنَّ الأَرْضَ حَلقَة خَاتَم عَلَيَّ وَمَنْ لِي بالتَّجَلّدِ والصَّبرِ
فَلوْ أبصَرَت عَينَاكَ مَا بي مِنَ الأَسَى وَمَا بِضَميرِ القَلْبِ مِنْ لَهَبِ الجَمْرِ
لَأَحْزَنَكُمْ حَالِي وَفَرْطُ تَشَوّقِي وَشِدّةُ مَا أَلقَاهُ مِنْ فَادِحِ الضُرِّ
يمثلك الفِكْرُ المُرَوِّعُ مِن النَّوى فَأَرْتَاحُ إِذ يَبدُو خَيَالُكَ فِي فِكُرْ
وَيُدْنِيكَ مِنِّي الوَهْمُ حَتَّى كَأنّنِي أُنَاجِيكَ مِنْ فَرْطِ التَّشَوُّفِ وَالذّكْر
(وَحقّكَ مَا دَارَ الجِدَارُ بِمَوْطِنِي) وَلَكِنَّ قَضَاء حمّ مِن مَالِك الأَمْرِ

[1]- محمد بن الطيب القادري:نشر المثاني،المصدر السابق،ج4،ص ص1649-1651.

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى ذَلِكَ الحِمَى | وَأَنْتُمْ بِأَفْلاَكِ السِّيَادَةِ كَالزَّهْرِ
وَهَلْ أَتْرُكَنَّ يَوْمًا تِلِمْسَانَ رَاحِلاً | عَلَيْهَا إِلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ وَالوَكْرِ
فَتُدرِكُ آمَالِي وَتُقْضَي (مآربي) | وَيَنْسَخُ حُكْمَ البُؤْسِ وَالعُسْرِ بِاليُسْرِ
عَلَى أَنَّنِي لَو سِرْتُ عَنْهَا لَأَصْبَحَتْ | نَوَازِعُ أَشْوَاقِي لَهَا دَائِمًا تَسرّ
ولم لاَ وُلّيَ فيهَا إمَامٌ مُعَظَّمٌ | أَبُو مَدْيَن قُطْبُ المَشَايِخِ
إِمَامٌ لَهُ فِي حَضْرَةِ القُدْسِ مَقْعَدٌ | يُنَزَّهُ عَنْ زَيْدٍ هُنَاكَ وَعَنْ عَمْرُو
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ يُكْرِمُونَ جَلِيسَهُم | ويُوَلُّونَهُ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ البِرِّ
وَخُذْهَا عَلَى مَا فِي الحَشا مِنْ كَآبَةٍ | حدِيقَةَ شِعْرٍ جَادَهَا صَيّبُ الفِكْرِ
مِنَ الأَنْدلِسِيات طَبْعا وَرِقّةً | تُحَاكِي اطِّرَادَ المَاءِ فِي صَفْحَةِ النَّهْرِ
مِنَ الكَلِمِ المَنْخُولِ بِالطّبْعِ لَفْظُهُ | يَرُوقُ كَمَا رَاقَتْكَ صَافِيَةُ التِّبْرِ
تَوَدُّ الغَوَانِي لَوْ ظَفَرْنَ بَدْرَهَا | لِيَجْعَلْنَهُ عِقْدًا عَلَى لَبّةِ النَّحْرِ
كَلاَمًا كَمَا نَمْنَمَتْ وَشْيًا مُفَوَّقًا | صَنِيعُ فَتى قَد فَاقَ فِي صَنْعَةِ الشِّعْرِ
تَمِيلُ ابن زَيدُون لَهَا طَرَبًا بِهَا | كَمَا مَالَ نشْوَانُ نَزِيفٌ مِنَ السّكْرِ
وَلَوْ رَاسَلَ الأحْبَابَ يَوْمًا بِشعْرِهَا | لَمَا ذَاقَ من وِلاَدَة مَضَضِ الهَجْرِ
وَيَهْوَى ابْنُ عَمار صِنَاعَةَ حَوْكِهَا | وَطبق مَعَانِيهَا لأَلفاظِهَا الغُرِّ
هَدِيَّةَ مَنْ قَدْ شَطَّ عَنْكُمْ مَزَارُهُ | تَجُوبُ إِلَيْكُم كُلُّ مُسْتَخْشِنٍ وَعْرِ
سَبَاسِبُ جُرْدٍ تَعْزِفُ الجِنُّ حَوْلَهَا | وَيَخْفُقُ فِيهَا القَلْبُ مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ
صَحَاصِحُ تَشْكُو الخَيْلَ مِنْ طُولِهَا الوَجَا | مَجَاهِلُ ضَلَّت فِي فَلاَهَا القَطَا الكَدِرُ
تَحِنُّ إِلَى مَأوَى السِّيَادَةِ وَالعُلَا | فَقَابَلَهَا مِنْ مَعْهُود برك بِالبَشرِ
وَحَيِي عَلَى بُعْدِ المَدَى بِتَحِيَّةٍ | مُعَطَّرَةِ الأَذيَالِ طَيّبَة النَّشْرِ
أَجِلَّة أَعْمَامِي وَأَهْلِي وَمَنْ لَهُ | انْتِمَاءٌ إِلَى غَوْثِ الوَرَى ابن أَبِي بكْرِ
وَقُلْ لَهُمْ إِنِّي عَلَى العَهْدِ ثَابِتٌ | مُقِيمٌ عَلَيْهِ مَا حَيِيتُ إِلَى الحَشْرِ
وَعُذْرًا فَإِنَّ البَيْنَ (حَيّرَ فِكْرَتِي) | وَللهِ أَشْكُو مَا تَضَمَّنّه صَدْرِي
فَلاَزِلْتُ فِي أَمْنٍ وَعِزٍ مُؤَبّدٍ | موقى مَدَى الحَيَاةِ مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ

الملحق الثالث عشر:

جدول يمثل قائمة علماء الجزائر والمغرب الأقصى[1]:

1- جدول يمثل قائمة علماء الجزائر :

اسم العالم	تاريخ وفاته	مكانته	أهم مؤلفاته
أبو عثمان سعيد قدورة	1066هـ/1655م	- مدرس ومفتي المالكية في الجامع الأعظم بالعاصمة.	-حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل -شرح خطبة مختصر خليل في الفقه-نوازل تلمسانية- شرح المنظومة الخزرجية في النحو- حاشية على شرح الصغرى للسنوسي-شرح على السلم المرونق في المنطق.
محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج المعروف "ابن علي" (جد ابن علي المفتي الشاعر)	1072هـ/1661م	شاعر ، و مفتي الحنفية.	- ديوان شعري.
عبد الكريم الفكون	1073هـ/1663م	عالم ، وفقيه وأديب، كان لأسرته مكانة مرموقة ، وقد تولى منصب أمير ركب الحجيج.	- محدد السنان في نحور إخوان الدخان - ديوان الفكون- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية -فتح المالك في شرح لامية ابن مالك.
عاشور بن عيسى القسنطيني	بعد 1074هـ/1664م	فقيه مالكي ورحالة، ثم استقر بتونس.	/
أحمد بن يوسف التنلاني	1078هـ/1667م	أسس زاوية سماها"رزق الله الواسع لعباده النافع " ، جلس للتدريس والإفتاء بها.	/
محمد بن علي المعروف بابن	1078هـ/1667م	شاعر وأديب.	- عقد الجمان اللامع في قعر. البحر الجامع في الحديث

[1]- من إعداد الطالبة بتصرف.

قوجيل			
أبو المهدي عيسى ابن محمد بن أحمد الثعالبي	1080هـ/1669م	محدث ومن كبار الفقهاء في الجزائر، ثم في الحرمين الشريفين.	كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع .
علي بن عبد الرحمان	1081هـ/1671م	العالم الفقيه قاضي المالكية.	/
إبراهيم بن تومي المرداسي البوني	1087هـ/1676م	ولي صالح وعالم من أساتذة أحمد بن قاسم البوني.	/
بركات الشريف	ت قبل سنة 1092هـ حسب كتاب المؤنس	– عالم ومؤرخ جزائري ، أرّخ لأحداث بداية الدخول العثماني للجزائر.	– كتاب عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني.
أبو عثمان سعيد المنداسي التلمساني	1088هـ/1677م	شاعر ، رحل إلى المغرب وقام بتدريس المولى إسماعيل.	قصيدة "العقيقة"– ديوان شعري.
أبو عبد الله محمد ابن محمد بن شقرون بن أحمد التلمساني	1087هـ/1677م	فقيه مالكي، محدث ، أصولي ومنطقي ، درّس بمدينة الجزائر.	/
قاسم بن محمد الساسي البوني	1088هـ/1677م	فقيه مالكي ، اشتهر بالعلم والصلاح والتصوف.	/
محمد بن عبد الله ابن يطو	1092هـ/1681م	من علماء مدينة الجزائر.	/
أحمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني المغراوي	1079هـ/1668م	فقيه ونحوي ، ولد بفاس وأصل أسرته من تلمسان، درّس بجامع القرويين.	/
محمد بن خليفة	1683/1094م	فقيه وأديب جزائري، أجاز ابن زاكور.	/
محمد الفراصدي	1096هـ/1684م	كان عالما فقيها.	/
أبو زكرياء يحي الشاوي النائلي الملياني	1096هـ/1685م	تولى التدريس بالجزائر، ثم اتجه نحو المشرق.	حاشية على شرح الألفية للمرادي– توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد

محمد بن عبد المومن	1101هـ/1690م	العالم الفقيه قاضي المالكية بالجزائر، أجاز ابن زاكور.	/
موسى بن علي اللاتي التلمساني	أواخر القرن 11هـ/17م	– متصوف وشاعر.	– قصيدة حزب العارفين باللغة العامية
محمد بن عبد الكريم الجزائري	1102هـ/1691م	– عالم وأديب وفقيه ، نزيل فاس.	/
أبو حفص عمر المانجلاتي	1104هـ/1693م	– فقيه وعالم جزائري، أجاز ابن زاكور	/
الشيخ سيدي عبد الرحمان المعروف بمعاذ التواتي	1104هـ/1693م	كان مشهوراً بالصلاح عند الكافة من أهل فاس	/
عبد الرحمان بن سعد بن محمد المصباحي اليلولي الزواوي	1105هـ/1694م	درّس بزاويته وعُرف بإتقانه للقراءات السبع والعشر.	/
بركات بن باديس	1107هـ/1695م	فقيه ونحوي وشاعر من تلامذة عبد الكريم الفكون.	مفتاح البشارة في فضائل الزيارة– التنقيح في التعريف ببعض أحوال رجال طالعة التصريح على التوضيح–المسائل السبعينية.
محمد بن سعيد قدورة	1107هـ/1695م	تولى الإفتاء للمذهب المالكي في الجامع الأعظم بالعاصمة.	/
يحي بن عبد الرحمان بن إبراهيم	1106هـ/1695م	من علماء مدينة الجزائر.	/
محمد بن الهادي	11108هـ/1697م	من علماء مدينة الجزائر	/
عمر بن عمر بن محمد بن عبد القادر التنلاني	1112هـ/1701م	– فقيه وعالم .	– أجوبة عمر التنلاني في الفقه المالكي.
أبو عبد الله محمد بن أحمد الكماد القسنطيني	1116هـ/1704م	عالم وفقيه رحل إلى المغرب ، وتولى التدريس بها.	– أجوبة–مقطوعات شعرية– كناش.
محمد بن محمد الساسي البوني	1118هـ/1706م	من مرابطي ومتصوفة مدينة بونة ، وكان له مكانة لدى باشا الجزائر .	– تبيين المسارب– زاد المسير إلى دار المصير– نظم مختصر خليل– أنس النفوس.

أحمد بن سعيد قدورة	1118هـ/1706م	تولى الإفتاء للمذهب المالكي في الجامع الكبير بالعاصمة .	/
علال بن سعيد قدورة	1118هـ/1706م	من كبار فقهاء المالكية، له اشتغال بالسياسة، من أهل مدينة الجزائر. تولى إفتاء المالكية بها. حكم عليه الداي محمد بكداش بالإعدام مع أخيه أحمد.	/
سيدي السعدي بن محمد	1119هـ/1707م	من علماء مدينة الجزائر.	/
علي بن أحمد بن محمد الفيرم الرقادي التواتي	1120هـ/1708م	من أعلام الزاوية الرقادية الكنتية ، فقيه ومفسر.	/
مصطفى بن رمضان العنابي البوني	1130هـ/1717م	باحث، فرضي، من كبار فقهاء الحنفية.	- أرجوزة في الفقه الحنفي - كتاب الروض البهيد بالنظر إلى أمور العزوبية والتزويج.
البكري بن عبد الكريم التواتي	1133هـ/1720م	عالم صوفي بالزاوية البكرية بتوات ، أسس زاوية في تقرت، وتولى التدريس بها ، ثم تولى القضاء .	- نظم في التوحيد- تقييد في الاقتصاد- ديوان شعر- شرح همزية الإمام البصيري.
محمد المصطفى	1136هـ/1723م	من علماء مدينة الجزائر.	/
محمد بن عبد الله الرماصي	1137هـ/1724م	العلامة الناقد من مستغانم .	- حاشيته على شرح التتائي لمختصر خليل- كفاية المريد في شرح عقيدة التوحيد-رسالة في العتاب بخصوص مسائل فقهية.
أحمد بن قاسم الساسي البوني	1139هـ /1726م	فقيه مالكي وعالم بالحديث ، كان مدرسا.	- الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة- فتح الباري في شرح غريب البخاري-فتح الإغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق- التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف.
محمد بن القاضي	1141هـ/1730م	من العلماء المحققين بمدينة الجزائر	/
عمر بن عبد القادر التنلاني	1152هـ/1739م	- تصدر التدريس بفاس ثم رجع لتوات .	- فهرسة - تقييدات على مختصر خليل.
عبدالرحمان الجنتوري التواتي	1160هـ/1747م	- نبغ في الفقه وأصول الفقه.	- نوازل الجنتوري.

محمد بن ميمون الجزائري	بعد 1159هـ/1764م	مؤرخ وأديب رافق عبد الرحمان الجامعي في الجزائر.	– التحفة المرضية في الدولة البكداشية.
محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني	بعد 1122هـ/1711م	عالم، فقيه، ناظم، له اشتغال بالتاريخ، من أهل تلمسان، ولي الإفتاء بها.	– أرجوزة في فتح مدينة وهران الأول والتي شرحها الجامعي.

2- جدول يمثل علماء المغرب:

اسم العالم	وفاته	مكانته العلمية	أهم مؤلفاته
أبو عبد الله محمد ابن أحمد ميارة الفاسي	1072هـ/1662م	فقيه مالكي من فاس، إمام وعلامة متبحر في العلوم.	–الدر الثمين والمورد المعين – فتح العليم الخلاق بشرح لامية الزقاق – الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام
أبو عبد محمد بن أحمد المرابط البوعقيلي السوسي	1076هـ/1665م	مؤرخ .	– طبقات بعض الأعلام
أبو زيد عبد الرحمان بن القاضي	1082هـ/1672م	العلامة ، المحدث ، شيخ القراء.	– رسم المكي في القرآن– الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع
محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي	1085هـ/1676م	عالم ومتصوف بزاويته في تمكروت.	فتاوى في الفقه، وفهرسة لشيوخه، وكتاب الأجوبة الناصرية، وسيف النصر لكل ذى بغي ومكر رجز، الممتع شرح المقنع في علم الفلك، غنيمة العبد المنيب في التوسل.
محمد بن محمد المرابط الدلائي	1089هـ/1678م	هو العالم الزاهد ، رأس المؤلفين في زمانه ،من أساتذة اليوسي.	–نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل – فتح اللطيف على البسط والتعريف.
أبو عبد الله محمد ابن سعيد المرغيثي السوسي	1089هـ/1678م	أديب ،متخصص في علم الميقات، والطب ، واستكتبه بعض امراء الدولة السعدية.	الممتع في شرح المقنع – المطلع على مسالك المقنع – مختصر
أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي	1091هـ/1679م	العلامة الفقيه والرّحالة الأديب والمحقق.	رحلته ماء الموائد، إتحاف الأخلاء
عبد القادر بن علي ابن يوسف الفاسي	1680/1091م	محدث، فقيه، وأديب، لَقِّب بالحافظ، جلس للتدريس بزاوية القلقيين، كان	–الأجوبة الصغرى – والنوازل الكبرى–عقيدة أهل الإيمان.

		ناسخا للكتب.	
محمد بن سليمان الروداني	1094هـ/1683م	برع في جميع العلوم الدينية والدنيوية ، فهو محدث وعالم رياضيات وفلكي.	- مختصر التحرير في أصول الحنفية -صلة الخلف بموصول السلف -حاشية على التوضيح مختصر تلخيص المفتاح للقزويني -جدول في العروض.
الحاج محمد بن تميم	1094هـ/1683م	سفير مغربي وباشا تطوان ثم سلا ، ترأس بعثة دبلوماسية إلى لويس 14سنة 1681م.	رحلته "كتاب العجائب" إلا أنها ضاعت.
أحمد بن سعيد المجيلدي	1094هـ/1683م	- قاض من فقهاء المالكية بمكناس.	"أم الحواشي" شرح مختصر خليل، التيسير في أحكام التسعير - الاعلام بما في المعيار من فتاوى الاعلام .
عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي	1097هـ/1685م	أديب وفقيه ، برع في الطب .	العجب في علم الأدب- تأليف في صناعة الشعر -الجرومية في التغزل- بائية في مدح صلحاء فاس.
أبوعبد الله محمد بن الحسن المغراوي الفاسي المجاصي	1103هـ/1691م	مقرئ ومفتي وقاض بفاس ومكناس.	- النوازل في الفقه- نظم في أشراف المغرب- تقييد في طائفة العكاكزة.
أحمد بن العربي السلمي المرداسي	1109هـ/1697م	تولى كرسي الحديث وقضاء فاس.	/
أبوعبد الله محمد المهدي الفاسي	1109هـ/1698م	عالم ومدرس وصوفي ، برع في عدة علوم كالفقه ،التفسير ،الحديث والتاريخ.	- ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع - سمط الجوهر الفاخر في سيرة سيد الأول والآخر.
عبد السلام بن الطيب القادري	1110هـ/1698م	شيخ المشايخ وإمام الأئمة ، عرف بعلمه الغزير وورعه وزهده.	- تنبيه المعرضين عن آيات السماوات والأرضين - معونة الإخوان بمعرفة أركان الإيمان والإسلام والإحسان
محمد بن عيشون الشراط الفاسي	1109هـ/1698م	فقيه ومتصوف.	- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس
محمد بن أحمد الرافعي التطواني	1110هـ/1699م	فقيه متأدب .	رحلته: معارج المرقية في الرحلة المشرقية -غرر المقاصد.

محمد الطيب بن عبد القادر الفاسي	1113هـ/1701م	عالم ، ومصلح شارك في سفارة للجزائر سنة 1692م بعد موقعة واد المشارع.	– مفتاح الوصول إلى علم الأصول للشيخ عبد القادر الفاسي– مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر.
عبد المالك بن محمد التجموعتي	1118هـ/1706م	عالم ، محدث وخطيب ، تولى قضاء سجلماسة.	قصيدة في مدح طنجة – خلع الأطمار السوسية – شرح رائية ابن ناصر– ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب.
محمد بن عبد الوهاب الغساني	1119هـ/1707م	– كاتب ووزير وسفير منها سفارة إلى الجزائر واسبانيا.	– رحلة الوزير في افتكاك الأسير
محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور	1120هـ/1708م	أديب وشاعر فاس.	نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان–عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام
عبد السلام بن أحمد بن حمدون جسوس	1121هـ/1709م	علامة ومحدث صوفي وفقيه بجامع القرويين ، عارض قضية جيش عبيد البخاري.	– أدعية نبوية– قصائد.
علي بن عيسى بن علي الحسني العَلمي	ق12هـ	– فقيه وعلامة.	– نوازل العلمي .
أحمد بن عبد القادر التستاوتي	1127هـ/1715م	عالم وأديب وصوفي وولي صالح.	– نزهة الناظر.
أبو العباس أحمد الهشتوكي	1128هـ/1715م	عالم وفقيه.	قرى العجلان في إجازة بعض الأحبة والإخوان–اللؤلؤ والمرجان في تحريم الدخان– شمس البيان في تَحريم الدخان–
أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي	1129هـ/1716م	عارف بالتفسير،والفقه،واللغة، والتاريخ، والتوقيت،صوفي .	– الرحلة الناصرية الكبرى– فهرسة–أجوبة فقهية–
أبو العباس أحمد بن عطية السلاوي	1129هـ/1716م	الفقيه ، الصوفي والولي الصالح .	سلسلة الأنوار في ذكر طريق السادات الصوفية الأخيار

أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي	1128هـ/1717م	درس بالزاوية الدلائية،شغل منصب أستاذ كرسي بمكناس.	مباحث الأنوار في مناقب بعض الأخيار
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي	1131هـ/1718م	ترعرع بالزاوية الفاسية ، ونهل مختلف العلوم.	الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر
أبو زيد عبد الرحمان الجامعي	كان حيا سنة 1725/1137م	أديب ومؤلف.	الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسنية.
محمد العربي بن أحمد بن بردلة	1133هـ/1720م	تولى القضاء والفتوى والحسبة بفاس .	تقييد في صلحاء مدينة فاس
أبو العباس أحمد القادري الفاسي	1133هـ/1720م	درس بالزاوية الدلائية، برع في الشعر،ساهم في ربط الصلات بين المغرب والمشرق.	– رحلة نسمة الآس
أبو العباس أحمد بن سليمان الرسموكي	1133هـ/1720م	اشتهر بالعلم والصلاح ، فهو فقيه ، عالم بالفرائض.	– حلية الجواهر المكنونة في صدق الفرائض المسنونة – إيضاح الأسرار المصونة
محمد بن عبد الرحمان الفاسي العروف بالصغير	1134هـ/1722م	الفقيه، العالم، الصوفي، و المؤرخ.	–المنح البادية في الأسانيد العالية– الكوكب الزاهر في سير المسافر.
محمد بن الطيب العلمي	1134هـ/1722م	عالم وأديب،درس بجامع القرويين مختلفة العلوم.	–الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب – القصائد المعشرة في التشوق إلى البقاع المطهرة– رسالة معرفة الأنغام الثمانية.
محمد الطيب بن أحمد المسناوي الدلائي	1136هـ/1723م	تولى التدريس والإمامة والخطابة بالمدرسة العنانية.	– القول الكاشف في صحة الاستنابة في الوظائف –صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذم– نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاة الفرض
ادريس بن منجرة الفاسي	1137هـ/1724	تولى التدريس ، نبغ في علم القراءات.	– عذب الموارد في رفع الأسانيد.
أبو العباس أحمد بن أبي عسرية	1137هـ/1724م	مؤلف وأديب .	– رحلة ذكرها صاحب كتاب "نشر المثاني" ، لكنها ضاعت.
أبو إسحاق إبراهيم ابن علي الدرعي	1725/1138م	اشتغل بالتدريس بالزاوية الناصرية بتمكروت.	– الشموس المشرقية بأسانيد المغاربة والمشارقة

محمد بن العياشي	1139هـ/1727م	فقيه ، وقاضي مكناس في عهد المولى إسماعيل.	/
الحسن بن رحال المعدني	1140هـ/1727م	كان يدرس علم الحديث، والتفسير، والفقه، واللغة بالمدرسة المتوكلية، وكان مفتيا.	- الارتفاق في مسائل الاستحقاق - كشف القناع عن تضمين الصناع.
أبو عبد الله محمد بن محمد الدلائي	1141هـ/1729م	مؤرخ وخطيب وفقيه.	درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان- أرجوزة في أنساب الأشراف.
محمد بن عبد القادرالإسحاقي	1737/1150م	عالم وأديب ، شغل منصب وزير لدى المولى عبد الله بن المولى إسماعيل.	رحلته :وهي رحلة إلى الحج رفقة خناثة زوجة المولى إسماعيل.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والمدن
- فهرس القبائل والجماعات

فهرس الأعلام:

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

فهرس الأماكن والمدن

فهرس الجماعات والقبائل

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.**
- **المصادر المخطوطة:**

- الجامعي عبد الرحمان:**شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران**،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:2521.
- ابن رقية محمد بن محمد بن عبد الرحمان التلمساني: **الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية ،الجزائر.
- الزياني أبو القاسم : **الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية** ، مخطوط ، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء ، د ت .
- الفكون عبد الكريم بن محمد : **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**، مخطوط بالمكتبة الملكية، الرباط، رقم:6929.
- القادري أحمد بن عبد القادر: **رحلة نسمة الآس**، مخطوط الخزانة الحسينية،المغرب،رقم 8787.
- الكركودي محمد بن عبد القادر الكلالي: **مخطوطة الدّر المنضد الفاخر بما لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**، مخطوط،مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء ، د ت .
- ابن الناصر بن أحمد الدرعي:**الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية**،مخطوط الخزانة الحسينية ، رقم 1232 ، نسخ في موقع جامعة الملك آل سعود.
-الهشتوكي أبو العباس أحمد: **هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام** ، مخطوط رقم : ق190،الخزانة العامة، الرباط ، المغرب.
- اليوسي الحسن بن مسعود:**رحلة اليوسي**، مخطوط الخزانة الحسينية ، الرقم:2343.

- المصادر العربية:

- الإفراني محمد الصغير: **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف** ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2،المطبعة الملكية ،الرباط، 1995.
-////: **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي،ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب،2004.
-////: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تح: عبد اللطيف الشاذلي،ط1،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب، 1998.
- اكنسوس المراكشي محمد: **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، تح: أحمد بن يوسف الكنسوسي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش ، 1994،جزءان.
- البرتلي الولاتي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** ، تح : محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت ، لبنان، 1981،
- البوني أحمد بن قاسم: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة** ،تح: سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007.

- التمكروتي أبو الحسن بن علي بن محمد: **النفحة المسكية في السفارة التركية** ، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب، 2002.
- التمنارتي أبو زيد عبد الرحمان: **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تح: اليزيد الراضي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971.
- توزينت أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني: **تقييد على قراءة الامام نافع من رواية قالون وورش** ، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ط1، دار بن حزم، بيروت، 2009.
- الجامعي عبد الرحمان: **فتح مدينة وهران**،تح:مختار حساني،مخبر المخطوطات ،الجزائر ، 2000.
- الجزولي محمد بن سليمان:**دلائل الخيرات في ذكر الصلاة على النبي المختار**،دار الكتب العلمية، لبنان ، 2017.
- الحضيكي محمد بن أحمد: **طبقات الحضيكي**، تح: أحمد بومزكو، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2006، ج 1.
- ابن حمادوش عبد الرزاق: **لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال** ، تح: أبو القاسم سعد الله ،ط1، م و ك ، الجزائر،1983.
- الحوات سليمان: **السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر**، تح:حسن بلحبيب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2017.
- ابن حوقل أبو القاسم: **صورة الأرض** ، ط2، دار صادر، بيروت ،1938 ، 2ج.
- بوعمار أحمد: **أشعار جزائرية** ، تح:أبو القاسم سعد الله، ط1، م و ك ، 1988.
- خوجة حسين: **ذيل بشائر أهل الايمان في فتوحات آل عثمان** ، تحقيق: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975.
- حمدان بن عثمان حمدان خوجة:**المرآة**، تع وتح: محمد العربي الزبيري، م وك، الجزائر، 1975.
- الدرعي حسين: **فهرس بن الناصر الدرعي**، تح: أحمد السعيدي، دار الكتب ، بيروت،2005.
- الدينار محمد بن أبي القاسم القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح: محمد شمام ، ط3، دار المسير، بيروت، 1993.
- الراشدي بن سحنون أحمد: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي، وزارة المجاهدين،الجزائر، 2002.
- الرُّوداني محمد :**صلة الخلف بموصول السلف**، تح:محمد حجي،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1988
- الريفي عبد الكريم: **زهر الأكم**،تح: آسيا بنعدادة ،ط1، مطبعة المعارف ،المغرب، 1992.
- ابن زاكور محمد : **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائروتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011.

- ///////:**عنوان النفاسة في شرح الحماسة** ،تح: محمد جمالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ج 3.
- الزهار أحمد شريف: **مذكرات،** تح: أحمد توفيق المدني ، ط1، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1972.
- الزواوي أبو يعلى: **تاريخ الزواوة** ، مراجعة: سهيل الخالدي،ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005 .
- الزياني أبو القاسم : **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان** ،تح: محمد بيضون ، بيروت ، 2003.
-//////// : **الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي،** المطبعة الجمهورية ، باريس، 1886.
- //////: **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف،** دراسة وتحقيق: رشيد الزاوية، ط1، مركز الدراسات والبحوث العلوية ، الريصاني، 1992.
- //////: **الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب** ،مطبعة الجمهورية، باريس، 1886.
- السنوسي محمد بن يوسف: **أم البراهين للامام عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ويليها شرح أم البراهين لتلميذ السنوسي أبي عبد الله محمد بن عمر الملالي التلمساني،** تح: خالد الزهري، دار الكتب العلمية، لبنان،2017.
- ابن سودة عبد السلام: **دليل مؤرخ المغرب الأقصى،**ط1، المطبعة الحسينية، المغرب، 1950.
- الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي:**تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**،تح: أحمد العماري، ط1، دار المأثورات، الرباط، 1986.
- الطوير الجنة الحاجي الواداني الطالب أحمد المصطفى : **رحلة المنى والمنة،** تح: حماه الله ولد السالم ، ط1، دار الكتب العلمية،2013.
-ابن عبد القادر محمد : **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،** دار اليقظة العربية، بيروت، 1964.
- العربي أبو حامد محمد: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن** ، تح: الشريف محمد حمزة بن علي الكتّاني ، منشورات رابطة أبي المحاسن،المغرب، دت.
- ابن عسكر محمد: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،** تح: محمد حجي،ط2، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1977.
- ابن علي المرادي محمد خليل : **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** ، المجلد2،دار ابن حزم، بيروت، 1997.
- العياشي أبي سالم عبد الله : **إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، تحقيق: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996.
-////: **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية "ماء الموائد"**، تح:أحمد فريد المزيردي، ط2، دار الكتب العلمية ،2011،ج2.

-//////: **الرحلة العياشية 1661-1663**،تح: سعيد الفاضلي،سليمان القرشي،ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، 2006.
- //////: **إتحاف الإخلاء بإجازة المشايخ الأجلاء**،تح:محمد الزاهي،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- العياشي محمد : **تأسيس الجيش المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل أو جنى الأزهار ونور الإبهار من روض الدواوين المعطار**،تح: عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف، الرباط،2008.
- الغساني الأندلسي محمد:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير(1690م/1691م)** ،تح: نوري الجراح،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبوظبي، 2002.
- الفاسي أبي زيد عبد الرحمن : **الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات** ، تحقيق: هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الكتب العلمية، لبنان،2010.
- الفاسي عبد القادر ،أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، وبناني أحمد بن محمد بن عبد السلام: **ثلاث فهارس** ، تصحيح وتعليق: عبد الرحمان سعيدي، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2004.
- الفاسي عبد القادر: **فهرسة عبد القادر الفاسي وتسمى بالاجازة الكبرى، ومعها إجازة عبد القادر الفاسي لأبي سالم العياشي ، وتسمى بالاجازة الصغرى،** تحقيق: محمد بن عزوز، ط1، دار بن حزم ، لبنان، 2003.
- الفاسي عبد الله بن محمد: **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر** ، تقديم وتحقيق: فاطمة نافع ، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2008.
-//////:**الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**،تح:فاطمة نافع،ط1،دار بن حزم،لبنان، 2008.
-الفشتالي عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**،تح: عبد الكريم كريم،الرباط،1972.
- الفضيلي مولاي إدريس : **الدرر البهية والجواهر النبوية** ،تح: أحمد بن المهدي العلوي ، مصطفى بن أحمد العلوي ، ط1، مطبوعات وزارة الأوقاف، مطبعة فضالة، الرباط،1999.
- الفكون عبد الكريم : **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** ، تح: أبو القاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- الفوتي عمر بن سعيد: **سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الشيخ عمر الفوتي وأحمد بن أحمد الماسني،** تح: الهادي المبروك الدالي،مطير سعد، ط1، دار حميثرا، القاهرة،2017.
- القادري بن الطيب محمد: **التقاط الدرر،ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تح:هاشم العلوي القاسمي، ط1، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1982.
- //////:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**،تح :محمد حجي وأحمد توفيق،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1996 ،4أجزاء.

- ابن القاضي أحمد: **درة الحجال في أسماء الرجال**،تح :محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث، القاهرة، 1970.
- القندوسي محمد بن القاسم: **رسالة أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى** ،تح: عبد الله حمادي الإدريسي، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- الكتاني محمد بن جعفر: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ، تحقيق : محمد حمزة بن علي الكتاني ، ط1،دار الثقافة،المغرب، 2004 ، جزءان.
- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، إعتناء: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982،جزءان.
-المحبي محمد أمين: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، بيروت ،دت ، ج3.
- ابن أبي محلى أحمد: **بن أبي محلى الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الخريت**،تح: عبد المجيد قدوري، منشورات عكاظ، المغرب، 1991.
- المدغري العلوي أحمد: **الأنوار الحسينية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي،ط1،منشورات وزارة الأنباء، مطبعة فضالة،المغرب، 1966.
- المزاري الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 م ،تح: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ، جزءان.
-المشرفي عبد القادر:**بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**، تح: محمد بن عبد الكريم، بدون دار نشر، د.ت.
- المشرفي محمد: **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية** ، دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة،ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دار أبي الرقراق ، الرباط، 2005، جزءان.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم : **مصباح الأرواح**، تح:بونار رابح، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1986.
- المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع واعتناء: فارس كعوان ، ط1، بيت الحكمة ، الجزائر، 2009،
- المقري أحمد : **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمد بن معمر،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2004.
- //////: **روضة الآس العاطرة في الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس** ،ط2، المطبعة الملكية، الرباط ، المغرب، 1983.
-///////:**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تح: إحسان عباس،دار صادر، بيروت، 1988، 6 أجزاء.
- مقديش محمود: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**،تح:علي الزواري ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان ،1988،جزءان.

- ملين محمد نبيل: **السلطان الشريف الجدور الدينية والسياسية للدولة المغربية في المغرب،** دط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي ،الدار البيضاء، المغرب،2013.
- المنجور أحمد : **فهرست أحمد المنجور**،تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب ، المغرب، 1976.
- المنداسي سعيد:**الديوان** ، تحقيق:رابح بونار،دط ،ش و ط ت، الجزائر، 1976.
-مؤلف مجهول: **سيرةالمجاهد خير الدين بربروس**،تح: عبد الله حمادي،دارالقصبة،الجزائر،2009.
- ابن ميمون محمد: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،** تح: محمد بن عبد الكريم، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر، 2007.
- الناصري أبو راس: **عجائب الاسفار ولطائف الأخبار**، تح: محمد غالم ،المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ،وهران، الجزائر، 2005.
- //////: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،** تح: محمد بن عبد الكريم، م وك ، الجزائر، 1990.
- الناصري جعفر بن أحمد: **سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،** تح: الناصري أحمد بن جعفر ، مطبعة المعارف الجديدة ،المغرب، 2006، 6أجزاء.
- الهبطي الكبير محمد : **رسائل التوحيد** ،تح: خالد زهري،دار الكتب العلمية ،بيروت، 2002.
- الوزاني أبوعيسى سيدي المهدي : **النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية،** تح: محمد السيد عثمان،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان،2014، 4أجزاء.
- يوسف محمد العربي الفاسي: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن،** تح :محمد حمزة بن علي الكتاني،ط8، مركز التراث الثقافي لمغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط8، 2001.
- اليوسي أبو علي الحسن: **فهرسة اليوسي،** تح: زكريا الخثيري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.
-//////: **حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي،** المسماة، عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد،تح: حميد حماني اليوسي، ط1، مطبعة دار الفرقان،المغرب، 2008، 2ج.
-الدرعي أحمد بن محمد بن ناصر: **الرحلة الناصرية،** تح: عبد الحفيظ الملوكي،ط1، ج1، دار السويدي ، الامارات العربية المتحدة، 2011.
-الزياني يوسف محمد: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**،تح: المهدي بوعبدلي، الجزائر، ش.و.ن. ت، الجزائر، 1979.
-المازوني أبو عمران موسى بن عيسى: **مناقب صلحاء الشلف** ،ط1، تح: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2019.
-المقدسي موفق الدين: **المغني**،تح:عبد الله التركي، دار الكتاب العربي، لبنان،1972، 15ج.

- المصادر المعرّبة:

- سبنسر وليام:**الجزائر في عهد رياس البحر**،تع: عبد القادر زبادية،دار القصبة،الجزائر، 2007.
-شالر وليم: **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر**،تع: إسماعيل العربي، ش و ن ، الجزائر، 1982.

-كاربخال مارمول: **إفريقيا**، تع: محمد حجّي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرّباط،1988، 2ج.
- مويط: **رحلة الأسير مويط**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، المغرب ،1989.
- ويلسن ستيفن جيمس: **الأسرى الأمريكان في الجزائر1796/1795**، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
-كاثكارت:**مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**،تر:إسماعيل العربي،د م ج، الجزائر، 1982.

المراجع العربية:

- أرتموت : **تاريخ إفريقيا العام** ،ط2،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،10،1990ج
- أحمد رمضان: **الرحلة والرحالة المسلمون** ، دار البيان العربي ، جدة ، السعودية،1985.
- أعراب سعيد: **القراء والقراءات بالمغرب**،ط1، دار الغرب الاسلامي،لبنان، 1990.
- أكنوش عبد اللطيف : **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، 1980.
- الأخضر محمد: **الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075-1311ه / 1664 -1894م)** ،ط1، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1977.
- الأرقش دلندة وآخرون:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،مركز النشر الجامعي، ميدياكوم،المغرب، 2003.
- الأزمي أحمد : **العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد المولى إسماعيل 1672-1727**، منشورات مابعد الحداثة، المغرب ، 2007.
- أميلي حسن : **البحرية العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 16و17م ، العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة**، تنسيق: عبد الرحمان المودّن ،عبد الرحيم بنحادة،ط1، منشورات كلية الآداب ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2003.
- /////: **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17و18م**،ط1،دار أبي الرقراق، المغرب ، 2011.
- //////:**الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق**،ط1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء ،1997.
- أمين محمد: **الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م) (اسهام في دراسة التوسع الاستعماري)** ، ط1،مطبعة انفو برانت ،فاس ،د.ت.
- أوجرتني محمد: **الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830**، دار الأيام ، الأردن، 2017 .
- باتيست وولف جون: **الجزائر وأوربا** ،ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005.

- بالحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط1، ش و ن ت، الجزائر، 1981.

-///////: **أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي**،منشورات المجلس العلمي للإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، الجزائر، 2003.

- بحث مقدم من طرف مركز زايد : **إتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية** ، الامارات العربية المتحدة ، 2001.

- برحاب عكاشة:**شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873-1907**، ط1، منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب، 1989.

- بشتاوي عادل سعيد: **الأندلسيون المواركة** ، ط1، مطابع أنترناسيول،القاهرة ، 1983.

- بلعالم محمد باي: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات ومايربط توات من الجهات**، د ط ، دار هومة ، الجزائر، 2005،جزءان.

-بلغيث محمد الأمين : **الرّبط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، ط1،القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- بلغيثي آسية الهاشمي: **المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة**،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب، 1996،جزءان.

- بن حادة عبد الرحيم: **المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**،ط1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998.

- بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2006،جزءان.

-//////: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في 10ه/16م**، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2008،جزءان.

-///////: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 12ه/18م** ،ط1، دار الأمل، الجزائر، 2017.

- بن عاشور محمد الطاهر:**أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1985.

- بن عزوز محمد : **كرسي الحديث بظهر حصة العين بجامع القرويين بمدينة فاس** ، ط1، دار بن حزم ، بيروت، 2003.

-بن منصور عبد الوهاب: **أعلام المغرب العربي**،ط1، المطبعة الملكية،الرباط،1979 ،6 أجزاء.

- بن يونس عبد العال محمد: **في النثر العربي**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

- بنعبد الله عبد العزيز:**الرحلات من المغرب وإليه** ، ط1،دار نشر المعرفة، المغرب،2001.

-////// : **معلمة التصوف الاسلامي التصوف المغربي من خلال رجالاته**،ط1،دار نشر المعرفة ، الرباط ، 2001، 3أجزاء.
- بنعبدالله محمد:**الوقف في الفكر الاسلامي**،وزارة الأوقاف والشون الدينية المغرب،1996، 3أجزاء .
- بنيرد حاج: **قضايا التأليف عند المغاربة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين /الرابع عشر والثامن عشر الميلاديين،** عاليان جالودي: التحولات الفكريةفي العالم الاسلامي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،الأردن،2014.
- بوركبة السعيد : **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية،** منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، 1996، جزءان
- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر،** ط2، د م ج ،الجزائر، 2،2009أجزاء.
- //////: **مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري،** طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.
- بوكاري أحمد : **الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد** ، ط1، مطبعة النجاح ، المغرب، 1985 .
- بوكراع محفوظ بن ساعد : **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر،** تقديم : أبو بكر بلقاسم الجلفاوي، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2016.
- بومهلة تواتي : **الجزائر"الثغر الأبيض"**،مراجعة: أحسن بومالي،ط1، دار المعرفة،الجزائر،2010.
- بيهم محمد جميل:**فلسفة التاريخ العثماني- أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها،** مكتبة صادر للنشر، بيروت، ببنان، 1954.
- بيومي محمد علي فهيم: **المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي،** ط1، دار القاهرة، مصر، 2006.
- التازي عبد الهادي :**جامع القرويين،** ط2، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2000.
-///////: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب** ، مطبعة فضالة، المغرب، 1988 ، 9 أجزاء.
-//////:**الرموز السرية في المراسلات المغربيةعبرالتاريخ**،مطبعةالمعارف الجديدة،الرباط، 1983.
-/////: **الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب**،ط1،دار المعرفة، المغرب،2001، أجزاء3.
-////: **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة** ، دط،مؤسسة الفرقان ،السعودية، 2005.
- الترغي عبد الله المرابط: **فهارس علماء المغرب من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية،** ط1، منشورات كلية الآداب، تطوان، 1999.
- التلمساني عبد الحميد حميدو: **السعادة الأبدية لأبي مدين شعيب فخر الديار التلمسانية ،** المطبعة الجديدة ، فاس، 1935.
- التليدي عبد الله: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب،**ط4،دار الأمان، الرباط ، 2003.

- التمسماني محمد بن محمد المهدي: **الإمام مولاي عبد السلام بن مشيش** ، سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2016
- التميمي عبد الجليل: **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين** ، ط1، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1989.
- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة: **معلمة المغرب**،ط1، مطابع سلا، المغرب،1989 ،27 مجلد.
- الجالودي عاليان: فقيقي محمد الكبير:**العلاقات الثقافية بين مصر وبلدان المغرب من خلال رحلات المغاربة في القرنين السابق عشر والثامن عشرالميلاديين،التحولات الفكرية في العالم الإسلامي** ،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن ،2014.
- جلال يحي: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب** ،ط1،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،1983.
- الجمل شوقي عطاالله : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،1977.
- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام** ،ط6 ، د م ج ، الجزائر، 1994، 3 أجزاء.
-حجي محمد:موسوعة أعلام المغرب ،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ، لبنان، 8،1996 أجزاء.
-/////:**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،المطبعة الوطنية،المغرب،1964.
-/////:**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ط1،دار المغرب ،المغرب، 1976، جزءان.
-/////: **متنوعات محمد حجي**،ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1998.
- الحسين أحمد ريوش: **وقف الكتب وازدهار الحركة العلمية خزانة جامع القرويين أنموذجا**، ط1، دار الأكاديميون، الأردن ، 2016.
- حبشي عبد الله محمد: **جامع الشروح والحواشي**، ط2، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي ، 2004، 3أجزاء.
- حركات إبراهيم: **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،1985.
-///// : **المغرب عبر التاريخ** ، ط1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، المغرب، 1978، 3أجزاء.
- حفناوي بعلي : **الرحلات الحجازية المغاربية: المغاربة الأعلام في البلد الحرام**:دراسة نقدية ، ط1،دار اليازوري العلمية للنشر،الأردن ، 2018.
- حليم ابراهيم بك:**التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية** ،ط1،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،مصر،2004.
- حمادي عبد الله: **قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس سجلماسة ووريثتها تافيلالت**، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2016.

- حماش خليفة: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن** ، ط1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر،جزءان.
- /////: **أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية** ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1997.
- حمود خضر موسى محمد:**أدب الرحلات وأشهر أعلامه العرب ونتاجهم** ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011.
- حموش مصطفى وبلقاضي بدر الدين: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير دوفولكس** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 2007.
- حميتو عبد الهادي: **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري** ، منشورات وزارة الأوقاف ،المغرب،2003.
- حميش عبد الحق ، بوكراع محفوظ : **موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات**،طبعة خاصة ، دار زمورة ، 2011.
- خالدي أحمد: **المدن والآثار الإسلامية في العالم** ،ط1، دار المعتز، سوريا ، 2010.
- خدوسي رابح: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ط1،منشورات الحضارة،الجزائر،2012.
-خرازي بديعة: **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الاقصى**،ط1،مط المعارف الجديدة، الرباط،2000.
- خشيم علي فهمي: **أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة** ، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت ،2002.
-خطيب عزيز، زروق الحسين: **معجم البلاغيين والعروضيين بالمغرب الأقصى**،ط1، دار الأمان، الرباط ، 2019.
- خطيب عزيز وآخرون: **علماء فاس في اللغة والنحو**،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان ، 2019.
- خلاصي علي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**،ط1، دار الحضارة،الجزائر، 2007.
- خياطي مصطفى: **الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**،منشوراتANEP ، الجزائر، 2013.
-الخيون رشيد : النصيرية العلوية بسورية ،ط1، دار مدارك للنشر،سوريا، 2012.
- داود محمد : **مختصر تاريخ تطوان** ،ط2،مط المهدية،تطوان ،المغرب،1995.
-داهش محمد علي: **الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف** ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2010.
- دراج محمد : **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543**، ط3، شركة الأصالة للنشر، الجزائر،2015.
- الذهبي نفيسة: **الزاوية الفاسية: التطور والأدوار حتى نهاية العصر العلوي الأول**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001.

- رزوق محمد : **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17م**،ط1،افريقيا الشرق، بيروت،1998.
- ///// : **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1، دار إفريقيا الشرق ، المغرب، 1991.
- زبيب نجيب :**الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ط1،دار الأمير للثقافة والعلوم،لبنان، 1995.
- الزبيري محمد العربي: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**،ط1،المؤسسة الجزائري للطباعة، الجزائر، 1975.
- ابن زيدان عبد الرحمان العلوي: **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية ،الرباط، 1973.
-///////: **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تقديم وتح: عبد اللطيف الشاذلي،ط1،المطبعة الملكية، الرباط ، المغرب، 1420هـ/1999م.
-///////: **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،تح:عبد الهادي التازي، ط1،مطبعة إديال،الدار البيضاء ،1993.
- الساحي أحمد: **أعلام من زواوة إيقودان**،ط1،طباعة الثورة الإفريقية،الجزائر،(د.ت).
- السامرائي عبد السلام محمود:**الإدارة العثمانية في الجزائر1518-1830**، ط1، صفحات للدارسة والنشر والتوزيع ، سورية، 2017.
- السبتي عبد الأحد: **بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ماقبل الاستعمار** ، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009.
- السجلماسي أحمد بن مبارك: **رسالة التوابث المذكور في فضل قراءة القرآن** ، تحقيق: محمد بن عبد الله دامي، ط1، دار بن حزم، المغرب، 2014.
-سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**،ط.خ،دار البصائر،الجزائر، 2007، 10أجزاء.
-////// : **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون** ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986.
-////: **رائد التجديد الاسلامي محمد بن العنابي**،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2009.
- سعود عبد العزيز :**تطوان في القرن الثامن عشر،السلطة المجتمع الدين** ، ط1، منشورات جمعية تطاون أسمير، المغرب ، 2007.
- سعيدوني ناصر الدين : **ورقات جزائرية** ، ط2، دار البصائر ، الجزائر، 2012.
- ////، البوعبدلي المهدي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني** ،م .و .ك ، 4أجزاء.
- سعيدوني ناصر الدين: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، ط2، م و ك الجزائر،1984.
-/////: **تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ،د. ط، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
-/////: **دراسات أندلسية** ، ط2، دار البصائر، الجزائر،2013.

- /////: **دراسات في الملكية والوقف والجباية**، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2001.
-/////: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- السكويت فهد بن محمد:**سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر**،أسبابها ونتائجها، مط الجمعية التاريخية السعودية ،الرياض،2004.
- السكيوي بوشتى: **ظاهرة الشروح الأدبية بالمغرب في العصر العلوي الأول بين جهود الإحياء الثقافي والتأصيل المعرفي**،ط1، المغرب، 2015.
-السليماني أحمد: **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**،ط1،مط دحلب، الجزائر،1994.
- السوسي محمد مختار: **مدارس سوس العتيقة ويليه رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس هجري إلى الرابع عشر**، دار الكتب العلمية، لبنان،2015.
- السوسي محمد مختار: **إيليغ قديما وحديثا**،ط1، الطبعة الملكية ، الرباط ، 1966.
- سيد محمد : **العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين** ، ط1 ، دار القاهرة ، مصر ،2008.
- سيد محمود: تاريخ **دول المغرب العربي** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2000.
- شارف رقية: **الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 و بداية القرن 19 م دراسة تحليلية نقدية**، ط1، دار الملكية،الجزائر،2007.
- شاطو محمد: **نظرة المصادر الجزائرية والأجنبية إلى السلطة العثمانية في الجزائر**، ط1، دار كوكب العلوم ، الجزائر، 2018.
- شاكر محمود: **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر ببلاد المغرب**، ط2، المكتب الإسلامي ، مصر،1996 ، 21ج.
- شحاتة حسن :**أطوار العلاقات المغربية العثمانية : قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)**،ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،1981.
-شقير محمد : **إشكالية التكون والتمركز والهيمنة من القرن 3م إلى 20م** ، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، 2006.
- شويتام أرزقي: **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016.
- شيخ رأفت: **تاريخ العرب الحديث** ،ط1،دار عين للدراسات والبحوث ، القاهرة، 2005.
- صحراوي عبد القادر:**الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني1520-1830م**،ط1، دار هومة، الجزائر، 2016.
- صيد سليمان: **نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار**،وزارة الثقافة ، الجزائر، 2007.

- طرابين أحمد: **التجزئة العربية كي تحققت تاريخيا**، دط. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ، 1987.
- طعمي محي الدين: **تكملة جامع كرامات الأولياء**،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1971.
- الطمار محمد: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج** ، دط، د م ج ، الجزائر، 2007.
- ////: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، د م ج، الجزائر،2007.
- طوقان قدري حافظ: **تاريخ العرب العلمي في الرياضيات والفلك.**
- طيب محمد إدريس: **الأذكار السنية بالمدرسة الزروقية**، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2012.
- ////: **المدرسة الزروقية الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة**، ط2، كتاب ناشرون، بيروت ، 2019.
- عباد صالح : **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة ، الجزائر، 2012.
- عبد القادر نور الدين: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
- عبد الوهاب حسن حسني: **خلاصة تاريخ تونس**،ط1، الدار التونسية للنشر، 1968.
- عبيد داوود: **معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية**، معسكر المجتمع والتاريخ، ط1، مكتبة دار الرشاد للطباعة ، معسكر، 2014.
- العروي عبد الله : **مجمل تاريخ المغرب** ، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996.
- العقاد صلاح: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر** ، **تونس** ، **المغرب الأقصى** ، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية ،مصر، 1993.
- علي دريس نبيل: **الاتحاد المغاربي: التعاون المشترك والتقارب الاقتصادي**،مركز الكتاب الأكاديمي، 2017.
- علي عامر محمود ،فارس محمد خير: **تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى ، ليبية"**، ط1، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000
- عليوان اسعيد: **محمد بن يوسف السنوسي وشرحه لمختصره في المنطق**،دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2009.
- العمراني محمد: **المغرب زمن العلويين الأوائل** ، ط1، مطابع الرباط نت ، المغرب، 2013.
- عمورة عمار: **موجز في تاريخ الجزائر**،ط1، دار ريحانة ، الجزائر، 2002.
- ////: **الجزائر بوابة التاريخ"الجزائرخاصة"**،ج2،دار المعرفة، الجزائر،2009.
- العيوني عبد الكريم: **إسهام الوقف في تمويل المؤسسات التعليمية والثقافية بالمغرب خلال القرن العشرين** ، ط1، دار الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2011.
-الغاشي مصطفى : **الرحلة المغربي والشرق العثماني، محاولة في بناء الصورة**، ط1، دار الانتشار العربي، بيروت،2015.

- الغالي غربي: **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916**،ط1،د. م. ج ،الجزائر، 2007.
- غطاس عائشة: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007.
- غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر**،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 2005، 3 أجزاء.
- الغنيمي عبد الفتاح أحمد : **موسوعة المغرب العربي**، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة ، 1994،3مجلدات.
- فارس محمد خير: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي** ،ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت ،1969.
- الفاسي عبد الإله: **تطور علاقات العدوتين (الرباط – سلا) بالبحر من القرن 17م إلى القرن 19م**،**البحر في تاريخ المغرب**، تنسيق: رقية بلمقدم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، المغرب، د.ت.
- فكاير عبد القادر: **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره910-1206هـ/1505 – 1792م** ، ط2، دار هومة ،الجزائر، 2015.
- الفيلالي عبد الكريم: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة،2006، 4أجزاء.
- الفيلالي كمال : **تاريخ المغرب الحديث**، ط1، طبعة الكسندر، مصر، 2018.
- الفيلالي مختار الطاهر :**نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**،ط1، دار الفن القرافيكي، باتنة، د.ت.
- القاسمي الحسني عبد المنعم: **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،2007.
- القاسمي جمال الدين الدمشقي،**رسالة في الشاي والقهوة والدخان**، ط1، مطبعة الصداقة، سوريا، 1914.
- القاضي محمد : **الكنز المكنون في الشعر الملحون** ،تقديم: أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنتروبولوجيا والدراسات الاجتماعية والثقافية بوهران ، الجزائر، 2007.
- القبلي فاطمة: **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**،جمع وتحقيق ودراسة، دار الثقافة ، ج1، دار البيضاء، المغرب،1981.
- القبلي محمد : **تاريخ المغرب تحيين وتركيب** ، ط1، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط ، 2011.
- قدوري عبد المجيد: **المغرب وأوربا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر**، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ، المغرب، 2000.

-قشتيليو محمد: **حياة الموريسكيون الأخيرة باسبانيا ودورهم خارجها**،ط1،مطابع الشويخ، المغرب،2001.
-///// : **محنة الموريسكيين في اسبانيا** ،ط2، مطابع الشويخ ، المغرب،1999.
- قنان جمال: **معاهدات الجزائر مع فرنسا1619-1830**، طبعة خاصة ،وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- قويدري خالد: **شرح متن ابن عاشر المسمى بالمنهج المبين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، ط2، مؤسسة العصر للمنشورات الاسلامية ، الجزائر، 2006.
-الكافي أحمد: **مشاريع الإصلاح السياسي في المغرب في التاسع عشر والعشرين** ، ط1، دار الشكر، مصر، 2013.
- كريم عبد الكريم : **المغرب في عهد الدولة السعديّة** ،جامعة محمد الخامس ، المغرب،1978.
- الكلاباذي محمد: **التعرف لمذهب أهل التصوف**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1933.
- الكنون عبد الله : **النبوع المغربي في الأدب العربي** ، ط2، 1960، 3مجلدات.
- ///////:**ذكريات مشاهير رجال المغرب** ، ط1، دار بن حزم، المغرب ، 3،2010أجزاء .
- لزغم فوزية: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830**، دار سنجاق الدين ، 2009.
- ماكمان محمد:**الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد**،ط1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب،2014.
- محرز أمين: **الجزائر في عهد الآغوات 1659-1671** ، ط1، البصائر، الجزائر،2011.
-المدغري عبد الكبير:**الفقيه أبو علي اليوسي نمودج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1989.
- المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792**، ش و ن ت ، الجزائر .
-/////: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791** ، ط1، م و ك، الجزائر، 1986.
- المرابط الترغي عبد الله: **محاضرات عن حركة كتابة الرحلة واتجاهاتها في المغرب على عهد العلويين ، العصرالأول**، د ط، المغرب، 2003.
- مروش المنور: **القرصنة بين الأساطير والواقع** ،د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- مريني عبد الحق :**الجيش المغربي عبر التاريخ** ،ط5، مطبعة المعارف الجديدة.
- مريني نجاة: **شعر عبد العزيز الفشتالي**، جمع ودراسة وتحقيق،ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1986.

- مريوش أحمد:**الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني**، طبعة خاصــــة، منشـــورات المركز الوطني للدراســـات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
-مفتاح عبد الباقي: **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**،ط1،دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2009.
- المنور مروش : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة ، الأساطير والواقع** ، ج2 ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، 2009.
- المنوني محمد:**تاريخ الوراقة المغربية** ، ط1،منشورات كلية الآداب ،الرباط ،1991.
-/////: **دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية لتامكروت**،ط1،وزارة الأوقاف، المغرب، 1985 .
- موسي فيصل محمد: **موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر**،ط1،منشورات جامعة قاريونس، ليبيا،1997.
- مولاي عبد الحميد العلوي: **تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد** ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- الناصري أحمد بن خالد: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، دار الكتاب، المغرب، 1997، 9أجزاء.
- الناصري محمد المكي:**الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية**،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1992.
- نجار عبد المجيد: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- نجمي عبد الله : **التصوف والبدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة خلال القرنين 16–17م** ،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ،2000.
- النظام زهراء: **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية– ثقافية خلال القرن10هـ/16**، ط1، دار الأمان، المغرب، 2015.
- نواب عواطف: **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر**، دارة الملك عبد العزيز ، السعودية، 2008.
- هلايلي حنيفي : **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دط ، دار الهدى، الجزائر، 2010.
-//////:**بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**،ط1، دار الهدى ، الجزائر، 2007 .
-////// : **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- الورطاسي قدور: **بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني**، ط1، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1976
- /////: **معالم من تاريخ وجدة** ،ط1، مطبعة الرسالة، ، الرباط ، 1972.

- ولد أباه محمد المختار: **تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب** ،ط1،المنظمة الإسلامية، إيسيكو، 2010.
- يحي جلال: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1983.
- يوبي لحسن: **الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1998.

- المراجع المعربة:

- إلتر سامح عزيز: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984.
- ايشبودان العربي: **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة**، تر: مسعود جناح، دار القصبة ،الجزائر، 2007،
- براون كنيث: **موجز تاريخ سلا** ، تر: محمد جيدة وأناس لعلو، ط1، مجلة أمل ،المغرب، 2001.
- برنيان أندري وآخرون : **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: رابح إسطنبول ، الجزائر، 1984.
- جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس،الجزائر، المغرب)من الفتح الإسلامي إلى 1830**، تر:محمد مزالي والبشير سلامة ، تونس،1985،جزءان
- دو طوريس دييقو : **تاريخ الشرفاء** ، تع: محمد حجّي و محمد الأخضر ، شركة النشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،1988.
- روجرز ف،ج: **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900** ، تع: يونان لبيب رزق ، ط1 ، دار الثقافة ، دار البيضاء ، المغرب ، 1981.
- روم لاندو روم: **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، تر : نقولا زيادة،دار الكتاب ، الدار البيضاء، المغرب، 1963.

- المجلات العربية:

- مجلة دعوة الحق:

- إيشرخان أحمد :" **جهود السلطان مولاي إسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية وازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث (1082-1139هـ/1672-1727م)**"، ع404، 2013.
- بن الصديق محمد علي:**إطلالة على التصوف المغربي وتاريخه 3**، ع289، الرباط ، 1991.
- بن خضراء عثمان : السلطان مولاي إسماعيل وعلاقاته بالدول الأوروبية، ع383، 2005.
- بنشريفة محمد: **ملامح من شخصية محمد الأول** ، ع 258، المغرب، أوت 1986.
- بنصر علوي عبد الله: **من شخصيات الزاوية العياشية (أبو سالم العياشي)**، ع248، 1985.
- بنعبد الله عبد العزيز:**الإصلاح والتجديد في عهد الدولة العلوية**، ، ع116، 1970.
- بنعلي محمد بوزيان: **"من نوادر المخطوطات بخزانة عبد الجبار الفكيكي"** ع260، 1986.

- بودهان أحمد:**المسجد ودوره الحضاري في الغرب في المغرب الإسلامي من عهد الولاة إلى عهد الحسن الثاني**، ع308، 1995.
- البوعياشي أحمد: **جزيرة بادس واحتلالها الجائر**، ع251، الرباط،1985.
- التازي عبد الهادي: **الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل** ، ع9، المغرب، 1959.
- الترغي عبد الله المرابط:"**ذكريات الجهاد على عهد الدولة العلوية**" ،ع353،المغرب، 2002.
- الجراري عبد الله : **أبو النصر المولى إسماعيل** ،ع4، الرباط ،1967.
- الجلاب حسن: **من مظاهر رعاية ملوك الدولة العلوية للعلم والعلماء: عناية السلطانين المولى الرشيد والمولى إسماعيل بالأديب الصوفي محمد المرابط الدلائي**،ع303،المغرب،1994.
- حجي محمد :**الدور السياسي للزاوية الدلائية** ،ع 4 ،المغرب، فيفري 1965.
- حركات إبراهيم: **ابن عائشة أمير البحر في عهد المولى إسماعيل** ، ع4،المغرب، 1969.
-الخطيب عبد اللطيف:" **الثغور الأسيرة وجهاد المولى اسماعيل لتحريرها**"، ع2،المغرب،1963.
- الدباغ محمد: **تنظيم جيش البخاري في عهد مولاي اسماعيل**، ع203، 1980.
-//// :**شخصية المولى إسماعيل وأثرها في تحقيق أهداف الدولة العلوية**،ع1995،308.
-////: **رحلة سفارية إلى اسبانيا في عهد المولى إسماعيل** ، ع4، 1969.
-الزيدي مفيد : **ملامح النهضة التعليمية منذ عهد المولى الرشيد إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله**، ع322، المغرب،1997.
- السايح محمد:" **المولى إسماعيل العلوي** " ،ع2، الرباط ،1959.
- السقاط عبد الجواد : **الزاوية المغربية في العصر السعدي**،ع264،المغرب، 1981.
-/////: **الحضور المغاربي في الشعر المغربي**، العدد275، المغرب، 1989.
-////:**مدخل الى قصيدة المديح في العصر السعدي وبداية العلوي**، ع 305-306، 1994.
- العافية عبد القادر: **اهتمام الملوك العلويين بالنهضة العلمية والرفع من مستوى التدريس بالمدارس والمعاهد** ،ع 359،الرباط ، 2001.
- العمراني عبد الله: سياسة مولاي إسماعيل الخارجية، ع4-5،المغرب،1965.
- الغزيوي علي :"**خزانة القرويين بين الماضي والحاضر والمستشرف من خلال نماذج من الوثائق السلطانية**"، ع 363،المغرب، 2002.
-الفاسي محمد : **الرحالة المغاربة وآثارهم** ،ع2 ، المغرب، 1958.
-الفكيكي حسن : "**مواقف جهادية للمولى الرشيد والمولى إسماعيل في الدفاع عن مليلة**"، ع 258،المغرب،1986.
- الفلاح العلوي محمد :" **البيعة في نظام الحكم بالمغرب: الجذور والامتدادات**، ع353، المغرب، 2000.
-المريني عبد الحق: "**الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى إسماعيل**"، ع282، 1991.

- المنوني محمد : "**مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية**"، ع3،المغرب، 1960.
- الهاشمي التهامي الراجي:" **دالية بن عبد الله السجلماسي المغراوي**"، ع272،المغرب، 1988.
- الكتاني يوسف:" **المولى إسماعيل رائد الدولة العلوية الشريفة**"،ع278، المغرب، 1990.
-//// : " **ظاهرة الكراسي العلمية**" ،ع 244، المغرب، 1985.
- محي الدين عبد الحميد : "**رواد المغرب في العلوم البحتة**" ، ع 286 ، المغرب، 1991.
- اليسف محمد: "**السياسة الأمنية في مغرب المولى إسماعيل**" ،ع298 ،المغرب،1995.

- مجلة الحوار المتوسطي ، جامعة سيدي بلعباس:

- بلبروات بن عتو: "**أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني**"، العدد1، 2009.
-بليل رحمونة:" **دور العمل البحري في اقتصاد الأيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر**"، ع2.
- بوشنافي محمد : "**ظاهرة الصراع السياسي والاغتيالات بالجزائر أثناء العهد العثماني (1520–1830)من خلال المصادر الأجنبية**"،ع1، 2009.
- دوبالي خديجة: "**العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق**" ، ع 3-4 ،2010.
- هلايلي حنيفي:"**أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الانكشاري في مدينة الجزائرخلال الفترة العثمانية**"، المجلد التاسع، ع3، 2018.

- مجلة الحوار الفكري ، جامعة أدرار:

- بوحميدة عبد الكريم :" **نشأة وتطور نظام إدارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني**" ، المجلد 13، ع15، 2018.

- مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر:

- ولد أحمد عبد القادر:**ظاهرة الطرقية وأثرها الاجتماعي والديني في الجزائر خلال العهد العثماني**، المجلد السادس، ع15، سبتمبر 2018.

مجلة دراسات تاريخية ، الجزائر:

- قرباش بلقاسم: "**بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائرخلال العهد العثماني(1519–1830م)**"، ع1،ديسمبر2013.

- مجلة دراسات وأبحاث، الجلفة:

- برابح الشيخ: "**التطور التاريخي للحدود**" ،العدد27 ،2017.

- مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، بوزريعة الجزائر:

- آيت حبوش حميد: "**واقع التعليم أواخر العهد العثماني**"، المجلد4، ع7، 2017.
- بخوش صبيحة : "**وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني**" ، المجلد1، ع2، 2008.
- بن عمر حمدادو:" **واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب**"،المجلد 7، ع4.

– مجلة تطوان، المغرب:
– بن العربي الصديق: **"طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب"**، ع1،يصدرها مركز الأبحاث المغربية و الأندلسية، 1956.
-كيلي جاك: **السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا**، ع6،المغرب،1961.
– مجلة الدارة ، السعودية:
– الغاشي مصطفى: **صورة الشرق من خلال " المعارج المرقية في الرحلة المشرقية للرافعي التطواني 1096هـ/1684م "**، ع1، 1999.
– مجلة الثقافة ، الجزائر:
– بوعزيز يحي :" **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19–20**"ع63، 1981.
مجلة تاريخ وحضارة المغرب، جامعة الجزائر:
– بالحميسي مولاي: **"تحرير مدينة وهران سنة 1708م "**،العدد9، 1970.
مجلة متون، جامعة سعيدة:
– بوشيبة ذهبية: "**الجيش الانكشاري في أيالة الجزائر بين ثنائية المصادر المحلية والاجنبية**"، المجلد8 ، ع4 ، 2017.
– المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، سيدي بلعباس:
– جبري عمر:" **العقيدة العسكرية للجيش العثماني في الجزائر من خلال نظام الدفشرمة أنموذجا 1518–1830**"،المجلد 5، ع1، 2019.
–حمادي عبد الله: **ابن أبي محلي وتحريضه والجزائريين والأتراك على تحرير وهران من قبضة النصارى المحتلين 1016هـ /1606 م** ،المجلد3، العدد5، جوان 2017.
– مؤسسة أبحاث ودراسات مؤمنون بلاحدود:
– حموش كريمة: **"من المحضور إلى العادة، مشروبات في تاريخ المغرب بين الحلية والحرمة"** ، المغرب ، جوان2014.
– عموري عبد العزيز:"**المضمون الاجتماعي في الكرامة الصوفية، كرامات شيخ الزاوية" العيساوية نموذجا** ،المغرب،ديسمبر2013،
– مجلة الآداب والعلوم الانسانية، سيدي بلعباس:
– حنيفي هلايلي:"**القرصنة وشروط إفتداء الأسرى الاسبان في الجزائر خلال العهد العثماني** "، ع 4 ، 2005.
– مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العراق:
– دحدوح عبد القادر:"**المدارس الأثرية بالجزائر خلال العهد العثماني**"، ع20، 2017.
– دراسات في آثار الوطن العربي:

- دحدوح عبد القادر: **"أنماط التخطيط المعماري للمآذن العثمانية بالجزائر"** ،حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد 15، ع 15،2012 .

- المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، سيدي بلعباس:

- رحموني عبد الجليل:"**الجيش النظامي في الجزائر العثمانية من خلال "المجلة الإفريقية"**،المجلد الثامن، ع1، 2015.

- قرباش بلقاسم: " **الهجوم الجزائري على المغرب 1688 من خلال وثيقة أصلية إنجليزية**"، المجلد 10، ع1 ،2018.

- المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي، تونس:

- حجي محمد : "**العلاقات المغربية العثمانية في القرن السادس عشر**" ، ع 30، 1983.

- رزوق محمد: " **الجالية الأندلسية بالمغرب العربي**"، ع 13-14، 1986.

- هلايلي حنيفي: "**الشرطة والقضاء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بين ثُنائية المصادر المحلية والمصادر الغربية**"، ع 134، مارس 2009.

- مجلة البحث العلمي ، المغرب:

- زكي مبارك زكي:"**الجهاد البحري في الغرب الإسلامي (المفهوم الاسلامي والمفهوم المسيحي)**"، السنة 31، ع45، الرباط ، 1998.

- مجلة أوراق:

- سعيدوني ناصر الدين " :**الجالية الاندلسية بالجزائر مساهمتها العمرانية و نشاطها الاقتصادي و وضعها الاجتماعي**" ،المعهد الاسباني العربي للثقافة، اسبانيا، العدد الرابع،1984.

- مجلة الواحات للبحوث والدراسات:

-بن قايد عمر :" **أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م**"، ع 17، 2012.

- سعيود إبراهيم:" **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة، القرصنة الايطالية نموذجا**" ، ع11، 2011.

- عبد العالي بوعلام: "**الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر**"، ع 15، 2011.

- مجلة العلوم الانسانية:

- قدور عبد المجيد: "**الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج**" ،المجلد 14، العدد2، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003.

- مجلة آثار، جامعة الجزائر:

- قرمان عبد القادر: "**المؤسسات الدينية والتعليمية بمعسكر ودورها في كتابة التاريخ الوطني خلال العهد العثماني**"، المجلد 9، العدد2.

- مرزوق بتة: "**مدينة بونة وموقعها الاستراتيجي في العصر الوسيط**"، المجلد 10، العدد1،
- ميمن داود:" **ثكنات الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر دراسة تاريخية ومعمارية وفنيية للثكنة العليا** "، المجلد 11، العدد2.
- مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو:
- كساس صافية: **الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية من وإلى المغرب العربي** "، ع8 ،2011.
- مجلة المعيار، باتنة:
-باجي عبد القادر: "**دراسة مخطوط - الأجوبة الفقهية للكماد القسنطيني- 1116هـ/ 1704م**" ،المجلد 17، ع34.
- طوابة نور الدين: "**دور الصوفية في الدعوة " الشيخ عبد القادر الجيلاني نموذجا**"،المجلد 9، ع18،2008.
- لعجال طارق: **المذهب الأشعري ودوره في بناء الوحدة الفكرية في شمال إفريقيا قراءة تاريخية لمنحى صياغة الوحدة العقدية والسياسية في المنطقة**، العدد36.
- المجلة الخلدونية، جامعة تيارت:
- برشان محمد :" **أثر ركب الحج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي الجنوبي الغربي الجزائري نموذجا**"، مج1 ،ع6، 2013.
- مجلة عصور الجديدة، وهران:
-صقلي خالد: "**الكراسي العلمية بين الأهمية والدور الفاعل في تقويم السلوك وتقريب المذهب وتمثين العقيدة نموذج:كراسي جامع القرويين بفاس**"، المجلد7، ع27، 2017.
- بن جبور محمد " **البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني**"،
- بوتشيش إبراهيم القادري ، السعيد لمليح: **الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن 14/8م" أوقاف مدينة فاس نموذجا** "، ع11-12، 2014.
- بوشنافي محمد:" **تجنيد المتطوعين للجيش الانكشاري الجزائري أثناء العهد العثماني من خلال الوثائق**" ، ع13، 2014.
- حصام صورية: "**دور إقليم توات في توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين أيالة الجزائر والمغرب في العصر الحديث**" ، المجلد 1، العدد17، سبتمبر 2018.
- دادة محمد: "**تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م**" ، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، 2011.
- الدين قادة : "**الحدود عبر التاريخ**"،المجلد 7، ع27، أكتوبر 2017.
- مجلة الباحث ، جامعة ورقلة:

- بن قومار جلول:"**جوانب من مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل العلوي (1672–1727)**" ،المجلد 8، ع27،ديسمبر 2016.
- بوسليم صالح، بن قايد عمر:" **الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية**" ،المجلد 7، ع2015،21.
- عقيب محمد السعيد ، لمقدم عمر: "**قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)**" ، مجلد7، عدد2، 2018.
- نواري عبد القادر:" **مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين**"،المجلد 8، ع2 ،2020.

– مجلة مواقف ، معسكر:

- بوداوية مبخوث: "**دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيد الشيخ**" ،ع خاص ، 2008.
- بوشنافي محمد : "**هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520– 1830)**" ، المجلد الرابع، ع1، 2009.
-فيقيقي محمد الكبير: "**حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية** "،ع9، 2014.
- فيلالي كمال:" **هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني**"، ع1، 2008.

مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر:

-بالحميسي مولاي:" **إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان**"،معهد التاريخ، ع2، 1986.
-شويتام أرزقي:" **العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)**"، ع13، 2011.
- غويني ليلى: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، ع 14، 2012.
- هلال عمار: "**العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين**"، مج6، ع9، 1990.

– مجلة قضايا تاريخية ، جامعة بوزريعة، الجزائر:

- بن سعيدان محمد:" **الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م** "، ع6، 2017.
- لبصير سعاد: "**التفاعل الثقافي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم في بلاد المشرق خلال العهد العثماني**"، ع8، 2017.
- موسى شرف:"**أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلة أبي سالم العياشي وابن الطيب الشرقي والهلالي نموذجا**" ، ع 7، 2017.
- يوسف أمير:"**الوقف والإدارة الحضرية بمدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي "المساجد أنموذجا**"، ع9، 2018.

– مجلة التراث، جامعة زيان عاشور،الجلفة:

-شترة خير الدين: "**القيم الاجتماعية بإقليم توات من خلال أدب النوازل" نوازل عبد الرحمان الجنتوري**"، مج5، ع 17، 2015.

- المتليني عبد العالي:"**علماء سجلماسة –تافيلالت بين الإقامة والترحال في العصر الحديث والمعاصر:أعلام كتاب نشر المثاني وقصر تابوعصامت أنموذجا**"، مج10، ع3، 2020.

–مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية، جامعة الوادي:

- الحادك قاسم: **الزوايا والطرق الصوفية في المغرب: من خدمة المخزن وتكريس شرعيته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته** ، مج 1، ع1، 2013 .

– مجلة حوليات التراث، مستغانم:

-بونابي الطاهر: "**نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**" ، ع2004،2 .

– مجلة المرآة للدراسات المغاربية:

- خروبي فتيحة، **بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563–1792م**، ع1، جامعة وهران ، جانفي 2014م.

– مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر:

-بوبشيش صالح: المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني،م1، ع2004،1.

– مجلة الحضارة الإسلامية:

-بوشنافي محمد: "**مصادر دراسة التاريخ العسكري لأيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1520–1830**"،المجلد 9، ع12،وهران ، الجزائر.

– مجلة الدراسات الإسلامية:

- أحمد سعودي:"**علاقة القوى الروحية بالإدارة العثمانية في ايالة الجزائر 1519.1830م – المرابطون والطرق الصوفية أنموذجا–**"، ع11، الأغواط،جوان 2018.

– مجلة جامعة الأمير عبد القادر:

- حماش خليفة : "**دور الطلبة الجزائريين في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني عامي 118هـ/ 1706– 1707و 1205هـ/1791 م (مقاربة تاريخية في تأصيل الحركة الطلابية الجزائرية)**" ، ع9،قسنطينة، 2001.

– مجلة الناصرية:

- موسم عبد الحفيظ:" **التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني**" ، المجلد10، العدد1، معسكر.

– مجلة المخطوطات، وهران:

- بن واز مصطفى، حيمي عبد الحفيظ:" **علاقة الطرق الصوفية بالجزائر بالسلطة العثمانية بين المساندة والمعارضة**"، ع1، جوان 2019.

- بوطبل عباس: "**دراسة توصيفية لمخطوطة "توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد " تأليف الشيخ يحي الشاوي الجزائري**" ،المجلد 10، ع11، 2014.
- لعباسي محمد: "**تعيينات آل الكتروسي في المناصب الدينية بمازونة على العهد العثماني من خلال الوثائق التاريخية**"، المجلد13، ع2018،1.
- موصدق خديجة: "**الرباط في مدينة وهران وبعده الثقافي والعلمي**"، المجلد11،ع 2015،12.

- مجلة منبر الجامعة:

-إخوان زهراء :"**صورة المغرب في أوروبا في القرنين 17و18،من خلال بعض الكتابات الأوروبية**" ،ع3،جامعة مولاي إسماعيل،مكناس، 2001.

- مجلة الكلية، المغرب:

- الغاشي مصطفى:" **المغرب السعدي والعثمانيون ،من صراع محمد الشيخ إلى تعاون عبد الملك**"، ع12، 2010.

- مجلة المناهل، المغرب:

- الجمل شوقي عطالله: "**العلاقات الانجليزية المغربية**"، ع3، 1975.
- بنعبدالله عبد العزيز: "**القوام العسكري في الحضارة المغربية**"،ع 12، 1978.
- التازي عبد الهادي :" **وثائق لم تنشر عن الصحراء الغربية**" ،عدد خاص بالصحراء الغربية، دت.
- الفاسي علال : "**أبو علي اليوسي 1040-1102هـ، شخصيته ، حياته ، دراسة موجزة لأثاره**" ، ع15، المغرب، 1979.
- الفاسي محمد :"**أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي**" ، ع6 ،1976.
-///// : "**سوس عند الجغرافيين قديما وحديثا** " ،ع23، 1982.

- مجلة سطور:

- أبزراق البشير:" **تمثيل السلطة المركزية والممارسات الاستبدادية:السلطة المحلية في شمال المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل 1672-1727**"، ع1،المغرب،2015.

- مجلة مكناسة:

- أبو إدريس إدريس:"**المذكرات الأوربية كمصدر لتاريخ المغرب لتاريخ خلال القرن 17 و18م** "،ع9، المغرب، 1992.

منشورات المجمع العلمي، العراق:

- الزيدي مفيد : **تطور التعليم في المغرب الأقصى(1664-1912)**،ج 3، 1999.
- العبيدي إبراهيم خلف:**حركة الجهاد البحري في المغرب خلال العهد العلوي** ، 2002.

- مجلة التاريخ العربي، المغرب:

-كريم عبد الكريم:(**رباط الفتح)إحدى العواصم التاريخية للمملكة المغربية**، ع7، 1998.

- الترغي عبد الله:"**الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي**"، عدد29، 2004.
- بوزينب حسين:" **مذكرة الراهب خوليان باستور تحث على إحتلال قصبة الرباط،وتتكلم عن الموركسيين والسعديين والعياشي والدلائيين وغيلان وبداية العلويين**"، ع22، 2002.
- مجلة دار النيابة، المغرب:
المنصور محمد :" **الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة**"، ع5، المغرب، شتاء1985.
- مجلة أمل:
أبو إدريس إدريس:"**علاقة الدولة المركزية بالزوايا(دولة أحمد المنصور السعدي والمولى إسماعيل العلوي نموذجا)**"، ع19-20 ،المغرب،2000.
- مجلة معهد المخطوطات العربية:
- لطفي عبد البديع :" **وثيقة مراكشية بالإسبانية،كتاب مولاي إسماعيل سلطان مراكش إلى كرلوص الثاني ملك إسبانيا**"، ،مج3،ج1،تصدر عن الجامعة العربية،ماي 1959.
- مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية:
- لنوار صبرينة:"**مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني** (القرنين**17-18**)"، العدد34، جامعة بابل، العراق، 2017.
- المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطية، سيدي بلعباس:
- مخفي مختار، بلبروات عتو: "**ركائز الحكم العثماني في الجزائر بين 1520-1830م**"،المجلد 1، ع، 2015.
- مجلة دراسات تاريخية، دمشق:
-سعيدوني ناصر الدين:" **الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي**"، ع5، 1981.
- نمير اعقيل:"**المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات** "،ع115-116، 2011.
- مجلة كان التاريخية ، الإلكترونية:
- أروي لحسن:" **العلامة أبو علي حسن اليوسي ومسيرته العلمية** " ،ع15، 2012.
- الحسن عبد الرحمان :**دور العامل الجغرافي في حركة التاريخ**، ع20، جويلية2013.
- الفيلالي الحاج ساسيوي:" **العلماء والسلطة بالمغرب الأقصى ، مسألة التجنيد خلال عصر السلطان العلوي المولى إسماعيل نموذجا1672- 1727**"، ع15، 2012.
- طحطح خاليد فؤاد :"**العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر أواخر القرن الثامن عشر**"، ع14، 2011.

– مجلة المؤرخ الإلكترونية:
- أميلي حسن : **أساطيل القرصنة كانت تشبه القابل النووية**، ع2، 2009.
- جادور محمد:**دبلوماسية أحمد المنصور من خلال تقاييد أسير برتغال**، ع 4،أوت 2009.
– مجلة ليكسوس ، الالكترونية:
-اغوثان نور الدين:" **التأثيرات الحضرية العثمانية على المغرب خلال القرن 16م**"،ع7، 2016.
– مجلة جامعة الملك سعود ، السعودية:
-السويكت فهد: "**مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية**"،2006 .
– المؤتمرات والملتقيات:
– أبو إدريس إدريس:**الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**،الندوة الدولية المقامة من أيام03-31ماي و1و4جوان1997م،سلا،المغرب،منشورات جمعية سلا،المغرب.
-الأزمي أحمد: **بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية**، أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف الخريفية،تنسيق:عبد الوهاب بن منصور، (د.ط)، مركز الدراسات والبحوث العلوية،المغرب،1989.
-الكنون محمد: **فوائد علمية وحقائق تاريخية من خلال الرحلة الناصرية لأحمد بن ناصر الدرعي**، أدب الرحلة والتواصل الحضاري ،سلسلة ندوات ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة المولى اسماعيل، مكناس،1993.
– بوباية عبد القادر: **الطريقة الزيانية وتطورها التاريخي**، الملتقى الدولي الحادي عشر: التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة ، الجامعة الإفريقية أحمد دراية ، أدرار، 9-10-11نوفمبر2008،
-بوزياني قدور: **البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر**(ق**10/11**هـ**–16/17م**)، تنسيق: عبد الرحمان المودن، منشور ب (المغارب في العهد العثماني) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 41 ،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،المغرب، 1995.
– بوصفصاف عبد الكريم: **التصوف مفاهيمه وابعاده** ، الملتقى الدولي الحادي عشر لجامعة أدرار، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة ، جامعة أدرار، أيام 9- 10-11نوفمبر 2008 .
-حجي محمد:**علاقة تطوان بالمخزن خلال القرن 11هـ/17م** (**1012–1084/1603–1673**)، أعمال ندوة تطوان خلال القرنين16و17م، ع5،المغرب،1995.
– الخداري محمد:" **تلمسان والعلاقات المغربية العثمانية من القرن 16إلى بداية القرن 19م** "، ذاكرة التكامل ، أعمال مهداة للأستاذين البزاز والتلمساني،المغرب،2014.
-دادي مارية: "**ورقة حول شخصية المولى محمد**" ، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وجدة ، 1995.

-دحدوح عبد القادر:**أثر التوجيهات الدينية في عمران وعمارة مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني**، ملتقى دولي حول الإسلام في بلاد المغرب ودور تلمسان في نشره ، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011.

- رزوق محمد: **الجهاد البحري في عهد السلطان مولاي اسماعيل منطقة مصب أبي رقراق نموذجا**، أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف الخريفية ، مركز الدراسات والبحوث العلوية ، الريصاني ، المغرب ، ديسمبر1989.

-سعيدوني ناصر الدين:**"الأوقاف بفحص مدينة الجزائر دلالات اجتماعية ومؤثرات اقتصادية"، أعمال ندوة الجزائر في الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر** ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،29-30ماي 2001.

- الفيلالي كمال: **الهجرة العلمية والطلابية إلى قسنطينة في عهد عبد الكريم الفقون علامة العصر 1580-1662م (988-1073هـ)**، مختبر الدراسات والأبحاث السوسيولوجية التاريخية حول حركة الهجرة ، أعمال الملتقى العلمي الأول ماي 2008، جامعة منتوري قسنطينة ، مطبعة ألكسندر، جوان 2009.

- قنديل محمد المستي:**رحلة الوزير الغساني إلى بلاد الإسبان**، ندوة كلية الأداب بجامعة الكويت، منشورات جامعة الكويت،الكويت،2007.

- لبصير سعاد: **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني1516-1830**، سوسيولوجيا الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، أعمال الملتقى العلمي الأول ، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية،جامعة منتوري، قسنطينة ، ماي 2008.

- مباركي نور الدين :**الوقف على الكراسي العلمية في المساجد ودورها في تفعيل العملية العلمية في الجزائر**.ملتقى الوقف العلمي وسبل تفعيه في الحياة المعاصرة ، مارس 2017،

- معكول علال:**الحركة الثقافية في مكناس خلال القرن الثاني عشر الهجري**، من خلال نماذج وأعلام ، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب،1988.

- معنينو عز المغرب: **قضايا أسرى الجهاد البحري في الرحلة السفارية الصورة المقنعة للآخر**، المؤتمر الدولي لأدب الرحالة العرب والمسلمين،الدوحة، 2010

- هنية عبد الحميد : **بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج فيها في الفترة الحديثة مابين القرنين 17و18م دراسة مقارنة** ، ورقة علمية قدمت في ندوة: جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة بالوطن العربي، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية ، بيروت ، 2013،

- المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية:

- اكليل صالح: **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط** ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف : علي آجقو ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ،السنة الجامعية :2006-2007.

- انساعد سميرة: **أدب الرحلات الحازية النثرية في الجزائرمن القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجري** (**القرن 17-19م**)،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير،معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2000-2001.

- بكاي هوارية: **العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى ، خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين** (**633-962هـ/1233-1554م**)، رسالة دكتوراه، في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي،قسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان ،السنة الجامعية: 2013-2014،

- بوترعة شهرزاد: **الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، تخصص: التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، السنة الجامعية: 2014-2015 .

- بوتريعة ياسين: **أوقاف الأضرحة والمزايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2006-2007.

- ثابت جميلة: **دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوربا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م** ، تحت إشراف: عمار بن خروف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، السنة الجامعية: 2010-2011.

-جوهار محمد: **المختصرات الفقهية في المذهب المالكي من القرن الثالث إلى القرن السابع** ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، دار الحديث الحسنية،المغرب،السنة الجامعية: 2005.

-بو حسون عبد القادر: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العيد الزياني 633 هـ - 962هـ 1235 / م - 1554 م** ، **رسالة لنيل شهادة الماجيستير** ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة تلمسان ، السنة الجامعية: 2007 – 2008 م .

- حصام صورية: **العلاقات بين أيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، تحت إشراف: عبد المجيد بن نعيمة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة ، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2013-2014.

- بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب (1516–1659م)** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، السنة الجامعية: 1983م.

- خشمون حفيظة: **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**،إشراف: كمال فيلالي، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير،جامعة قسنطينة،السنة الجامعية: 2006-2007.

- دباح عائشة: **تفاعل السلطة مع القوى الدينية والعلمية في عهد المولى إسماعيل في المغرب الأقصى(1672–1727م)**،قسم التاريخ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة الجزائر،السنة الجامعية: 2009-2010.

- دجوغ أحمد: **فهرسة العميري**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس ، الرباط، السنة الجامعية: 2004.

- دحمون منى : **قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية**،تحت إشراف : علي حملاوي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2004-2005.

- دخية فاطمة: **الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب واللغة العربية العربية، قسم الآداب و اللغة العربية ،كلية الآداب واللغات،جامعة محمد خيضر، بسكرة، السنة الجامعية: 2014-2015.

- الدراجي بلخوص: **جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل بن الفكون خلال القرنين 10–11هـ/16–17م** ،تحت إشراف : مختار حساني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم تاريخ ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، السنة الجامعية: 2012.

- رضوان نبيل عبد الحي:**جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**،إشراف محمد عبد اللطيف البحراوي،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي،جامعة أم القرى ، السعودية، السنة الجامعية: 1987.

- رقاد سعدية: **المؤسسات العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني 1700-1830**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ،السنة الجامعية: 2018-2019.

- بن سالم صالح: **التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب(1549-1664)**،تحت إشراف: إسماعيل سامعي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية: 2013-2014.

- السبتي غيلاني: **علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية،** تحت إشراف: يوسف مناصرية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، السنة الجامعية : 2010-2011.

- بوسعيد أحمد: **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م،** تحت إشراف: محمد حوتية، تخصص : التاريخ المغاربي والاجتماعي والثقافي، السنة الجامعية: 2011-2012.

- بوسعيد عبد الرحمن :**الأوقاف و التنمية الاقتصادية و الاجتماعية بالجزائر،** مذكرة ماجيستير، تخصص الدين والمجتمع ،قسم علم الفلسفة،كلية العلوم الاجتماعية،جامعة وهران،السنة الجامعية: 2011 -2012.

- سعيود إبراهيم: **الأسرى المغاربة في "إيطاليا" خلال العهد العثماني،** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2009-2010.

- سي يوسف محمد : **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية،** بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، اشراف د: أبو القاسم سعد الله ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر،1988.

- شدري معمر رشيدة: **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830م** ، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، 2005- 2006.

- طموز عبد الكريم: **تحقيق فهرس شيوخ الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي (ت 1152هـ/1739م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

- العابد زكريا: **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية**، تحت إشراف: احميدة عميراوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ، السنة الجامعية: 2007-2008.

- عمارة البشير:**التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن (11هـ-17م)**،كلية الآداب والحضارة الإسلامية، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ،كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية: 2013 -2014،

- عمارة فاطمة الزهراء: **المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)**، تحت إشراف : محمد بن معمر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران، السنة الجامعية: 2009-2010 .

- غطاس عائشة: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17(1619-1694م)،تحت إشراف: مولاي بالحميسي،قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1984-1985.

- غويني ليلى : **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية : 2010-2011.

-بن قايد عمر :**التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة العثمانية 1519-1830م مقاربة اجتماعية ثقافية**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة غرداية، السنة الجامعية: 2016-2017.

- قرباش بلقاسم: **الأسرى الأوربيون في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، السنة الجامعية: 2015-2016.

- بن قومار جلول: **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي(1578-1603م/1672-1727م) دراسة مقارنة**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث،قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة غرداية، السنة الجامعية: 2015-2016.

- مرتاض عبد الحكيم: **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 924-1246هـ/1518-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، السنة الجامعية:2015-2016.
- المكي جلول: **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263هـ/1234-1847م** ، تحت إشراف مولاي بالحميسي،رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الجزائر، 1993.
- الميلق عبد القادر: **العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر الميلادي مقاربة سياسية**، تحت إشراف: مجاود محمد، بمساعدة :بوسليم صالح، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية:2016-2017.
- نفطي وافية: **الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م** ، تحت إشراف: السبتي غيلاني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة باتنة، السنة الجامعية: 2016-2017.
- يوسف مفيدة: الجالية **الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر 16-17م** ، تحت إشراف : ارزقي شويتام، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2010-2011.

- المعاجم والقواميس:

- البوريني الحسن بن محمد:**تراجم الأعيان من أبناء الزمان**،تحقيق صلاح الدين المنجد،مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق،1959،جزءان.
- الجرجاني علي بن محمد:**التعريفات**،ط1، دار القلم، بيروت، 1984.
- الجوهري إسماعيل: **معجم تاج اللغة وصحاح العربية** ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ،6أجزاء.
- الزركلي خير الدين:**الأعلام**،ط15، دار العلم للملايين، بيروت،2002، 7أجزاء.
- زيتون وضاح: **المعجم السياسي**، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن ، 2010.
- صابان سهيل: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، السعودية، 2002.

- الصعيدي عبد الفتاح : **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002**،ط1، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان ، 2003، 3أجزاء.
- غربال محمد شفيق:**الموسوعة العربية الميسرة** ، ط1،دار الشعب، القاهرة ، 1965.
- كحالة عمر رضا : **معجم المؤلفين** ،ط1، ج2، مؤسسة الرسالة،سوريا، 1993.
- الكيالي عبد الوهاب وآخرون : **الموسوعة السياسية**، دار الحديث ، مصر،1985، 7أجزاء.
- ابن منظور: **لسان العرب**، ط3، المجلد 11، دار صادر ، بيروت ،1994.
- نويهض عادل : **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،1980.
- وجدي فريد: **دائرة معارف القرن العشرين** ،دار المعرفة،القاهرة، 1971، 10 أجزاء.
- يعقوب الفيروز أبادي محمد: **القاموس المحيط** ، ط1،دار المعرفة،مصر، 2007.

-المراجع بالأجنبية:

-BER -BERUGGER.A : «**épitaphe d'ousoun Hassan conquérant d'oran en1708** » ,R.A, N º9,1865.
- Ber Brugger. **Des Frontieres de lAlgerie** , R.A, n24, Octobre1860.
- De Castries Henry: **les sources inédites de L' histoire du Maroc** ,2'ere série dynastie Tafilelt , Archives bibliothèques de France, T2 , éditeur Ernest le roux. paris1909 - de castry-
- De Castries Henry **: Sources inedites du L'histoire du Maroc1530-1845,** dynastie Saadienne,Archive et bibliotheques de Espagne ,T2, Paris ,1905.
- De Grammont Henri: **LETTRE d Ismael pacha à Louis** XIV-1688, R.A ,T28, n°163,1844.
- De Tassy Laugier: **Histoire du royaume D'Alger.**Editions Loysel, Paris, 1992.
- DEVOULX Albert**: Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger** , R.A, volume 9, 1860.
-Devoulx Albert:**" les édifices religieux de Lancien Alger"** ,R.A, 1870.
-Di Mugello Filippo Pananti: **Relation d'un séjour à Alger , contenant des observations sur l'état actuel de cette régence**, imprimeur –libraire , Paris.
-Eugène Plantet:**Correspondances des deys dAlger avec la cour de france 1579-1833**,Paris, 2Tome.
-Eugéne Plantet:**Moulay ismail Empereur du Maroc et la princesse de conti**, paris, 1833.
-Gaffarel Paul :**L ' Algerie**,Imprimerie de l ' Institut,1883.

- Haëdo Diego: **Topographie et histoire générale d'Alger** , Traduction : de Monnereau Adrien Berbrugger, 1998.
-J.Léon,Chantale de la véronne:**La vie de Moulay Smail**,paris 1974.
-Lambert Paul :**Notice sur la ville de Maroc** ,Bulletin de la société de Geographie de Paris, 1868.
-Léon Galibert:**Histoir de L'Algérie Ancienne et Moderne**,paris , 1843.
-Maziane Laila:les captifs europiens en terre marocaine,au 17/18éme .siecles,in cahiers de la mediterranée,n 65,2002.
- savine Albert**: Dans les fers du Maghreb des Chrétiens ex laves siècle** , Editions Michaud , Paris , 1905. **au Maroc XVlle et XVllIe**
-Vilar Juan btautista-ramonlourido:**Relaciones entre España y el Magreb siglos xvii y xviii**,editorialmapfre,madrid,1992.
- Walsin Esterhazy:**Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Librairie de Charles ,Gosselin, Paris ,1840.

فهرس المحتويات:

- الملخص بالعربية:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جوانب من العلاقات السياسية والثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الممتدة من 1069-1139هـ/1659-1727م وفق مقاربة سياسية ثقافية.

الجانب الأول تناولت من خلاله العوامل التي تحكمت في العلاقات السياسية وإبراز مظاهرها، ومدى تأثير الدول الأوربية على العلاقات الجزائرية المغربية.

أما الجانب الثاني فيتضمن مقومات الوحدة الثقافية بين البلدين، ومانتج عنه سواء تعلق الأمر بالجانب الصوفي والروحي أو الجانب العلمي والفكري من خلال منح الإجازات بين علماء البلدين وتبادل الرسائل والفتاوى نتيجة تنقل العلماء ورحلاتهم.

الكلمات المفتاحية: العلاقات- مقاربة سياسية ثقافية- الجزائر- المغرب الأقصى.

-Abstract:

This study aims to highlight aspects of the political and cultural relations between Algeria and Morocco in the period from 1069 -1139 AH / 1659-1727 AD according to a political and cultural approach. The first aspect dealt with the factors that controlled the political relations, highlighting their manifestations, and the impact of European countries on the Algerian-Moroccan relations. As for the second aspect, it includes the elements of cultural unity between the two countries, and what resulted from it, whether it was related to the mystical and spiritual aspect or the scientific and intellectual aspect through the granting of licenses between the scholars of the two countries and the exchange of messages and fatwas as a result of the movement of scholars and their trips.

Key words: Relations - a political and cultural approach - Algeria - Morocco.